

الكافي

الاصول والروضة

تأليف الإمام أبي جعفر محمد بن يعقوب الكليني

وشرح جامع

للإمام محمد صالح المنجد

الطبعة الأولى: ١٤٢١ هـ

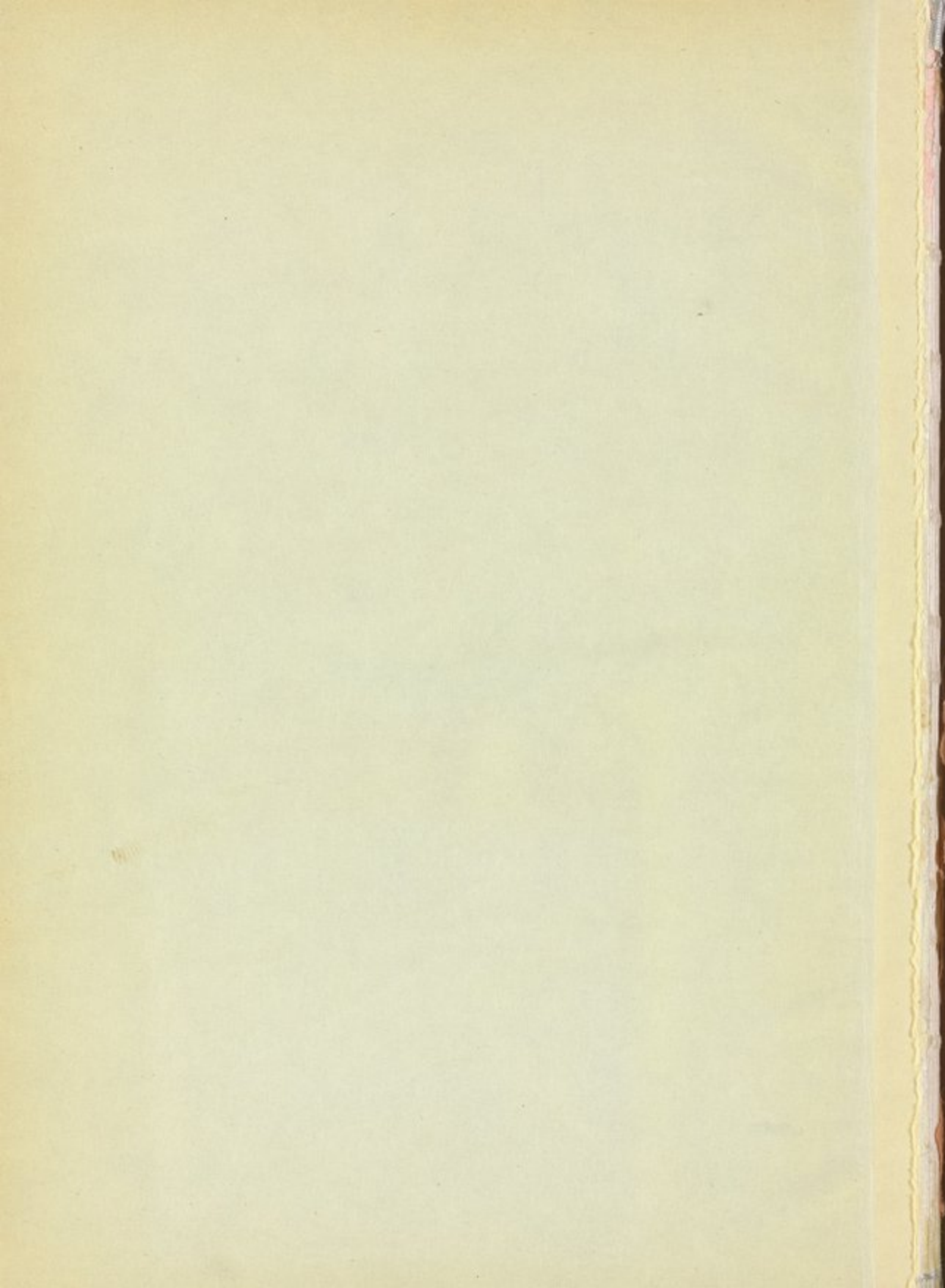
مع تذييل من العالم البحر

إمام الميرزا أبو الحسن الشيرازي دام ظلوه

من منشورات

المكتب الإسلامي

طهران شارع البو قردجوي



الكافي

الاصول والروضة

لثقة الاسلام ابي جعفر محمد بن يعقوب الكليني

وشرح جامع

للمولى محمد صالح المازندراني

المتوفى ١٠٨١ هـ او ١٠٨٦ هـ

مع تعليقات علمية ، للعالم المستبحر

احاج الميرزا ابوالحسن الشعراني دام ظله

عني بتصحيحه وتخرجه علي أكبر الغفاري

المجلد الثامن

مِنْ مَشْهُورَاتِ

المكتبة الاسلاميّة

طهران - شارع البوخرجهي (تلفن ٢١٩٤٤)

١٣٨٦ هـ



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(كتاب الايمان والكفر من كتاب الكافي)

((باب))

(طينة المؤمن والكافر)

[اخبرنا محمد بن يعقوب قال : حدثني]

2271

.518

.351

.1963

ص. 8

١- علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن حماد بن عيسى ، عن ربعي بن عبد الله ، عن رجل ، عن علي بن الحسين عليه السلام قال : إن الله عز وجل خلق النبيين من طينة

قوله (كتاب الايمان والكفر) قدم الايمان لانه الاصل والاهم والمقصود اولانه وجودي والكفر عدمي كما قيل ، ولم يذكر واسطة ذكرها فيما بعد اما لانه لا يقول بثبوتها لما مر من الوجه الاخير اولانه أراد بهما أصل الاقرار والانكار ، ولا واسطة بينهما ، وانما الواسطة باعتبار أمر آخر وهو أن يراد بالايمن الايمان الكامل المقارن بالاعمال كما هو الشائع عند أهل البيت عليهم السلام اولانه أراد بهما المطلق والواسطة لا تخلو من أحدهما ، والغرض من هذا الكتاب بيان أصل الانسان وكيفية خلقه والغرض منه وما يوجب كفره وايمانه و بيان مهلكاته ومنجياته ، والترهيب من الاولى ، والترغيب في الثانية ليعرف كيفية السلوك و طريق الوصول الى سعادته التي هي قرب الحق والوصول اليه والتخلص من أهواء النفس واغواء الشيطان ولا يمكن ذلك الا بمجاهدات نفسانية و رياضات بدنية و روحانية و نيات صادقة قلبية ، وهم رفيفة عالية والله ولي التوفيق واليه سداد الطريق .

قوله (باب طينة المؤمن والكافر) في النهاية طينة الرجل خلقه واصله طانه الله على طينته أي خلقه على جبلته . وفي المصباح الطين معروف والطينة أخص منه والطينة الخلقة يقال طانه الله على الخير جبله عليه ، و انما قدم باب الطينة لانه يذكر فيه أحوالهم شراكة مع أن الطينة و أحوالها بمنزلة المادة و سائر الاحوال بمنزلة الصورة .

قوله (أخبرنا محمد بن يعقوب قال حدثني) لم يوجد في أكثر النسخ والوجه على تقدير وجوده ما ذكرناه في اول الكتاب .

قوله (ان الله عز وجل خلق النبيين) أي أوجدهم أو قدر وجودهم من طينة الجنة على تفاوت درجاتها ، و نبينا هـ ، وأوصياؤه عليهم السلام خلقوا من طينة أعلاها كما سيحىء و اضافة الطينة اما بتقدير اللام أو في أو من .

عليين قلوبهم و أبدانهم و خلق قلوب المؤمنين من تلك الطينة و [جعل] خلق أبدان المؤمنين من دون ذلك ، و خلق الكفار من طينة سجين ، قلوبهم و أبدانهم فخلط بين الطينتين، فمن هذا يلد المؤمن الكافر و يلد الكافر المؤمن ومن ههنا يصيب المؤمن

قوله (قلوبهم و أبدانهم) بيان أو بدل للنيين و لعل المراد بالقلب هنا الجسم المعروف (١) الذى يتعلق به الروح أولا فلا ينافى ما مر فى باب خلق أبدان الائمة من أن أجسادهم مخلوقة من طينة عليين و أرواحهم مخلوقة من فوق ذلك وهو نور العظمة كما فى حديث آخر على أنه لو اريد به الروح لامكن الجمع بجعل الطينة مبدءا لها مجازاً باعتبار القرب و التعلق أو بتخصيص النيين بغيره «ص» ، ويؤيده خبر محمد بن مروان المذكور فى ذلك الباب.

قوله (و خلق قلوب المؤمنين) أى خلق قلوب المؤمنين من طينة عليين وهى جنة عدن و خلق أبدانهم من دون ذلك بدرجة ولذلك صارت قلوبهم أطف وألين من أبدانهم ، ووقع الاقتراب بالاقتفاء والافتراق فى النبوة بينهم وبين النيين.

قوله (وخلق الكفار) أى خلق الكفار قلوبهم و أبدانهم من طينة جهنم على تفاوت درجاتها باعتبار تفاوت حالاتهم فى العتو والطينان ، و لذلك صارت قلوبهم و قواهم فى الغلظة والكثافة مثل أبدانهم و لم يذكر هنا اتباعهم لان نوع الكفر يشملهم بخلاف النبوة فانها لاتشمل جميع المؤمنين.

قوله (فخلط بين الطينتين) الظاهر أنه خلق منها آدم «ع» فمن هذا يلد المؤمن الكافر و يلد الكافر المؤمن فيخرج من المؤمن ما كان فيه من طينة سجين و يظهر منه ويخرج من الكافر ما كان فيه من طينة عليين، وهذا معنى قول أبى عبدالله «ع»: ثم نزع هذه من هذه و هذه من هذه ولو لم يلد المؤمن الذى فيه شيء من طينة سجين كافراً ولا الكافر الذى فيه شيء من طينة عليين مؤمناً وقع النزاع يوم القيامة لان طينة النار لاتدخل الجنة و

(١) قوله «و لعل المراد بالقلب هنا الجسم المعروف» أقول وهو بعيد لانه جعل مقابلا للابدان، فالمراد منه الارواح ويدفع المناقاة بين الخبرين بتعميم العليين فى الخبر الثانى بان يكون المراد من العليين أعنى ما خلق منه أرواح الائمة فى هذا الخبر أعم من العليين الذى ذكر فى الخبر السابق لان عالم العليين عالم طاهر مقدس من أدناس المادة مع أنه ذو مراتب فجسمهم و روحهم كلاهما من عليين الا ان أرواحهم من مرتبة أعلى منه فتارة اطلق عليون على المرتبة الدنيا خاصة وقيل أرواحهم من فوق ذلك و تارة اطلق على جميع المراتب فقيل أرواحهم و أبدانهم من عليين والله العالم. (ش)

السيئة و من ههنا يصيب الكافر الحسنة، فقلوب المؤمنين تحن^١ إلى ما خلقوا منه و قلوب الكافرين تحن^٢ إلى ما خلقوا منه.

طينة الجنة لا تدخل النار. يدل على هذا ما ذكره الصدوق في آخر العلل في حديث طويل ، و لولا التخليط لما صدر من المؤمن ذنب قطعاً ولا من الكافر حسنة اصلاً و فيه مصالح جمّة منها اظهار قدرته باخراج الكافر من المؤمن و بالعكس دفعا لتوهم استنادهم الى الطبايع كما قال جل شأنه « يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي » و منها ظهور رحمته في فسفة المؤمنين بغفر ذنوبهم و منها تعيش المؤمنين في دولة الكافرين اذ لو لم يكن رابطة الاختلاط ولم يكن لهم رافة و أخلاق حسنة كانوا كلهم بمنزلة الشياطين فلم يتخلص مؤمن من بطشهم. و منها وقوع المؤمن بين الخوف والرجاء حيث لا يعلم أن الغالب فيه الخير أو الشر و منها رفع العجب عنه بفعل المعصية و منها الرجوع اليه عزوجل في حفظ نفسه عنها. قوله (قلوب المؤمنين تحن) أى تميل قلوب المؤمنين الى عليين و قلوب الكافرين الى سجين لميل كل الى أصله، لا يقال هذا الحديث و مثله يرفع الاختيار و يوجب الجبر (١)

(١) قوله « و مثله يرفع الاختيار و يوجب الجبر » ليس في الباب الاول من هذه الكتاب حديث يعتمد على اسناده بل جميع أخباره ضعيفة بوجه ولكن في باين بعده أخباراً توصف بالحسن أو التوثيق ولكن مضامينها مخالفة لاصول المذهب وللروايات الآتية في الباب الرابع أعنى باب فطرة الخلق على التوحيد و ذلك لان من أصول مذهبنا العدل واللفظ و ان لم يخلق بعض الناس أقرب الى قبول الطاعة و بعضهم أبعد والتبعيض في خلق المكلفين مخالف لمقتضى العدل لانه تعالى سوى التوفيق بين الوضيع والشريف يمكن اداء الأمور و سهل سبيل اجتناب المحذور، و خلق بعض الناس من طينة خبيثة اما ان يكون ملزماً باختيار المعصية جبراً وهو باطل و اما ان يكون أقرب الى قبول المعصية ممن خلق من طينة طيبة وهو تبعيض وظلم و قلنا انه مخالف للروايات الآتية في الباب الرابع لانها صريحة في أن الله تعالى خلق جميع العاس على فطرة التوحيد وليس في أصل خلقهم تشويه و عيب و انما العيب عارض وهكذا ما نرى من خلق الله تعالى فانه خلق الماء صافياً و انما يكدره الارض التربة و كذلك الانسان خلق سالماً من الخبائث و أبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه و ايضاً القرآن يدل على ان جميع الناس قالوا بلى في جواب ألست بربكم فالاصل الذى عليه اعتقادنا أن جميع أفراد الناس متساوية في الخلقه بالنسبة الى قبول الخير والشر و انما اختلافهم في غير ذلك فان دلت رواية على غير هذا الاصل فهو مطروح أو مأول بوجه سواء علمنا وجهه أو لم نعلم و من التأويلات التى هي في معنى طرح الروايات تأويل الشارح فان الروايات صريحة في أن الطينة مؤثرة في صيرورة العبد سعيداً أو شقيماً و أولها الشارح بأنها غير مؤثرة. (ش)

٢ - محمد بن يحيى ، عن محمد بن الحسن ، عن النضر بن شعيب ، عن عبد الغفار الجازي ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : إن الله جلَّ وعزَّ خلق المؤمن من طينه الجنة و خلق الكافر من طينة النار ؛ و قال : إذا أراد الله عزَّ وجلَّ بعبد خيراً طيب روحه

والاضطرار لانا نقول: والله أعلم- إن الله جل شأنه لما خلق الارواح كلها قابلة للخير والشر و علم أن بعضها يعود الى الخير المحض و هو الايمان، و بعضها يعود الى الشر المحض و هو الكفر باختيارهما و أمرها حين كونها مجردات صرفة بأمر كما سيحییء و وقع معلومه مطابقاً لعلمه لخلق للاول مسكناً و هو البدن من طينة عليين و خلق للآخر مسكناً من طينة سجين كما خلق للمؤمن جنة و للكافر ناراً و ذلك ليستقر كل واحد فيما يناسبه و يعود كل جزء الى كله و كل فرع الى أصله، و من ههنا ظهر أن الخلق من الطينتين تابع للايمان و الكفر و مسبب عن العمل دون العكس فلا يستلزم الجبر ولا ينافي الاختيار الا ترى أنه تعالى لما علم أن بين النبيين و المؤمنين اتصالاً من وجه و انفصالاً من وجه آخر لان المؤمنين يوافقونهم في العقائد و يخالفونهم أحياناً في الاعمال لعدم العصمة خلق قلوب المؤمنين من طينة النبيين و خلق أبدانهم من دون ذلك لانحطاط درجاتهم و شرفهم، فوضع كلا في درجته و انك اذا قررت لعبدك المطيع بيتاً شريفاً و لعبدك العاصي بيتاً ضيقاً صح ذلك عقلاً و شرعاً و لا يصفك عاقل بالظلم و الجور اذ الظلم وضع الشيء في غير موضعه، فهو انما يلزم لو انعكس الامر أو وقع التساوى، و بما قررنا تبين فساد توهم أن الايمان و الفضل و الكمال و أضعافها تابعة لطهارة الطينة و صفاتها ، و خباثة الطينة و ظلمتها ، و هذا التوهم يوجب الجبر و بطلان الشرائع و التأديب و السياسة و الوعد و الوعيد نعوذ بالله منه.

قوله (خلق المؤمن من طينة الجنة) قد أشرنا الى أن المراد بالطينة ظاهرها و أن الله تعالى لما علم في الازل من روح المؤمن طاعته و من روح الكافر عسيانه خلق بدن كل واحد في هذه النشأة مما يعود اليه في النشأة الآخرة، و قال بعض شراح نهج البلاغة: الطينة اشارة الى أصولهم و هي الممتزجات المنتقلة في أطوار الخلقة كالنطفة و ما قبلها من موادها مثل النبات و الغذاء و ما بعدها من العلقة و المصنعة و العظم و المزاج القابل للنفس المدبرة، و سيحییء توضيح ذلك في حديث المزن.

قوله (و قال اذا أراد الله عز وجل بعبد خيراً) ان اريد بالخير توفيقه تعالى و عداياته الخاصة لحسن استعداد العبد فالارادة على حقيقتها و ان اريد به الايمان و توابعه من الاعمال الصالحة و الاخلاق الفاضلة يرد أنه تعالى أراد خير جميع العباد بهذا المعنى و يمكن دفعه بأن الارادة حينئذ تعود الى اعتبار كونه غالباً بما في العبد من الميل الى الخيرات و العزم على امتثال

وجسده فلا يسمع شيئاً من الخير إلا عرفه ولا يسمع شيئاً من المنكر إلا أنكره قال : وسمعتة يقول : الطينات ثلاث: طينة الأنبياء والمؤمن من تلك الطينة إلا أن الأنبياء هم من صفوتها، هم الأصل ولهم فضلهم والمؤمنون الفرع من طين لازب، كذلك لا يفرق الله عز وجل بينهم وبين شيعتهم، وقال : طينة الناصب من حماء مسنون؛ وأما المستضعفون فمن تراب، لا يتحوّل مؤمن عن إيمانه ولا ناصب عن نصبه و

أو امره والاجتناب عن نواهيه، فإذا علم منه ذلك توجه اليه لطفه فيطيب روحه و نفسه عن الفساح و يطهر جسده و قواه عن القبائح فلا يسمع شيئاً من الخير الا عرفه وصدق به وعمل به وان كان من العمليات ولا يسمع شيئاً من المنكر الا أنكره و عرف قبحه و تركه، وهكذا يفعل الله بعباده اذا علم صدق نياتهم و حسن استعدادهم.

قوله (الطينات ثلاث) الاولى طينة الانبياء والمؤمنين المقرين بهم، والثانية طينة الكفرة والنواصب المنكرين المعاندين لهم، والثالثة طينة المستضعفين الذين لا يقرون بهم ولا يعاندونهم، و هذا التقسيم باعتبار المخلوق منها، فلان في مامر في باب خلق أبدان الائمة من أن الطينات عشرة لان ذلك باعتبار مبدء الخلق، تأمل تعرف.

قوله (والمؤمن من تلك الطينة) أى قلبه أو الاعم منه و من البدن لان المراد بتلك الطينة طينة الجنة وهى تشملهما الا أن الانبياء خلقت قلوبهم و أبدانهم من صفوتها، او خالصها، و أما ارواحهم فمن فوق ذلك كما مر، وهم الاصل في اليجاد والمقصودون أصالة في خلق هذا النوع ولهم فضلهم في العلم والعمل والتقدم والتقرب التام بالحق والارشاد، والمؤمنون فرع الانبياء وتلوهم في القصد واليجاد وأبدانهم خلقت من طين لازب و هو نفل طين الانبياء سمى به لانه الزق و أصلب من الصفو المذكور، و أما قلوبهم فخلقت مما خلق منه الانبياء كما مر وكما لم يفرق الله تعالى بين الانبياء و شيعتهم في الخلقة و الطينة كذلك لا يفرق بينهما في الدنيا والاخرة لان الفرع مع الاصل والتابع مع المتبوع.

قوله (و قال طينة الناصب من حماء مسنون) الحماء الطين الاسود والسنون المتغير المنتن و هو طين سجين، وقد روى أن الله عز وجل خلق أرضاً خبيثة سبخة منتنة، ثم فجر منها ماء اجاجاً مالحاً فأجرى ذلك الماء عليها سبعة أيام حتى طبقتها و عمها، ثم نضب ذلك الماء عنها ثم أخذ من ذلك الطين فخلق منه الطغاة الكفرة وأئمتهم .

قوله (و أما المستضعفون فمن تراب) أى خلقوا من تراب غير ممزوج بماء عذب زلال كما مزجت به طينة الانبياء والمؤمنين، ولا بماء آسن اجاج كما مزجت به طينة الكافرين، فلا يكونون من هؤلاء ولا من هؤلاء و الله المشية فيهم ان شاء الله أدخلهم في

لله المشيئة فيهم.

٣- علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن محبوب، عن صالح بن سهل قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: جعلت فداك من أي شيء خلق الله عز وجل طينة المؤمن؟ فقال: من طينة الأنبياء، فلم تنجس أبداً.

٤- محمد بن يحيى وغيره، عن أحمد بن محمد وغيره، عن محمد بن خلف، عن أبي - نهشل قال: حدثني محمد بن إسماعيل، عن أبي حمزة الثمالي قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: إن الله جلَّ وعزَّ خلقنا من أعلى عليين وخلق قلوب شيعتنا مما خلقنا منه ورحمته و إن شاء أخرجهم منها.

قوله (لا يتحول مؤمن عن إيمانه) بيان لحال كل واحد من الأقسام الثلاثة، ولا ينافيه ما قد يقع من التحول لان المتحول من الايمان لم يكن مؤمناً في الحقيقة، و انما اكتسب الايمان بما فيه من رائحة طينة الجنة المكتسبة بالمخالطة، فلما زالت عادالى ما كان عليه من الكفر فى العهد القديم والمتحول من الكفر لم يكن كافراً فى الحقيقة، و انما اكتسب الكفر بما فيه من رائحة النار، فلما زالت عاد الى ما كان عليه من الايمان و بالجمله الايمان فى الاول حسنة نشأت من التخليط المذكور، والكفر فى الثانى سيئة نشأت منه و التخليط قد يفضى الى اتصاف كل واحد من الفريقين بصفات الاخر لكنه غير مستقر غالباً .

قوله (من أى شيء خلق الله عز وجل طينة المؤمن) اريد بالمؤمن من علم الله تعالى أزلا إيمانه فى عالم الارواح و من كان كذلك فهو مؤمن فى عالم الاشباح أيضاً و لذلك خلق الله قلبه و بدنه من طينة طيبة طاهرة هى طينة الانبياء، أما قلبه فمن صفوها ، و أما مثال بدنه فمن ثفلها فلاجل ذلك لم ينجس المؤمن بالكفر و قد عرفت أن خلقه من تلك الطينة تابع لإيمانه و سبب لكماله و هو لطف من الله تعالى مبسوط على من يشاء من عباده .

قوله (خلقنا من أعلى عليين) أى خلق قلوبنا و أبداننا من أعلى أمكنة الجنة و أرفع درجاتها أو من أعلى المراتب و أشرفها و أقربها من الله عز وجل على احتمال ، و خلق قلوب شيعتنا و تابعينا فى العلم والعمل مما خلقنا منه فلذلك يقبل الحق ويستقر فيه، و خلق أبدانهم من دون ذلك لتصور ما فى قوتهم العملية و قواهم الجسمانية بالنسبة الى قوتنا و قوانا فوضع كلافى المقام اللائق به ، لا يقال خلق قلوب شيعتهم مما خلق قلوبهم منه يقتضى

خلق أبدانهم من دون ذلك وقلوبهم تهوي إيلينا، لأنها خلقت مما خلقنا منه ، ثم تلا هذه الآية « كلا إن كتاب الأبرار لفي عليين » وما أدراك ما عليون ﴿ كتاب مرقوم ﴾ يشهده المقرَّبون « وخلق عدونا من سجين وخلق قلوب شيعتهم مما خلقهم منه و أبدانهم من دون ذلك، فقلوبهم تهوي إليهم، لأنها خلقت مما خلقوا منه ، ثم تلا هذه الآية: « كلا إن كتاب الفجار لفي سجين ﴾ وما أدراك ما سجين ﴿ كتاب

المماثلة في القوة النظرية وليس كذلك لانا نقول استكمال القوة النظرية كما يكون من جهة التأثر ، من المفيض كذلك يكون من جهة التأثير في القوى الجسمانية والادراكات والصفات الحاصلة للنفس المدبرة من هذه الجهة، وفي نفس الشيعة وان استكملت نقص ما في التأثير بالنسبة الى نفوسهم القدسية الكاملة من كل وجه والنقص فيه يوجب النقص في التأثر ايضا ذلك يوجب عدم المساواة بينهما في القوة المذكورة.

قوله (لانها خلقت مما خلقنا) ضرورة ان تولدها منه و فرعتها له و ربطها به

مقتضية لميلها اليهم وحبها لهم كما يحب الولد والده و يميل اليه.

قوله (ثم تلا هذه الآية كالا ان كتاب الأبرار لفي عليين) لعل المراد ان المكتوب للأبرار

وهم المؤمنون مطلقاً من الافعال الخيرية والاعمال الصالحة لفي عليين و هو ديوان اعمال الصالحين و صحائف أفعال المتقين، ثم قال تفخيماً لشأنه « و ما أدريك ما عليون كتاب مرقوم » أي مكتوب أو معلم بعلامة يعلم من رآه أن فيه خيراً يشهده المقرَّبون من الملائكة أي يحضرونه و يحفظونه أو يشهدون لهم على ما فيه يوم القيامة، والغرض من تلاوة الآية هو الإشارة بتعظيم كتابهم الى تعظيم شأنهم ، و يحتمل أن يراد بعليين الجنة أو أشرف المراتب و أقربها من الله تعالى أو السماء السابعة و حينئذ لا بد من اعتبار الحذف في قولهم له « و ما أدريك ما عليون » أي ما كتاب عليين. كما يحتمل أن يراد بكتاب الأبرار ما كتب و فرض لهم من الطيبة و بعليين الجنة مع رعاية الحذف لكن كلا الاحتمالين بعيد والثاني أبعد.

قوله (و خلق عدونا من سجين) عدوهم من أنكر ولايتهم أو ولاية أحدهم أو دفعهم

عن مرتبتهم : والمراد بالسجين هنا جهنم أو واد فيها أو حجر في الارض السابعة أو أبعاد المراتب من الله تعالى، و لما كان عدوهم على صنفين صنف هم المتقدمون في العداوة والشور و صنف هم التابعون لهم فيها و كانت أوزار الاولين أكثر و أفخم ، و عقوبتهم أشد و أعظم خلق أبدانهم و قلوبهم من أقيح الدركات ، و خلق قلوب تابعيهم مما خلقوا منه و أبدانهم دون ذلك لوضع كل واحد في مرتبته.

قوله (كلا ان كتاب الفجار لفي سجين) يظهر معناه بالنظر الى ما سبق لانه يخالفه

مرقومٌ ۞ ويلٌ يومئذ للمكذِّبين».

٥- عدةٌ من أصحابنا، عن سهل بن زياد وغير واحد، عن الحسين بن الحسن جميعاً، عن محمد بن أورمة، عن محمد بن عليّ، عن إسماعيل بن يسار، عن عثمان بن يوسف قال: أخبرني عبدالله بن كيسان، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قلت له: جعلت فداك أنا مولاك عبدالله بن كيسان، قال: أمّا النسب فأعرفه و أمّا أنت، فلست أعرفك قال: قلت له: إنني ولدت بالجبل ونشأت في أرض فارس وإنني أخالط الناس في التجارات وغير ذلك، فأخالط الرجل فأرى له حسن السمات وحسن الخلق و [كثرة] أمانة ثمّ أفتشه فأتبينه عن عداوتكم وأخالط الرجل فأرى منه سوء الخلق وقلة أمانة وزعارة ثمّ أفتشه فأتبينه عن ولايتكم، فكيف يكون ذلك؟ فقال لي: أما علمت يا ابن كيسان

فيجري فيه خلاف ما ذكر.

قوله (اما النسب فأعرفه) كان المراد بالنسب كيسان ، و لعله كيسان بن كليب من أصحاب علي والحسن والحسين و علي بن الحسين و محمد بن علي عليهم السلام وهو أيضاً لقب مختار بن أبي عبيد المنسوب اليه الكيسانية . والمراد بمعرفته معرفته بالرؤية و بعدم معرفة ابنه عبدالله عدم معرفته بها ، و يؤيده قوله و اني ولدت الخ ، على الظاهر، ويمكن أن يكون كناية عن عدم ايمانه اذ لو كان مؤمناً لعرفه لانهم عليهم السلام كانوا يعرفون شيعتهم و أسماءهم و أسماء آبائهم كما دلت عليه الراويات المتبعة .

قوله (اني ولدت بالجبل) قيل المراد بالجبل كردستان بين تبريز و بغداد و همدان وغير ذلك .

قوله (فارى له حسن السمات) هو السكينة والوقار و هيئة أهل الخير والصلاح يقال: سمّت الرجل سمّاً من باب قتل اذا كان ذا سكينة و وقار و هيئة حسنة .

قوله (و كثرة أمانة) في أموال الناس و عهودهم و أسرارهم .

قوله (ثم أفتشه فأتبينه عن عداوتكم) أي متجاوزاً عن بدايتها الى نهايتها أو على عداوتكم أو من عداوتكم لان حرف الجر يجيء بعضها بمعنى آخر كما صرح به أئمة اللغة و على التقادير فيه مبالغة في عداوته أما الاول فظاهر و كذا الثاني لان على للاستعلاء ، و أما الثالث فلانه يفيدان التفتيش مقارن لوجدان عداوته، و انما يكون ذلك لكمالها فيه .

قوله (و زعارة) عطف على قلة أو سوء الخلق، وهي الفساد والفسق وسوء الخلق و الخبث والفرع من كل كربة والاضطراب منها .

قوله (فكيف يكون ذلك) ظن أن وليه طبيب وعدوه خبيث، فينبغي أن يكون الامر

أنَّ الله عزَّ وجلَّ أخذ طينة من الجنة و طينة من النار، فخلطهما جميعاً ، ثمَّ نزع هذه من هذه و هذه من هذه فمارأيت من أولئك من الأمانة و حسن الخلق و حسن السمت فمما مسَّتْهم من طينة الجنة وهم يعودون إلى ما خلقوا منه ، وما رأيت من هؤلاء من قلة الأمانة و سوء الخلق و الز عارة فمما مسَّتْهم من طينة النار، و هم يعودون إلى ما خلقوا منه.

٦- محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد ، عن محمد بن خالد ، عن صالح بن سهل قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام : المؤمنون من طينة الأنبياء ؟ قال : نعم .

٧- علي بن محمد ، عن صالح بن أبي حماد ، عن الحسين بن يزيد ، عن الحسن بن علي بن أبي حمزة ، عن إبراهيم ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : إن الله عزَّ وجلَّ لما أراد أن يخلق آدم عليه السلام بعث جبرئيل عليه السلام في أول ساعة من يوم الجمعة ، فقبض بيمينه قبضة ، بلغت قبضته من السماء السابعة إلى السماء الدنيا و أخذ من كل سماء

على عكس ما وجدناه فلما وجد خلافه سأل عن سببه .

قوله (فخلطهما جميعاً) و بذلك يختلف أحوالهم و صفاتهم في الدنيا كما أشار إليه بقوله «فمارأيت في أولئك» و حاصله أن ما في كل واحد من المؤمن و الكافر من صفات الآخر أمر عرضي حصل له باعتبار مماسة الطينتين و مجاورتهما و رائحتهما لاكتساب طينة الجنة رائحة من طينة النار و بالعكس، و ان الاخلاق الذميمة لاتنافي الايمان و لاتدفعه، و الاخلاق الحسنة لاتنتفع مع الكفر و ان كان ذلك موجباً لنقصهما فكل يعود الى ما خلق منه .

قوله (المؤمنون من طينة الانبياء) قد عرفت أن طينة الانبياء من الجنة و أنهم مخلوقون من صفوها و خالصها، و أن قلوب المؤمنين مخلوقة منه و أبدانهم من ثفلها و هو دون ذلك و لا يلزم منه الجبر و الاضطرار لما مر .

قوله (في أول ساعة من يوم الجمعة) يدل على شرافتها و رحجان الشروع في الامر العظيم فيه، و على حدوث آدم بارادته تعالى و الايات المتكاثرة و الروايات المتواترة من طرق العامة و الخاصة صريحة فيه ، و هو مذهب أصحاب الشرايع كلهم و مذهب جم غفير من منكريها ، خلافاً للدهرية القائلين بقدم نوع الانسان و أنه ليس ثم انسان أول و انما هو انسان من نطفة و نطفة من انسان لالي أول و لاصحاب الطبيعة القائلين بأن آدم حدث من تأثير النجوم أو العناصر أو غير ذلك من المزخرفات .

قوله (و أخذ من كل سماء تربة) يمكن أن يراد بالسماء الجنة مجازاً لكونها من

تربة و قبض قبضة أخرى من الأرض السابعة العليا إلى الأرض السابعة القصوى، فأمر الله عز وجل "كلمته فأمسك القبضة الأولى بيمينه والقبضة الأخرى بشماله ، ففلق الطين فلتقتين فذرا من الأرض ذرواً و من السماوات ذرواً فقال للذي بيمينه : منك الرسل والأنبياء والأوصياء والصدّيقون والمؤمنون والسعداء و من أريد كرامته، فوجب لهم ما قال كما قال، وقال للذي بشماله: منك الجبارون و المشركون و الكافرون والطواغيت و من أريد هوانه و شقوته، فوجب لهم ما قال كما قال. ثم " إن الطينتين خلطتا جميعاً، وذلك قول الله عز وجل : « إن الله فالق الحب والنوى»

جهة السماء أو حقيقة لان السماء كل عال مظل، و لذلك يقال للسقف والسحاب سماء ، و كل درجة من درجات الجنة سماء لعلوها و ارتفاعها بالنسبة الى ما تحتها و حينئذ يراد بالأرض السجين و دركاتهما فيوافق سائر الروايات و أن يراد بها هذا المحسوس لتبادره ولا يبعد أن يكون فيها تراب من جنس تراب الأرض أو غيره أولنقله اليها للتشريف والتكريم .
قوله (فامسك القبضة الاولى) بيمينه هي طينة المؤمن و امسكها بيمينه للتشريف لان اليمين أشرف و للإشارة بكمال القوة الروحانية للمخلوق منها.

قوله (فلق الطين) فلقته فلقتاً من باب ضرب شققته فانفلق، و فلقته بالتشديد مبالغة. و ذرأ الشيء تحرك و تفرق سريعاً. والمراد بالطين الجنس الشامل للقبضتين، و لما فلقه بفتح القبضة تحرك ما في شماله في الأرض و ما في يمينه في السموات فقال الله تعالى أو جبرئيل «ع» للذي بيمينه منك الرسل الذي أتون بالدين أو الكتاب و يشاهدون جبرئيل عليه السلام و يسمعون منه و الانبياء المخبرين عن الله تعالى و ان لم يكونوا رسلا و الاوصياء لهم و الصديقون المعصومون أو المصدقون للانبياء و الرسل كثيراً أو المطابق أعمالهم لأقوالهم و المؤمنون المتصفون بالإيمان الكامل و المقرون بالله و اليوم الآخر و السعداء الواصلون الى الله بمجاهدات نفسانية و قوة روحانية. و من اريد كرامته في الدنيا بالهدايات و في الآخرة برفع الدرجات فوجب لهم ما قال كما قال من الوعد المذكور أو من قوله عز شأنه، «وأما الذين سعدوا ففي الجنة خالدن فيها» و قال للذي بشماله منك الجبارون الذين يكسرون قلوب الخلاق و ظهورهم و اعناقهم بالجور و الغلبة ، و المشركون بالله و الكافرون الجاحدون له أولشىء من أحكامه و اموره الضرورية و الطواغيت المجاوزون عن الحد و المقدار في العصيان، السابقون في طرق الشيطنة و الضلالة و الطغيان و من اريد هوانه و شقوته في الدنيا بسلب التوفيق و الادلال، و في الآخرة بالخذ و النكال فوجب لهم ما قال كما قال من الامر المذكور أو من قوله عز شأنه «فأما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق».

قوله (ثم ان الطينتين خلطتا جميعاً و ذلك) دل على أن الفلق و الذر و قما

فالحب طينة المؤمنين التي ألقى الله عليها محبته والنوى طينة الكافرين الذين نأوا عن كل خير وإنما سمي النوى من أجل أنه نأى عن كل خير وتباعد عنه وقال الله عز وجل «يخرج الحي من الميت ومخرج الميت من الحي» فالحي، المؤمن الذي تخرج طينته من طينة الكافر والميت الذي يخرج من الحي هو الكافر الذي يخرج من طينة المؤمن فالحي المؤمن، والميت الكافر وذلك قوله عز وجل: «أو من كان ميتاً فأحييناه» فكان موته اختلاط طينته مع طينة الكافر، وكان حياته حين فرق الله عز وجل بينهما بكلمته كذلك يخرج الله عز وجل المؤمن في الميلاد من الظلمة بعد دخوله فيها أولاً والتخليط وقع بعدهما وذلك إشارة إليهما بالاعتبار المذكور: و الآية الأولى استشهدا للاول . والثانية للثاني.

قوله (فالحب طينة المؤمنين) كأنه بطن الآية فظهرها حب الزرع و نواة التمر و كلاهما على كمال قدرة الصانع .

قوله (من أجل أنه نأى عن كل خير و تباعد عنه) العطف للتفسير وكان عين نأى كانت واواً و يؤيده أن صاحب مصباح اللغة ذكره في باب النون والواو .

قوله (فالحي المؤمن) كما أن الحي والميت يطلقان على من اتصف بالروح- الحيواني، و على من زالت عنه، كذلك يطلقان على من اتصف نفسه الناطقة بكلماتها من الايمان والاخلاق وغيرها، و على من لم يتصف نفسه بها بل هذا الاطلاق أولى عند أرباب العرفان و أصحاب الايقان لان هذه حياة باقية و تلك حياة فانية .

قوله (بكلمته) و هي أمره أو جبرئيل «ع» سمي بها لانه يكلم الناس عن الله عز وجل و يبلغ أمره اليهم .

قوله (كذلك يخرج الله عز وجل المؤمن في الميلاد) أى كما أخرج الله المؤمن و الكافر و ميز بينهما حين كونهما طيناً ، كذلك يخرج المؤمن في الميلاد من الظلمة بعد دخوله الى النور . و يخرج الكافر من النور الى الظلمة بعد دخوله في النور، و الميلاد أخص من المولد لان المولد الموضع للولادة و الوقت ، و الميلاد الوقت لا غير، والمراد بالظلمة ظلمة الكفر أو ظلمة طينة سجين، و بالنور الايمان او نور طينة الجنة، و بدخول المؤمن في ظلمة الكفر كونه في أصلاب الاباء الكفرة و أرحام الامهات الكافرات الى أن أخرج الله تعالى عنها في وقت ولادته فتخلص من ظلمة الكفر و دخل في نور الايمان، و قس عليه دخول الكافر في نور الايمان و اخراجه منه و يظهر من هذا الحديث ان اخراج المؤمن من الكافر و بالعكس في وقتين و قس تفریق الطين و وقت الولادة لهما في طينة أحدهما مسن

إلى النور، ويخرج الكافر من النور إلى الظلمة بعد دخوله إلى النور وذلك قوله عز وجل: «ليند من كان حياً ويحق القول على الكافرين».

(باب آخر منه)

و فيه زيادة وقوع التكليف الاول

١- أبو علي الأشعري ومحمد بن يحيى، عن محمد بن إسماعيل، عن علي بن الحكم عن أبان بن عثمان، عن زرارة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: لو علم الناس كيف ابتداء الخلق ما اختلف اثنان، إن الله عز وجل قبل أن يخلق الخلق قال: كن

شايبة طينة الاخر.

قوله (وذلك قوله عزوجل) اشارة الى كون المؤمن مؤمناً وكون الكافر كافراً قبل اخراجهما واستشهاد له أى يدل على ذلك قوله تعالى «لينذر» أى القرآن أو الرسول «من كان حياً» بروح الايمان «ويحق القول» أى كلمة العذاب «على الكافرين» فان فى لفظ كان دلالة على ثبوت الحياة بالايمان واستمرارها فى جانب الماضى قبل الانذار، وفى لفظ الكافرين اشعار بثبوت الكفر واستمراره كذلك قبله.

قوله (باب آخر وفيه زيادة وقوع التكليف الاول) يفهم من الروايات أن التكليف الاول وهو ما وقع قبل التكليف فى دار الدنيا بارسال الرسل وانزال الكتب متعدد الاول كان فى عالم الارواح الصرفة، الثانى كان وقت تخمير الطينة قبل خلق آدم منها، الثالث كان بعد خلق آدم منها حين اخرجهم من صلبه وهم ذر يدبون يمينا وشمالا وكل من أطاع فى هذه التكليف الثلاثة فهو يطيع فى تكليف الدنيا وكل من عصى فيها فهو يعصى فيه وهنا تكليف خامس يقع فى القيامة وهو مختص بالاطفال والمجانين والشيوخ الذين أدركوا النبى وهم لا يعقلون وغيرهم ممن ذكر فى محله.

قوله (لو علم الناس كيف ابتداء الخلق) خلق الله تعالى الارواح بعد توافقها فى فطرة الايمان على مراتب متفاوتة فى الايمان والكمال والادراك، وخلق الاجساد من مواد مختلفة بحسب اختلاف الارواح فيما ذكر، ووضع كل واحد منها فيما يليق به، ولو علم الناس كيفية تلك المراتب وكميتها وتفاوتها فى قبول الكمال ما اختلف اثنان ولا يعبر صاحب الكمال صاحب النقص (١) وهذا لينا فى تعبير من بدل فطرته الاصلية وغير استعداده الذاتية بقبح أعماله وسوء أفعاله وترك السعى فيما خلق له وطلب منه ويليق به، ومذام الشرع كلها من هذا القبيل.

(١) قوله «ولا يعبر صاحب الكمال صاحب النقص» ان كان المراد بصاحب النقص أهل*

ماء عذباً أخلق منك جنّتي وأهل طاعتي، وكن ملحاً أجاجاً أخلق منك ناري و أهل معصيتي ثم أمرهما فامتزجا ، فمن ذلك صار يلد المؤمن الكافر و الكافر المؤمن، ثم أخذ طيناً من أديم الأرض فعر كة عر كأشديداً فإذ هم كالذرّ يدبّون ، فقال لأصحاب اليمين : إلى الجنة بسلام ، وقال لأصحاب الشمال : إلى النار ولا أباي ، ثم أمر ناراً فأسعرت ، فقال لأصحاب الشمال : أدخلوها ، فهابوها ، فقال لأصحاب اليمين : أدخلوها فدخلوها ، فقال : كوني برداً و سلاماً فكانت برداً و سلاماً ، فقال أصحاب الشمال : يا رب أقلنا ، فقال : قد أقلتكم فادخلوها ، فذهبوا

قوله (قال كن ماء عذبا) كلمة كن اشارة الى ارادته وجود ما فيه حكمة ومصالحة

و قدرته عليه من غير لفظ ولا صوت ولا نداء و يفهم منه ان الماء العذب أصل المؤمن و منه شرافته و لينته و أن الماء الاجاج و هو بالضم الماء الملح الشديد الملوحة أصل الكافر و منه خساسته و غلظته و امتزاج المائين سبب لتحقيق القدرة على الخير والشر والقوى القابلة للضدين ، و تولد المؤمن من الكافر وبالعكس لما في أحدهما من أجزاء الاخر و صفاته و رايحته ، و قد مر شيء من سر الامتزاج آنفاً ولعل خلق الجنة والنار من المائين اشارة الى أنهار الجنة و طراوة أشجارها من الماء الاول و مياه النار و نمو أشجارها كالزقوم من الماء الثاني قال الله تعالى أنها شجرة تخرج في اصل الجحيم طلعتها كأنه رؤس الشياطين .

قوله (ثم أخذ طيناً من أديم الارض) المراد بالطين ما امتزج بالمائين و خمر بهما كما سيجيء ،

* المعاصي فأول من عيرهم الله تعالى نفسه ولعنهم وبعده الملائكة والانبيا و الاولياء في آيات كثيرة وأحاديث متواترة ، ولو كان مضمون هذه الرواية حقاً لبطل كتاب الله تعالى والاحاديث النبوية واجماع أهل الحق ، وان كان مخالفة فرعون لموسى «ع» لعيب في طينته ولم يجز تعبيره كيف يذمه ويلعنه الله والملائكة ويتبرء منه أتباع الانبياء واليهود والنصارى والمسلمون ، قال العلامة المجلسي - رحمه الله - انها من متشابهات الاخبار ومعضلات الاثار و مما يوهم الجبر ونفي الاختيار ، و لاصحابنا رضى الله عنهم فيها مسالك **الاول** ما ذهب اليه الاخباريون وهو أنا نؤمن بها مجملاً ونعترف بالجهل عن حقيقة معناها ، الثاني أنها محمولة على التيقية ، **الثالث** أنها كناية عن علمه تعالى بما هم اليه سائرون ، **الرابع** أنها كناية عن اختلاف استعداداتهم وقابلياتهم وهذا أمر بين لا يمكن انكاره و هذا لا يستلزم سقوط التكليف فان الله تعالى كلف النبي «ص» بقدر ما أعطاه من الاستعداد وكلف أبا جهل ما في وسعه وطاقته ، **الخامس** أنه لما كلف الله تعالى الارواح أولاً في الذر و اخذ ميثاقهم فاختاروا الخير و الشر باختيارهم تفرع اختلاف الطينة على ما اختاروه . انتهى ملخصاً وهو حسن جداً . (ش)

فها بواها ، فتمَّ ثبتت الطاعة والمعصية فلا يستطيع هؤلاء أن يكونوا من هؤلاء ولا هؤلاء من هؤلاء .

٢- علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير ، عن ابن أذينة ، عن زرارة أن رجلاً سأل أبا جعفر عليه السلام عن قول الله جلّ و عزّ « و إذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى - إلى آخر الآية »

و باديم الارض ما ظهر منها ، وبالارض ما يشمل أرض النار وارض الجنة و الغرض من عركه وذلكه اخراج مادة كل من المؤمن والكافر عن الاخرى و تميزها عنها و اخراج كل واحد منهما من مادته كما أشار اليه بقوله « فاذا هم كالذر يدبون » وجه التشبيه الصغر و الحركة فقال لاصحاب اليمين الى الجنة أى سيروا الى الجنة متلبسين بسلام منى وبركات أو سالمين من الموت والافات و قال لاصحاب الشمال الى النار ولا بالى لعدم الاعتناء بهم، ثم أمر ناراً فاسعرت أى اتقدت و اشتعلت فقال لاصحاب الشمال ادخلوها الى آخره .

والغرض من هذا التكليف ابراز المعلوم و اظهار انطباق علمه به و الممثل بالتكليف فى هذه الدار هو الممثل بهذا التكليف، و الراد هو الراد . و التظابق بين الامثالين و عدمها لازم كما أشار اليه بقوله « فتمَّ ثبتت الطاعة والمعصية فلا يستطيع هؤلاء أن يكونوا من هؤلاء ، ولا هؤلاء من هؤلاء ، و ليس عدم استطاعتهم نظراً الى ذواتهم بل بالغير فلا ينافى تكليفهم فى العالم اليهودى لتكميل الحجّة عليهم .

قوله (و اذاخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم) من ظهورهم بدل من « بني آدم » بدل البعض من الكل ، والمراد بأخذ الذرية من ظهورهم اخراجهم من أصلابهم نسلا بعد نسل و اشهادهم على أنفسهم فان مواد الكل كانت موجودة فى صلب آدم على ترتيب وجودهم فى هذه النشأة فاخراجهم من ظهور بني آدم اخراج من ظهر آدم و صلبه فلا ينافى ما دل على أن الاخراج من ظهر آدم و صلبه ، و يؤيده ما نقل عن ابن عباس من « أنه تعالى لما خلق آدم مسح ظهره فأخرج منه كل نسمة هو خالقها الى يوم القيامة فقال: ألست بربكم قالوا بلى فنودى يومئذ جف القلم بما هو كائن الى يوم القيامة » و روى أن الذرية كانت فى صورة انسان على مقدار الذر . و قال محمد بن جرير الطبرى: ان آدم لما فرغ من حجه و نام فى وادى النعمان وهو واد خلف جبل عرفات أخرج الله تعالى ما كان فى صلبه من ذريته الى يوم القيامة فرآهم آدم « ع » فمن كان فى يمينه كان من أهل الجنة و من كان فى يساره كان من أهل النار ، و قال جماعة منهم صاحب الكشاف أن قوله ألست بربكم و

فقال و أبوه يسمع عليه السلام: حدثني أبي أن الله عز وجل قبض قبضة من تراب التربة التي خلق منها آدم عليه السلام فصب عليها الماء العذب الفرات ثم تر كها أربعين صباحاً

قالوا بلى شهدنا من باب التمثيل والتخييل ومعنى ذلك أنه نصب لهم الادلة على ربوبيته ووحدايته وشهدت بها عقولهم وبصايرهم التي ركبها فيهم وجعلها مميزة بين الضلالة والهدى فكانه أشهدهم على أنفسهم وقرهم، وقال لهم ألسنت بربكم وكانهم قالوا بلى أنت ربنا شهدنا على أنفسنا وأقررنا بوحدانيتك، وباب التمثيل واسع في كلام الله ورسوله وفي كلام العرب، وقال بعضهم: إن أخذ الذرية يعود إلى احاطة اللوح المحفوظ بما يكون من وجود هذا النوع بأشخاصه وانتقائه بذلك عن قلم القضاء الإلهي ونزل تمكين بني آدم من العلم بربوبيته بنصب الدلائل والاستعداد فيهم وتمكنهم من معرفتها والاقرار بهامزلة الاشهاد والاعتراف تمثيلاً وتخيلاً لاخراج ولاشهادة ولاقول ولاقرار ثمة حقيقة والفرق بين هذين القولين أن الاخراج على سبيل الحقيقة والاشهاد والجواب من باب التمثيل في الاول وكليهما من باب التمثيل في الثاني، والحق أن الاخراج والاشهاد والاقرار واخذ الميثاق بالمعاني المذكورة كلها واقعة لانه تعالى أخرجهم وخاطبهم بقوله وألسنت بربكم، وأجابوا ببلى حقيقة ولابعد فيه نظراً إلى قدرته القاهرة وأنه تعالى جعل فيهم قوة يقدرون بها على معرفته وتوحيده نظراً في آياته وعلى الخروج مما فيهم من قوة الكمال والتكميل إلى الفعل فكان خلقهم على هذا الوجه مشابهاً بالاخراج والعهد والميثاق فحسن اطلاق الاخراج والميثاق على هذا الوجه على سبيل التمثيل. وهذا هو العهد القديم والعهد الاول بل لايبعد اطلاق العهد القديم على علمه تعالى بما فيهم من تلك القوة، ثم إن بعضهم بعد الوجود العيني نقضوا الميثاق وأبطلوا تلك القوة والفطرة، وأنكروا ما أقروا به بلسان تلك القوة بحاضر لذاتهم النفسانية والوساوس الشيطانية هذا، وتفسيره «ع» يدل ظاهراً على أن اخراج الذرية من الطينة التي هي مبدأ خلق آدم «ع» وفي انطباقه على ظاهر الآية خفاء، ويمكن أن يقال: إن بني آدم كانوا كامين في طينة آدم فكان أخرجهم منها أخرجاً من ظهور بني آدم واخراجاً من ظهر آدم أيضاً، أو يقال للآية ظهر و بطن وما ذكره «ع» تفسير لبطنها والله يعلم.

قوله (إن الله عز وجل قبض قبضة من تراب التربة) القابض جبرئيل «ع»، ونسبته إلى الله تعالى مجاز باعتبار أنه الأمر والتراب مضاف إلى التربة أو التربة بدل من قبضه، ولعل المراد بها التربة السماوية والارضية بدليل ما سبق.

ثم صب عليها الماء المالح الأجاج فتركها أربعين صباحاً ، فلما اختمرت الطينة أخذها فعر كها عر كاً شديداً فخرجوا كالذر من يمينه وشماله ، وأمرهم جميعاً أن يقفوا في النار ، فدخل أصحاب اليمين ، فصارت عليهم برداً وسلاماً وأبي أصحاب الشمال أن يدخلوها .

٣- علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن أحمد بن محمد بن أبي نصر ، عن أبان بن عثمان عن محمد بن علي الحلبي ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : إن الله عز وجل لما أراد أن يخلق آدم عليه السلام أرسل الماء على الطين ، ثم قبض قبضة فعر كها ثم فرقها فرقتين بيده ثم ذرأهم فاذا هم يدبون ، ثم رفع لهم ناراً فأمر أهل الشمال أن يدخلوها

قوله (فعر كها عر كاً شديداً) عر ك ما ليدن .

قوله (فخرجوا كالذر من يمينه وشماله) تعلق أصحاب اليمين الأرواح المطيعة على تفاوت درجاتهم في العزم والطاعة والانقياد وأصحاب الشمال الأرواح العاصية كذلك فوضع كل روح في موضع يناسبه ولولم يضع كذلك لوقع الجور وهو منزه عنه .

قوله (وأمرهم جميعاً أن يقفوا في النار) من امثل بأمره في ذلك الوقت فهو مؤمن حين كونه في أصلاب الأبناء وأرحام الامهات وحين تولده وحين كونه في هذه النشأة وحين موته وبعده أبداً .

بجز راه وفا و عشق نسپرد برآن زادو برآن بودو برآن مرد

قوله (أرسل الماء على الطين) لعل المراد بالماء العذب والماء الاجاج ، و بالطين طين عليين و طين سجين كما مر . قبل تخصيص هذين العنصرين دون ذكر الباقيين لانهما الاصل في تكون الاعضاء المشاهدة التي تدور عليها صورة الانسان المحسوسة .

قوله (ثم فرقها فرقتين بيده) ذهب أهل الحق الى أنه تعالى ليس بجسم وأنه ليست له يد بمعناها الحقيقية وأنه يجب سرف اليد عن ظاهرها المجال عليه ، ثم اختلفوا بعد ذلك فمنهم من حمل اليد على صفة لانعلمها وقالوا يجب الايمان بها و صرف علم حقيقتها الى الله تعالى ومنهم من أولها بالقدرة فالمعنى أنه تعالى فرقها فرقتين بقدرته وكنى عن ذلك باليد لان بها نحن نفعل فنخوطب الخلق بما يفهمونه ، و اخرج المعقول الى المحسوس ليتمكن المعنى في النفس وهذا الاختلاف يجري بينهم في كل ما نسب اليه سبحانه مع استحالة ارادة الظاهر منه .

قوله (فأمر أهل الشمال أن يدخلوها) يحتمل أن يراد بالشمال واليمين شمال

فذهبوا إليها فهابوها فلم يدخلوها. ثم أمر أهل اليمين أن يدخلوها فذهبوا فدخلوها فأمر الله جلّ وعزّ النار فكانت عليهم برداً وسلاماً، فلما رأى ذلك أهل الشمال قالوا: ربنا أقمنا، فأقلمهم، ثم قال لهم: ادخلوها فذهبوا فقاموا عليها ولم يدخلوها فأعادهم طيناً وخلق منها آدم عليه السلام. وقال أبو عبد الله عليه السلام: فلن يستطيع هؤلاء أن يكونوا من هؤلاء ولا هؤلاء أن يكونوا من هؤلاء. قال: فيرون أن رسول الله صلى الله عليه وآله أول من دخل تلك النار فلذلك قوله جلّ وعزّ: «قل إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين».

جبرئيل «ع» ويمينه، والمراد بأهلها من خلق من الطينة التي كانت في شماله ويمينه يعنى طينة النار و طينة الجنة وأن يراد بهما جهة العلو والسفل على سبيل التمثيل لان العلو أشرف من السفلى، كما أن اليمين أشرف من الشمال، فأهل الشمال من دب الى جهة السفلى وأهل اليمين من دب الى جهة العلو وأن يراد بهما أهل الاهانة وأهل الكرامة على سبيل التشبيه فان من كان في شمال الملك كان من أهل الاهانة ومن كان في يمينه كان من أهل الكرامة والمآل واحد، فان من كان في شمال جبرئيل كانت حركته الى جهة السفلى وكان من أهل الاهانة ومن كان في يمينه كان بالعكس.

قوله (فهابوها ولم يدخلوها) فعاصوا بعد التعلق بالابدان الصغيرة، أو المثالية كما عاصوا قبله في عالم الارواح الصرفة و كما يعصون بعد التعلق بهذه الابدان الكثيفة الجسمية.

قوله (وخلق منها آدم «ع») فاسكن الفريقين في صلبة فلذا يخرج منه المؤمن والكافر وقد يكون للمؤمن الاخلاق الذميمة والاعمال الباطلة وللکافر الاخلاق الحسنة والاعمال الصالحة لملاسة طينة كل منهما بالآخرى واكتساب رائحتها.

قوله (فلن يستطيع هؤلاء الخ) لانه وجب في علم الله تعالى انطباق حالهم في هذه العالم على حالهم في ذلك الوقت و العلم تابع للمعلوم بمعنى أنه لما كان هذا كان ذلك دون العكس وهذا معنى استطاعتهم على التبدل والتغير ولا يلزم منه الجبر.

قوله (ان كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين) لكونه أول من امثله بأمره بالدخول في النار و بالاقرار بالربوبية و بكل حق و صدق فوجب أن يكون أول من يعتقد له ولداً لو كان له ولد فلما لم يعتقد بل نفاه علم أنه ليس ولد، و يفهم منه أن جزاء الشرط محذوف و أن المذكور تعليل له قائم مقامه، أى لو كان للرحمن ولد فأنا أول من يقربه

(باب آخر منه)

١- محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن علي بن الحكم، عن داود العجلي، عن زرارة، عن حمران، عن أبي جعفر عليه السلام قال: إن الله تبارك وتعالى حيث خلق الخلق خلق ماءً عذباً وماءً مالحاً أجاباً، فامتزج الماءان، فأخذطيناً من أديم الأرض فعركه عركاً شديداً، فقال لأصحاب اليمين وهم كالنذر يدبون: إلى الجنة بسلام وقال لأصحاب الشمال: إلى النار ولا أبا لي، ثم قال: ألسنت بربركم؟ قالوا: بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة: إننا كنا عن هذا غافلين، ثم أخذ الميثاق على النبيين، فقال: ألسنت بربركم وأن هذا محمد رسولى، وأن هذا علي أمير المؤمنين؟ قالوا: بلى، فثبتت لهم النبوة وأخذ الميثاق على أولى العزم أنني لاني أول العابدين.

قوله (باب آخر منه) هذا الباب مثل السابق الا أنه يذكر فيه شيئاً من تفاصيل التكليف الاول و اختلاف الخلق و حكمة ذلك الاختلاف وغير ذلك مما يظهر بالتأمل.

قوله (فاخذ طينا من أديم الارض) أى طيناً مخمرأ بالمائين وبذلك التخمير يتحقق القدرة على الخير والشر فى الكل كما أشرنا اليه اذ لو وقع التخمير من العذب فقط لم تكن قدرة على الشر ولو وقع من الاجاج فقط لم تكن قدرة على الخير بالجملة فى ايجاد هذا النوع وامتحانهم بالتكالف يقتضى التخمير بالمائين .

قوله (فعركه عركاً شديداً) فخرجوا كالنذر يدبون يميناً و شمالا ، و حذف لدلالة سوق الكلام عليه .

قوله (الى الجنة بسلام) متعلق بقال لا يدبون وقدمر تفسيره .

قوله (قالوا بلى شهدنا ان تقولوا) يلى تصديق بالربوبية و شهادة بالوحدانية وان تقولوا مفعول له أى فعلنا ذلك من اخراجكم و اشهادكم على أنفسكم و أخذ الميثاق عليكم بالربوبية كراهة أن تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين . ولم ينبهنا عليه أحد أو تقولوا انما اشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم فاقصدنا بهم و تبعنا آثارهم ، اذ لا عذر لهم فى الاعراض عن التوحيد والتمسك بالتعليل والاعتداء بالاباء بعد تبينهم عليه كما لا عذر لآبائهم فى الشرك .

قوله (قالوا بلى) أى قال النبيون كلهم بلى و أما غيرهم فقال بعضهم بلى فى الرسالة و الولاية دون بعض كما دلت عليه الروايات فى هذا الكتاب وغيره .

ربكم و محمد رسولى و على أمير المؤمنين و أوصياؤه من بعده و لاة أمرى و خزّان علمى عليهم السلام و أن المهدي أنتصر به لدينى و أظهر به دولتى و أنتقم به من أعدائى و أعبد به طوعاً و كرهاً ، قالوا : أقررنا يا ربّ و شهدنا ولم يجحد آدم و لم يقرّ فثبتت العزيمة لهؤلاء الخمسة فى المهديّ و لم يكن لادم عزم على الاقرار به وهو قوله عزّ و جلّ : « ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسى ولم نجد له عزماً » قال : إنّما هو فترك ثم أمر ناراً فأججت فقال لأصحاب الشمال : أدخلوها ، فهابوها ، وقال لأصحاب اليمين ادخلوها فدخلوها فكانت عليهم برداً و سلاماً فقال أصحاب الشمال : يا ربّ أقلنا ، فقال : قد أقتلكم اذهبوا فادخلوها ، فهابوها ، فتمّ ثبتت الطاعة والولاية والمعصية .

قوله (فثبتت لهم النبوة) دل على أن نبوتهم قبل أخذ الميثاق عليهم برسالة محمد (ص) و ولاية أمير المؤمنين (ع) كانت فى حيز البداء و صارت حتماً بعده بالاقرار .
قوله (و أخذ الميثاق على اولى العزم) هم خمسة نوح و ابراهيم و موسى و عيسى و محمد صلى الله عليه و عليهم لتأكد عزمهم فى أمر الدين و لمجىء كل لاحق بعزيمة نسخ كتاب سابقه و شريعته ، و لعل المراد بهم هنا الاربعة الاول بقريظة أخذ الميثاق عليهم لرسالة خاتم الانبياء (ص) .

قوله (و اعبد به طوعاً و كرهاً) كما قال جل شأنه « ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون » و قال محى الدين فى الفتوحات : « اذا ظهر المهدي (ع) يرفع بالمذاهب عن الارض فلا يبقى الا الدين الخالص ، و أعداؤه يدخلون فى دينه و تحت حكمه كرهاً خوفاً من سيفه و لولا أن السيف بيده لاقتى الفقهاء بقتله ولكن الله يظهره بالسيف و الكرم فيطيعون و يخافون و يقبلون حكمه من غير ايمان و يضمرون خلافه و يعتقدون فيه اذا حكم فيهم بغير مذهب أمّتهم أنه على ضلال . فى ذلك كلامه طويل أخذنا منه موضع الحاجة .

قوله (ولم يجحد آدم و لم يقر) أى لم يجحد آدم عهد المهدي عليهم السلام قلباً و لم يقربه لساناً بل أقربه قلباً و لم يقربه لساناً لتوليه و تأسفه بضلالة أكثر أولاده . وبما يرد عليهم من القتل و القهر لما بين الاب و أولاد من الروابط العظيمة المقتضية لتأسفه بما يرد عليهم و ان كان راضياً بقضاء الله و حكمه ، و على هذا كان له عزم تام على الاقرار به اذ لو كان له ذلك العزم كما كان لاولى العزم من الرسل لأقربه كما أقروا ، و أما قوله « فنى » معناه فترك الاقرار به لساناً أو فترك العزم على الاقرار به و ليس المراد به معناه الحقيقى فليتأمل .

٢- محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد و علي بن إبراهيم ، عن أبيه عن الحسن ابن محبوب، عن هشام بن سالم ، عن حبيب السجستاني قال : سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول : إن الله عز وجل لما أخرج ذرية آدم عليه السلام من ظهره ليأخذ عليهم الميثاق بالربوبية له و بالنبوة لكل نبي فكان أول من أخذ له عليهم الميثاق بنبوته محمد ابن عبد الله صلى الله عليه وآله ثم قال الله عز وجل لادم : أنظر ماذا ترى ، قال : فنظر آدم إلى ذريته وهم ذر قد ملؤوا السماء ، قال آدم عليه السلام : يا رب ما أكثر ذريتي ! و لأمر ما خلقتهم ؟ فما تريد منهم بأخذك الميثاق عليهم؟ قال الله عز وجل : يعبدونني لا يشركون بي شيئاً و يؤمنون برسلي و يتبعونهم ، قال آدم عليه السلام : يا رب فمالي أرى بعض الذر أعظم من بعض و بعضهم له نور كثير و بعضهم له نور قليل أو

قوله (يا رب ما أكثر ذريتي و لامرما) تعجب في كثرتهم مع خفاء سببها و دماء في

دأمرما، صفة أي لامر أي أمر خلقتهم.

قوله (قال آدم يا رب فمالي أرى بعض الذر أعظم من بعض) أي أعظم مقداراً و أعظم قدراً و رتبة فقوله و بعضهم له نور إلى آخره، على الاول كالتأسيس و على الثاني كالتأكيد و مجمل ما في هذا الخبر أن آدم «ع» لما رأى اختلاف ذريته في غاية الكمال بحيث لا يكاد يشترك اثنان منهم في حال من الاحوال و لم يعلم سبب ذلك الاختلاف سأل عن سببه فأجابته عز شأنه بأنه خلقهم كذلك لاجل الابتلاء ، ثم عاد «ع» بأن خلقهم كذلك ليجب بينهم التنافر و التباعد و التباغض و التناسد، و أن اتحادهم في جميع الاحوال يوجب رفع هذه المفاسد و تحقق نظامهم، و السؤال الاول نشأ من روحه القدسية الالهية الناظرة في حقائق الاشياء و صفاتها و منافعها و مضارها ، و السؤال الثاني تكلف نشأ من قواه الجسمانية و مواد الطبيعة بتوهمات دائمة و خيالات باطلة، اذ التساوى في الغنى و الفقر أو اللون أو المقدار أو الشكل أو العمر مثلا لا يوجب رفع المفاسد المذكورة بل يوجب رفع الحكمة و التكليف و الابتلاء و ذلك نقص في العلم و التقدير و التدبير في ايجاد هذا النوع و ابتلائهم اذ الابتلاء في صورة الاختلاف أشد و أعظم و الامتثال بالتكليف حينئذ أرفع و أفخم و الثواب المترتب عليهما أجل و أتم الأيرى أن صبر الفقير على الفقر مع مشاهدة الغنى في غيره أعظم من صبره مع مشاهدة الفقر في جميع بنى نوعه و لذلك قيل «اذ اعمت البلية طابت» و ان ابتلاء الغنى بالشكر مع تحقق الفقر في غيره أعظم من ابتلائه مع تحقق الغنى في جميع بنى نوعه اذ له على الشكر في الصورة الاولى بواعث شتى و قس عليه جميع الاحوال المتقابلة.

بعضهم ليس له نور؟ فقال الله عز وجل: كذلك خلقتهم لأبلوهم في كل حالاتهم قال آدم عليه السلام: يا رب فأنذن لي في الكلام فأتكلم؟ قال الله عز وجل: تكلم فإن روحك من روحي وطبيعتك [من] خلاف كينونتي، قال آدم: يا رب فلو كنت خلقتهم على مثال واحد وقد واحد وطبيعة واحدة وجبلة واحدة وألوان واحدة وأعمار واحدة وأرزاق سواء لم يبع بعضهم على بعض ولم يكن بينهم تحاسد ولا تباغض ولا اختلاف في شيء من الأشياء، قال الله عز وجل: يا آدم بروحي نطقت و بضعف

قوله (كذلك خلقتهم) أي كون بعض الذر أعظم من بعض إلى آخره خلقتهم لأبلوهم وفي بعض النسخ ولذلك أي لأن يبدووني ولا يشركوني أو شيئاً أو لاجل الاختلاف خلقتهم كما قال جل شأنه ولا يزالون مختلفين ولذلك خلقهم.

قوله (تكلم فإن روحك من روحي) لعل المراد بالروح الأولى النفس الناطقة الناظرة إلى عالم الملك والملكوت، وبالروح الثانية جبرئيل «ع» لأنه روح الله الأمين ونسبته إليه تعالى ظاهرة و «من» حينئذ ابتدائية أوجود الله تعالى وفيضه على آدم وإنما كان ذلك روحاً لأنه مبدء كل حياة فهو الروح الكلية التي بها قوام كل حياة، و حياة كل موجود ونسبته إليه أيضاً ظاهرة و «من» حينئذ للإبتداء وللتبعض أو ذاته المقدسه والمقصود أنه تعالى خلق روحه من عند ذاته المجردة بمجرد المشية بلا توسط مادة كالتراب ونحوه من المواد الجسمانية، والمراد بالكينونة الوجود وبالطبيعة المواد الجسمانية مثل الحواس الظاهرة والباطنة التي جعلت في الإنسان ليستعملها على القوانين العدلية ويستعين بها في السير إلى حضرة القدس و كونها على خلاف وجوده تعالى ظاهر لتنزهه عن العالم الجسماني، وفيه تنبيه على أن التكلم قديكون صواباً إذا كان المقضى له هو الروح المجردة وقد لا تكون إذا كان المقضى هو الطبايع الجسمانية فإنه قد تقع في الغلط والتوهم الفاسد وقد وقع في السؤال المذكور كلا الأمرين.

قوله (فلو كنت خلقتهم على مثال واحد وقد واحد) لعله «ع» علم تفاوت الاعمال والأرزاق بالألهام، وأما ما سواهما من الأمور المذكورة علمه بالمشاهدة، **قوله** (وجبلة واحدة) الجبلة بكسر الجيم وسكون الباء وكسرها وشد اللام الخلقة و منه قوله تعالى «الجبلة الأولى».

قوله (قال الله عز وجل يا آدم بروحي نطقت) إضافة الروح إليه سبحانه للاختصاص باعتبار أنه من عالم الأمر و عالم المجردات الصرفة، ومن شأنها التحرك إلى طلب المجهولات فلذلك نطقت في هذا المقام عند رؤية الاختلاف العظيم في الذرية مع عدم العلم

طبيعتك تكلفت مالا علم لك به و أنا الخالق العالم ، بعلمي خالفت بين خلقهم و بمشيئتي يمضي فيهم أمري. وإلى تدبيرى وتقديرى صائرون، لا تبديل لخلقى، إنمّا خلقت

بسببه، و أما التكلف فى السؤال بأن خلقهم على مثال واحد الى آخر ما ذكره-أنسب بنظامهم و أقرب فى رفع الفساد بينهم فمستند الى ضعف طبيعته و معارضة قواه الجسمانية للقوة الروحانية و غلبتها عليها بتوهم أن الاتحاد فى الامور المذكورة موجب للاتحاد و الالفة بينهم و هذا أمر مطلوب والحكمة تقتضى رعايته، و هذا التوهم فاسد لان التماثل فى الطبيعة يوجب زوال نظامهم و انقطاع نسلهم لان التماثل يوجب اشتغالهم بصنعة واحدة من الصناعات الجزئية التى لها مدخل فى تحقق النظام و بقاء النوع بخلاف الاختلاف فانه يوجب اشتغال كل واحد بما يناسبه؛ و يستعد له من الصناعات فيتحقق النظام المشاهد و بقاء النوع و التماثل فى الفقر والغنى و غيرها لا يوجب عدم البنى والتحاسد والتباغض و غيرها من المفاسد، و على تقدير ايجابه فهى حكمة لا قدر لها فى جنب حكمة الاختلاف و هى ابتلاؤهم فى مقام التكليف الموجب لرفعة مقاماتهم فى الدار الاخرة.

قوله (و أنا الخالق العليم) [كذا] تعريف بالخبر باللام يفيد الحصر وفيه تنبيه على أنه لا ينبغى السؤال عنه فى خلقه و ايجاده للاشياء على ما هى عليه عند خفاء الحكمة بل يجب الادعان بأن كل ما خلقه على أى وجه خلقه فهو أحكم و أتقن و أفضل و أحسن من غير ذلك الوجه لكونه خالقاً عليماً و صانعاً حكيماً لا يفعل الا ما يقتضيه الحكمة البالغة فالتقول بأن فى خلافه حكمة فاسد اما باعتبار أن هذه الحكمة حكمة وهمية لا تتحقق لها فى نفس الامر أو باعتبار أنها حكمة ضعيفة لا قدر لها عند تلك الحكمة البالغة.

قوله (بعلمي خالفت بين خلقهم) أى خالفت بين خلق أبدانهم و قلوبهم وطبايعهم و غيرها بسبب علمى بحالهم و بمصالح الاختلاف قبل خلقهم و بعده، والحاصل أنه سبحانه لما علم أزلا تفاوتهم فى الطاعة والعصيان والكمال والنقصان خلق أبدانهم و صورهم وأشكالهم وقت الميثاق على قدر تفاوتهم و تفاوت مراتبهم فوضع كلا فى موضعه وهو العدل الحكيم و يمضى فيهم فى هذا العالم وهو عالم الظهور أمره الذى هو الاختلاف المقدر فى ذلك الوقت أو أمره التكوينى على النحو المشاهد بمجرد مشيئته و ارادته وهم صايرون الى مادبر من عاقبة امورهم و الى ما قدر لهم من الجنة والنار لا تبديل لخلق الله ، فمن حسنت أحواله فى ذلك الوقت حسنت أحواله فى الدنيا ، و من حسنت أحواله فى الدنيا حسنت أحواله فى الاخرة، و من قبحت أحواله فى ذلك الوقت، قبحت أحواله فى الوطنين الاخرين لا يتبدل هؤلاء الى هؤلاء ولا هؤلاء الى هؤلاء .

قوله (و بمشيئتي يمضى فيهم أمري) أى أمر الاختلاف أو أمر التكوين يمضى فيهم بمجرد المشيئة

الجنّ والانس ليعبدون و خلقت الجنة لمن أطاعني و عبدني منهم و اتبع رسلي -
 ولا أبالي خلقت النار لمن كفر بي وعصاني ولم يتبع رسلي ولا أبالي ، و خلقتك
 و خلقت ذريتك من غير فاقة بي إليك و إليهم و إنما خلقتك و خلقتهم لأبلك و
 أبلوهم أيكم أحسن عملاً في الدار الدنيا في حياتكم و قبل مماتكم فلذلك خلقت
 الدنيا والاخرة والحياة والموت والطاعة والمعصية والجنة والنار، و كذلك أردت في
 تقديري و تدبيرى، و بعلمي النافذ فيهم خالفت بين صورهم و أجسامهم و ألوانهم و

التابعة للحكم والمصالح كما أشرنا إليه.

قوله (و الى تدبيرى و تقديرى صائرون) التدبير فى الامر أن تنظر الى ما يؤول
 اليه عاقبته وبالفارسية صلاح أنديشيدن در كار. والتقدير اندازه كردن و اندازه چيزى نگاه
 داشتن و آفريدن و واجب كردن .

قوله (انما خلقت الجن والانس الاليعبدون) اشارة الى غاية خلق السماوات والارض
 والدنيا والاخرة والجنة والنار وهى خلق الثقلين فان غاية خلقهما هى الثواب والعقاب و
 الاكرام و الامانة و أن ذلك يتوقف على الطاعة والمعصية و هما يتوقفان على التكليف و
 الابتلاء. و بين أن التكليف والابتلاء و كمالهما يتوقفان على الاختلاف المذكور فقد ثبت أن
 الحكمة تقتضى الاختلاف فليتأمل.

قوله (من غير فاقة بي اليك واليهيم) لان الفاقة تابعة للعجز و النقص أو مقتضية
 لهما، و قدس الحق منزله عنهما.

قوله (لابلك و ابلوهم) أى لاعاملك و اياهم معاملة المختبر فهو من باب التمثيل
 لقصد الايضاح والتنوير. و قوله (أيكم أحسن عملاً) مفعول ثان للبلوى باعتبار تضمينه معنى
 العلم، والنفع والضر فى الاختبار يعودان الى الغير لانه سبحانه.

قوله (والطاعة والمعصية) اسناد خلقهم اليه جل شأنه اسناد الى العلة البعيدة والمراد
 به جعل المعصية معصية والطاعة طاعة، أو المراد بالخلق التقدير.

قوله (والجنة والنار) دل على أنهما مخلوقتان الان، ذهب اليه المحقق فى التجريد
 وهو مذهب الاكثر والايات والروايات شواهد صدق عليه، وذهب كثير من المعتزلة أنهما
 غير مخلوقين وانما تخلقان يوم القيامة.

قوله (و كذلك أردت) أى كون الغرض من خلقهم هو الابتلاء والاختبار أردت فى
 تقديري و تدبيرى لهم على النحو المختلف أو للممكنات و حقائقها و صفاتها يعنى أن الغرض

أعمارهم و أرزاقهم و طاعتهم و معصيتهم ، فجعلت منهم الشقيّ و السعيد و البصير و الأعمى و القصير و الطويل و الجميل و الدميم و العالم و الجاهل و الغنيّ و الفقير و المطيع و العاصي و الصحيح و السقيم و مَنْ به الزمّانة و من لاعاها به ، فينظر الصحيح إلى الذي به العاهاة فيحمدني على عافيته، و ينظر الذي به العاهاة إلى الصحيح

في تقديرى الممكنات و تدبيرى فيها هو اختبار الثقلين.

قوله (فجعلت منهم الشقى و السعيد و البصير و الأعمى) السعيد من عرف ربه و سلك سبيله حتى وصل اليه، و الوصول هو الغاية العظمى للسعادة بل هو عينها و لا يحصل له ذلك الا بمجاهدته على القوة الشهوية و الغضبية و غلبته على لوازمها من الاخلاق الرذيلة، و الشقى من لم يعرفه و لم ينكره أو أنكره أو عرفه و لم يسلك سبيله سواء وقف فيه أو رجع عنه و جعلها وراء ظهره أو مال عنه يمنة ويسرة فالسعيد صنف واحد و الشقى أصناف لاتحاد طريق الحق و كثرة طرق الباطل و الظاهر أن المراد بالبصير و الأعمى و اجد نور الباصرة ، و فاقده و يمكن أن يراد بهما و اجد نور البصيرة و فاقده.

قوله (و الجميل و الدهم) الجميل الحسن الوجه، و الهيئة ، و جمل الرجل - بالضم و الكسر - فهو جميل، و امرأة جميلة . و الدهم الأسود القبيح المنظر و الهيئة من الدهمة، و هى السواد و منه الفرس الأدهم اذا اشتد سواده حتى ذهب بياضه. [و فى بعض النسخ « و الجميل و الدميم »].
قوله (و من به الزمّانة و من لاعاها به) الزمّانة الاقة و العاهاة فعله بفتح العين و عينها ياء. و فى المصباح زمن الشخص زمناً و زمّانة فهو زمن من باب تب و هو مرض يدوم زمناً طويلاً .

قوله (فينظر الصحيح الى الذى به العاهاة) اختبر الصحيح بذى العاهاة و بالعكس لو كانوا كلهم أهل الصحة فانت الحكمة الاولى و هى الحمد و الحث عليه و لو كانوا كلهم أهل العاهاة فانت الحكمة الثانية و هى الدعاء و الصبر على البلية و الترغيب فيهما بل فانت الحكمتان فى كلتا صورتين، و ليس المراد بالحمد الحمد القولى فقط بل المراد الحمد مطلقاً قولا كان أو فعلا بأن يصرف لسانه فى أنواع الثناء و قوته فى أنحاء الطاعات و جوارحه فى أقسام العبادات، و قلبه فى التفكير فى الله و فى مظاهره و آثاره، و كذلك اختبر الغنى بالفقر و بالعكس لينظر الغنى الى الفقير فيحمد الله تعالى على ما أعطاه و أنعمه مما منع عنه الفقير و يشكره بالظاهر و الباطن و بأداء الحقوق المالية و ينظر الفقير الى الغنى فيدعو ربه و يسأله أن يعطيه، و الاختلاف فى الغنى و الفقر فائدة اخرى هى انتظام امورهم فى التمدن و الاجتماع، اذ لو كان كلهم غنياً لما خدم بعضهم بعضاً، و لو كان كلهم فقيراً لما حصل

فيدعوني ويسألني أن أعافيه و يصبر على بلائي فأثيبه جزيل عطائي ، وينظر الغني إلى الفقير فيحمدني ويشكرني، و ينظر الفقير إلى الغني فيدعوني و يسألني وينظر المؤمن إلى الكافر فيحمدني على ما هديته فلذلك خلقتهم لأبلوهم في السراء و الضراء وفيما أعافيهم وفيما ابتليهم وفيما أعطيهم وفيما أنعمهم وأنا الله الملك القادر ولي أن أمضي جميع ما قدرت على ما دبّرت ولي أن أغير من ذلك ما شئت إلى ما شئت و أقدم من ذلك ما أخرت و أوخر من ذلك ما قدمت وأنا الله الفعال لما أريد لا

نفع في مقابل الخدمة فيغضى ذلك الى تركها و على التقديرين يلزم بطلان النظام وانقطاع النوع و فساد أسباب الحياة من الزراعة والخياطة والحياكة و غيرها من الصناعات الجزئية و كذلك اختبر المؤمن بالكافر و بالعكس لينظر المؤمن الى الكافر فيحمده على ما هداه اليه و وقته له، و ينظر الكافر الى المؤمن و حسن ظاهره و باطنه فيرجع عن الكفر ويتوب ولم يذكره لعدم الاعتناء بشأنه و لما ذكر جملة من حكمة الابتلاء والاختبار على سبيل التفصيل أشار الى البواقي على سبيل الاجمال بقوله «فلذلك خلقتهم لأبلوهم في السراء و الضراء الى آخره» لان جملها بل كلها مندرج فيه كما يظهر بالتأمل.

قوله (و أنا الله الملك القادر) أشار بلفظ الله الى أنه كامل من جهة الذات و الصفات الذاتية والفعلية لدلالته على أن كل ماله من الصفات على وجه الكمال فلا يكون خلقه على وجه الاختلاف عبثاً لان العبث نقص والنقص على الكامل من جميع الجهات محال و بلفظ ملك على أنه مسلط على جميع الممكنات فلا يعثره العجز عن ايجاد ما أراد ، فلو كانت الحكمة في غير الاختلاف لاراده بلا مانع ولما لم يرد علم أنها في الاختلاف، و بلفظ القادر الى أنه ليس بموجب لا يقدر على ايجاد الضدين كالفقر والغنى والصحة والسقم و غير ذلك، وهذه حكمة اخرى لاختيار الاختلاف و الى أن فعله مسبوق بالارادة، والفعل الارادي لا يكون الا للحكمة ومصلحة وهذا القدر كاف في الادغان بان الاختلاف في خلقه لا يخلو عن حكمة و ان لم يعلم تفاصيلها.

قوله (ولى أن أمضي) اشارة الى أنه يجوز البداء في بعض المقدرات والمدبرات وقد مر في آخر كتاب التوحيد تفسير البداء و مواقع جوازه وهي ما لم يبلغ الامضاء والحتم مثلا اذا قدر صحة زيدا وسقمه أو غناه أو فقره أو طول عمره أو قصره تقديراً غير حتمي مشروطاً بالتصدق أو صلة الرحم أو الدعاء أو بدمها جاز البداء والتغيير.

قوله (و انا الله الفعال لما اريد) هو فعال لانه يفعل كل ما يريده على وجه يريد

أَسْأَلُ عَمَّا أَفْعَلُ وَأَنَا أَسْأَلُ خَلْقِي عَمَّا هُمْ فَاعْلَوْنَ .

٣- محمد بن يحيى، عن محمد بن الحسين، عن محمد بن إسماعيل، عن صالح بن عقبة، عن عبد الله بن محمد الجعفي وعقبة جميعاً، عن أبي جعفر عليه السلام قال: إن الله عز وجل خلق الخلق فخلق من أحب مما أحب وكان ما أحب أن خلقه من طينة الجنة وخلق من أبغض مما أبغض وكان ما أبغض أن خلقه من طينة النار، ثم بعثهم في الظلال، فقلت: وأي شيء الظلال؟ فقال: ألم تر إلى ظلك في الشمس شيئاً وليس بشيء، ثم بعث منهم

بلامنازع ولا مدافع على وجه أحسن بحيث لو اجتمع العقلاء على أن يزيدوا أو ينقصوا طلباً لزيادة الحسن لما قدروا. ومن توهم إمكان الا حسن في بعض أجزاء العالم فهو غافل عن المصالح الكلية والجزئية، وفيه تنبيه على أن له الامضاء والتغيير والتقديم والتأخير تحقيقاً لمعنى المبالغة في الفعل.

قوله (لا أسأل عما أفعل) لانه لا يفعل الا ما تقتضيه الحكمة ، والحكيم على الاطلاق لا يسئل عما يفعل بخلاف غيره فانه يسئل عما يفعل هل هو موافق للحكمة أم لا .
قوله (ان الله عز وجل خلق الخلق فخلق من أحب مما أحب) لعل المراد بالخلق الخلق الجسماني بقرينة السياق ومحبه تعالى للعبد عبارة عن احسانه و اكرامه وافضاله ولطفه وهي تابعة لطاعة العبد اياه ، ثم المحبة سبب لزيادة القرب حتى يصير العبد بحيث لا ينظر الا اليه ولا يتكل الا عليه فيصير فعله كفعله كما يدل عليه حديث التقرب بالنوافل ، وسيجيء مشروحاً ان شاء الله تعالى . و من محبته أنه اذا علم طاعة الارواح الانسانية خلق لها ابداناً من طينة الجنة ليكون ذلك معيناً لها في الخيرات وهذا بداية التوفيق والاحسان و من بغضه أنه اذا علم عصيانها خلق لها ابداناً من طينة النار و سلب عنها توفيقه فيبعثها ذلك الى المبالغة في الشرور ، وهذا بداية الاضلال والخذلان .

قوله (ألم تر الى ظلك في الشمس شيئاً وليس بشيء) شبه الظلال بظلك في الشمس وأشار الى وجه التشبيه بانه شيء باعتبار وليس بشيء باعتبار آخر ، وقد ذكرنا سابقاً أن التكليف الاول وقع مرتين : مرة في عالم المجردات (١) الصرفة وهو عالم الارواح ، ومرة في عالم المثال وهو

(١) قوله (وفي عالم المجردات الصرفة ذكر العلامة المجلسي (ره) في مرآة العقول

نحو من عبارة الشارح و كانه مقتبس منها وهو مبني على مذهب صدر المتألهين في تقسيم العوالم بثلاثة أقسام: الاول عالم المجردات الصرفة و هو عالم العقول والنفوس الناطقة و موجودات ذلك العالم عارية عن المواد و عن المقادير أيضاً ، والثاني عالم المثال وهو*

النبيين فدعوهم إلى الاقرار بالله عز وجل^(١) وهو قوله عز وجل^(٢) : « ولئن سألتهم

عالم الذر المخرج من الطينة، ويمكن أن يكون المراد بالظل هنا هو الاول ولكن لما كان تصور عالم المجرد الصرف صعباً في أكثر الازهان(١) عبر عنه بالظل لقصد التفهيم والتسهيل مع المشاركة في عدم الكثافة اذ كثافة في المجرد الصرف كما لا كثافة في الظل، ويمكن ان يراد به عالم الذر المبائن لعالم الاجسام الكثيفة، وهو يحكى عن هذا العالم و يشبهه وليس منه فهو ظل بالنسبة اليه وهذا أنسب بقوله دع ثم بعثهم في الظلال، فانه يفيد ظاهراً أن بعثهم فيه بعد خلقهم من طينة الجنة و طينة النار، وحمله على الاول يحتاج الى تكلف بعيد فليأتأمل. واعلم أن الارواح المحبوبة الكاملة الهادية أعنى ارواح حاتم الانبياء والاصياء عليهم السلام خلقت قبل ارواح سائر البشر وطينتهم كما أشار اليه أمير المؤمنين «دع» في بعض خطبة «الآن الذرية أفنان أنا شجرتها، ودوحة أنا ساقتها، واني من أحمد بمنزلة الضوء من الضوء، كنا أظلالاً تحت العرش قبل البشر وقبل خلق الطينة التي كان منها البشر أشباحاً عالية، لأجساماً نامية» وفيه إشارة الى أن الكمالات التي حصلت لنفسه القدسية بواسطة كمالات نفس النبي «ص» فشبّه ذلك بصدور الضوء من الشمعة مصباح اقتبست من مصباح آخر ومن العادة في عرف المجردين تمثيل النفوس الشريفة بالانوار والاضواء لمكان المشابهة بينهما في حصول الهداية عنها مع لطفها و صفائها و الى كونهم ارواحاً قدسية موجودة تحت رحمة الحق أو علمه قبل جميع الخلائق و عبر عن نفوسهم الطاهرة بالاظلال على سبيل الاستعارة للتنبية على أنهم

مشمتم على موجودات مجردة عن المادة دون المقدار، والثالث عالم الماديات وهو ظاهر. وأما غير صدر المتألهين فأكثرهم على نفي العالم الاوسط. قال الصدر- قدس سره- اعلم أن كثيراً من أهل العلوم والمنتسبين الى الحكمة زعموا أن هذه الصور المرئية والمثل المسموعة امور مرتسمة في الحس المشترك الذي هو قائم في الجزء المقدم من الدماغ كارتسام الاعراض في موضوعاتها و هذا كله لقصور المعرفة بعالم الملكوت و ضعف الايمان بالملائكة فان هذه الامور موجودات عينية قائمة بذواتها لافي محل وهي أقوى في الوجودية من هذه الاكوان الخارجية الا أن نشأة وجودها نشأة اخرى انتهى ملخصاً . والعلامة المجلسي على أن الروح جسم لطيف والشارح على أنه موجود مجرد صرف و ان أمكن ظهوره في عالم المثل بوجه فيصح توجه التكليف اليه وهو مجرد في الظلال و في عالم المثل أيضاً و هو مجرد عن المادة لاعن المقدار و هو عالم الذر. (ش)

(١) قوله «دع» في أكثر الازهان اعتراف من الشارح بان الحجج عليهم السلام كانوا

يعبرون عن معنى لا يفهمه العامة بلفظ قريب يفهمونه. (ش)

من خلقهم ليقولن الله « ثمّ دعوهم إلى الإقرار بالنبين فآقرّ بعضهم و أنكر بعض ثمّ دعوهم إلى ولايتنا فآقرّ بها والله من أحبّ و أنكرها من أبغض، وهو قوله : « ما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل » ثمّ قال أبو جعفر عليه السلام : كان التكذيب ثمّ .

(باب)

ان رسول الله (ص) أول من أجاب و أقر لله عزوجل بالربوبية

١- محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد ، عن الحسن بن محبوب ، عن صالح بن سهل ، عن أبي عبد الله عليه السلام أن بعض قريش قال لرسول الله عليه السلام : بأي شيء سبقت الأنبياء و أنت بعثت آخرهم و خاتمهم ؟ فقال : إنني كنت أوّل من آمن

مرجماً لجميع الخلق بعد وجودهم كالأللال.

قوله (و لكن سألتهم من خلقهم ليقولن الله) أى ليقولن خلقنا الله أو الله خلقنا على اختلاف فى تقديم المحذوف و تأخيره، و المشهور الاول يعنى لو سألتهم عن ذلك لاضطروا الى الجواب المذكور بمقتضى العهد والميثاق.

قوله (ما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به) أى ما كانوا ليؤمنوا فى هذه النشأة بعد بعث الرسول اليهم بما كذبوا به من قبل هذه النشأة عند أخذ الميثاق اذ التصديق والتكذيب فيها تابعان للتصديق والتكذيب ثم (١) فمن صدق يصدق و من كذب يكذب لا تبديل لخلق الله .

(١) قوله « تابعان للتصديق والتكذيب » ظاهر كلام الشارح يوهم الجبر و أنه لم يكن فائدة فى بعث الانبياء و دعوتهم فى قبول الناس لكن الشارح برىء من هذه النسبة و قال صدر المتألهين - قدس سره - عند ذكر الشيخ الذى لقى أمير المؤمنين «ع» عند رجوعه من صفين أوائل المجلد الخامس: تزعم انه كانت أفعالنا بقضاء الله و قدره يلزم سلب الاختيار عنا فى فعلنا فيكون المقضى حتما علينا و المقدر لازماً لذاتنا، ولم يبق فرق بين المختار والمضطر ثم بين مفاسد هذا الظن: الاول أنه لو كان كذلك لبطل الثواب والمعاقب اذ لا أجر ولا عقوبة على الفعل المجبور، الثانى أنه بطل الامر والنهى والزجر من الله تعالى لمن لا اختيار له، الثالث أنه حينئذ سقط معنى الوعد والوعيد اذ لا فائدة فيهما، الرابع أنه لو كان كذلك لم يكن لائمة للمذنب على ذنبه ولا محمداً لمحسن على احسانه، الخامس أنه على ذلك التقدير كان المذنب أولى بالاحسان من المحسن و لكان المحسن أولى بالعقوبة من المذنب الى *

بربِّي و أوَّل من أجاب حيث أخذ الله ميثاق النبيِّين وأشهدهم على أنفسهم أَلست برَبِّكم ، فكنت أنا أوَّل نبيِّ قال : بلى ، فسبقتهم بالإقرار بالله عزَّ وجلَّ .

٢- أحمدُ بن محمد ، عن محمد بن خالد ، عن بعض أصحابنا ، عن عبد الله بن سنان قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام : جعلت فداك إنِّي لأرى بعض أصحابنا يعتريه النزق والحدَّة والطيش فأعتمُّ لذلك غمًّا شديدًا وأرى من خالفنا فأراه حسن السميت ، قال : لا تقل حسن السميت فإنَّ السميت سميت الطريق ولكن قل حسن السيماء ، فإنَّ الله عزَّ وجلَّ يقول : « سيماهم في وجوههم من أثر السجود » قال : قلت : فأراه حسن السيماء له وقار فأعتمُّ لذلك ، قال : لا تعتمُّ لمارأيت من نزق أصحابك ولمارأيت

قوله (انى كنت أول من آمن بربى و أول من أجاب) له سبق من حيث الوجود لان روحه خلقت قبل الارواح كلها ، و له سبق من جهة الاقرار بالربوبية لانه أقربها حين وجوده منفرداً وأقربها قبل الجميع عند أخذ الميثاق ، و يظهر مما ذكرنا أن العطف فى قوله و أول من أجاب للتأسيس دون التفسير والتأكيد و أما تأخيره فى هذه النشأة فلفوائد يعلمها الله تعالى و كان منها تعظيمه لان سائر الانبياء مقدمة له مخبرة لوجوده كالمقدمة للسلطان و منها تكميله للاديان السابقة كما قال « بعثت لاتمم مكارم الاخلاق » و منها تعظيم دينه من جهة نسخه للشرائع السابقة ، و منها تعظيم كتابه لذلك و منها أن يكون شاهداً لتبليغ جميع الانبياء. (ع) .

قوله (يعتريه النزق والحدَّة والطيش) الاعتراء رسيدن و فرا گرفتن ، و النزق والنزوق بر جهيدن و چستى نمودن و شتاب كردن و پيشى گرفتن . والحدَّة بتشديد الدال تيز شدن و تندى نمودن والطيش تيز شدن و تندى نمودن و منحرف شدن تيراز نشانه . و هذه المعانى متقاربة كلها من جهة الفساد فى القوة الشهوية والغضبية .

قوله (قال لا تقل حسن السميت فان حسن السميت سميت الطريق) فى الفائق : السميت أخذ النهج و لزوم المحجة ، و سميت فلان الطريق يسمت و يسمت يعنى من باب نصر و ضرب ثم قالوا ما أحسن سمته أى طريقة التى ينتهجها فى تحرى الخير والتزبى بزي الصالحين ، * آخر ما ذكره وبينه اتم بيان ، وقال فيما افاد ان قلت ان الله عالم قبل افعال العباد بها فلا يمكن أن يصدر عنهم خلافها ، وذلك يستلزم الجبر ؟ قلنا هذا منقوض بافعال الله الحادثة فانه كان عالماً بها الاول قبل فعلها فلا يمكن عنه صدور خلافها فيكون سبحانه مجبوراً فكل ما كان جوابكم فهو جوابنا . (ش)

من حسن سيماء من خالفك، إن الله تبارك و تعالی لم أراد أن يخلق آدم خلق تلك الطينتين، ثم فرّقهما فرقتين، فقال لأصحاب اليمين: كونوا خلقاً بائناً، فكانوا

و فى المصباح السمى الطريق والقصد والسكىنة والوقار والهبة، ولما جاء السمى بمعنى الطريق (١) كان كلام السائل يوهى أن من خالفنا حسن مستقيم و ذلك خطأ فذلك نهاء عن ذلك القول و أمره بما هو أحسن منه لان السيماء صفة لرجل يفرح بها من ينظر اليه سواء كان من أهل الحق أو الباطل. قوله (له وقار) أى سكىنة نفسانية و طمانية جسمانية. قوله (خلق تلك الطينتين) اشارة الى الطينة المعلومة للمخاطب من سياق الكلام أو

(١) قوله «و لما جاء السمى الطريق» الحديث مرسل و توجيهه الشارح تكلف و يشبه أن يكون المراد ببعض أصحابنا السيارى أو أحد الاعاجم مثله قليل المعرفة بلسان العرب أو قليل الاهتمام به فرعم أن السمى منحصر فى سمى الطريق وهو المعنى المشهور و كان المعنى الآخر غريباً لديه. واما ما تضمن معناه من اختلاط الطينتين فالكلام فيه مافى أمثاله. و اعلم أن اختلاف النفوس فى استعداداتها وصفاتها مما لا ينبغى أن ينكر بل هو محسوس و مروى قال رسول الله «ص»: «الناس معادن كعادن الذهب والفضة» قال صدر - المتألهين قدس سره يتفاوت العقول والادراكات والاشواق والارادات بحسب اختلاف الطبايع والقوى والغرائز والجبال فينزع بعضهم بطبعه الى ما ينفر عنه الآخر و يستحسن بعضهم بهواه ما يستقبحه الثاني والعناية الالهية اقتضت نظام الوجود على أحسن ما يتصور و أجدود ما يمكن من التمام ولو تساوت الاستعدادات لغات الحسن والفضل فى ترتيب النظام الى آخر ما قال. ولا يخفى أن اختلافهم فى ذلك لا ينافى اتفاهم فى قدرة فهم التكليف واختيارهم فى فعل الخير فهم متفقون فيما هو مناط التكلف ومختلفون فى استعداد العلوم والصنایع ولا يلزم الاختلاف فى الاستعداد ظلماً و انما يلزم الظلم أن يكونوا متفقين فى التكليف مع الاختلاف فى الاستعداد ولو فرض أن أحداً بلغ فى البلادة الى حد لا يعقل التكليف أصلاً التزمنا برفع التكليف عنه كالمجانين. وقال صدر المتألهين فى بعض كلامه فمن أساء عمله و أخطأ فى اعتقاده فانما ظلم نفسه بظلمة جوهره و سوء استعداده و كان أهلاً للشقاوة فى معاده، و انما قصر استعداده و أظلم جوهره لعدم كونه أحسن مما وجد كما لا يمكن أن يلد القرد انساناً مثلاً فى أحسن صورة و أكمل سيرة، أقول بعد ما سبق منه قدسه فى الحاشية السابقة وغيرها من نفي الجبر و اثبات الاختيار و ان علم الواجب بما يقع لا يوجب الجبر فى فعل الانسان كما لا يوجب فيه فعل نفسه تعالى و جب حمل ما ذكره أخيراً من شقاوة قاصرى الاستعداد على النص اللازم لكل ممكن عن ما فوقه من المراتب كنقص الدواب عن كمال الانسان فانها لا تنقص بهذا النقص اذ لا تدركه و التألم*

خلقاً بمنزلة الذرِّ يسعى ، و قال لأهل الشمال : كونوا خلقاً باِذني ، فكانوا خلقاً بمنزلة الذرِّ . يدرج ، ثم رفع لهم ناراً : فقال : ادخلوها باِذني ، فكان أول من دخلها عَلَيْهِ السَّلَامُ ثم أتبعه أولوا العزم من الرسل و أوصياؤهم و أتباعهم ؟ ثم قال لأصحاب الشمال : ادخلوها باِذني ، فقالوا : ربنا خلقتنا لتحرقنا ؟ فعصوا ، فقال لأصحاب اليمين : اخرجوا باِذني من النار ، لم تكلم النار منهم كلاً ، و لم تؤثر فيهم أثراً ؟ فلما رأهم أصحاب الشمال ، قالوا : ربنا نرى أصحابنا قد سلموا فأقلنا و مرنا بالدخول ، قال : قد أقتلكم فادخلوها ، فلما دنوا و أصابهم الوهج ،

من قرينة المقام و اريد بتفريقيهما يمينه و شماله على سبيل التمثيل والتخييل أو تفريقيهما يمين جبرئيل و شماله كما في بعض الروايات.

قوله (فكان اول من دخلها محمد «ص») كما أنه أول من خلقت روحه و أول من خرج من طينة اليمنى و سى الى الجنة و بالجملة هو كان أول في المواطن كلها و فيض الحق الى الجميع.

قوله (لم تكلم النار منهم كلاً) الكلم الجرح و فعله من باب ضرب.

﴿فرع الادراك وليس عذاباً لها جزاء على تقصيرها في امتثال تكليفها وقد صرح هو بذلك في مواضع من كتبه. و قال أيضاً: و كمالا تعترض على اقبح الناس أنه لم لا يكون مثل يوسف في الحسن كابي جهل فكذلك لا تعترض على شر الناس كابي جهل مثلاً لم لا يكون مثل خير الناس كمحمد «ص» فان اختلاف الغرائز و السمائل كاختلاف الاشكال و الطبايع الى آخر ما قال، و التمثيل بأبي جهل الحاق في الموضوعين و الحق أنه لا يعترض على أبي جهل و أمثاله في نقصه العقلى و عدم وصوله في الكمال الذاتى الى كمال الرسول «ص» و انما يعترض عليه و على أمثاله بانهم تنزلوا عما اعطوه من الفهم و العقل فصاروا كالانعام بل هم اضل بعد أن كان فيهم ما به تفوقوا عليها.﴾

واعلم أن الاعتقاد بالتقدير وأن كل شيء في هذا العالم مطابق لما ثبت في عالم آخر قبله من لوازم الايمان بعالم الغيب و لذلك ترى الماديين و المائلين اليهم ينفونه و قال بعض الملاحدة : القدر للانسان هو الطريقة التى يختارها و كتابه هو الذى يحويه و جوده و يتتبع بيده اوراقه ، و الحق ان لا يتفحص عن سابقه فى عالم غير مرمى بل ليس هناك الاسيره فى هذا العالم المحسوس و هذا الذى ذكره اشنع من اعتقاد أبي جهل . (ش)

رجعوا فقالوا : يا ربنا لاصبر لنا على الاحتراق فعصوا ، فأمرهم بالدُّخول ثلاثاً ، كل ذلك يعصون و يرجعون و أمر أو لئك ثلاثاً ، كل ذلك يطيعون ويخرجون ، فقال لهم : كونوا طيناً باذني فخلق منه آدم ، قال : فمن كان من هؤلاء لا يكون من هؤلاء و من كان من هؤلاء لا يكون من هؤلاء ، وما رأيت من نزع أصحابك وخلقهم فمما أصابهم من لطح أصحاب الشمال و ما رأيت من حسن سيماء من خالفكم ووقارهم فمما أصابهم من لطح أصحاب اليمين .

٣- محمد بن يحيى ، عن محمد بن الحسين ، عن علي بن إسماعيل ، عن محمد بن إسماعيل ، عن سعدان بن مسلم ، عن صالح بن سهل ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : سئل رسول الله صلى الله عليه وآله بأي شيء سبقت ولد آدم ، قال : إنني أول من أقر بربي ، إن الله أخذ ميثاق النبيين و أشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا : بلي ، فكنت أول من أجاب .

(باب)

كيف أجابوا وهم ذر

١- علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن ابن أبي عمير ، عن بعض أصحابنا ، عن أبي بصير قال : قلت لأبي عبدالله عليه السلام : كيف أجابوا وهم ذر ؟ قال : جعل فيهم ما إذا

قوله (و أصابهم الوهج) الوهج بالتحريك حر النار .

قوله (جعل فيهم ما إذا سألهم أجابوه) « ما » موصولة والعائد محذوف أى أجابوه به والمراد به القوة الاستعدادية للنفس الناطقة القابلة (١) للكلمات والاعمال الخيرية ، و

(١) قوله « والمراد به القوة الاستعدادية للنفس الناطقة » قال العلامة المجلسي - ره - اعلم أن آيات الميثاق والاحبار الواردة في ذلك يقصر عنه عقول أكثر الخلق و للناس فيها مسالك : الاول طريقة المحدثين والمتورعين ، فانهم يقولون تؤمن بظاهاها ولا نخوض فيها ولا نطرق فيها التوجيه والتأويل ، والثاني حملها على الاستعارة والمجاز والتمثيل ، و الثالث حملها على أخذ الميثاق في عالم التكليف بعد اكمال العقل بالبرهان والدليل انتهى . وهو مشتهر المراد لا أدري مقصوده - قد سره - إلا أن المسلك الثالث يشير الى ما اختاره المفيد والسيد المرتضى والطبرسي وجماعة من أعظم الطائفة في تفسير آية « واذ خذربك من بني آدم من ظهورهم »

سألهم أجابوه، يعني في الميثاق.

النطق بحيث اذ وقع السؤال أجابوا بلسان المقال، وهذا تفسير آخر غير ما ذكرناه سابقاً من المعاني الثلاثة ان أريد به وقوع السؤال والجواب تقديراً وأما ان أريد به وقوعهما تحقيقاً كما يشعر به لفظة اذا فهو عين ما ذكرناه أولاً فليتأمل .

آء* و أما كلام الشارح فمعناه معلوم لنا ونشير اليه ان شاء الله ببيان أوضح. ثم ان الاستصعاب والاشكال في هذه الاخبار على ما أتفعله أنها تستلزم الجبر وليس غيرها من الشبه مما يعتد به وطريقة المحدثين والمتورعين على ما ذكره المجلسي -ره- ان كان بعد القطع بيطان الجبر كما هو مذهب أهل البيت عليهم السلام لزم عدم ايمانهم بظاهر هذه الاخبار، فان ظاهرها الجبر والظلم فلامعنى لقوله -رحمه الله- تؤمن بظواهرها فلامحيص عن تأويلها وان أرادوا الايمان بظواهرها وان لزم الجبر فهو انكار لسائر الاحاديث والاخبار، و أما الحمل على الاستعارة والمجاز فلم يبين -رحمه الله- أن أى لفظ استعارة عن أى معنى، يحتمل أن يراد به ما ذكره الشارح أو ما ذكره المفيد عليه الرحمة، وبالجملة ما يدل من الروايات على الجبر فالوجه طرحه أو تأويله ولكن ليس جميعها كذلك فمنها ما لا يستفاد منه الاعلمه تعالى بحال عباده ومع قطع النظر عن شبهة الجبر فلا أرى في المعنى المتفق عليه بين أخبار الميثاق والذرة شبهة يصعب حلها مثل ما رووا عن رسول الله «ص» «لما خلق الله آدم مسح ظهره فسقط من ظهره كل نسمة من ذريته الى يوم القيامة» و ما روى فيها معنى معقول لا استحالة أصلاً بل ليس من الغرائب أيضاً فان رؤية الانبياء بعض ما سياتى بعدهم فى ما يرون من الغيوب أمر معتاد. وقد رأى رسول الله «ص» بنى امية فى صورة القردة ينزون على منبره يرجعون بالناس القهقرى ، فان قيل هذا كان نوماً قلنا يتفق للانبياء أن يروا بقطة من الغيوب مثل ما يرى فى المنام، قال المفيد رحمه الله فى بعض كلامه فانبأ الله يعنى أنبأ الله آدم بما يكون من ولده و شبههم بالذر الذى أخرجه من ظهره و جعله علامة على كثرة ولده انتهى. وكذلك لا يبعد تمثيلهم بغير صورتهم فى الرؤيا و كون بعضهم نورانياً وبعضهم ظلمانياً لان الرواية دلت على أن آدم رأى على بعضهم نوراً لا ظلمة فيه و على بعضهم ظلمة لانور فيه ولا يوجب هذا جبراً كما لا يوجب رؤية نبينا «ص» بنى امية يرجعون بالناس القهقرى جبراً، وأما آية «واذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم و أشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى» فحمله على مفاد أحاديث الذر خلاف ظاهر الآية بل صريحها وان كان حديث الذر معقولاً صحيحاً فانه تعالى قال «من بنى آدم من ظهورهم» ولم يقل من آدم من ظهره، و معنى الآية أن الله تعالى يخلق تدريجاً فى كل زمان من ظهور الاباء أبناءهم ويعطيهم من العقل والادراك*

(باب)

فطرة الخلق على التوحيد

- ١- علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن ابن أبي عمير ، عن هشام بن سالم ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قلت : فطرة الله التي فطر الناس عليها ؟ قال : التوحيد .
- ٢- علي بن إبراهيم ، عن محمد بن عيسى ، عن يونس ، عن عبد الله بن سنان ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : سألته عن قول الله عز وجل : « فطرة الله التي فطر الناس عليها »

قوله (باب فطرة الخلق على التوحيد) فطرة آفريدن و آفرينش و دين والمراد هنا المعنى الاول و في الاخبار المذكورة المعنى الاخير ، وعبر عنه في بعضها بالتوحيد، وفي بعضها بالاسلام، و في بعضها بالحنفاء و في بعضها بمعرفة الرب والخالق والمال واحد.

قوله (قلت فطرة الله التي فطر الناس عليها) قال التوحيد، الفطرة بالكسر مصدر للنوع من اليجاد وهو ايجاد الانسان على نوع مخصوص من الكمال وهو التوحيد و معرفة الربوبية مأخوذاً عليهم ميثاق العبودية والاستقامة على سنن العدل وذهب اليه ايضاً كثير من العامة، و قال بعضهم: الفطرة ما سبق من سعادة أو شقاوة، فمن علم الله تعالى سعادته ولد على فطرة الاسلام، و من علم شقاوته ولد على فطرة الكفر تعلق بقوله تعالى «لا تبدل خلق الله» و بحديث الغلام الذي قتله الخضر «ع» «طبع يوم طبع كافرأ» (١) فانه يمنع من كون تولده

﴿ما يلتفت به الى وجوده، فان الجنين اذا بلغ ميلنا يدرك نفسه وخرج عن رتبة النباتية الى الحيوانية وله عقل هبولاني في اصطلاح الحكماء جعله الله مستعداً لان ينظر في آثار صنعه و يعرف الصانع صدق عليه قوله تعالى «أشهدهم على أنفسهم» فالحق مع المفيد والسيد المرتضى و من تبعهما في تفسير الاية .وهنا اشكالات اخرى ذكرها الفخر الرازي في تفسيره وهي تشبه احاديث المجانين يتعجب من صدورها من مثله لانظيل الكلام بنقلها ولعلنا نشير اليه في موضع آخر البق ان شاء الله تعالى. (ش)

(١) قوله «طبع يوم طبع كافرأ» أقول مفاد أخبار هذا الباب هو الاصل في الاعتقاد الذي يجب أن يعتمد عليه و يرجع ساير ما ينافيه اليه بالتأويل فانه موافق للعقل والقرآن و مذهب أهل البيت عليهم السلام و ان خالف أكثر ما ورد في الاخبار السابقة و قلنا أنه موافق للعقل فانه يدل على تساوي الناس جميعاً بالنسبة الى قبول التوحيد والاستعداد للمعرفة والتكليف و هو مقتضى العدل والल्प بخلاف ماضى مما دل على أن بعض الناس فطر و اعلى الجهل والعدا من طينة خبيثة لن يؤمنوا أبداً ، و معدك يعذبون، و قلنا موافق للقرآن ﴿

ما تلك الفطرة؟ قال: هي الاسلام، فطرهم الله حين أخذ ميثاقهم على التوحيد، قال:

على فطرة الاسلام و اجيب عن الاول بأن معنى لا تبديل لا تغيير يعنى لا يكون بعضهم على فطره الكفر و بعضهم على فطرة الاسلام بل كلهم على فطرة الاسلام. و يؤيده ما فى رواياتهم عنه «ص» «ما من مولود الا يولد الا يولد على هذه الفطرة فأبواه يهودانه و ينصرانه، فان المراد بهذه الفطرة فطرة الاسلام، و عن الثانى بأن المراد بالطبع حالة ثانية طرأت و هى التيهؤ للكفر غير الفطرة التى ولد عليها. وقال بعضهم: المراد بالفطرة كونه خلقاً قابلاً للهداية و متهيئاً لها لما أوجد فيه من القوة القابلة لها لفطرة الاسلام و صوابها (١) موضوع فى العقول، و انما يدفع العقول عن ادراكها تغيير الابوين أو غيرهما. و أجيب عنه بان حمل الفطرة على الاسلام لا ياباه العقل، و ظاهر الروايات من طرق الامة يدل عليه، و حملها على خلاف الظاهر لا وجه له من غير مستند قوى و الله أعلم.

قوله (فطرهم الله حين أخذ ميثاقهم على التوحيد) «على» متعلق بفطر كما يشعر به

* لان مضمون الآية أن جميع أولاد آدم قالوا بلى، و مفاد ما سبق من الاخبار أن بعضهم أقر و بعضهم أنكر، و القرآن أولى بالقبول و يرجع ما يخالفه ظاهراً اليه، و قلنا انه موافق لمذهب أهل البيت عليهم السلام لان المتواتر الضرورى المعلوم من مذهبهم القول بالعدل و نفي الجبر. و قد ذكر الشارح قريباً أن جميع ذرية آدم أعطوا قوة استعدادية للنفس الناطقة القابلة للكلمات و الاعمال الخيرية، و عليها فلا فرق بين بنى آدم من هذه الجهة و كلهم مستعدون بفطرتهم لفهم التوحيد و معرفة التكليف و انما يختلفون فيما سوى ذلك الأثرى أن كل من يتكلم يستعمل فى كلامه ألفاظاً تدل على معانى كلية غير مدركة بالحواس بحيث اذا عد كلماته كانت الاسماء الجزئية المحسوسة فيها نادرة و هذا علامة ان المتكلم أدرك للكليات اذ عبر عنها و بذلك الاعتبارسمى النفس المدركة للكليات ناطقة و اذا كان جميع أفراد الانسان مدركين للكليات كانوا عقلاء. و اذا كانوا عقلاء استعدوا لدرك أوائل المعقولات و واضحاتها لامحالة و نحن نعلم أن ادراك الواجب تعالى و معرفة وجوده لا يمكنه من أوائل المعقولات و ان ناقش أحد فى كونه من الاوليات فلا محيص عن الاعتراف بكونها بديهية أو قريبة منها بحيث يمكن أن يفهمه الصبى ابن خمس عشرة سنة، و الصبية بنت تسع سنين و من غفل أو أنكر فسببه عدم التوجه و الالتفات، و بينه الغزالي بوجه أبسط نقله عنه الوافى و عن الوافى المجلسى بعنوان بعض المنسويين الى العلم. (ش)

(١) قوله «لا فطرة الا الاسلام و صوابها» و قد نقل العلامة المجلسى عبارة الشارح هنا

من قوله الفطرة بالكسر مصدر للنوع الى آخر الشرح و أورد الجملة هكذا لان فطرة*

« أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ » و فيه المؤمن والكافر.

٣- محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن ابن محبوب، عن علي بن رئاب، عن زرارة قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عز وجل: « فطرة الله التي فطر الناس عليها » قال: فطرهم جميعاً على التوحيد.

عنوان الباب و آخره فيدل على أن الفطرة مأخذ عليهم من العهد بالربوبية والاقرار بها وهم ذر، ثم الولادة يقع على ذلك حتى يقع التغيير من الابوين أو من طغيان النفس الامارة و مزاوله الشهوات و متابعة من الشيطان.

قوله (وفيه المؤمن والكافر) كلام آخر لبيان ما وقع في الميثاق من ايمان بعض و كفر آخرين لان الميثاق كما وقع بالربوبية و أقروا بها كذلك وقع بالنبوة والولاية فمنهم من آمن بهما ومنهم من كفر، ثم الكفر بهما يستلزم الكفر بالربوبية أيضاً (١) يدل على جميع ذلك ظاهر كثير من الروايات.

قوله (فطرهم جميعاً على التوحيد) أى على معرفة الرب والاقرار بالربوبية والواحدانية والكفر به وقع بعد ذلك باحتيال النفس و اغتيال الشيطان.

الاسلام و صوابها موضوع في العقول. فبدلاء النافية بقوله لان وكلتا العبارتين لا تخلوان عن سماجة، و غرض القائل أن الفطرة ليست فطرة الاسلام لان الاسلام أيضاً كدين اليهود والنصارى انما يرسخ في قلوب الاطفال بتعليم الاباء ولو فرض أن أحداً نشأ في جزيرة منفردة لا يرى فيها من يعلمه الشهادتين فلن يهتدى لان يقول لاله الا الله محمد رسول الله «ص» فليس فطرة الناس على الاسلام بل فطرتهم على قابلية الهداية ان اقيم لهم أدلة رسالة محمد «ص»، والجواب أن المراد بالاسلام هنا الاسلام الاعم الذي كان يدعو اليه ابراهيم واسحاق و يعقوب وسائر الانبياء عليهم السلام و هو التسليم لامر الله والاعتراف بالهيته وأن السعادة في امتثال أوامره ونحن ندعى أن المنفرد في جزيرة اذا ترك وعقله هداة عقله الى التوحيد والمعرفة كما في رسالة حى بن يقظان. وليس المراد الاسلام الفقهى أعنى اظهار الشهادتين لفظاً. (ش)

(١) قوله « يستلزم الكفر بالربوبية » أقول الاولى حمل قوله «ع» « وفيه المؤمن و الكافر » على أنه تعالى أخذ ميثاقهم على التوحيد و جعل فيهم قوة قبوله واستعداد فهمه على ما سبق من الشارح وكان فيهم من آمن بعد ذلك اذ جاء الى الدنيا وفيهم من كفر. ولا ينافى أن يكون فطرة الجميع على التوحيد والمعرفة ولكن ظهر لادم «ع» حال ذريته في الدنيا وان بعضهم سيخالفون الفطرة و يكفرون وبعضهم يوافقونها و ظهور حالهم فيما بعد مختلفا بالايمان و الكفر كما في كثير من الروايات لا يناقض كون فطرتهم على التوحيد. (ش)

٤- علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن ابن أذينة، عن زرارة عن أبي جعفر عليه السلام قال: سألته عن قول الله عز وجل: «حنفاء لله غير مشركين به»؟ قال: الحنيفية من الفطرة التي فطر الله الناس عليها لا تبديل لخلق الله، قال: فطرهم على المعرفة به، قال زرارة: و سألته عن قول الله عز وجل: « وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى - الآية»؟ قال: أخرج من ظهر آدم ذريته إلى يوم القيامة، فخرجوا كالذئب ففرقهم وأراهم نفسه لولا ذلك لم يعرف أحد ربه وقال قال رسول الله صلى الله عليه وآله: « كل مولود يولد على الفطرة » يعني المعرفة بأن الله عز وجل خالقه، كذلك قوله: « و لئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولنَّ الله ».

قوله (قال الحنيفية من الفطرة التي فطر الناس عليها) وهي دين الاسلام ومعرفة الرب والاقرار به، ويؤيده قوله تعالى «غير مشركين به» لوقوع الشرك به بعد الفطرة الامر يعتر بهم، روى مسلم عن النبي «ص» قال: قال الله تعالى «انى خلقت عبادة حنفاء كلهم وأنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم و حرمت عليهم ما أحللت لهم و أمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطاناً » اجتالتهم أى ذهبت بهم و ساقتهم الى ما أرادت من اجتال الشيء ذهب به و ساقه ، و قوله: «اجتالتم عن دينهم» صريح فى أن المراد بالحنيفية دين الاسلام والاقرار بالرب. **قوله** (لا تبديل لخلق الله) بأن يكون كلهم أو بعضهم حين الخلق مشركين به بل كلهم مسلمين مقرين به.

قوله (قال أخرج من ظهر آدم) أو آخر أولاد آدم مثل أولادهم و أواسطهم كانوا فى ظهر آدم والله سبحانه أخرجهم على ما يتوالدون قرناً بعد قرن ونسلاً بعد نسل فخرجوا كالذئب فى الصغر والحجم ففرقهم نفسه و أراهم بالرؤية العقلية الشبيهة بالرؤية العينية فى الظهور ليحصل لهم الربط به و يعرفوه فى دار الغربة ولولا تلك المعرفة الميثاقية لم يعرف أحد ربه فى هذه الدار التى هى دار الفراق و لو لم يكن رابطة تلك المعرفة و سابقة تلك الرابطة لحصل الفراق الكامل و مع تحقق تلك الرابطة تحقق الفراق الكلى فى أكثر الناس فكيف مع عدمها .

قوله (قال: قال رسول الله «ص»: «كل مولود يولد على الفطرة» يعني المعرفة بان الله عز وجل خالقه) الظاهر بالنظر الى سياق الكلام أن التفسير من كلام أبي جعفر «ع» و هذه المعرفة معنى الفطرة فى الآية المذكورة أولاً و جوابهم ببلى منوط بهذه الفطرة المجبولة و التغيير انما يعرض من خارج كاضلال الابوين أو غيرهما ، و قال بعض العامة وذلك كما

٥- علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن فضال، عن ابن أبي جميلة، عن محمد الحلبي، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عز وجل، «فطرة الله التي فطر الناس عليها» قال: فطرهم على التوحيد.

أن البهيمة تلد بهيمة سالمة من النقص والتغيير ولا يلحقها قطع الاذن والذنب والكي وغيرها من المقابح الا بعد الولادة. فكذلك الولد يولد على الفطرة سالماً عن الكفر حتى يدخل عليه التغيير من أمر خارج ويحملة على ماسبق عليه في الكتاب من شقاء، وقال صاحب النهاية: معنى الحديث أن الولد يولد على نوع من الجبلة وهي فطرة الله وكونه متهيئاً لقبول الحق طبعاً وطوعاً لوخلته شياطين الانس والجن ثم ذكر ولدالبهيمة نظيراً له. وقال صاحب المصباح قوله «ع» «كل مولود على الفطرة» قيل: معناه الفطرة الاسلامية (١) والدين الحق وانما أبواه يهودانه وينصرانه أي ينقلانه الى دينهما وهذا التفسير مشكل أن حمل اللفظ على حقيقته فقط لانه يلزم منه أن لا يتوارث المشركون مع أولادهم الصغار قبل أن يهودوهم وينصرهم، واللازم منتف بل الوجه حملة على حقيقته ومجازه معاً أما حملة على مجازه فعلى

(١) قوله «قيل معناه الفطرة الاسلامية» أورد عبارة الشارح بعينها المجلسي رحمه الله في مرآة العقول الى آخرها الابعض كلمات سقطت من قلمه أو قلم النساخ. وكان قوله «هذا التفسير مشكل» اعتراض من الشارح على القائل المذكور، والظاهر أن المجلسي - رحمه الله أيضاً استحسن الاشكال، ولعله من خلط أحكام الفقه بقواعد العقائد والاصول بالفروع، والظاهر بالواقع والدنيا بالآخرة لان أولاد المشركين تابعون لابائهم في الدنيا بالنسبة الى فروع الاحكام الفقهية، ومحكومون بالكفر ظاهراً و ليسوا تابعين في الآخرة بالنسبة الى العقاب اذ ليسوا كافرين واقعاً، وكلامنا هنا في الاحكام الواقعية الاخرية لا الظاهرية الدنيوية ولا مانع من كون أولاد الكفار على فطرة التوحيد ولا يكونوا يهوديين ولا مشركين ولا نصرانيين واقعاً بالنسبة الى أحكام الآخرة، ولكن يكونوا بحكم الكفار في الدنيا، والاستشكال من الشارح عجيب وليس الثواب والعقاب في الآخرة مترتبين على أحكام الفقه في الدنيا، فليس كل من يفتي الفقهاء بايمانهم ظاهراً من أهل النجاة في الآخرة، ربما كانوا منافقين و يعامل معهم معاملة المسلمين فيزوج فيهم و يتمكنون من المساجد ولا يجتنب أسأرهم وهم في الآخرة في أسفل درك من النار. و بالعكس وفي الوافي تحقيق في شرح هذا الباب وأورده المجلسي - رحمه الله في شرح الحديث الرابع ناقلاً عنه بعنوان بعض المحققين لا تظليل الكلام بذكره فمن أراد راجع الوافي او مرآة العقول. (ش)

(باب)

كون المؤمن في صلب الكافر

١ - الحسين بن محمد ، عن معلى بن محمد ، عن الحسن عليّ الوشاء ، عن عليّ بن مسيرة قال : قال أبو عبدالله عليه السلام : إن نطفة المؤمن لتكون في صلب المشرك ، فلا يصبه من الشرّ شيء ، حتى إذا صار في رحم المشرك لم يصبها من الشرّ شيء ، حتى تضعه فإذا وضعته لم يصبه من الشرّ شيء ، حتى يجري عليه القلم.

٢ - عليّ بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن ابن أبي عمير ، عن عليّ بن يقطين ، عن أبي الحسن موسى عليه السلام قال : قلت له : إنني قد أشفقت من دعوة أبي عبدالله عليه السلام عليّ يقطين وما ولد ، فقال : يا أبا الحسن ليس حيث تذهب ، إنما المؤمن

ما قبل البلوغ وذلك أن إقامة الابوين على دينهما سبب يجعل الولد تابعاً لهما فلما كانت الإقامة سبباً جعلت تهويداً وتنصيراً مجازاً ، ثم اسند إلى الابوين توبيخاً لهما وتوبيحاً عليهما ، فكانه قال : وإنما ابواه باقامتهما على الشرك يجعلانه مشركاً . و يفهم من هذا أنه لو أقام أحدهما على الشرك وأسلم الآخر لا يكون مشركاً بل مسلماً ، وقد جعل البيهقي هذا معنى الحديث فقال وقد جعل رسول الله « ص » حكم الاولاد قبل أن يفصحوا بالكفر وقبل أن يختاروا لانفسهم حكم الاباء فيما يتعلق بأحكام الدنيا . و أما حملة على الحقيقة فعلى ما بعد البلوغ لوجود الكفر من الاولاد .

قوله (ان نطفة المؤمن لتكون في صلب المشرك - الخ) أى النطفة التى يخلق منها المؤمن لا يصبها شيء من شر الابوين يعنى الكفر وغيره مما ينافى التوحيد . والحكم عليه بالكفر والنجاسة بالتبعية قبل البلوغ نظراً الى الظاهر لا ينافى ايمانه .

قوله (قد أشفقت من دعوة أبي عبدالله على يقطين وما ولد) الاشفاق الخوف والواول للعطف على يقطين أو بمعنى مع وخوفه من سراية تلك الدعوة الى نفسه فبشره «ع» بأنه ليس من أهلها لكونه مؤمناً صالحاً غير راض بفعل أبيه (١) وما ورد من أن ظلم الرجل يجرى على أعقابه مخصوص بما إذا رضى الولد بفعل أبيه فيؤخذ بظلمه وظلم أبيه جميعاً .

(١) قوله وغير راض بفعل أبيه ، قال الشيخ رحمه الله لم يزل يقطين فى خدمة أبي - العباس وأبي جعفر المنصور ومع ذلك كان يتشيع ويقول بالامامة وكذلك ولده و يحمل الاموال الى جعفر بن محمد ونمى خبره الى المنصور والمهدى فصرف الله عنه كيدهما انتهى . و عبارة الشارح تدل على ذم يقطين وكلام الشيخ رحمه الله أولى بالقبول من كلام الشارح لانه*

في صلب الكافر بمنزلة الحصة في اللبنة ، يجيء المطر فيغسل اللبنة ولا يضر الحصة شيئاً .

(باب)

إذا أراد الله عز وجل أن يخلق المؤمن

١- محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد ، عن ابن فضال ، عن إبراهيم بن مسلم الحلواني ، عن أبي إسماعيل الصيقل الرّازي ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : إن في الجنة لشجرة تسمى المزن فإذا أراد الله أن يخلق مؤمناً أقطر منها قطرة ، فلا تصيب بقلته ولا ثمرة أكل منها مؤمن أو كافر إلا أخرج الله عز وجل من صلبه مؤمناً .

قوله (بمنزلة الحصة في اللبنة) اللبنة مثل كلمة ما يبنى به وقوله « يجيء المطر » إشارة الى وجه التشبيه وهو أن ما يضر الكافر لا يضر المؤمن الذي فيه .

قوله (الحلواني) في المصباح الحلوان بلد مشهور من سواد العراق وهي آخر مدن العراق و بينها و بين بغداد خمس مراحل ، وهي من طرق العراق من شرق و القادسية من طرفه من الغرب ، قيل سميت باسم بانيتها و هو حلوان بن عمران بن - الحارث بن قضاة .

قوله (تسمى المزن) مزن ابرهاى سفيد وآن جمع مزنة است ، وسميت الشجرة المذكورة بها لحمها ماء كثيراً كالسحاب و هذا الحديث كما يناسب (١) ما قيل من أن المراد **اعرف وأعلم** . وأماد لالة هذه الرواية وشهادة على بن يقطين على أبيه وتمثيل نفسه وأبيه بالمؤمن في صلب الكافر فليس فيها حجة ووصفوا ابراهيم بن هاشم بالحسن لا بالصحة ولكن المجلسي رحمه الله قال حسن كالصحيح وكان قوله حقاً لو كان ابن أبي عمير راوياً عن ابراهيم بن هاشم و ليس كذلك بل ابراهيم روى عن ابن أبي عمير و من يدعى تصحيح ما يصح عن ابن أبي عمير انما يدعيه فيما بعده لا فيمن قبله . (ش)

(١) قوله « و هذا الحديث كما يناسب » نقله المجلسي رحمه الله الى آخر الشرح ثم نقل عبارة الوافي بعنوان بعض المحققين و فيها تحقيقات شريفة يليق بأن يتعمق فيها لانطيل الكلام باعادتها فمن أراد رجوع الى الوافي أو مرآة العقول و كلام الشارح لا يخرج عنه ، و الذي يستفاد من هذا الحديث وأمثاله أن الجنة كما هي معاد و علة غائية لاعمال الصالحين و كذلك لها مبدئية و دخل في عليتها الفاعلية بنحو من الانحاء اذ لماء هذا المزن تأثير في تربية الصالحين و هذا لا يوجب الجبر كما مر و بهذا يعرف معنى وجود الارواح قبل الاجساد لان الروح قد يطلق على النفوس المنطبعة بالحادثه بعد حصول المزاج الخاص واستعداد البدن بأن*

(باب)

في أن الصبغة هي الاسلام

١- علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، وعبد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد جميعاً ، عن ابن محبوب ، عن عبد الله بن سنان ، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عز وجل : « صبغة الله و من أحسن من الله صبغة » قال : الإسلام ، و قال في قوله عز وجل :

بالطينة الاصول الممتزجات المنتقلة في أطوار الخلقة كالنطفة وما قبلها من موادها مثل النبات والغذاء وما بعدها من العلقة والمضغة والعظم والمزاج الانساني القابل للنفس الناطقة المدبرة ، كذلك يناسب ما ذكر من أن المراد بالطينة طينة الجنة لان طينة الجنة اختمارها و تربيتها بهذه الفطرة كما أنه بماء العذب الفرات المذكور سابقاً . و بالجملة خلقه من طينة الجنة ومزجها بماء الفرات أولاً و تربيتها بماء المزن ثانياً لطف منه تعالى بالنسبة الى المؤمن ليحصل له الوصول الى أعلى مراتب القرب .

قوله (صبغة الله) أى صبغنا الله صبغته وهي الاسلام و دينه الحق وانما سمي بها لانه حلية الانسان كما أن الصبغة الحلية المصبوغ أو للمشاكله لوقوعه في مقابلة صبغة النصارى

*تصير النطفة علقة و العلقة مضغة الى أن تصير قابلة لان ينشأها الله خلقاً آخر فيحدث هذه النفس بعد حصول الاستعداد ولم تكن قبل ذلك ثم تتقلب النفس في مراتبها حتى اذا تجردت بالفعل وصارت عقلاً وهو العقل الحادث بعد النفس وبعتر كيب المزاج وليس هو بقيد الحدوث قبل البدن والموجود قبله هو علته المفضية ، ولما لم تكن العلة شيئاً مبيناً في عرض المعلول نظير المعدات كلاب بالنسبة الى الابن بل هي أصل المعلول ومقومه والقائم عليه فاذا كانت العلة موجودة كان المعلول موجوداً حقيقة وعرفاً ، ألا ترى أنه يسمى صاحب ملكة العلم القادر على تفصيل المسائل عالماً بها الاندراجها في الملكة و لقدرة العالم على استخراجها كلما أراد كذلك المزن الذي يتقاطر منه الملكات على نفوس الصالحين و تربيتها يندرج فيه جميع تلك النفوس بتفصيلها اندراجاً اجمالياً ، و انما تفصل منه بوجودها الدنيوى ليحصل لها بالفعل ما كان كامناً بالقوة ، ولو كانت النفوس على كمالها منفصلة عن علته موجودة بالفعل لم يكن حاجة الى ارسالها الى الدنيا و انما الدنيا مزرعة الآخرة ، وبالجملة كل ما في هذا العالم عكس من موجود مثالي أو عقلي قبله ينطبع على المواد مطابقاً لمثاله أو ظله وشبهه وما شئت فسمه و أحسن التعبيرات عنهما في القرآن حيث قاله ونفخنا فيه من روحنا و أنشأناه خلقاً آخر ، ولا يكون النفخ الامن نفس موجود قبله وان كان حصوله في الجسم اتصاف الجسم بالحياة بسببه حادثاً . (ش)

- « فقد استمسك بالعروة الوثقى » ؟ قال : هي الايمان بالله وحده لا شريك له .
- ٢- عدّةٌ من أصحابنا ، عن سهل بن زياد ، عن أحمد بن محمد بن أبي نصر ، عن داود بن سرحان ، عن عبد الله بن فرقد ، عن حمران ، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عز وجل : « صبغة الله و من أحسن من الله صبغة » قال : الصبغة هي الاسلام .
- ٣- حميد بن زياد ، عن الحسن بن محمد بن سماعة ، عن غير واحد ، عن أبان ، عن محمد بن مسلم ، عن أحدهما عليهما السلام في قول الله عز وجل : « صبغة الله و من أحسن من الله صبغة » قال : الصبغة هي الاسلام ، و قال في قوله عز وجل : « فمن يكفر بالطاغوت و يؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى » قال : هي الايمان .

(باب)

في أن السكينة هي الايمان

- ١- محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد بن عيسى ، عن علي بن الحكم ، عن أبي حمزة ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : سألت عن قول الله عز وجل : « أنزل السكينة في قلوب المؤمنين » قال : هو الايمان ، قال : و سألت عن قول الله عز وجل : « وأيدهم بروح منه » قال : هو الايمان .

أولادهم في ماء لهم أصفر ، وتفسير الصبغة بما ذكر مذكور في كلام الاكابر من المفسرين وغيرهم . فالحمل عليه أولى مما قيل من أن المراد بها ابداع الممكنات و اخراجها من العدم الى الوجود واعطاء كل ما يليق به من الصفات والغايات وغيرها .

قوله (و من أحسن من الله صبغة) من باب الانكار والمقصود أن صبغته تعالى أحسن من كل صبغة لان أثر الفاعل القوي أكمل و أحسن من أثر غيره و لان كل صبغة غير صبغته تعالى دائرة زائلة بخلاف صبغته تعالى بالايمان فانها باقية أبداً ، نافعة دائماً .

قوله (قال هي الايمان بالله) اريد بالكفر بالطاغوت الكفر بفلان و بالايمان بالله الايمان بعلى بن أبي طالب وع الا أنه أضيف الى الله ما يضاف اليه تعظيماً له ، فلا يرد أن تفسير العروة الوثقى بالايمان بالله يوجب التكرار بعد قوله « و يؤمن بالله » .

قوله (سألت عن قول الله عز وجل أنزل السكينة في قلوب المؤمنين قال هو الايمان) عبر عن الايمان بالسكينة والروح لان الايمان يوجب سكون القلب ووقاره وحياته و قد روى

٢ - عنه ، عن أحمد ، عن صفوان ، عن أبان ، عن فضيل قال : قلت لأبي -

«أن القلب ليرجع (أى يهتز) ويتحرك فيما بين الصدر والحجرة حتى يعقد على الايمان فاذا عقد على الايمان قرء». وفي رواية اخرى «اطمأن وقرء» ولا بد من بيان معنى الايمان لان فيه فوائد كثيرة فنقول الايمان فى اللغة التصديق، وفى الشرع قيل هو كلمتا الشهادة ، وقيل الطاعات مطلقاً، وقيل الطاعات المفروضة، وقيل التصديق بالجنان والاقرار باللسان والعمل بالاركان، وقيل التصديق بالجنان مع الشهادتين، وقيل التصديق بالله وبرسوله وجميع ما جاء به - على الاجمال- والولاية، وهو الحق لدلالة الايات والروايات عليه، أما الايات فمنها «و قلبه مطمئن بالايمان» ومنها « أولئك كتب فى قلوبهم الايمان » ومنها «و لما يدخل الايمان فى قلوبكم» فان اسناد الايمان الى القلوب فى هذه الايات يدل على أنه أمر قلبى ، ومنها «وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا» ومنها «يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص فى القتلى» ومنها «والذين آمنوا ولم يلبوا ايمانهم بظلم » فان اقتران الايمان بالمعاصى فى هذه الايات يدل على أن العمل غير معتبر فى حقيقته، ومنها «يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله» فان الامر بالطاعة بعد ثبوت الايمان يدل على ذلك أيضاً. وأما الروايات فمنها تفسير السكينة التى فى قلوب المؤمنين والروح بالايمان، و أما تفسير كلمة التقوى بالايمان فلا يدل على أنه كلمتا الشهادة لان اضافة الكلمة بيانية فيحمل التقوى على التصديق القلبى للتوافق بين الاحاديث، ومنها قول الصادق «ع» «المؤمن مؤمنان فمؤمن صدق بعهد الله وو فى بشرته ، و مؤمن كخامة الزرع يعوج أحياناً و يقوم أحياناً» ومنها قوله «ع» «يبتلئ المؤمن على قدر ايمانه وحسن عمله ومن صح ايمانه اشتد بلاؤه، ومن سخط ايمانه وضعف عمله قل بلاؤه» ومنها قوله «ع» «ان القلب لتكون الساعة من الليل والنهار ما فيه كفر ولا ايمان» ومنها قوله «ع» «لا يضر مع الايمان عمل، ولا ينفع مع الكفر عمل» ومنها قوله «ع» «الايمان وقر فى القلوب والاسلام ما عليه المناكح» ومنها قول رسول الله «ص» «يا معشر من أسلم بلسانه ولم يخلص الايمان الى قلبه لا تنموا المسلمين» ومنها قول أمير المؤمنين «ع» « أدنى ما يكون به العبد مؤمناً أن يعرفه الله نفسه فيقرله بالطاعة، و يعرفه نبيه و يقرله بالطاعة ، و يعرفه أمامه و حجته فى أرضه و شاهده على خلقه فيقرله بالطاعة ، قيل يا أمير المؤمنين : و ان جهل جميع الاشياء الا ما وصفت ؟ قال : نعم اذا امر أطاع و اذانهى انتهى».

ولاريب فى أن هذه الاخبار تدل صريحاً على أن الايمان هو التصديق وحده من غير دخل لفعل اللسان والجوارح فيه، على أن كون الايمان عبارة عن التصديق المخصوص المذكور لا يحتاج الى نقله عن معناه اللغوى الذى هو التصديق مطلقاً لان التصديق المخصوص فرد منه

عبدالله: عَلَيْهِ السَّلَامُ «أولئك كتب في قلوبهم الايمان» هل لهم فيما كتب في قلوبهم صنع؟ قال: لا .

٣- عده من أصحابنا، عن أحمد بن محمد بن خالد، عن ابن محبوب، عن العلاء عن محمد بن مسلم، عن أبي جعفر عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: السكينة الايمان .

٤- علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن حفص بن البختري و هشام بن سالم و غيرهما، عن أبي عبدالله عَلَيْهِ السَّلَامُ في قول الله عز وجل: «هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين» قال: هو الايمان .

٥- علي بن إبراهيم، عن محمد بن عيسى بن عبيد، عن يونس، عن جميل قال: سألت أبا عبدالله عَلَيْهِ السَّلَامُ عن قوله عز وجل: «هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين» قال: هو الايمان. قال: قلت: «وأيدهم بروح منه» قال: هو الايمان. و عن قوله: «وألزمهم كلمة التقوى» قال: هو الايمان.

بخلاف ما اذا كان المراد منه غيره من المعاني المذكورة.

اذا عرفت هذا فنقول الاخبار الدالة على أن الايمان هو العمل بالاركان والاقرار باللسان والتصديق بالجنان مثل ما روى عن أبي الحسن الرضا «ع» وغيره محمولة على أن اضافة الفعل الى الايمان لاجل الكمال لانه جزء منه أو شرط له أو لاجل أنه دليل عليه وليس له دليل أعظم منه فكانه صار نفسه على سبيل المبالغة. يدل عليه ما روى عن أبي جعفر «ع» «أن الايمان ما استقر في القلب و أفنى به الى الله عز وجل، و صدقه العمل بالطاعة لله والتسليم لامر الله». و ما روى عن الصادق «ع»، قال: «قال أمير المؤمنين «ع»: ان لاهل الدين علامات يعرفون بها: صدق الحديث و أداء الامامة ووفاء بالعهد - الى أن قال- و ما يقرب الى الله عز وجل زلفي». و ما روى عن أمير المؤمنين عن رسول الله «ص»، قال «عشرون خصلة في المؤمن فان لم تكن فيه لم يكمل ايمانه، ان من أخلاق المؤمن يا على الحاضرون الصلاة ، و المسارعون الى الزكاة و المطعمون المسكين - الحديث». و في هذه الاخبار مع دلالتها على أن الايمان هو التصديق القلبي دلالة واضحة على أن العمل مصدق و مبين ومظهر له و موجب لكماله .

قوله (هل لهم فيما كتب في قلوبهم صنع قال لا) لعل المراد بالايان هنا نكت الحق ومعرفة الرب وليس للبعد صنع فيه. وانما صنعه في قبوله، والتكليف انما وقع به وقد روى «أن كل قلب ينكت الحق فيه قبل أولم يقبل».

(باب الاخلاص)

١- علي بن إبراهيم، عن محمد بن عيسى، عن يونس، عن عبد الله بن مسكان، عن
عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عز وجل: « حنيفاً مسلماً » قال خالصاً مخلصاً ليس
فيه شيء من عبادة الأوثان .

٢- عدّة من أصحابنا، عن أحمد بن أبي عبد الله، عن أبيه رفعه إلى أبي جعفر
عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا أيها الناس إنّمَا هو الله والشيطان و الحقُّ و الباطل
والهدى والضلالة والرشد والغىُّ والعاجلة والاجلة والعاقبة والحسنات والسيئات،
فما كان من حسنات فلله، وما كان من سيئات فللشيطان لعنه الله.

قوله (باب الاخلاص) الاخلاص في العمل تطهيره عن ملاحظة غير وجه الله تعالى و
رضاه حتى عن الرجاء بالثواب والخوف من العقاب فضلا عن الرياء والسمة وحب الجاه و
أمثال ذلك فان ذلك شرك خفى قل من نجامنه لخفاء طريقه، ولذلك قال «ص» «ديب الشرك في أمّتي
أخفى من ديب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء» وهو أعظم ساد للسالك
عن الوصول الى الحق والقرب منه قال الله تعالى «فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملا
صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً» و اذا ارتفع ذلك سهل للسالك الوصول اليه ، كما
يرشد اليه ما روى « من أخلص لله أربعين صباحاً ظهرت يتابع الحكمة من قبله على لسانه .
قوله (حنيفاً مسلماً) الحنيف المسلم المنقاد وهو المائل الى الدين الحق وهو الدين
الخالص، ولذلك فسره عليه السلام بقوله «خالصاً لله مخلصاً» عبادته عن ملاحظة غيره مطلقاً، ثم وصفه
على سبيل التأكيد بقوله «ليس فيه شيء من عبادة الاوثان» أي الاوثان المعروفة أو الاعم منها
فيشمل عبادة الشياطين في اغوائها و عبادة النفس في أهوائها ، وقد نهى جل شأنه
عن عبادتهما فقال « ألم أعهد اليكم يا بنى آدم أن لا تعبدوا الشيطان » و قال « أفرأيت
من اتخذ الهه هواه » .

قوله (يا أيها الناس انما هو الله والشيطان) كان هو راجع الى المقصود بقرينة المقام
والهدى الطريقة الالهية و الشريعة النبوية، والحسنات و السيئات شاملتان لجميع ما تقدم
ولذلك اقتصر بذكرهما في قوله «فما كان من حسنات فلله» وهو ما اراده الله تعالى ووقع له
«وما كان من سيئات فللشيطان» وهو ما نهى الله عنه و أمر به و لم يقع له . وفيه ترغيب في
مراقبة النفس في حركاتها وسكناتها ليمنعها عن السيئات و يحملها على الحسنات و يراعى
الاخلاص والتقرب فيها بأن يفعلها لوجه الله لا لغيره لثلاثي سيئات.

٣ - عدّةٌ من أصحابنا، عن سهل بن زياد، عن عليّ بن أسباط، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام أن أمير المؤمنين صلوات الله عليه كان يقول: طوبى لمن أخلص لله العبادة والدعاء ولم يشغل قلبه بما ترى عيناه ولم ينس ذكر الله بما تسمع أذناه ولم يحزن صدره بما اعطى غيره.

٤ - عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن القاسم بن محمد، عن المنقري، عن سفیان بن عيينة، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عز وجل: « ليلوكم أيكم أحسن عملاً » قال: ليس يعني أكثر عملاً ولكن أصوبكم عملاً وإنما الإصابة خشية الله والنية

قوله (طوبى) أى الجنة أو طيبها أو شجرتها أو العيش الطيب أو الخير لمن أخلص لله العبادة والدعاء وقصد بهما لاغيره . ولم يشغل قلبه عن الله وطاعته بما ترى عيناه من متاع الدنيا وزخارفها الشهية وصورها البهية ولم ينس ذكر الله بالقلب واللسان بما تسمع أذناه من الاصوات الداعية الى الدنيا والكلمات المحركة عليها و لم يحزن صدره بما اعطى غيره من أسباب العيش و حرم هو، والاتصاف بهذه الصفات العلية انما يتصور لمن قطع عن نفسه العلائق الدنية ، والله هوالموفق.

قوله (ليلوكم أيكم أحسن عملاً) قال الله تعالى «تبارك الذى بيده الملك وهو على كل شىء قدير الذى خلق الموت والحياة ليلوكم أيكم أحسن عملاً» وصف نفسه أولاً بان التصرف فى الممكنات منوط بيد قدرته الكاملة وليس لاحد أن يمنعه من ذلك، و ثانياً بان قدرته نافذة فى كل واحد منها، وليس لشىء منها اباء عن نفاذها، و ثالثاً بأنه خلق الموت والحياة أى قدرهما أو أوجدهما، و فيه دلالة على أن الموت أمر وجودى، والمراد بالموت الموت الطارى على الحياة أو العدم الاصلى فانه قد يسمى موتاً أيضاً، و تقديمه على الاول لانه ادعى الى حسن العمل و أقوى فى ترك الدنيا و لذاتها بالاختيار لملاحظة أن التارك لا بد منه بالاضطرار، و على الثانى ظاهر لتقدمه بحسب التقدير، ثم علل الوصف الاخير بقوله «ليلوكم أيكم أحسن عملاً» أى ليعاملكم معاملة المختبر مع صاحبه، فهو تمثيل لحاله بحال المشاهد المعلوم منا لزيادة التنوير والايضاح، و قوله «أيكم» مفعول ثان لفعل البلوى باعتبار تضمينه معنى العلم. و وجه التعليل أن الموت داع الى حسن العمل لكمال الاحتياج اليه بعده والحياة نعمة تقتضيه و توجب الاقتدار به، وان اريد به العدم الاصلى فالمعنى أنه تقلكم منه وألبسكم لباس الحياة لذلك الاختبار، ولما كان اتصافنا بحسن العمل يتحقق بكثرة العمل تارة و باصابته اخرى أشار الى نفي ارادة الاول بقوله :

(وليس معنى أكثر عملاً) يعنى لم يرد جل شأنه بقوله : « أحسن عملاً » أكثر عملاً

الصادقة والحسنة ، ثم قال : الإبقاء على العمل حتى يخلص أشد من العمل ، والعمل الخالص : الذي لا تريد أن يحمذك عليه أحدٌ إلا الله عز وجل والنية أفضل من

لان مجرد كثرة العمل من غير خلوصه وجودته ليس أمراً يعتد به بل هو تضييع للمعريفما لا ينفع . والى ارادة الثاني بقوله :

(ولكن أصوبكم عملا) لان صواب العمل وجودته و خلوصه من الشوائب الرذيلة يوجب القرب منه تعالى وله درجات متفاوتة يتفاوت القرب بحسبها كلما كان أصوب كان من الرد أبعد و من القبول أقرب ، ثم بين الاصابة و حصرها فسى أمرين بقوله . (انما الاصابة خشية الله والنية الصادقة والحسنة) تنبيهها على أن قطع المسافة الى حظائر القدس لا يتصور بدونهما ، و ذلك لان قطع المسافة العقلية يحتاج الى آلة و أسباب و دفع موانع كقطع المسافة الحسية فلا بد للسائر الى الله تعالى من أمرين أحدهما العمل الصالح و هو بمنزلة المركوب يوصل راكبه الى غاية مناه ، والعمل الصالح لا يتحصل ولا يتقوم بدون نية صادقة حسنة ، وهي أن يقصد بالعمل وجه الله تعالى والتقرب اليه لا غيره اذ لو قصد غيره قيدمركوبه بقيد وثيق يمنعه من الحركة من موضعه فيبقى متحيراً بل قد يرجع قهقري الى أسفل السافلين باعانة قوم آخرين ، و ثانيهما حفظ العمل الصالح عن الاحباط بارتكاب المحارم و ذلك انما يحصل بملكة الخشية والخوف من الله سبحانه وهي حالة تحصل بملاحظة عظيمة الحق و هيئته و مشاهدة جلال كبريائه و لذة قربيه و قبح مخالفته و شناعة معصيته و سوء عاقبتهما و لذلك قال الله تعالى «انما يخشى الله من عباده العلماء» . ثم أشار الى أن اصابة العمل و خلوصه ليس بمجرد وقوعه كذلك بل باعتبار بقاءه واستمراره مادام العمر كذلك أيضا بقوله :

(الإبقاء على العمل حتى يخلص اشد من العمل) روى المنصف (ره) في باب الرياء باسناده عن علي بن أسباط عن بعض أصحابه عن أبي جعفر «ع» أنه قال : د الإبقاء على العمل أشد من العمل ، قال : و ما الإبقاء على العمل ؟ قال : يصل الرجل بصلة و ينفق نفقة الله وحده لا شريك له فتكتب له سراً ، ثم يذكرها فتمحى فتكتب له علانية ثم يذكرها فتمحى وتكتب له رياءً و في الصحاح يقال : أقيت على فلان اذا رعبت عليه و رحمته ، و يحتمل أن يكون المقصود هنا أن رعاية العمل وحفظه عند الشروع فيه و بعده الى الفراغ منه و بعد الفراغ الى الخروج من الدنيا حتى يخلص و يصفو عن الشوائب الموجبة لنقصانه أو فساده أشد من العمل نفسه ، و ذلك لان خلوصه و صفاءه لا يتحقق بمجرد أن يقول أصوم مثلا قربة الى الله

و اخطار معناه بالبال و استعمال الجوارح والا لكان المنافق باظهار كلمة الشهادة و اخطار معناها مؤمناً بل لا بد مع ذلك من تأثير القلب عن العمل و انقياده الى الطاعة و اقباله اليه جل شأنه و انصرافه عن الدنيا وما فيها حتى يرى الناس كالباعر ولا يتحصل ذلك الا بتحصيل الفضائل النفسانية و الملكات الروحانية والاجتناب عن رذائلها، فان النفس مادامت عارية عن تلك الملكات و الفضائل و متصفة بالماكات الخبيثة و الرذائل تنبثق الى الفعل و تقصده و تميل اليه و تظهره و لو بعد حين تحصيلاً للفرص الملائم لها بحسب ما ينقلب فيها من تلك الصفات الرذيلة و تحصيل هذه الامور مشكل جداً لا يتيسر الوصول اليها الا لذوى الفطرة السليمة و الفكرة المستقيمة ، فقد ظهر مما قرنا أن حفظ العمل من موحبات النقص و الفساد أشد و أصعب من نفس العمل . و منه يظهر سر مارواه العامة و الخامسة عنه «ص» «نية المؤمن خير من عمله»، ثم أشار الى تفسير العمل الخالص و خلاصة القول فيه بقوله:

(والعمل الخالص الذى لا تريد أن يحمدك عليه أحد) حين العمل وبعده (الا الله تعالى) تنبيها على أن الرياء و قصد المدحة و السمعة مناف للخلوص و حقيقة الرياء ارادة مدح الناس على العمل و السرور به و التقرب اليهم باظهار الطاعة و طلب المنزلة فى قلوبهم و الميل الى اعظامهم له و توقيهم اياه و استجلاب تسخيرهم لقضاء حوائجه و قيامهم بهماته و هو الشرك بالله العظيم، قال رسول الله «ص»: «من صلى صلاة يرائى بها فقد أشرك، ثم قرأ «قل انما أنا بشر مثلكم - الاية» و فى قوله «لا تريد» اشارة الى أنه لو مدحه الناس على عمله من غير ارادته و سروره به لا يقدر ذلك فى خلوص عمله بل هو من جميل صنع الله تعالى و لطفه به كما ورد فى بعض وحيه «عملك الصالح عليك ستره و على اظهاره» و أمثال ذلك فى الروايات كثيرة وان دخله سرور باطلاع الناس و مدحهم فان كان سروره باعتبار ان الله تعالى أظهر جميله و شرفه عليهم لا بحمدهم و حصول المنزلة فى قلوبهم، أو باعتبار أنه استدل باظهار جميله فى الدنيا على اظهار جميله فى الآخرة على رؤس الاشهاد أو باعتبار أنهم يحبون طاعة الله تعالى و ميل قلوبهم اليها فلا يقدر ذلك فى الخلوص وان كان باعتبار رفع منزلته عندهم و تعظيمهم اياه الى غير ذلك من التسويات النفسانية و التدليسات الشيطانية فهذا رياء و شرك محبط للعمل و ناقل له من كفة الحسنات الى كفة السيئات و من ميزان الرجحان الى ميزان الخسران، و لذلك ورد فى كثير من الروايات الامر باخفاء العمل و استاره حفظاً له عن الرياء المنافى لاختلاصه المفسد له بالكلية، و ظاهر هذا التفسير يدل على أن قصد الثواب أو الخلاص من العقاب لا ينافى الخلوص كما يدل عليه كثير من الروايات مثل قوله «ص»: «من

العمل، ألا وإن النية هي العمل، ثم تلا قوله عز وجل: « قل كل يعمل على شاكلته » يعني على نيته .

٥- وبهذا الاسناد قال: سألته عن قول الله عز وجل: « إلا من أتى الله بقلب

ترك معصية الله مخافة الله عز وجل أرضاه يوم القيامة » وقوله وقال الله تعالى « لا يتكلموا العاقلون لى على أعمالهم التى يعملونها الثوابى - الحديث » وذهب جماعة من العلماء الى أنه ينافى الاخلاص و يفسد العمل ودليلهم ضعيف والاحتياط ظاهر .

قوله (والنية أفضل من العمل) النية فى اللغة عزم القلب على أمر من الامور، وفى العرف ارادة ايجاد الفعل على الوجه المأمور به شرعاً، و تلك الارادة اذا تحققت فيه تسرى الى الاعضاء و تحركها الى افعالها، وهى أفضل الاعمال، و اذا ضم هذا مع قوله « دع » : « أفضل الاعمال أحمرها » يفيد أن النية أحمرها، و هو كذلك لان النية الخاصة يتوقف على قلع القلب عن حب الدنيا و نزعه عن الميل الى ماسوى الله تعالى، وهذا أشق الاشياء على النفس. و لهذا قال « دس » : « رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر » حيث عدا الجهاد الذى هو أشق الاعمال البدنية أصغر من جهاد النفس و صرف وجهها عن غير الله لانه أشق و الاشق أفضل لماسر . على أن المراد نية المؤمن وهى أدوم و ثمرتها أعظم من الاعمال لان نيته أن لوبقى أبد الابدين أن يكون مع الايمان بالله و الطاعة له وهذه النية من لوازم الايمان و دائمة لا تنقطع بخلاف العمل فانه ينقطع ولو بقى الى مائة سنة أو أزيد و ثمرتها الخلود فى الجنة. و الذى يدل عليه ما روى عن أبى عبد الله « دع » « انما خلد أهل النار فى النار لان نياتهم كانت فى الدنيا أن لوبقوا فيها أن يعصوا الله أبداً، و انما خلد أهل الجنة فى الجنة لان نياتهم كانت فى الدنيا أن لوبقوا فيها أن يطيعوا الله أبداً، فبالنيات خلد هؤلاء و هؤلاء، ثم تلا « قل كل يعمل على شاكلته » قال : « على نيته » فالعمل تابع النية فى الرد و القبول و الكمال و النقصان، و فرع لها و هذا وجه آخر لكونها أفضل من العمل لان الاصل أفضل من الفرع و من أراد أن يعلم وجوهاً آخر لافضليتها فليرجع الى ما ذكره الشيخ فى الحديث السابع و الثلاثين من الاربعين .

قوله (ألا وإن النية هي العمل) لما كان نظام العمل و كماله و نقصانه و قبوله و رده تابعة للنية و مسببة عنها بالغ فى حمل العمل عليها بحرف التنبيه و حرف التأكيد و اسمية الجملة و تعريف الخبر باللام المفيد للتحصر، و ضمير الفصل المؤكده، و يندفع به ما عسى أن يتوهم من أن الفضيل انما يتعارف اذا كان المفضل من جنس المفضل عليه، و النية ليس من جنس العمل .

سليم» قال: القلب السليم الذي يلقي ربه وليس فيه أحد سواه، قال: و كل قلب فيه شرك أو شك فهو ساقط و إنما أراد بالزهد في الدنيا لتفرغ قلوبهم للآخرة.

٦- بهذا الإسناد، عن سفیان بن عيينة، عن السندي، عن أبي جعفر عليه السلام قال ما أخلص العبد الإيمان بالله عز وجل أربعين يوماً - أو قال ما: أجمل عبد ذكر الله عز وجل أربعين يوماً - إلا زهده الله عز وجل في الدنيا وبصره داءها و دواءها

قوله (و ليس فيه أحد سواه) أى شغل بربه عن غيره من المال والولد وغيرهما كمال قال الله تعالى «يا ايها الذين آمنوا لاتلهكم أموالكم ولا اولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فاولئك هم الخاسرون».

قوله (و كل قلب فيه شرك) لعبادة النفس والشيطان أو شك لميله الى الدنيا وحبها وان كان فارغاً عنها فهو ساقط عن الاعتبار أو عن قرب الحق، و انما أرادوا بالزهد في الدنيا و تركها لتفرغ قلوبهم للآخرة و تتفكر في أمرها و ما يوجب النجاة والترقى فيها من ذكر الله و طاعته في الظاهر والباطن فلا فائدة في تركها ظاهراً مع اشتغال القلب بها وحبها لها وميله الى عبادة النفس والشيطان. و قال بعض الحكماء: اثنان في العذاب سواء غنى حصلت له الدنيا فهو بها مشغول مهموم، و فقير زويت عنها فنفسه تنقطع عليها حسرات فلا تجد اليها سبيلاً . و الحاصل أن ترك الدنيا لتطهير القلب عن حبها و عن طاعة النفس و الشيطان و تصفيته عن غيره تعالى لينمو فيه بذرا المحبة والذكور يرتقى الى المقام القرب ولا يتحقق ذلك بالقلب الملوث بشهواتها كالبدن في أرض السبخة.

قوله (ما أخلص العبد الايمان بالله) لعل المراد بالمبد العبد العالم لان الاخلاص مرتبة عالية للعلماء لا يمكن حصوله بدون العلم بالمطالب. وبالايمان الايمان الكامل و هو الاعتقاد بالجنان والاقرار باللسان والعمل بالاركان، و بالاخلاص تجريد جميع ذلك عن غير وجه الله تعالى وتطهير القلب عما سواه وان كان لازماً للفعل فلو اعتق العبد الله مع قصد الفراغ من انفاقه أيضاً، أو صلى في الليل مع قصد حفظ متاعه، أو توضع الله مع قصد تبرده أو أعطى السائل الله مع قصد تخلصه من ابرامه أو عمل طاعة أو ترك معصية لقصد الفوز بالثواب والنجاة من العقاب، فالظاهر أن هذه القصدات في الاخلاص كما ذهب اليه جمع كثير من العلماء أو تنافى كماله كما ذهب اليه طائفة . و بالاربعةين هذا العدد اذ فيه يبلغ الانسان الى كماله في القوة العقلية والقوى الادراكية فيستعد استعداداً تاماً لان يزهد الله في الدنيا و يوقفه لتركها .

قوله (فزهده (١) فيها و صرف قلبه عنها وبصره داءها و دواءها) أى قدر الضرورة

فأثبت الحكمة في قلبه وأنطق بها لسانه، ثم تلا: « إنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعَجَلَ سِينَالِهِمْ غَضِبَ مِنْ رَبِّهِمْ وَذَلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ » فلاترى صاحب بدعة إلا ذليلاً ومفترياً على الله عز وجل و على رسوله ﷺ و على أهل بيته صلوات الله عليهم إلا ذليلاً .

منها و الزائد عليه أو ميل القلب اليها و صرفه عنها أو الضار و النافع منها فى الآخرة أعنى المعصية والطاعة .

قوله (فأثبت الحكمة فى قلبه) أى جعلها راسخة فيه بحيث يرى بها صور الحقائق الملكوتية وجمال الاسرار اللاهوتية، و يجوز أن يقرأ « أنبت » بالنون فيكون تمثيلاً لزيادتها و نموها بالاخلاق بانبات الزرع و نموه بالماء لقصد الايضاح .

قوله (و أنطق بها لسانه) فيتكلم ما ينفعه و ينفع غيره فى الدنيا و الآخرة حتى يعد فى الصديقين و هذه الخواص الخمس المرتبة على الاخلاق امهات المنجيات .

قوله (ثم تلا) لعل الغرض من تلاوتها هو التنبيه على أن غير المخلص مندرج فيها و الوعيد متوجه اليه أيضاً لانك قد عرفت أن قلبه ساقط لكونه ذا شرك أو شك و هما بدعة و افتراء على الله و رسوله . و الآية على تقدير نزولها فى قوم مخصوصين لا يقتضى تخصيص الوعيد و هو الغضب و الذلة بهم، لان الامر اذا جرى على قوم لصفة وجدت فى غيرهم هى أو نظيرها جرى ذلك الامر فى ذلك الغير أيضاً، و من ثم قيل « خصوص السبب لا يوجب تخصيص الحكم » و على هذه فالآية بيان لفحوى الحديث و حجة لمفهومه، فهى و ان نزلت فى أصحاب السامرى لكن جرى حكمها فى أصحاب سامرى هذه الامة و يلحق الغضب و العقوبة و الذلة بهم آجلاً و عاجلاً لقتلهم و أسرهم عند ظهور الدولة القاهرة، و كذا جرى حكمها فى أصحاب الشرك و الشك و البدعة و الافتراء الى يوم القيامة، والله أعلم .

قوله (و كذلك) أى مثل جزاء من اتخذ العجل من الغضب و الذلة .

قوله (نجزي المفتريين) لانهم أيضاً اتخذوا العجل اذا العجل ما يعبد من دون الله و هم يعبدون أهواءهم و مفتريات نفوسهم .

قوله (فلاترى صاحب بدعة) أى فلاترى صاحب كل بدعة، الا ذليلاً فى الدنيا و الآخرة لان الذلة مترتبة على اتخاذ العجل و اتخاذ العجل اتخاذ بدعة على الاطلاق و قوله « و مفترياً » عطف على صاحب بدعة أى فلاترى مفترياً على الله الى آخره الا ذليلاً و العزة و لرسوله و للمؤمنين و لكن المنافقين لا يعلمون .

باب الشرائع

١- علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن أحمد بن محمد بن أبي نصر و عدّة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد بن خالد، عن إبراهيم بن محمد الثقفي، عن محمد بن مروان جميعاً، عن أبان بن عثمان، عمّن ذكره، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن الله تبارك و تعالّى أعطى محمداً عليه السلام شرائع نوح و إبراهيم و موسى و عيسى عليهم السلام: التوحيد و الإخلاص و خلع الانداد و الفطرة الحنيفية السمحة و الارهبانية و لاسياحة ، أحلّ فيها الطيبات و حرّم فيها الخبائث و وضع عنهم إصرهم و الأغلال التي كانت عليهم،

قوله (باب الشرايع) تذكر فيه الشرايع المعروفة و أصحابها وهم اولو العزم من الرسل و ما يشترك بينهم من غير تعيين و ما لا يشترك أصلاً و بدونه.

قوله (التوحيد و الإخلاص و خلع الانداد) الانداد جمع و نداء بالكسر و هو مثل الشيء و يضافه في اموره و يناده أى يخالفه يريد بها ما كانوا يتخذونه آلهة من دون الله و هذه الثلاثة بدل من الشرايع بدل البعض من الكل ليفيد أن الاشتراك بينهم في هذه الاصول الثابتة في جميع الشرايع و لم ينكرها أحد من الانبياء، و يرشد اليه قوله تعالى « شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً و الذى أوحينا اليك و ما وصينا به ابراهيم و موسى و عيسى أن أقيموا الدين و لا تتفرقوا فيه كبر على المشركين ما تدعوهم اليه » و انما خصها بالذكر مع تحقق الاشتراك في غيرها مثل الصوم و الصلاة و الوضوء و الجهاد للاهتمام بها و لعدم تغيرها و اختلافها بوجه بخلاف غيرها لاختلاف الكيفيات فيه، على أن عدم الحكم بالاشتراك لا يدل على الحكم بعدم الاشتراك و لم يتعلق غرض بذكر جميع المشتركات.

قوله (و الفطرة الحنيفية السمحة) عطف على شرايع و اشتراك بعض ما يذكر. لا ينافيه لعدم دلالة على الاختصاص على أن كيفيته غير كيفية ما في الشرايع السابقة فكانه بهذه المغايرة غير مشترك، و المراد بها الملة المائلة من الباطل الى الحق أو من الكفر الى الاسلام التي ليس فيها ضيق و لاجرح.

قوله (لارهبانية و لاسياحة) الرهبانية التزام رياضات شديدة و مشقات عظيمة كالإختصاص و اعتناق السلاسل و لبس المسوح و ترك اللحم و نحوها، و السياحة : مفارقة الاوطان و الامصار و الذهاب فى الارض و سكون الجبال و المغارات و البرارى و قد كانتا في شريعة عيسى و دع، استحساناً.

قوله (أحل فيها الطيبات) أى أحل في هذه الفطرة الطيبات كالشحوم و غيرها

ثم افترض عليه فيها الصلاة والزكاة والصيام والحج والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والحلال والحرام والمواريث والحدود والفرائض والجهاد في سبيل الله . و زاده الوضوء وفضله بفاتحة الكتاب و بخواتيم سورة البقرة والمفصل و أحل له

مما حرم عليهم أو الاعم منه و مما طاب في الحكم مثل ما ذكر اسم الله عليه ، من الذبائح و ما خلا كسبه من السحت وغيرهما ، و حرم فيها الخبائث مثل الخمر والارواث والابوالو الدم والميتة و لحم الخنزير والكلب و غير ذلك مما يتنفر عنه الطبع و تستكرهه النفس و تستخبثه و ووضوع عنهم أصرهم والاعلال التي كانت عليهم ، الاصر الثقل الذي يأصر حامله أي يحبسه في مكانه لفرط ثقله ، والمراد الاثم والوزر العظيم ، و قال صاحب الكشاف هو مثل لثقل تكليفهم و صعوبته نحو اشتراط قتل النفس في صحة توبتهم ، و كذلك الاعلال مثل لما كان في شرايعهم من الاشياء الشاقة نحوبت القضاء بالقصاص عمداً كان أو خطأ من غير شرع الدية و قطع الاعضاء الخاطئة و قرص موضع النجاسة من الجلد والثوب و احراق الفنائم و تحريم العروق في اللحم و تحريم السبت ، وعن عطاء كانت بنو اسرائيل اذا قامت تصلى لبسوا المسوح وغلوا أيديهم الى أعناقهم و ربما ثقب الرجل ترقوته و جعل فيها طرف السلسلة و أوثقها الى السارية يحبس نفسه على العبادة انتهى . هذا ان صح و ثبت أنه كان مطلوباً في شرعهم كان أولى بالارادة لانه أشبه بالاعلال .

قوله (ثم افترض عليه فيها الصلاة) أي افترض على محمد «ع» في الفطرة التي هي ملته والظاهر أن ثم لمجرد التفاوت في الرتبة ، والمراد بالحلال ما عدا الحرام فيشمل الاحكام الاربعة و بالفرائض ما عدا الفرائض المذكورة أو ماله تقدير شرعي من الموارث و هي أعم منها أو غيرها مما ليس له تقدير وبالوضوء الوضوء على وجه مخصوص وضوء السابقين على تقدير ثبوته كان على وجه آخر كصلاتهم و صيامهم .

قوله (و فضله بفاتحة الكتاب الخ-) لعل المراد بخواتيم سورة البقرة « آمن الرسول الى آخرها » والمفصل سورة محمد الى آخر القرآن و انما خص هذه الثلاثة بالذكر للاهتمام بها و زيادة شرفها بالنسبة الى غيرها و الا فقد فضله بهذا القرآن الذي لم يؤته أحداً من الانبياء .

قوله (و أحل له المغنم والفيء) المغنم النسيئة وهي ما أخذ من أموال الكفار بحرب و قتال وهي مختصة بالرسول و من يقوم مقامه بل بعضها وهو ما حواه العسكر بعد اخراج الخمس للغانمين و من حضر القتال و ان لم يقاتل و بعضها كالارض المفتوحة عنوة للمسلمين قاطبة و أحكام الكل المذكورة مفصلة في كتب الاصول والفروع والفيء يطلق تارة على ما أخذ

المغنم والفىء و نصره بالرعب و جعل له الأرض مسجداً و طهوراً و أرسله كافة إلى

بحرب و قتال و هو مرادف للغنيمة فحكمه حكمها و اخرى ما أخذ مطلقاً و هو بهذا المعنى يصدق أيضاً على الانفال المختصة بالرسول و من يقوم مقامه و سر ذلك أن الفىء بمعنى الرجوع فاما ان يراد به الرجوع مطلقاً فهو الثانى أو يراد به الرجوع بغلبة أو قتال فهو الاول ولم يقل أحد بأنه الرجوع بغير قتال و ان أردت زيادة توضيح فأرجع الى ما ذكرنا فى باب الفىء و الانفال من هذا الكتاب و فى تقديم له على المفعول و هو المغنم يفيد اختصاصه «س» باحلالها و هو كذلك لان الغنيمة كانت محرمة على الامم السابقة فكانوا يجمعونها فتنزل النار من السماء فتأكلها و كان ذلك بلية عظيمة عليهم حتى كان قد يقع فيها السرقة فيقع الطاعون بينهم فمن الله تعالى على هذه الامة باحلالها الحمد لله رب العالمين -

قوله (و نصره بالرعب) مع قلة العدة و ضعف العدة و كثرة الاعداء و شدة بأسهم و الرعب الفزع و الخوف و كان الله تعالى قد اوقع بقدرته القاهرة فى قلوب أعدائه الفزع و الخوف منه حتى اذا كان بينه وبينهم مسيرة شهر هابوه و فزعوا منه قال الله تعالى و لا تتم أشد رهبة فى صدورهم - الآية .

قوله (و جعل الارض له مسجداً و طهوراً) أى جعل له الصلاة فيها كالصلاة فى المسجد الامم السابقة فى الاجر أو جوزله الصلاة فيها دون الامم السابقة لانحصار جواز صلاتهم فى البيع و الكنائس ، أو جعل له الارض مسجداً للجهة لزيادة الخضوع و التقرب و كان لهم السجود على غيرها و كذلك جعل له الارض طهوراً تطهر أسفل القدم و النعل و محل الاستنجاء و تقوم مقام الماء عند تعذره فى التيمم ، و المراد بكونه طهوراً أنها بمنزلة الطهور فى استباحة الصلاة بها مثلاً كاستباحتها بالماء و لو حمل الطهور على ظاهره لدل على ما ذهب اليه السيد المرتضى - رحمه الله - من أن التيمم يرفع الحدث الى وجود الماء كما هو مقتضى ظاهر هذه الصيغة .

قوله (و أرسله كافة) الظاهر أن «كافة» حال عما بعدها و نظيره قوله تعالى « و ما أرسلناك الا كافة للناس ، أى الا للناس جميعاً و من لم يجوز تقديم الحال على ذى الحال المجرور قالوا هى حال عن ضمير المنصوب فى أرسله و التاء للمبالغة أى مانعاً لهم عما يضرهم أو صفة لمصدر محذوف أى ارسالة كافة أو مصدر كالكاذبة و العافية و الكل تسف و دليلهم على المنع مدخول كما بين فى موضعه ، و فيه دلالة أن على أحد من الانبياء غيره لم يرسل الى الجميع و حملته بالاضافة الى البعض غير ثابت .

الابيض والأسود والجنّ والانس و أعطاه الجزية و أسر المشركين و فداهم، ثم كلف مالم يكلف أحد من الأنبياء و أنزل عليه سيف من السماء، في غير غمد و قيل له: « قاتل في سبيل الله لا تكلف إلا نفسك».

٢- عدّة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد بن خالد، عن عثمان بن عيسى، عن سماعة بن مهران قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: قول الله عزّ وجلّ: « فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل» فقال: نوح و إبراهيم و موسى و عيسى و محمد صلى الله عليه وآله وعليهم، قلت: كيف صاروا أولي العزم؟ قال: لأنّ نوحاً بعث بكتاب

قوله (و أعطاه الجزية و أسر المشركين و فداهم) الجزية عبارة عن المال الذي يقرره الحاكم على الكفاي اذا أقره على دينه و قدرها منوط بحكمه وهي فعلة من الجزاء كأنها جرت عن قتله و أسره . و الفداء بالكسر والمد و الفتح و بالفتح فكاك الاسير بالمال الذي قرره الحاكم عليه يقال فداء يفديه فداء.

قوله (ثم كلف مالم يكلف أحد من الانبياء) «ثم» هنا أيضاً مثل ما مر لان هذا التكليف أعظم التكليفات و أشقها على النفوس البشرية و لا يصبر عليها الا من ايده الله تعالى بالنفس المقدسة و قد نقل أنه «ص» أقدم في حرب حنين بعد انهزام أصحابه على أعدائهم الذين لم يعلم عددهم الا الله و أظهر اسمه الشريف فقال أنا محمد بن عبد الله. وهذا دل على كمال شجاعته صلى الله عليه وآله.

قوله (و انزل عليه سيف من السماء في غير غمد) لعل اسمه ذوالفقار و هو عند صاحب «ع» و كونه في غير غمد تحريص له على القتال و اشارة الى أن سيفه ينبغي أن لا يتمد .

قوله (و قيل له قاتل - الخ) قال القاضي و قاتل في سبيل الله، ان تثبطوا و تركوك و حدك، لا يكلف الا فعل نفسك، لا يضرك مخالفتهم و تقاعدهم، فتقدم الى الجهاد ان لم يساعدك أحد فان الله ناصرك لا الجنود .

قوله (فاصبر) أمره بالصبر من المصائب و أذى القوم و مشاق التبليغ و التكليف كما صبر اولو العزم من الرسل، سموا بذلك لان جددهم و صبرهم كان أعلى و أكمل و لغزيمة كل واحد نسخ شريعة من قبله. و ترك كتابه لا كفراً و لا انكاراً لحقيقته، بل ايماناً به و بصلاحه في وقت دون آخر و للنسخ مصالح يعلمها الله تعالى و البعد مأثور بالتسليم و كان من جعلتها ابتلاء الخلق و اختبارهم في ترك ما كانوا متمسكين به في الدنيا و الدنيا دار ابتلاء و كل ما يجري على الخلق فيها من الصحة و السقم و الغنى و الفقر و التكليف و غيرها كان الفرض منه هو الابتلاء .

و شريعة و كل من جاء بعد نوح أخذ بكتاب نوح و شريعته و منهاجه، حتى جاء إبراهيم عليه السلام بالصحف و بعزيمة ترك كتاب نوح لا كفر أبه فكل نبي جاء بعد إبراهيم عليه السلام أخذ بشريعة إبراهيم و منهاجه و بالصحف حتى جاء موسى بالتوراة و شريعته، و منهاجه، و بعزيمة ترك الصحف و كل نبي جاء بعد موسى عليه السلام أخذ بالتوراة و شريعته و منهاجه حتى جاء المسيح عليه السلام بالانجيل؛ و بعزيمة ترك شريعة موسى و منهاجه فكل نبي جاء بعد المسيح أخذ بشريعته و منهاجه، حتى جاء محمد صلى الله عليه وآله فجاء بالقرآن و بشريعته و منهاجه فحلاله حلال إلى يوم القيامة و حرامه حرام إلى يوم القيامة، فهو آلاء أولو العزم من الرسل عليهم السلام.

(باب دعائم الإسلام)

١- حدثني الحسين بن محمد الأشعري، عن معلى بن محمد الزيادي، عن الحسن بن علي الوشاء قال: حدثنا أبو بكر بن عثمان، عن فضيل، عن أبي حمزة، عن أبي جعفر عليه السلام: قال: بني الإسلام على خمس: على الصلاة و الزكاة و الصوم و الحج و الولاية و لم يناد بشيء كما نودي بالولاية.

٢- علي بن إبراهيم، عن محمد بن عيسى، عن يونس بن عبد الرحمن، عن عجلان أبي صالح قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: أوقفني على حدود الإيمان، فقال

قوله (بنى الإسلام على خمس) لعل المراد بالإسلام هنا جميع ما جاء به النبي (ص) من الدين الحق المشار إليه في قوله تعالى ان الدين عند الله الإسلام و قوله «اليوم أكملت لكم دينكم و أتممت عليكم نعمتي و رضيت لكم الإسلام ديناً» و قوله «و من يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه» و الامور الخمسة المذكورة أعظم أركانه و أكمل أجزائه المعتبرة في قوامه و الولاية أعظم الخمسة، و لم يناد بشيء منها مثل ما نودي بالولاية لان النداء بها وقع مكرراً غير محصور و في مجمع عظيم في غدير خم بخلاف غير الولاية فإنه لم يقع التكرار فيه مثل التكرار فيها و لم يقع في مجمع مثل مجعها و المؤمن و المسلم بهذا الإسلام مترادفان و ما اشتهر من أن بينهما عمومياً و خصوصاً مطلقاً فهو باعتبار معنى آخر سيجيء ان شاء الله تعالى .

قوله (أو قفني على حدود الإيمان) يدل مع عنوان الباب على أن الإيمان

شهادة أن لا إله إلا الله و أن محمداً رسول الله و الاقرار بما جاء به من عند الله و صلوة الخمس و أداء الزكاة و صوم شهر رمضان و حج البيت و ولاية ولينا و عداوة عدونا و الدخول مع الصادقين .

٣- أبو علي الأشعري ، عن الحسن بن علي الكوفي ، عن عباس بن عامر ، عن أبان بن عثمان ، عن فضيل بن يسار ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : بني الاسلام على خمس : على الصلاة و الزكاة و الصوم و الحج و الولاية و لم يناد بشيء كما نودي بالولاية ، فأخذ الناس بأربع و تركوا هذه . يعني الولاية .

٤- محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد بن عيسى ، عن الحسين بن سعيد ، عن ابن العرزمي ، عن أبيه ، عن الصادق عليه السلام قال : قال : أثافي الاسلام ثلاثة : الصلاة و الزكاة

و الاسلام فيه متحدان ، و لعل المراد بالإيمان الفرد الكامل منه لما ذكرنا سابقاً أن العمل غير داخل في حقيقته أصلاً ، على أن حدود الشيء خارجة عنه فلا دلالة فيه على أن العمل جزء منه .

قوله (فقال شهادة أن لا إله إلا الله - الخ) أي بالقلب و اللسان كما تقتضيه الشهادة و أيضاً الكتمان مع القدرة على الاظهار . لا يجوز ، و الاظهار بدون الاعتقاد نفاق ، و قال بعض العامة خصوص الشهادة غير معتبر فلو قال : الله واحد و محمد رسول الله كفى . و اعلم أن أول الواجبات بعد البلوغ الشهادتان اذ قد لا يكون وقته وقتاً لغيرهما و لتقدمهما في جميع الاخبار الا ما شذ و ليس ذلك الا لتأكيد و الاهتمام به .

قوله (و الاقرار بما جاء به من عند الله) اجمالاً قبل العلم و تفصيلاً بعده .

قوله (و ولاية ولينا) أي ولاية ولينا أهل البيت . قال في المصباح الولاية بالفتح و الكسر النصرة ، و يحتمل أن يراد بها الحكومة العامة و الاضافة على الثاني لامية و على الاول من باب اضافة المصدر الى المفعول و هو أنسب بما بعده ، و لعل المراد بالدخول مع الصادقين الدخول فيما دخلوا من الاحكام و غيرها و متابعتهم فيها و ان لم يعلم وجه الحكمة اذ صدقهم و عصمتهم يقتضى وجود الحكمة في نفس الامر و وجوب التسليم بها .

قوله (و تركوا هذه يعني الولاية) لما فيه من دواعي الترك مثل الحسد و البنس و العناد ما ليس في الاربع ، و الظاهر أن « يعني » من المصنف أو الفضيل مع احتمال أن يكون منه « دع » .

قوله (أثافي الاسلام ثلاثة - الخ) الاثافي جمع الاثية بالضم و الكسر وهي الاحجار

والولاية، لاتصح واحدة منهن إلا بصاحبتيها.

٥- علي بن إبراهيم، عن أبيه و عبد الله بن الصلت جميعاً ، عن حماد بن عيسى عن حريز بن عبد الله، عن زرارة ، عن أبي جعفر عليه السلام قال: بني الإسلام على خمسة أشياء: على الصلاة والزكاة والحج والصوم والولاية، قال: زرارة: فقلت: وأي شيء من ذلك أفضل؟ فقال: الولاية أفضل، لأنها مفتاحهن والوالي هو الدليل

التي يوضع عليها القدر و تخصيص الثلاثة بالذكر لزيادة العناية والاعتماد دون الحصر فلا ينافي ما سبق من أنها خمسة تشبيها بالانافي للتنبية على أن الاسلام لا يستقيم ولا يثبت بدونها كالقدر بدون الانافي، ثم ان اريد بالاسلام الدين كما مرو هو الظاهر من أحاديث الباب فالثلاثة أجزاء له أشرف وأفضل من سائر أجزائه و ان اريد به الايمان الكامل فكذلك على احتمال، وان اريد به الايمان بمعنى التصديق فهي خارجة عنه و سبب لثباته و بقاءه اذ التصديق أدنى مراتب الايمان والاسلام و اذا لم يؤيد بها يفلت بسرعة والتشبيه يؤيد الاخير اذ الانافي خارجة عن القدر و سبب لبقائه، والله أعلم.

قوله (لاتصح واحدة منهن الا بصاحبتيها) يظهر ذلك بالنظر الى الانافي وهو يدل على أن واحدة أو اثنتين منها لاتنفع بدون الاخرى و يؤيد ذلك ما روى عن أبي جعفر عليه السلام قال: وان الله تبارك تعالى قرن الزكاة بالصلاة فقال «أقيموا الصلوة و آتوا الزكوة» فمن أقام الصلوة و لم يؤت الزكاة فكأنه لم يقم الصلاة» و ما روى عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «أول ما يحاسب به العبد الصلاة فاذا قبلت قبل سائر عمله و اذا ردت عليه رد عليه سائر عمله» والروايات الدالة على أن شيعة علي عليه السلام من تبعه لا من يقول أنا احبه و يخالفه كثيرة و يفهم من هذه الروايات و أمثالها أن قبول كل واحد من الثلاثة مشروط بالآخرين منها ولئن تنزلنا عن ذلك فلا ريب في أن كمالها مشروط بهما والله المستعان.

قوله (الولاية أفضل) يعني أن الولاية أفضل من المذكورات لانها مفتاحين بها يفتتح أبواب معرفة تلك المذكورات و حقايقها و شرايطها و آدابها و موانعها و مصلحتها و مفسدها، والوالي و هو الحاكم الامين المنسوب من قبل الله تعالى هو الدليل عليهن لا غيره لظهور أنهن امور متلقاة منه تعالى الى صاحب الوحي فلا بد أن تسمع منه و يتمسك في معرفتها بذيله أو بمن يقوم مقامه بأمره لا بالاراء الفاسدة و العقول الناقصة الكسدة التي من شأنها أن يزيد و ينقص و يخترع و يبتدع، وليس لها حينئذ فضل فكيف أن نكون أفضل من الولاية التي بها قوامها و تحققها على الوجه المطلوب لله تعالى، وبالجملة المحتاج اليه من حيث هو أفضل من المحتاج ومنه يظهر أن الوالي أفضل من غيره والا لزم

عليهن، قلت: ثم الذي يلي ذلك في الفضل؟ فقال: الصلاة إن رسول الله ﷺ قال: «الصلاة عمود دينكم» قال: قلت: ثم الذي يليها في الفضل؟ قال: الزكاة لأنه قرنها

أن يكون الامير مأموراً بهذا خلف .

قوله (فقال الصلاة) حكم دع، بأن الصلاة أفضل من الزكاة و الحج و الصوم وقوله حجة الا أنه تمسك بقول رسول الله (ص) «الصلاة عمود دينكم» استظهاراً و تقوية و تقويماً لقلب السائل و اشعاراً بأن قوله «ص» «عمود دينكم» حيث شبه الدين بالفسطاط و أثبت العمود له على سبيل المكتبة و التخيلية و حمل العمود على الصلاة من باب التشبيه البليغ دليل واضح على أن الصلاة أفضل ماسواها لان بفسادها يفسد الدين بالكلية و لا ينتفع به كما أن الفسطاط لا ينتفع به مع وجود الطنب و الاوتاد بانتفاء العمود، و قول الصادق «دع» «دع» ما أعلم شيئاً بعد المعرفة أفضل من هذه الصلاة» و قوله «دع» «أحب الاعمال الى الله عز و جل الصلاة أيضاً دليل واضح على ذلك، و لعل المراد بالصلاة هنا الصلاة المفروضة بدليل أن الصلاة أفضل من الزكاة التي هي أفضل من الحج و الحج أفضل من عشرين صلاة نافلة و لما روى عن الصادق «دع» قال: «دع» صلاة فريضة خير من عشرين حجة - الحديث» لا يقال هذا ينافي ما روى أن الحج أفضل من الصلاة و الصيام لان المصلي يشتغل عن أهله ساعة و أن الصائم يشتغل عن أهله بياض يوم و أن الحاج يشخص بدنه و يضحي نفسه و ينفق ماله و يطلب النبية عن أهله لافي مال يرجوه و لا الى تجارة، و ما روى عن النبي «ص» قال: «أفضل الاعمال أحمرها» أي اشقها اذ المشقة في الحج أكثر، لانا نقول يمكن الجواب عن الاول بأن المراد بالصلاة فيما نحن فيه الفريضة و فيما ذكر النافلة و تحقق العلة المذكورة في الفريضة أيضاً غير مسلم لان فعلها متوقف على معرفتها أربعة آلاف باب من المقدمات و المقارنات و الواجبات و المندوبات و الكيفيات و المحرمات و المكروهات و التروك القلبية و اللسانية و الاركانية و تحصيلها لا يمكن بدون صرف العمر و المشقة الشديدة و الاشتغال عن !الاهل في أزملة طويلة بخلاف الحج فان مسايله و ان كانت كثيرة لكن لا يبلغ كثرة مسايل الصلاة المفروضة، و من هذا تبين أن الفريضة أشق من الحج و بهذا يندفع الثاني أيضاً و قد يجاب عنه بان ذلك فيما اذا كان المفضل و المفضل عليه من نوع واحد كالوضوء في الصيف و الشتاء و نحوه و بتخصيصه بالصلاة و عن الاول بأن الحج المشتمل على الصلاة أفضل من الصلاة و الصلاة أفضل من الحج متجرداً عن الصلاة و مع قطع النظر عن ثوابها.

قوله (قال الزكاة لانه قرنها بها) حكم بأن الزكاة أفضل من الحج و الصوم و نبيه

عليه بأن الصلاة أفضل منهما و ذكر الصلاة بعد الصلاة فهذا يدل على أن الزكاة أيضاً

بها و بدأ بالصلاة قبلها و قال رسول الله ﷺ : الزكاة تذهب الذنوب . قلت : والذي يليها في الفضل ؟ قال : الحج قال الله عز وجل : « و لله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً و من كفر فإن الله غني عن العالمين » و قال رسول الله ﷺ : « لحججة مقبولة خير من عشرين صلاة نافلة و من طاف بهذا البيت طوافاً أحصى فيه أسبوعه و أحسن ركعتيه غفر الله له » و قال في يوم عرفة و يوم المزدلفة ما قال : قلت : فماذا

أفضل منهما لان مقارنتهما دالة على اشتراكهما في الأفضلية و تقاربهما في الرتبة الا انه لما بدأ بالصلاة قبل الزكاة علم أن الصلاة أفضل من الزكاة لان الأهم أولى بالتقديم لان العطف تقتضيه .

قوله (و قال رسول الله ص) الزكاة تذهب الذنوب) هذا دليل آخر على أن الزكاة فضل من الحج فان قلت : الحج أيضاً يذهب بالذنوب فلادلالة فيه على ما ذكر فالاولى أن يجعل هذا مع السابق دليلاً واحداً لان هذا المجموع لم يوجد في الحج . قلت : يمكن أن يكون المقصود أن الزكاة علة لمحو الذنوب و ذهابها و لم يثبت أن الحج علة مستقلة لمحوها لجواز أن يكون محوها بعد الحج على سبيل التفضل دون الوجوب و هذا القدر كاف في التفضيل .

قوله (و لله على الناس حج البيت) دليل على أن الحج أفضل من الصوم و الدلالة في قوله و من كفر ، حيث عد ترك الحج كفراً دون الصوم و ترك ذكر العقاب المترتب عليه تعظيماً و تفخيماً و كر في موضعه ما يدل على كمال غناؤه عن غيره عموماً و هو يشعر بأن جزاء أعمالهم عايدته اليهم ان خيراً فخييراً و ان شراً فشرأ ففيه أيضاً تذكير للعقاب على تركه و في قوله و غفر له ، حيث لم يقل الحج يذهب الذنوب كما قال في الزكاة نوع اشارة بما ذكرناه سابقاً و كان وقوله و قال في يوم عرفة و يوم المزدلفة ما قال ، اشارة الى الاحاديث الواردة في محو الذنوب بعد الحج .

قوله (و قال رسول الله ص :) لحجة) هذا انما يدل على أن الحج أفضل من الصوم لو كان عشرون نافلة أفضل من الصوم أو مساوية له و لا يبعد أن يجعل هذا دليلاً على أفضليتها بالنسبة اليه .

قوله (أحصى فيه أسبوعه) لعل المراد باحصاء الأسبوع ضبطها و حفظها مجردة عن الزيادة و النقصان و بإحسان ركعتيه فعلمها في وقتها و مكانها مع الشرائط و الكيفيات و الترتيب .

يتبعه ؟ قال: الصوم ، قلت : و ما بال الصوم صار آخر ذلك أجمع ؟ قال: قال رسول الله ﷺ : « الصوم جنة من النار » قال : ثم قال : إن أفضل الأشياء ما إذا أنت فاتك لم تكن منه توبة دون أن ترجع إليه فتؤدّيه بعينه، إن الصلاة والزكاة و الحج والولاية ليس يقع شيء مكانها دون أدائها و إن الصوم إذا فاتك أو قصرت أو سافرت فيه أدّيت مكانه أيّاماً غيرها و جزيت ذلك الذنب بصدقة ولا قضاء عليك و ليس من تلك الأربعة شيء يجزيك مكانه غيره، قال : ثم قال : ذروة الأمر و

قوله (قلت فماذا يتبعه قال الصوم) لا يقال هذا السؤال ليس على ما ينبغي لانه اذا علم أن جميع الاعمال المذكورة في الحديث أفضل من الصوم فقد علم أن الصوم في الفضيلة بعدها لانا نقول المقصود من السؤال استعمال وجه تأخير الصوم في الفضيلة عن الاعمال المذكورة كما أشار اليه بقوله «قلت وما بال الصوم الى آخره» ثم قوله «دع» والصوم جنة من النار» اشارة الى فضيلة الصوم وسرد ذلك ان أعظم أسباب النار هو الشهوات والصوم يكسرها وقوله «ثم ان أفضل الأشياء الى آخره» اشارة الى أن الصوم دون الاعمال المذكورة في الفضيلة وذلك لانه لمالم يكن لتلك الاعمال بدل كما كان للصوم علم أن الاهتمام بها أعظم و أكمل والثواب المترتب عليها أفخم وأجزل فلذلك اريد وقوعها بعينها.

قوله (ما اذا أنت فاتك) الظاهر أن لفظ أنت زايد والمراد بالتوبة هنا ما يقوم مقامه أو الاعم منه ومن سقوطه رأساً.

قوله (وان الصوم اذا فاتك) أشار الى أقسام الفوت وأحكامه اجمالاً لان الفوت اما للعذر مثل المريض وغيره أو للتقصير والتعمد في تركه أو للسفر واللازم اما القضاء في مكانه فقط، أو الكفارة فقط أو هما جميعاً. أولاً هذا ولا ذاك. وتفصيله في كتب الفروع، فالصوم قد يكفي الصدقة مكانه ولا يجب قضاؤه بخلاف تلك الاربعة فانها لايجرى مكانها الا قضاؤها بعينها.

قوله (ذروة الامر) المراد بالامر الدين و بطاعة الامام انقياده في كل ما أمر و نهى وهي من حيث أنها أرفع الطاعات مرتبة و اسناها منزلة والذروة ، ومن حيث أنها توصل الى المطلوب وعوقب الحق كالسنام ، ومن حيث أنها سبب للوصول الى جميع الخيرات الدنيوية والاخرية كالمفتاح و من حيث أن بها يتحقق الدخول في الدين ومعرفة قوانينه كالباب ومن حيث أنها توجب المغفرة والرحمة والدرجات العالية رضاء الرحمن والضمير في قوله «بعد معرفته» راجع الى الامام أو الى الله تعالى.

سنامه و مفتاحه و باب الأشياء و رضا الرحمن للطاعة للإمام بعد معرفته، إن الله عز وجل يقول: « من يطع الرسول فقد أطاع الله و من تولّى فما أرسلناك عليهم حفيظاً » أما لو أن رجلاً قام ليلة و صار نهاره و تصدّق بجميع ماله و حجّ جميع دهره و لم يعرف ولاية وليّ الله فيو اليه و يكون جميع أعماله بدلالته إليه ما كان له على الله جلّ و عزّ حقّ في ثوابه و لا كان من أهل الإيمان، ثمّ قال : أو لك . المحسن منهم يدخله الله الجنة بفضل رحمته .

٦ - محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن صفوان بن يحيى، عن عيسى بن السريّ أبي اليسع قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام : أخبرني بدعائم الإسلام التي لا يسع أحداً التقصير عن معرفة شيء منها، الذي من قصر عن معرفة شيء منها فسد عليه دينه و لم

قوله (إن الله عز وجل يقول) كأنه استشهد لما ذكر حيث أن طاعة الرسول و هو الإمام المقتدى به عين طاعة الله تعالى و اتصاف طاعة الله تعالى بما ذكر بالأمور المذكورة أظهر من أن يخفى **قوله** (أولئك المحسن منهم الخ) كأنه إشارة إلى من يطيع الرسول و هو المؤمن العارف بحق الإمام و المقصود أن المحسن و هو من أطاعه بعد معرفته في أقواله و أعماله و أمره و نهيه يدخله الله الجنة قبل الحساب بفضل رحمته ، و أما المسيء فمنهم فقد يناقشه في الحساب و قد يدخله الجنة بالرحمة أو الشفاعة و قد يجري عليه الوعيد ، و يحتمل أن يكون إشارة إلى من لم يعرف الولاية و المحسن منه و هو الذي لم ينكر الولاية كما لم يعرفها و عمل بالخيرات أعنى المستضعف يدخله الله الجنة بفضل رحمته و سيجىء أن المستضعف في المشية، والله أعلم .

قوله (أخبرني بدعائم الإسلام - الخ) أن اريد به الدين كانت دعائمه داخله فيه جزءاً منه و ان اريد به الإيمان الكامل فذلك على احتمال أقوى من احتمال خروجها و شرطيتها لقبوله أو لكامله، ولما كان السائل عالماً بأن للإسلام دعائم لا يجوز لأحد التقصير في معرفتها و في العمل بها حتى من قصر لم يكن له دين و لم يقبل منه عمل و من عرفها و عمل بها صح دينه و قبل منه عمله و لم يعلمها بخصوصها، سأل عن تعيينها و تفصيلها فأجاب « ع » بأنها أربعة : الشهادتان و الاقرار بما جاء به الرسول (ص) اجمالاً أو تفصيلاً، و الزكاة في الاموال ، و الولاية لال محمد « ص » و الاخبار في ذكر الدعائم عدداً و كما مختلفة كما يظهر للنظر فيها و لكن هذا الاختلال لا يضر إذ ليس فيما اشتمل على

يقبل [الله] منه عمله، و من عرفها و عمل بها صلح له دينه و قبل منه و عمله و لم يضق به مما هو فيه لجهل شيء من الأمور جهله ؟ فقال : شهادة أن لا إله إلا الله و الايمان بأن محمداً رسول الله ﷺ و الاقرار بما جاء من به عند الله و حق في الأموال الزكاة ، و الولاية التي أمر الله عز و جل بها : ولاية آل محمد ﷺ ، قال : فقلت له : هل في الولاية شيء دون شيء فضل يعرف لمن أخذ به ؟ قال : نعم قال الله عز و جل : «يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله و أطيعوا الرسول و أولي الأمر منكم» و قال رسول الله ﷺ : من مات و لا يعرف إمامه مات ميتة جاهلية و كان رسول الله ﷺ و كان علياً عليه السلام و قال الآخرون : كان معاوية ، ثم كان الحسن عليه السلام ثم كان الحسين الأقل تصريح في نفي ما عداه .

قوله (ولم يضق به) و في بعض النسخ لم يضربه يعني لم يضق أولم يضربه من أجل ما هو فيه من معرفة دعائم الاسلام و العمل بها جهل شيء جهله من الأمور التي هي ليست من الدعائم فتقوله «مما هو فيه» تعليل لعدم الضيق أو الضرر و قوله « لجهل شيء » تعليل للضيق أو الضرر. و قوله « جهله » صفة لشيء. و قوله « من الأمور » عبارة عن غير الدعائم من شعائر الاسلام فليتناهل .

قوله (و حق في الاموال الزكاة) « حق » مرفوع عطف على الشهادة ، أو مجرور عطفاً على ما جاء به ، و الزكاة على التقديرين بدل عنه ، و يجتمل أن يكون الزكاة مبتدأ و « حق » خبره ، أو خبر مبتدأ محذوف، و الجملة عطف على الشهادة أي و الزكاة حق في الاموال أو هي حق فيها .

قوله (و الولاية التي أمر الله عز و جل بها) في قوله « و انما وليكم الله - الآية » و في قوله « و أولي الأمر منكم » .

قوله (هل في الولاية شيء دون شيء فضل يعرف لمن أخذ به) لعل المراد هل في الولاية شيء يدل عليها من الكتاب أو السنة وهل فيها دون ذلك الشيء و غيره فضل ظاهر و كمال مخصوص تعرف الولاية لمن أخذ بذلك الفضل و اتصف به ؛ فأجاب «ع» بنعم وأشار أولاً الى ما يدل عليها من الكتاب و السنة ، و أواخرها الى ذلك الفضل الدال عليها البيان الشافي و العلم الوافي في بيان الشرائع و الاحكام من مأخذها ، و هذا من أعظم فضائل الولاية و صفاتها ، والله أعلم .

قوله (مات ميتة جاهلية) أي الميتة على صفة الكفر و البعد عن الحق و رحمته و

قد مر توضيحه سابقاً .

عَلَيْهِ السَّلَامُ و قال الآخرون : يزيد بن معاوية و حسين بن علي " ولا سواء ولا سواء قال : ثم " سكت ثم قال : أزيدك؟ فقال له حكم الأعراب : نعم جعلت فداك قال : ثم " كان علي بن الحسين ثم " كان محمد بن علي " أباجعفر و كانت الشيعة قبل أن يكون أبوجعفر وهم لا يعرفون مناسك حجّهم و حلالهم و حرامهم حتى كان أبوجعفر ففتح لهم و بين لهم مناسك حجّهم و حلالهم و حرامهم حتى صار الناس يحتاجون إليهم من بعده ما كانوا يحتاجون إلى الناس و هكذا يكون الأمر و الأرض لا تكون إلا " بامام و من مات لا يعرف إمامه مات ميتة جاهليّة و أحوج ما تكون إلى ما أنت عليه إذ بلغت

قوله (وكان رسول الله «ص») ضمير كان في المواضع الخمسة راجع الى الامام و لما كان الحديث والاية يد لان علي أنه لا بد في كل عصر من امام مفترض الطاعة وكان هذا متفقاً عليه بين الشيعة ومخالفهم ذهب الشيعة الى أن الامام في عصر النبي هو النبي وبعده على «ع» ، ثم الحسن ثم الحسين ثم علي بن الحسين و هكذا واحد بعد واحد الى المهدي الموجود الى قيام الساعة و ذهب الفرقة المخالفة الى أن الامام معاوية عليه اللعنة ثم يزيد بن معاوية ، ثم سلاطين الجور الى قيام الساعة فأشار «ع» الى الفريقين و الى عدم المساواة بينهما و بين اماميهما بقوله ولا سواء ولا سواء أى لا مساواة بين الفريقين ولا مساواة بين الامامين لان الفرقة الاولى هم الفرقة الناجية و امامهم معصوم مفترض الطاعة من قبله تعالى و الفرقة الثانية هم الهالكة و امامهم غاصب ضالم ، و يحتمل أن يكون المراد بالاول أنه لا مساواة بين من قال بامامة علي «ع» و بين من قال بامامة معاوية او لا مساواة بين علي «ع» و بين معاوية عليه اللعنة و بالثاني أنه لا مساواة بين من قال بامامة الحسن والحسين عليهما السلام و بين من قال بامامة يزيد بن معاوية او لا مساواة بين الحسن والحسين عليهما السلام و بين يزيد بن معاوية .

قوله (و كانت الشيعة قبل ان يكون أبوجعفر «ع» وهم لا يعرفون) الظاهر أن الواو للحال و الظرف خبر كانت و جعلها زائدة لزيادة الربط و ما بعدها خبراً ، أو جعل كانت تامه بعيد . و «كان» في قوله «حتى كان أبوجعفر» تامه .

قوله (و هكذا يكون الامر) أى مثل ما ذكر من كون واحد بعد واحد اماماً يكون أمر الامامة والخلافة ، و الأرض لا تكون موجودة الا بامام مفترض الطاعة بأمره تعالى يعرف الحلال والحرام و يدعو الناس الى سبيل الله ولو بقيت بغير امام لساخت باهلها .

قوله (و أحوج ما تكون الى ما أنت عليه) ما مصدرية أو عبارة عن الزمان يعنى أشد احتياجك الى وصف كنت عليه وهو القول بولاية ولي الله حين بلوغ روحك الى حلقومك

نفسك هذه - وأهوى بيده إلى حلقة - و انقطعت عنك الدنيا تقول : لقد كنت على أمر حسن.

أبو علي الأشعري، عن محمد بن عبد الجبار ، عن صفوان ، عن عيسى بن السري أبي اليسع ، عن أبي عبد الله عليه السلام مثله.

٧ - عدّة من أصحابنا ، عن سهل بن زياد ، عن أحمد بن محمد بن أبي نصر ، عن منتهى الحنّاط ، عن عبد الله بن عجلان ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : بني الإسلام على خمس : الولاية والصلاة والزكاة وصوم شهر رمضان والحج .

٨ - علي بن إبراهيم ، عن صالح بن السندي ، عن جعفر بن بشير ، عن أبان ، عن فضيل ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : بني الإسلام على خمس : الصلاة والزكاة والصوم والحج والولاية ولم يناد بشيء ما نودي بالولاية يوم الغدير .

٩ - علي بن إبراهيم ، عن محمد بن عيسى ، عن يونس ، عن حماد بن عثمان ، عن عيسى بن السري قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام : حدثني عما بنيت عليه دعائم الإسلام إذا أنا أخذت بهز كي عملي ولم يضرني جهل ما جهلت بعده ، فقال : شهادة أن لا إله إلا الله وأنّ محمداً رسول الله صلى الله عليه وآله والإقرار بما جاءه من عند الله وحق في الأموال من الزكاة ، والولاية التي أمر الله عز وجل بها ولاية آل محمد عليهم السلام ، فإن رسول الله صلى الله عليه وآله قال : من مات ولا يعرف إمامه مات ميتة جاهلية ، قال الله عز وجل : «أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم» فكان علي عليه السلام ، ثم صار من بعده حسن ثم من بعده حسين ثم من بعده علي بن الحسين ، ثم من بعده محمد بن علي ، ثم هكذا يكون الأمر . إن الأرض لاتصلح إلا بإمام ومن مات لا يعرف

فان هذا الوصف ينفعك في هذه الساعة نفعاً بيناً لحضوره لديك حتى تعرفه و عنايته بشأنك و استنقاذه لك من ابليس و جنوده و بشارته اياك بالدرجات العالیه و المقامات الرفیعه فستبشر و تقول حينئذ اظهارا للفرح و السرور لقد كنت على أمر حسن ، و هو الاقرار بالولاية و متابعة ولي الامر . و فيه بشاره عظیمه و دلالة واضحة على أن المؤمن في جميع أزمته عمره محتاج الى الامام لانه نور قلبه و سبب هدايته سيما وقت الاحتضار فان احتياجه اليه حينئذ أشد و أقوى .

إمامه مات ميتة جاهلية وأحوج ما يكون أحدكم إلى معرفته إذا بلغت نفسه ههنا - قال : وأهوى بيده إلى صدره - يقول حينئذ : لقد كنتُ على أمر حسن .

١٠- عنه، عن أبي الجارود قال : قلت لأبي جعفر عليه السلام : يا ابن رسول الله هل تعرف مودتي لكم و انتقاعي إليكم وموالياتي إياكم؟ قال : فقال : نعم، قال : فقلت : فإني أسألك مسألة تجيبني فيها فأني مكفوف البصر قليل المشي ولا أستطيع زيارتك كل حين قال : هات حاجتك، قلت : أخبرني بدينك الذي تدين الله عز وجل به أنت وأهل بيتك لأدين الله عز وجل به قال : إن كنت أقصرت الخطبة فقد أعظمت المسألة والله لأعطينك ديني ودين آبائي الذي ندين الله عز وجل به ، شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله عليه وآله والإقرار بما جاء به من عند الله والولاية لوليّنا والبراءة من عدونا والتسليم لأمرنا و انتظار قائمنا والاجتهاد والورع .

١١- علي بن إبراهيم، عن صالح بن السندي، عن جعفر بن بشير، عن علي بن أبي حمزة، عن أبي بصير قال : سمعته يسأل أبا عبد الله عليه السلام فقال له : جعلت فداك أخبرني عن الدين الذي افترض الله عز وجل على العباد، ما لا يسعهم جهله ولا يقبل منهم غيره، ما هو؟ فقال : أعد علي فأعاد عليه، فقال : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله عليه وآله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وحج البيت من استطاع إليه سبيلاً وصوم شهر رمضان، ثم سكت قليلاً، ثم قال : والولاية مرتين - ثم قال : هذا الذي

قوله (ان كنت أقصرت الخطبة فقد أعظمت المسألة) في المغرب وأقصرت الخطبة وأعرضت المسألة ، أي جئت بهذه قصيرة موجزة و بهذه عريضة واسعة .
قوله (فقال أعد علي) لعل أمره بالاعادة للاستلذاذ بذكره أو لسمع الجاسرون ويتوجهون الى استماع جوابه .

قوله (و اقام الصلاة) حذف التاء للاختصار ، و قيل المراد باقامتها ادامتها وقيل فعلها على ما ينبنى و قيل فعلها في أفضل أوقاتها، و قيل جاء على عرف القرآن في التعبير عن فعل الصلاة بلفظ الاقامة دون أخواتها و ذلك لما اختصت به من كثرة ما يتوقف عليه من الشرائط، والفرائض والسنن، و الفضائل و اقامتها ادامة فعلها مستوفاة جميع ذلك و انما لم يذكر الجهاد لانه لا يجب الا مع الامام فهو تابع للولاية مندرج فيها .
قوله (هذا الذي فرض الله عز وجل على العباد لا يسأل) لعل المراد أن هذه فروض

فرض الله على العباد ولا يسأل الرب العباد يوم القيامة فيقول: ألا زدتنى على ما افترضت عليك؟ ولكن من زاد زاده الله، إن رسول الله ﷺ سن سنناً حسنة جميلة ينبغي للناس الأخذ بها.

١٢- الحسين بن محمد، عن معلى بن محمد، عن محمد بن جمهور، عن فضالة بن أيوب عن أبي زيد الحلال، عن عبد الحميد بن أبي العلاء الأزدي قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إن الله عز وجل فرض على خلقه خمساً فرخص في أربع ولم يرخص في واحدة.

١٣- عنه، عن معلى بن محمد، عن الوشاء، عن أبان، عن إسماعيل الجعفي قال: دخل رجل على أبي جعفر عليه السلام ومعه صحيفة فقال له أبو جعفر عليه السلام: هذه صحيفة مخاصم يسأل عن الدين الذي يقبل فيه العمل فقال: رحمك الله هذا الذي أريد، فقال أبو جعفر عليه السلام: شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً ﷺ عبده ورسوله و تقرّ بما جاء من عند الله و الولاية لنا أهل البيت و البراءة من عدونا و التسليم لأمرنا والورع والتواضع و انتظار قائمنا، فإن لنا دولة، إذا شاء الله جاء بها.

١٤- علي بن إبراهيم، عن أبيه، و أبو علي الأشعري، عن محمد بن عبد الجبار جميعاً عن صفوان، عن عمرو بن حريث قال: دخلت على أبي عبد الله عليه السلام و هو في منزل أخيه عبد الله بن محمد فقلت له: جعلت فداك ما حوّلك إلى هذا المنزل؟ قال: طلب النزهة فقلت: جعلت فداك الأقص عليك ديني؟ فقال: بلى، قلت: أدين الله

مؤكدة عينية و ما عداها اما مندوب أو واجب كفائي والله يسأل عباده يوم القيامة عن تلك الفروض لاعتن هذا لكن من زاد زاده الله تعالى في الاجر، ان رسول الله ص، سن سنناً حسنة جميلة من الاداب والاخلاق والاعمال والعقودات والايقاعات والمواعظ والنصايح وغيرها ينبغي للناس الاخذ بها بعد تلك الفرائض ليزداد بذلك أجرهم ومنزلتهم و لو لم يأخذوا بها وقع النقص في مرتبتهم ولم يقع الفساد في دينهم.

قوله (والورع والتواضع) للورع عن محارم الله والتواضع لاولياء الله مدخل عظيم في قبول العمل و بلوغه الى غاية الكمال ولذلك قال الله تعالى «انما يتقبل الله من المتقين» للتنبية على أن العمل بدون التقوى كأنه ساقط عن درجة الاعتبار والقبول.

بشهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأنَّ محمداً عبده ورسوله وأنَّ الساعة آتية لا ريب فيها وأنَّ الله يبعث من في القبور وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم شهر رمضان وحج البيت والولاية لعلِّي أمير المؤمنين بعد رسول الله ﷺ والولاية للحسن والحسين والولاية لعلِّي بن الحسين والولاية لمحمد بن عليٍّ و لك من بعده صلوات الله عليهم أجمعين وأنتم أئمتي عليه أحياء وعليه أموت وأدين الله به، فقال : يا عمرو ! هذا والله دين الله ودين آباي الذي أدين الله به في السرِّ والعلانية ، فاتق الله وكف لسانك إلا من خير ولا تقل إنني هديت نفسي بل الله هداك، فأدِّ شكرما أنعم الله عزَّ وجلَّ به عليك ولا تكن ممن إذا أقبل طعن في عينه، وإذا أدبر طعن في قفاه ولا تحمل الناس علي كاهلك فإنك أو شك إن حملت الناس علي كاهلك أن

قوله (طلب النزهة) أى البعد عن الخلق و اصل النزهة البعد و منه تنزيه الله تعالى أى تبعيده عن النقائص، أو المراد بها بعد الخاطر عن الهم والحزن لكون مكانه نزهاً فيه سعة و ماء و كلاء و خضر.

قوله (وأدين الله به) فى المصباح دان بالاسلام دينا بالكسر تعبد به وتدين به كذلك فهو دين مثل ساد و سيد.

قوله (فى السر والعلانية) السر القلب، والعلانية اللسان والجوارح أو الاعم.

قوله (فاتق الله) أمره بالتقوى وهى التجنب عن المعاصى أو التنزه عما يشغل القلب عن الحق أو بالتقية عن من ليس من أهل هذا الدين.

قوله (و كف لسانك الا من خير) أمره بكف اللسان الا من خير ورغبه فى حفظه عن كل ما يضره أو لا ينفعه من الاقوال وفى تعويده بالخير من القرآن والحديث وغيرهما من الامور النافعة و خص اللسان من بين الاعضاء الظاهرة لانه أشرفها وأعمها تناولاً و مفاسه أكثر فيجب حفظه عما لا ينفع خصوصاً عما يضر، ثم أشار الى أن الهداية نعمة من الله تعالى فيجب معرفة قدرها و أداء شكرها بصرف كل عضو فيما خلق لاجله.

قوله (ولا تكن ممن اذا اقبل) هذا فى الحقيقة أمر بحسن المعاشرة مع الخلق و بالتقية فى موضعها أى كن بحسن صفاتك ممن يمدحه الناس فى حضوره و غيبته ولا تكن بشاراة ذاتك و قبح صفاتك ممن يذمونه فيهما و فيه دلالة على وجوب التجنب عن المطاعن بقدر الامكان .

يصدعوا شعب كاهلك.

١٥- محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن علي بن النعمان، عن ابن مسكان، عن سليمان بن خالد، عن أبي جعفر عليه السلام : قال: ألا أخبرك بالاسلام أصله وفرعه و ذروة سنامه؟ قلت: بلى جعلت فداك قال: أما أصله فالصلاة و فرعه الزكاة و ذروة سنامه الجهاد، ثم قال: إن شئت أخبرتك بأبواب الخير؟ قلت: نعم جعلت فداك قال: الصوم جنة من النار، والصدقة تذهب بالخطيئة، وقيام الرجل في جوف الليل بذكر الله، ثم قرأ عليه السلام: «تتجافى جنوبهم عن المضاجع».

قوله (ولاتحمل الناس على كاهلك) الكاهل مقدم أعلى الظهر مما يلي العنق و هو الثلث الاعلى و فيه ست فقر أو ما بين الكتفين أو موصل العنق في الصلب والشعب هنا محل الصدع والشق والتفريق و هو المنسج و منه الشعبة و هي الطائفة من كل شيء والقطعة منه، وقد نهاء «ع» عن فعل ما يوجب حمل الناس على كاهله وقصدهم اضراره و اهلاكه من تعرض أعضائهم وقصد اضرارهم و ايدائهم وعدم المجاملة معهم، فان الناس يعاملونه بمثله أو أشد، بل ربما يحصل من تعاونهم ما يوجب هلاكه ولذلك عبر عنه «ع» بالعبارة المذكورة المشعرة بالاهلاك أو الضرر العظيم.

قوله (أما أصله فالصلاة) الامور الثلاثة من فروع الاسلام حقيقة لكن عد الصلاة أصله لان قيامه يتحقق بها و لذلك شبهت بالعمود في الخبر السابق وعد الجهاد مع الاعداء الظاهرة أو الاعم منهم ومن النفس والشيطان، ذروة سنامه لان به غاية ارتفاعه كما أن ذروة الشيء غاية ارتفاع ذلك الشيء، و خص الزكاة بالذكر من بين فروعه المتكثرة لانها العمدة كالصلاة ثم ذكر من جملة أبواب الخير ثلاثة لكثرة منافعتها أولها الصوم الواجب أو الاعم وهو جنة يقى صاحبه عما يؤديه أو يهلكه من الشهوات ومن الشروط لكمالها حفظ جميع الجوارح عما يليق به، و ثانيها الصدقة الواجبة أو الاعم و هي تذهب بالخطيئة تكفر عنها بل تحفظ عنها أيضاً، و ثالثها قيام الرجل جوف الليل بذكر الله ولم يذكر فائدته كما ذكر قبله للدلالة على الكثرة والتعميم مع احتمال أن يكون فائدته اذهاب الخطيئة أيضاً بقرينة العطف.

قوله (وذروة سنامه) الاضافة بيانية أو لامية اذ للسنام الذي هو ذروه البعير ذروة أيضاً هي أرفع أجزائه.

قوله (تتجافى جنوبهم عن المضاجع) كناية عن القيام الى صلاة الليل والذكر.

باب

أن الإسلام يحقن به الدم (و تؤدي به الامانة) وأن الثواب على الايمان

- ١- عليُّ بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن ابن أبي عمير ، عن الحكم بن أيمن ، عن القاسم الصيرفي شريك المفضل قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : الإسلام يُحقن به الدّم و تؤدي به الأمانة و تستحلُّ به الفروج و الثواب. على الايمان
- ٢- عليُّ ، عن أبيه ، عن ابن أبي عمير ، عن العلاء ، عن محمد بن مسلم ، عن أحدهما عليهما السلام قال : الايمان إقرارٌ و عمل و الاسلام إقرارٌ بلا عمل.

قوله (الإسلام يحقن به الدم) ظاهر أخبار هذا الباب و تواليه ان الإسلام يصدق على مجرد الاقرار باللسان من غير تصديق مطلقاً سواء كان معه الاقرار بالولاية أو لم يكن وعلى التصديق المجرد عن الولاية وان لم يكن معه الاقرار باللسان و على كليهما مجرداً عن الولاية أو معها وان الايمان يصدق على التصديق بجميع ما جاء به النبي «ص» الداخلة فيه الولاية سواء كان معه عمل بما يقتضيه ذلك التصديق أو لم يكن وان كان المقرون بالعمل هو الفرد الكامل من الايمان بل هو عند أهل العصمة عليهم السلام كما يشعر به كثير من أخبارهم و يظهر مما ذكرنا ان الايمان أخص من الإسلام وأن ما هو أثر الإسلام و لوازمه فهو أثر الايمان و لوازمه دون العكس وذكر من أثر الإسلام ثلاثة أمور الاول أنه يحقن به الدم و يحفظ به عن القتل والثاني أنه تؤدي به الامانة وكان المراد أن اداؤها الى أهل الإسلام أوكد أو أنه مما يحكم به أهل الإسلام، والا فظاهر الآية والروايات الكثيرة أن أداء أمانة الكافر وان كان حربياً واجب أيضاً واحتمال ارادة أنه يحفظ به ماله كما يحقن به دمه أو يحفظ به أمانه للحربى أظهر، والله أعلم، والثالث أنه تستحل به الفروج والتناكح، و هذا يدل على جواز التناكح بين أهل الإسلام مطلقاً لأن في جواز تزويج المؤمنة بالمخالف قولين للاصحاب ، ذهب المفيد والمحقق الى جوازه والمشهور المنع لدلالة الاخبار عليه ، وفي بعضها تعليل بأن المرأة تأخذ من أدب زوجها و يقهرها على دينه لكن في بعضها ارسال و في بعضها ضعف وفي بعضها جهالة، والاحتياط تركه تفصيلاً من الخلاف وحذراً من التهجم على استباحة الفروج وتطهيراً للتنازل وذكر من أثر الايمان المختص به الثواب عليه و هذا يدل على أن غير المؤمن لا يثاب في الآخرة ولا يدخل الجنة كما يدل عليه الآيات و الروايات المعتمدة و اتفاق الفرقة الناجية.

قوله (الايمان اقرار و عمل و الاسلام اقرار بلا عمل) لعل المراد بالاقرار الاقرار

٣- علي بن إبراهيم، عن محمد بن عيسى، عن يونس، عن جميل بن دراج قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عز وجل: « قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا و لمّا يدخل الإيمان في قلوبكم » فقال لي: الأتري أن الإيمان غير الاسلام.

بالشهادتين و بالعمل عمل القلب وهو التصديق بجميع ما جاء به النبي و يطلق العمل عليه أيضاً كما سيجيء في الباب الثالث بعد هذا الباب فيدل على أن الإيمان مركب من الاقرار والتصديق كما ذهب اليه المحقق الطوسي و استدل على أن الاول وحده و هو الاقرار باللسان ليس بإيمان بقوله تعالى « قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا » فقد أثبت الاقرار باللسان و نفى الإيمان فعلم أن الإيمان ليس هو الاقرار باللسان ، و على أن الثاني وحده و هو التصديق ليس بإيمان بقوله تعالى « و جحدوا بها و استيقنتها أنفسهم » أثبت للكفار الاستيقان النفسى و هو التصديق فلو كان الإيمان نفس التصديق لزم اجتماع الكفر و الإيمان في شخص واحد في آن واحد و لا شك أنهما متقابلان لا يمكن اجتماعهما كذلك و فيه نظر أما أولاً فلان التصديق لما كان مقروناً بالانكار كان غير معتبر لان التصريح بالنقيض ربما كان مانعاً من القبول و الاعتبار، و أما ثانياً فلان هذه الآية انما تدل على أن التصديق وحده ليس بإيمان و لا تدل على أن الاقرار باللسان جزء من الإيمان، لجواز أن يكون شرطاً له و ينتفى المشروط بانتفاء الشرط كما أن الكل ينتفى بانتفاء الجزء، و من ثم حمل المتكلمون القائلون بأن الإيمان نفس التصديق الاخبار الدالة على جزئية أعمال الجوارح للإيمان على أنها للكمال بمعنى أن العمل ليس جزءاً للإيمان بحيث يعدم الإيمان بعدم العمل بل اضافة العمل اليه اضافة كمال و كذا حملوا الاخبار الدالة على جزئية الاقرار باللسان على أنه شرط في الإيمان لاجزاء منه و على هذا حملوا الاخبار المختلفة الدال بعضها على أن الإيمان نفس التصديق و بعضها على أنه التصديق و العمل مثل الصلاة و الزكاة و غيرها و بعضها على أنه التصديق و الاقرار و معنى قوله «ع» و الاسلام اقرار بالشهادتين و غيرهما بلا اعتبار عمل قلبى و هو التصديق معه بناء على ما ذكرنا من أن المراد بالعمل العمل القلبى فحينئذ يناسب هذا الخبر الخبرين بعده مناسبة ظاهرة اما مناسبة للاول منهما فظاهرة و أما للثاني فلان ضم أفعال الجوارح الى الاقرار من غير أن يكون معه تصديق قلبى يصدق عليه أنه اقرار بالعمل أى بالتصديق و لا يصدق عليه أنه اقرار و عمل فليتامل قوله (قالت الاعراب آمنا) لما أقرت الاعراب بالشهادتين قالوا آمنا بهذا الاقرار

٤- محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن علي بن الحكم، عن سفيان بن السمط قال: سألت رجلاً أبا عبد الله عليه السلام عن الإسلام والايان، ما الفرق بينهما فلم يجبه، ثم سأله فلم يجبه، ثم التقينا في الطريق وقد أرف من الرجل الرحيل، فقال له أبو عبد الله عليه السلام: كأنه قد أرف منك رحيل؟ فقال: نعم فقال: فالقني في البيت، فلقيه فسأله عن الإسلام والايان ما الفرق بينهما؟ فقال: الإسلام هو الظاهر الذي عليه الناس شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وحج البيت وصيام شهر رمضان، فهذا الإسلام، وقال: الايمان معرفة هذا الأمر مع هذا فإن أقر بها ولم يعرف هذا الأمر كان مسلماً و كان ضالاً.

٥- الحسين بن محمد، عن معلى بن محمد، و عدّة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد جميعاً، عن الوشاء، عن أبان، عن أبي بصير، عن أبي جعفر عليه السلام قال: سمعته يقول: «قالت الأعراب آمناً قل تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا» فمن زعم أنهم آمنوا فقد كذب

فقال الله تعالى لنبيه «قل لم تؤمنوا» بعد لان هذا الاقرار ليس بايمان «ولكن قولوا أسلمنا» به اذ لستم بمؤمنين «ولما يدخل الايمان» أى التصديق الخاص «فى قلوبكم» فيه دلالة على أن الإسلام نفس الاقرار اللسانى والايان نفس التصديق وقال بعض العامة الإسلام الشهادتان والايان العمل ثم قرأ هذه الآية وفيه دلالة واضحة على أن المراد بالعمل العمل القلبى وهو التصديق كما ذكرناه. **قوله** (فلم يجبه) كانه ترك الجواب للتقية ولثلا يذكره السائل لاهل المدينة و لذلك أجابه عند خروجه منها.

قوله (الإسلام هو الظاهر الذى عليه الناس) اريد بالظاهر الاعمال الظاهرة و قوله شهادة أن لا اله الا الله وما بعده بدل له للايضاح، و اريد بالشهادة الاقرار باللسان بالتوحيد والرسالة سواء كان معه تصديق أو لا وقد عرفت سابقاً أن الإسلام يصدق على كل واحدة منهما. **قوله** (الايمان معرفة هذا الامر مع هذا) أى الايمان معرفة الولاية والتصديق بها مع هذا الظاهر المذكور، وقد يحتج به من يجعل الايمان مركباً من التصديق و الاعمال الظاهرة وفيه أن المعية لا تدل على الجزئية لانها أعم منها وعلى تقدير التسليم فلعلة تفسير للايمان الكامل والمناقشة فى كون الاعمال جزءاً له أو شرطاً سهل، والفرق بين الضال والكافر مع أن الضال كافر فى الحقيقة أن الكافر لم يدخل فى الدين والضال دخل فيه وترك أعظم أركانه وهو الولاية فضل عنه.

و من زعم أنهم لم يسلموا فقد كذب.

٦- أحمد بن محمد، عن الحسين بن سعيد، عن حكيم بن أيمن، عن قاسم شريك المفضل قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: الإسلام يُحقن به الدّم و تؤدّى به الأمانة و تُستحلّ به الفروج والثواب على الايمان.

باب

ان الايمان يشرك الاسلام (١) والاسلام لا يشرك الايمان

١- محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن الحسن بن محبوب، عن جميل بن صالح، عن سماعة قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: أخبرني عن الاسلام والايمان أهما

قوله (فمن زعم أنهم آمنوا فقد كذب) أى فمن زعم أنهم آمنوا يجعل الايمان عبارة عن مجرد الاقرار بالشهادتين والاعمال الظاهرة فقد كذب، و من زعم أنهم لم يسلموا تمسكاً بقوله تعالى والاعراب أشد كفراً ونفاقاً فقد كذب لان كل واحد منهما زعم خلاف ما أخبر به الكتاب وكل من كان كذلك فهو كاذب .

(١) قوله ان الايمان يشرك الاسلام، حاصل مفاد الباب أن بين الايمان والاسلام عموماً وخصوصاً مطلقاً ومرجعاً الى موجبة كلية لكل مؤمن مسلم، وسالبة جزئية وليس كل مسلم مؤمناً، ومثله بالكعبة والمسجد الحرام فكل موضع من الكعبة ومسجد وليس كل موضع من المسجد كعبة. وهو تمثيل المعقول بالمحسوس على ما هو شأن الانبياء والاصياء، و مرجع ذلك الى زيادة قيد فى الايمان و اختلف الروايات فى ذلك القيد فبعضها على أنه ولاية أهل البيت عليهم السلام و بعضها على أنه العمل و بعضها على أنه تصديق القلب لشهادة اللسان ولا يبعد اطلاقه فى الاخبار على معان متعددة بحسب الموارد ويتعين بالقرينة، وقد ذكرنا شيئاً فى ذلك فى مقدمة الكتاب، والاهم فى ذلك أمران الاول اعتبار الاعمال فى صدق الايمان وقد اختلف فيه المسلمون من صدر الاسلام فالخوارج على أن كل عمل معتبر فيه فيكون مرتكب الكبيرة كافراً و قالت المرجئة لا يضر مع التصديق شيء من المنكرات والفساق كالصالح والحق أن العمل لا يعتبر فى الايمان و مرتكب الكبيرة ليس كافراً و ان وصف بالفسق و عذب فى الآخرة خلافاً للمرجئة، و هذا هو مذهب الشيعة وأكثر أهل السنة و ما روى فى الاخبار موافقاً للخوارج او للمرجئة يجب تأويله.

الثانى من التزم بشيء يستلزم الكفر استزماً غير بين كالمجسمه ليس بكافر و بيان الاستلزام أن الجسم مركب و كل مركب ممكن وكل ممكن معلول لغيره و لو كان الواجب*

مختلفان؟ فقال: إن الإيمان بشارك الإسلام والإسلام لا يشارك الإيمان، فقلت، فصفهما لي، فقال: الإسلام شهادة لإله إلا الله والتصديق برسول الله ﷺ، به حققت الدماء و

قوله (ان الإيمان يشارك الإسلام والإسلام لا يشارك الإيمان) المشاركة وعدمها اما باعتبار المفهوم فان مفهوم الإسلام داخل في مفهوم الإيمان دون العكس، أو باعتبار الصدق فان كل مؤمن مسلم دون العكس، أو باعتبار الدخول فان الداخل في مفهوم الإيمان داخل في الإسلام دون العكس أو باعتبار الاحكام فان أحكام الإسلام مثل حقن الدماء وأداء الامانة و استحلال الفروج ثابتة للإيمان دون العكس فان الحكم المترتب على الإيمان مثل الثواب والنذر للمؤمن و اعتناقه لاتكون للإسلام .

قوله (فقلت فصفهما لي) أى سرهما لي و بين لي حقيقتهما حتى يظهر لي حقيقة المشاركة و عدمها.

قوله (الإسلام شهادة ان لا اله الا الله والتصديق برسول الله ص) اكتفى بذكر الشهادة على التوحيد عن التصديق به و بذكر التصديق بالرسالة عن الشهادة عليها للقرينة والتعارف لان التوحيد والرسالة أمران مقرونان فما يعتبر في أحدهما يعتبر في الآخر وأيضاً الشهادة قلما تنفك عن التصديق والتصديق قلما ينفك عن الشهادة. وعلى هذا فمحصل الكلام أن الإسلام التصديق بالله و رسوله والشهادتان و هذا لا ينافي ما مر من أن الإسلام الاقرار بلا عمل أى بالتصديق لانا قد ذكرنا أن الإسلام يطلق على مجرد الاقرار أيضاً.

*جسماً كان معلولاً لغيره وهو كفر وعلى ذلك بعض فقهاءنا والحق أنه لا يكفر أحد الا بالاستلزام البين و لذلك قالوا لو ادعى مدعى الباطل شبهة ممكنة في حقه قبلت منه و درء عنه الحد و كذلك اذا اعتقد أحد أن الروح قوة حالة حاصلة من تركيب مزاج البدن وليس مجرداً عن البدن وهذا رأى الملاحدة الماديين الذين لا يعتقدون وجود غير القوى الجسمانية وينكرون تأثير شيء في شيء الا أن يكون جسمانياً ويعلمون ظاهراً من الحيوة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون و يترتب على اعتقادهم هذا انكار المعاد و نفى الثواب و العقاب و استحالة الحشر والنشر لكن رأينا جماعة من عوام المترهدين لا ينتبهون لهذا الاستلزام، يشاركون الماديين في أصلهم ولا يلتزمون بلوازمه يعترضون على القائلين بتجرد النفس و ينقضون أدلتهم على بقائنا بعد الموت وربما يصرحون بان النفس كنور السراج يطفى بقاء الدهن و معدلك يزورون الاموات و يستغفرون لهم و يهدون اليهم ثواب العبادات ولا يعلمون أن لازم أصلهم اليأس من أصحاب القبور و خرافية هذه الاعمال كما قال الله تعالى و كما يشك الكفار من أصحاب القبور، ولكن لما لم يكن الاستلزام بيناً لا يحكم بكفر هؤلاء. (ش)

عليه جرت المناكح والمواريث و على ظاهره جماعة الناس؛ والايان الهدى وما يثبت في القلوب من صفة الاسلام و ما ظهر من العمل به والايان أرفع من الاسلام بدرجة، إنَّ الايمان يشارك الاسلام في الظاهر والاسلام لا يشارك الايمان في الباطن و إن اجتمعا في القول والصفة.

٢- عليُّ بن إبراهيم، عن محمد بن عيسى، عن يونس بن عبدالرحمن، عن موسى ابن بكر، عن فضيل بن يسار، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: الايمان يشارك الاسلام والاسلام لا يشارك الايمان.

٣- عليُّ، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن جميل بن دراج، عن فضيل بن يسار قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: إنَّ الايمان يشارك الاسلام ولا يشاركه الاسلام، إنَّ الايمان ما قر في القلوب والاسلام ما عليه المناكح والمواريث و حقن الدماء، والايان يشرك الاسلام والاسلام لا يشرك الايمان.

٤- عدَّة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد بن خالد، عن الحسن بن محبوب، عن أبي الصباح الكناني قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: أيهما أفضل الايمان أو الاسلام؟

قوله (والايان الهدى) الهدى راه يافتن وراه نمودن ورسیدن بمقصود وراه راست والمراد به هنا الولاية وهي الصراط المستقيم وبما يثبت في القلوب من صفة الاسلام التصديق بالله و برسوله وبما ظهر من العمل الشهادتان أو الاعم منهما ومن اقام الصلاة و ايتاء الزكاة والصوم والحج واعتبار هذه الاعمال في الايمان وقد مر وجه مراداً.

قوله (والايان ارفع من الاسلام بدرجة) لاعتبار التصديق بالولاية في حقيقة الايمان دون الاسلام وبه يستحق العبد الثواب والكرامة في دار المقامة.

قوله (ان الايمان يشارك الاسلام في الظاهر) لعل المراد أن الايمان يشارك الاسلام في جميع الاعمال الظاهرة المعتبرة في الاسلام مثل الصلاة و الزكاة وغيرهما والاسلام لا يشارك الايمان في جميع الامور الباطنة المعتبرة في الايمان لانه لا يشاركه في التصديق بالولاية و ان اجتمعا في الشهادتين والتصديق بالتوحيد والرسالة و منه يتبين أن الايمان كالنوع والاسلام كالجنس وقد يطلق الاسلام و يراد به هذا النوع مجازاً من باب اطلاق العام على الخاص و لعل قوله تعالى و أخرجنا من كان فيها- الاية من هذا الباب فقول من زعم انها مترادفات و تمسك بهذه الاية مدفوع.

قوله (أيهما أفضل) مبتدأ و خبر، و الايمان و الاسلام تفسير لمرجع الضمير

فان من قبلنا يقولون: إن الإسلام أفضل من الإيمان، فقال: الإيمان أرفع من الإسلام قلت: فأوجدني ذلك، قال: ما تقول فيمن أحدث في المسجد الحرام متعمداً؟ قال: قلت: يضرب ضرباً شديداً قال: أصبت، قال: فما تقول فيمن أحدث في الكعبة متعمداً قلت: يقتل، قال: أصبت ألا تري أن الكعبة أفضل من المسجد وأن الكعبة تشرك المسجد و المسجد لا يشرك الكعبة، وكذلك الإيمان يشرك الإسلام و الإسلام لا يشرك الإيمان .

٥- عده من أصحابنا ، عن سهل بن زياد، وعبد بن يحيى، عن أحمد بن محمد جميعاً، عن ابن محبوب، عن علي بن رئاب ، عن حمران بن أعين، عن أبي جعفر عليه السلام قال: سمعته يقول : الإيمان ما استقر في القلب و أفضى به إلى الله عز وجل

أوهما مبتدأ وأيهما أفضل خبر .

قوله (قلت فوجدني) من أوجد فلاناً مطلوبه أظفره به أى أظفرني بالمطلوب و بينه لى بمثال جزئى .

قوله (قلت يقتل قال أصبت) قيل يدل على كفر من استخف بالكعبة فان وجوب تعظيمها من ضروريات الدين .

قوله (ألا ترى أن الكعبة أفضل من المسجد) فكما ان الكعبة أفضل من المسجد لخصوصية معتبرة فى الكعبة غير معتبرة فى المسجد حتى اختلف بهما حكمهما، كذلك الإيمان أفضل من الإسلام لخصوصية معتبرة فى الإيمان غير معتبرة فى الإسلام فلذلك اختلف حكمهما .

قوله (و ان الكعبة تشرك المسجد والمسجد لا يشرك الكعبة) فان مفهوم المسجد متحقق فى الكعبة ومفهوم الكعبة غير متحقق فى المسجد فالكعبة مسجد والمسجد ليس بداخل فى الكعبة والداخل فى الكعبة داخل فى المسجد والداخل فى المسجد ليس بداخل فى الكعبة وهكذا حال ما نحن فيه أعنى الإسلام والإيمان . وبالجملة التناسب بين الممثل والممثل له ظاهر لاسرته فيه فلذلك جاء « د ع » بهذا التمثيل من باب تشبيه المعقول بالمحسوس لقصد الايضاح والتقرير .

قوله (و أفضى به الى الله عز وجل) أشار به الى أن المراد بما استقر فى القلب مجموع التصديق بالتوحيد والرسالة والولاية لان هذا المجموع هو المفضى الى الله عز وجل لكل واحد ولاكل اثنين منها . وقوله « و صدقه العمل » مشعر بأن العمل خارج عن الإيمان

و صدقته العمل بالطاعة لله والتسليم لأمره. والاسلام ما ظهر من قول أو فعل وهو الذي عليه جماعة الناس من الفرق كلها و به حققت الدنيا و عليه جرت المواريث و جاز النكاح و اجتمعوا على الصلاة والزكاة والصوم والحج، فخرجوا بذلك من الكفر و اضيفوا إلى الايمان، والاسلام لا يشرك الايمان والايمن يشرك الاسلام وهما في القول والفعل يجتمعان، كما صارت الكعبة في المسجد والمسجد ليس في الكعبة و كذلك الايمان يشرك الاسلام والاسلام لا يشرك الايمان وقد قال الله عز وجل: « قالت الأعراب آمنّا قل تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا و لمّا يدخل الايمان في قلوبكم » فقول الله عز وجل « أصدق القول، قلت : فهل للمؤمن فضل على المسلم في شيء من الفضائل والأحكام والحدود وغير ذلك ؟ فقال : لا، هما يجريان في ذلك مجرى واحد

و دليل عليه لان الايمان وهو التصديق أمر قلبي يعلم بدليل خارجي مع ما فيه من الايماء الى أن الايمان بلا عمل ليس بالايمان.

قوله (والاسلام ما ظهر من قول أو فعل) أى قول بالشهادتين أو فعل بالطاعات مثل الصلاة والصوم والحج وغيرها فيدل على أن الاسلام يطلق على مجرد الطاعات من الاقرار بالشهادتين والتصديق بهما.

قوله (فخرجوا بذلك من الكفر و اضيفوا الى الايمان) و لم يكونوا من أهل الايمان فمأهم من هؤلاء و لا من هؤلاء ولا يجرى عليهم شيء من أحكامهما وان كان يجرى أحكامهم على أهل الايمان.

قوله (وهما في القول والفعل يجتمعان) أى الاسلام والايمن يجتمعان في القول بالشهادتين والفعل بالطاعات الا أنهما داخلان في حقيقة الاسلام خارجان عن حقيقة الايمان على ما هو الحق عند جماعة من المتكلمين ولعل المقصود التنبيه على تساويهما في طلب الفضائل والأحكام والحدود كما سيصرح به .

قوله (فقول الله عز وجل أصدق القول) فهو يبطل قول كل من قال بان الاسلام يرادف الايمان، و من زعم أن الاعراب لم يسلموا و من زعم أنهم آمنوا.

قوله (قلت فهل للمؤمن فضل على المسلم) كان قصده هل للمؤمن اختصاص بشيء من الفضائل النفسية والأحكام الشرعية و حدودها لا يكون المسلم مكلفاً به فأجاب « ع » بأنهما متساويان في ذلك ولا يكون للمؤمن فضل على المسلم فضل في شيء منه و انما الفضل للمؤمن في العمل والثواب و ما يتقرب به الى الله تعالى من الطاعة والالتقياد لان الفضل

ولكن للمؤمن فضل على المسلم في أعمالهما و ما يتقر بان به إلى الله عز وجل ، قلت : أليس الله عز وجل يقول : « من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها » وزعمت أنهم مجتمعون على الصلاة والزكاة والصوم والحج مع المؤمن ؟ قال : أليس قد قال الله عز وجل : « يضاعفه له أضعافاً كثيرة » فالمؤمنون هم الذين يضاعف الله عز وجل لهم حسناتهم لكل حسنة سبعون ضعفاً ، فهذا فضل المؤمن ويزيده الله في حسناته على قدر صحة إيمانه أضعافاً كثيرة و يفعل الله بالمؤمنين ما يشاء من الخير، قلت :

مشروط بالإيمان وهو مفقود في المسلم.

قوله (قلت أليس الله عز وجل يقول من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها) لما حكم دع ، بأن للمؤمن فضلاً على المسلم في الاعمال سأله حمران على سبيل التقرير والاستفهام بأنك زعمت أن المؤمن والمسلم مجتمعون على الصلاة والزكاة والصوم والحج وغير ذلك من الطاعات ومكلفون جميعاً بها و قال الله تعالى «من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها» والموصول للعموم فهذه الآية مع ما زعمت تقتضى أن يكون المؤمن والمسلم متساويين في الفضل فكيف يكون للمؤمن فضل على المسلم في الاعمال، فأجاب «ع» بأنه أليس قد قال الله تعالى « من ذا الذي يقرض الله فريضاً حسناً فيضاعفه له أضعافاً كثيرة» وهذا الجواب على فهمنا الفاتر يحتمل وجهين الاول أن القرض الحسن هو العبادة الواقعة على كما لها وشرائطها و شرائط قبولها و من جملة شرائطها هو الإيمان فالمؤمنون هم الذين يضاعف الله عز وجل لهم حسناتهم لا غيرهم فيعطيه لكل حسنة عشرة و ربما يعطيهم لكل حسنة سبعين ضعفاً فهذا فضل المؤمن على المسلم ويزيده الله في حسناته على قدر صحة إيمانه و حسب كماله أضعافاً كثيرة حتى أنه يعطيهم بواحدة سبعمائة أو أزيد و يفعل الله بالمؤمنين ما يشاء من الخير الذي لا يعلمه الا هو كما قال : « ولدينا مزيد » والثاني ان تساويهم في فضل واحدة بعشرة على تقدير عموم الموصول لا يقتضى أن لا يكون للمؤمنين فضل على المسلم في الاعمال لانه تعالى يضاعف له أعماله أضعافاً كثيرة فيعطيه لكل حسنة سبعين ضعفاً فهذا فضل المؤمن على المسلم الى آخر ما ذكر و لعل الاول بالمعنى أقرب والثاني بالعبارة أنسب ، لا يقال ما دل من الايات و الروايات على أن أعمال غير المؤمن يكون هباء منثوراً ينافي الاحتمال الثاني فكيف التوفيق بينهما؟ لانا نقول لعل عمل غير المؤمن ينفعه في تخفيف العقوبة و رفع شدتها لا في دخول الجنة اذ دخولها مشروط بالإيمان فهو هباء منثور باعتبار أنه لا يوجب دخول الجنة و نافع له في الجملة باعتبار أنه يوجب تخفيف العقوبة والله يعلم حقيقة كلام وليه.

أرأيت من دخل في الاسلام أليس هو داخلاً في الايمان؟ فقال: لا ولكنه قد أُضيف إلى الايمان و خرج من الكفر وسأضرب لك مثلاً تعقل به فضل الايمان على الاسلام، أرأيت لو بصرت رجلاً في المسجد أنك تشهد أنك رأيت الكعبة؟ قلت: لا يجوز لي ذلك، قال: فلو بصرت رجلاً في الكعبة أنك شاهدت أنه قد دخل المسجد الحرام؟ قلت: نعم، قال: وكيف ذلك؟ قلت: إنه لا يصل إلى دخول الكعبة حتى يدخل المسجد، فقال: قد أصبت وأحسنت، ثم قال: كذلك الايمان والاسلام.

قوله (قلت أرأيت من دخل في الاسلام أليس هو داخلاً في الايمان) الاسلام

عبارة عن التصديق بالتوحيد والرسالة أو عن الاقرار بالشهادتين أو عن الاتيان بالاعمال الظاهرة أو عن المجموع أو عن الاثنين منها، و جوز السائل أن يكون ذلك نفس الايمان أو ظن ذلك و لذلك قال على سبيل الاستفهام أو التقرير أليس هو أى الداخل في الاسلام داخلاً في الايمان بأن يكون الاسلام عين الايمان؟ فقال «ع»: لا لان الايمان اما التصديق المذكور مع التصديق بالولاية أو هذامع الاقرار والعمل فالاسلام اما جزء الايمان أو حد من حدوده، ومن البين أن جزء الشيء أو حده غير ذلك الشيء فالداخل في الاسلام غير داخل في الايمان و ليس بمؤمن و لكنه اضيف الى الايمان بالدخول في جزئه أو في حد من حدوده و خرج بذلك من منزل الكفر، و بالجملة للناس ثلاثة منازل الاول الكفر، والثاني الاسلام، والثالث الايمان و هذا قد خرج من منزل الكفر و دخل في منزل الاسلام ولم يدخل في منزل الايمان بعد، وأنت خبير بأن هذا السؤال لا يتوجه بعد العلم بما سبق اللهم الا أن يقال ان السائل لم يعلمه كما هو حقه لكونه أمراً معقولاً دقيقاً والمعاني الدقيقة قد لا يعرفها المخاطب حق المعرفة الا بالتكرار والتنبيه بمثال محسوس فلذلك أورد «ع» في الجواب مثلاً محسوساً لقصد التفهيم والايضاح فليتأمل.

قوله (قلت لا يجوز لي ذلك) لان المسجد ليس بكعبة لا يقال هذا لايمائل ما نحن فيه لان

المسجد ليس كعبة ولا جزءاً منها فلا يكون الداخل فيه داخلاً فيها بخلاف ما نحن فيه فان الاسلام جزء من الايمان والداخل في الجزء داخل في الكل لاننا نقول قصد السائل ان الداخل في الاسلام هل هو مؤمن أم لا كما أشرنا اليه فليتأمل.

قوله (فلو بصرت رجلاً في الكعبة أنك شاهدت أنه قد دخل المسجد الحرام قلت

نعم) هذا لا يدل على أن الكعبة جزء المسجد بل يشعر بخلافه حيث قال: أنك شاهدت أنه قد دخل المسجد ولم يقل أنك شاهدت أنه في المسجد.

باب آخر منه

و فيه أن الإسلام قبل الإيمان

١- علي بن إبراهيم، عن العباس بن معروف، عن عبدالرحمن بن أبي نجران عن حماد بن عثمان، عن عبدالرحيم القصير قال: كتبت مع عبد الملك بن أعين إلى أبي عبدالله عليه السلام أسأله عن الإيمان ما هو، فكتب إلي مع عبد الملك بن أعين سألت رحمك الله عن الإيمان والإيمان هو الاقرار باللسان و عقد في القلب و عمل بالأركان والإيمان بعضه من بعض و هو دار و كذلك الإسلام دار و الكفر دار فقد

قوله (لا يصل إلى دخول الكعبة) افهم لفظ الدخول لان الوصول إلى الكعبة لا يستلزم الدخول فيها و هو المقصود هنا.

قوله (والإيمان هو الاقرار باللسان و عقد في القلب و عمل بالأركان) هذا تفسير للإيمان الكامل الذي يكون للمؤمنين المتقين المتورعين المخلصين و هو مركب من هذه الامور أعنى الاقرار بالشهادتين والتصديق بالتوحيد والرسالة والولاية والامامة، والعمل بالأركان الظاهرة مثل السمع والبصر واللسان واليد والرجل باستعمال كل واحد منها فيما خلق لاجله وقد شاع اطلاق الإيمان عليه عند أرباب العصمة عليهم السلام فكان غيره أعنى العقد في القلب وان كان ايماناً في نفس الامر لضعفه و قلة أثره ليس بإيمان كما يرشد إليه الحصر في قوله تعالى « انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله و جلت قلوبهم و اذا تليت عليهم آياته زادتهم ايماناً و على ربهم يتوكلون » و على هذا لا منافاة بينه و بين ما دل من الاخبار على أن الإيمان عقد القلب.

قوله (والإيمان بعضه من بعض) اذ منازل الكمال متفاوتة والادنى منها معد لحصول الاعلى و بذلك يبلغ الانسان غاية الكمال ويملك الحقيقة الانسانية، وعلى هذا فالمراد أن بعض أفراد هذا الإيمان من بعض فان الادنى منه معد لحصول الاعلى و هكذا الى أن يحصل فرد هو أعلى مراتب الإيمان المطلوب من الانسان. أو المراد ان بعض أجزائه من بعض فان أصل التصديق يقتضى العمل والعمل يقتضى حصول تصديق آخر هو أكمل و أفضل و هذا التصديق يقتضى حصول عمل هو أكمل من الاول و هكذا يتبادلان الى أن يبلغ كل من الظاهر والباطن الى غاية كمال الانسان وتحصل نهاية مراتب الإيمان.

قوله (وهو دار و كذلك الإسلام دار و الكفر دار) الداخل في الاولى من اتصف بالإيمان و لوازمه، وفي الثانية من اتصف بالإسلام و آثاره، و في الثالثة من اتصف بالكفر

يكون العبد مسلماً قبل أن يكون مؤمناً ولا يكون مؤمناً حتى يكون مسلماً، فالاسلام قبل الايمان و هو يشارك الايمان فاذا أتى العبد كبيرة من كبائر المعاصي أو صغيرة من صغائر المعاصي التي نهى الله عز وجل عنها كان خارجاً من الايمان ، ساقطاً عنه اسم الايمان و ثابتاً عليه اسم الاسلام، فان تاب و استغفر عاد إلى دار الايمان ولا يخرج منه إلى الكفر إلا الجحود والاستحلال أن يقول للحلال : هذا حرام و للحرام : هذا حلال و دان بذلك فعند ها يكون خارجاً من الاسلام و الايمان، داخلاً في الكفر و كان بمنزلة من دخل الحرم ثم دخل الكعبة وأحدث في الكعبة حدثاً فأخرج عن الكعبة و عن الحرم فضربت عنقه و صار إلى النار.

٢- عده من أصحابنا، عن أحمد بن محمد، عن عثمان بن عيسى، عن سماعة بن مهران قال : سألته عن الايمان و الاسلام قلت له : أفرق بين الاسلام و الايمان؟ قال فأضرب لك مثله ، قال : قلت : أورد ذلك ، قال : مثل الايمان و الاسلام مثل الكعبة الحرام من الحرم قد يكون في الحرم و لا يكون في الكعبة و لا يكون في الكعبة

و خواصه و لا يكون أحدهم داخلاً في دار الآخرة الا المؤمن فانه داخل في دار الاسلام أيضاً لان له أيضاً صفة الاسلام و آثاره كما أشار اليه بقوله و لا يكون مؤمناً حتى يكون مسلماً، و أما المسلم فقد لا يكون مؤمناً و سر ذلك أن الاقرار بالتوحيد و الرسالة مقدم على الاقرار بالولاية و العمل و المؤمن و المسلم بسبب الاول يخرجان من دار الكفر و يدخلان في دار الاسلام ثم المسلم بسبب الاكتفاء به يستقر في هذه الدار، و المؤمن بسبب الثاني يترقى و ينزل في دار الايمان، و منه لاح أن الاسلام قبل الايمان و أنه يشارك الايمان فيما هو سبب للخروج من دار الكفر لا فيما هو سبب للدخول في دار الايمان . و بهذا التقرير يندفع المناقاة بين قوله «ع» ههنا «و هو يشارك الايمان» و قوله سابقاً «و الاسلام لا يشارك الايمان» فليتأمل.

قوله (فاذا أتى العبد كبيرة من كبائر المعاصي - الخ) لما كان العمل معتبراً في حقيقة الايمان الكامل كان الاتيان بالمعصية مطلقاً موجباً لسقوط اسم هذا الايمان عنه و هبوطه من دار الايمان الى دار الاسلام و ثبوت اسم الاسلام عليه و يستمر هذا الى أن يتوب و يستغفر فان تاب و استغفر عاد الى دار الايمان لزوال المانع و هو المعصية بالتوبة و

حتى يكون في الحرم ، وقد يكون مسلماً ولا يكون مؤمناً ولا يكون مؤمناً حتى يكون مسلماً، قال: قلت: فيخرج من الايمان شيء؟ قال: نعم: قلت فيصيره إلى ماذا؟ قال إلى الاسلام أو الكفر . و قال : لو أن رجلاً دخل الكعبة فأفلت منه بوله أخرج من الكعبة ولم يخرج من الحرم فغسل ثوبه وتطهر ثم لم يمنع أن يدخل الكعبة ولو أن رجلاً دخل الكعبة فبال فيها معانداً أخرج من الكعبة ومن الحرم و ضربت عنقه.

(باب)

١- علي بن محمد، عن بعض أصحابه ، عن آدم بن إسحاق، عن عبدالرزاق بن مهران ، عن الحسين بن ميمون، عن محمد بن سالم ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : إن الاستغفار ولا يخرج من دار الايمان الى دار الكفر الا الجحود للمانع والرسول و تحليل ما هو حرام و تحريم ما هو حلال من ضروريات الدين أو بعد العلم بحله و حرمة أو مطلقاً و جعله ديناً و لمن تبعه فعند ذلك يكون خارجاً من دار الايمان والاسلام داخل في دار الكفر و كان بمنزلة من دخل الحرم ثم دخل الكعبة و أحدث معانداً فيها حدثاً فأخرج عن الكعبة و عن الحرم ف ضربت عنقه و صار الى النار، و هذا التمثيل يدل على أن المرتد يقتل و أن القتل لا يدفع عنه العقوبة الاخرية واستثنى منه الملى والمرأة لقبول توبتهما ف يرجعان بعدها الى الايمان.

قوله (لو أن رجلاً دخل الكعبة فأفلت منه بوله - الخ) يفهم من هذا التمثيل أن المؤمن اذا صدر منه ذنب لا يوجب كفره خروج من الايمان ودخل في الاسلام ثم اذا تاب دخل في الايمان ، و اذا صدر منه ذنب يوجب كفره خروج من الايمان و الاسلام و دخل في الكفر و استحق القتل الا من استثنى.

قوله (باب - علي بن محمد عن بعض أصحابه - الخ) في السند مع الارسال جهالة، والغرض من هذا الباب أن الايمان قبل الهجرة لضعف الدين و قلة ناصره كان مجرد التصديق بالتوحيد والرسالة ثم صار بعدها لقوته و كثرة ناصره و شيوع الاحكام فيه و صدور الوعيد عليها هذا مع التصديق بالولاية والعمل و أن الكفر يتحقق بانتفاء واحد منها و أن المؤمن لا يعذب أصلاً و أن الايمان في الشرائع السابقة كان أيضاً كذلك و أن كثيراً من هذه الامة لزيغ قلوبهم و عدم رجوعهم الى المرشد بالحق اتبعوا المتشابهات والمنسوخات ، و رفضوا المحكمات والناسخات، و زعموا أن الايمان انما هو بالمعنى الاول وحده ولم يعلموا

ناساً تكلموا في هذا القرآن بغير علم و ذلك أن الله تبارك و تعالى يقول: «هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله» - الآية - فالمنسوخات من المتشابهات، والمحكمات من الناسخات، إن الله عز وجل

أنه نسخ وحدة ذلك وضم معه شيء آخر .

قوله (ان ناساً تكلموا - الخ) التنكير للتحقير أو للتكثير أولهما و ذلك اشارة الى تكلمهم و ما بعده بيان لوقوعه لان الله تعالى أخبر به و اعلم أنه لايجوز تأويل متشابهات القرآن والاحاديث عندنا بالرأى بل يجب صرفه الى الراسخين في العلم وهم أهل الذكر عليهم السلام و من يتعرض له من أصحابنا فانما يتعرض لوجهه على سبيل الاحتمال من غير جزم بأحدها الا أن يدل عليه دليل آخر .

قوله (هن أم الكتاب - الخ) قيل أم الكتاب أصله الذي يرجع اليه عند الاشكال أى هن اصول ما أشكل من الكتاب فيرد ما أشكل منه الى ما اتضح منه، وقيل غير ذلك، والزيغ الميل عن الحق الى غيره وافتنة الضلال أو الشك والتأويل صرف الكلام عن ظاهره الى خلافه والمتبعون للمتشابه لابتغاء الفتنة منهم من يتبعه للقدح في القرآن والتشكيك فيه واضلال العوام كالزنادقة والقرامطة وغيرهم و منهم من يتبعه و يعتقد بظاهره كالمجسمة والمصورة و منهم من يتبعه و يحمله على خلاف ظاهره برأيه كأهل السنة ، و أما الفرقة الناجية فيرجعون في تأويله الى الله والى الراسخين في العلم، وقد جرت الحكمة البالغة على أن يمتحن الله عز وجل عباده في هذه النشأة بأبناء شتى و مما امتحنهم به انزال المتشابهات والله ولي التوفيق .

قوله (فالمنسوخات من المتشابهات والمحكمات من الناسخات) النسخ في اللغة الازالة والابطال و في العرف ازالة حكم شرعى بدليل شرعى متأخر، والمتقدم منسوخ و المتأخر ناسخ، والمحكم في اللغة المتقن و في العرف يطلق على ماله معنى لا يحتمل غيره و على ما اتضحت دلالته، وعلى ما كان محفوظاً من النسخ أو التخصيص أو منهما جميعاً، و على ما لا يحتمل من التأويل الا وجهاً واحداً والمتشابه يقابله بكل واحد من هذه المعاني. اذا عرفت هذا فنقول الظاهر أن الغاء للتفسير لزيادة تفضيل حالهم بأنهم يتبعون المنسوخات و المتشابهات دون المحكمات والناسخات لان المنسوخات من باب المتشابهات في التشابه اذا يشبه عليهم ثباتها و بقاؤها ، والمحكمات من قبيل الناسخات في الثبات والبقاء فاذا اتبعوا المتشابهات اتبعوا المنسوخات لانها من باب واحد و اذا اتبعوا المنسوخات لم يتبعوا

بعث نوحاً إلى قومه « أن اعبدوا الله و اتقوه و أطيعون » ثم دعاهم إلى الله وحده وأن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، ثم بعث الأنبياء عليهم السلام على ذلك إلى أن بلغوا عتبات عند الله فدعاهم إلى أن يعبدوا الله ولا يشركوا به شيئاً و قال : « شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم و موسى و عيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه كبر على المشركين ما تدعوهم إليه . الله يجتبي إليه من يشاء و يهدي إليه من ينيب » فبعث الأنبياء إلى قومهم بشهادة أن لا إله إلا الله و الاقرار بما جاء [به] من عند الله فمن آمن مخلصاً و مات على ذلك أدخله الجنة بذلك و ذلك أن الله ليس بظالمٍ للعبيد و ذلك أن الله لم يكن يعذب عبداً حتى

الناسخات و اذا لم يتبعوا الناسخات لم يتبعوا المحكمات لانهما أيضاً من باب واحد و لذلك قالوا الايمان هو مجرد التصديق بالله و رسوله و لم يعلموا أنه كان كذلك قبل الهجرة ثم نسخ بعدها و اضيف اليه الولاية و العمل، و يحتمل أن يكون للتفريع لانه يفهم من الاية اتباعهم المنسوخات لكونها من باب المتشابهات و عدم اتباعهم المحكمات لكونها من باب الناسخات التي يتبعوها و على هذا لا قلب في قوله «ع» و المحكمات من الناسخات كما زعمه بعض نظراً اليه، و قال كون المنسوخات من أفراد المتشابهات و أخص منها له وجه ، و أما كون المحكمات من أفراد الناسخات و أخص منها فلا وجه له بل الامر بالعكس ففيه قلب فلي تأمل .

قوله (ان الله عزوجل بعث نوحاً) كان المراد هنا أمران الاول يعلم ضمناً وهو أن الله عزوجل بعث الانبياء و قرر الايمان و الشرائع و أوجب على عباده الرجوع اليهم و عدم التقول في الدين بأرائهم، و الثاني أن الايمان في بداية بعثة كل رسول كان مجرد التصديق بالتوحيد و الرسالة و من مات عليه كان مؤمناً و جبت له الجنة ثم صار بعد وضع الاحكام و الوعيد على مخالفتها و تكثر الامم و استجابتهم هذا مع العمل حتى من ترك تلك الاحكام خرج من الايمان و استحق الدخول في النار. و فيه رد على من زعم أن الايمان انما هو التصديق المذكور و الله أعلم .

قوله (فمن آمن مخلصاً) أى من آمن بالله و نفى الشريك عنه و آمن برسوله و بما جاء به الرسول مخلصاً معتقداً غير مشوب بالشك و مات عليه أدخله الله الجنة بذلك ولا يعاقبه بترك الاعمال و لا ينافي ذلك و وجوبها لان الواجب مما يستحق تاركه ذمّاً لا ما يعاقب تاركه و استحقات الذم لا يوجب العقوبة بل لا يوجب الذم أيضاً .

يغلظ عليه في القتل والمعاصي التي أوجب الله عليه بها النار لمن عمل بها ، فلما استجاب لكل نبي من استجاب له من قومه من المؤمنين، جعل لكل نبي منهم شرعة ومنهاجاً والشرعة والمنهاج سبيل وسنة وقال الله لمحمد ﷺ: « إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ ».

و أمر كل نبي بالأخذ بالسبيل والسنة والسبيل التي أمر الله عز وجل بها موسى ﷺ أن جعل الله عليهم السبت وكان من أعظم السبب ولم يستحل أن يفعل ذلك من خشية الله، أدخله الله الجنة، ومن استخف بحقه و استحل ما حرم الله عليه من عمل الذي نهى الله عنه فيه، أدخله الله عز وجل النار، و

قوله (و ذلك أن الله ليس بظلام للعبيد) الظاهر أن ذلك إشارة الى ادخاله في الجنة بمجرد تلك الشهادة والاقرار و ان لم يعمل، بيان ذلك أنه مؤمن وعدم ادخال المؤمن فيها ظلم لاستحقاقه اياها والله ليس بظلام للعبيد بمنعمهم عن حقوقهم، وفيه مبالغة في نفي الظلم لانفي مبالغة في الظلم على أنه لو اريد هذا لا يمكن أن يقال فيه نفي للظلم بالكلية لان كل صفة له تعالى على وجه الكمال فلو كان له ظلم كان ظلمه على وجه الكمال فاذا نفي عنه الظلم على هذا الوجه فقد نفي عنه ظلم رأساً.

قوله (و ذلك أن الله لم يكن يعذب) لعله إشارة الى عدم تعذيبه بترك العمل حينئذ لكونه المذكوراً التزاماً لان ادخاله الجنة بمجرد ذلك التصديق يستلزم عدم التعذيب بترك العمل. بيان ذلك أن الله تعالى لم يكن يعذب العبد بالمعاصي حتى يغلظ عليه فيها و يوجب لمن عمل بها النار و لما لم يغلظ عليه فيها و لم يوعده بالنار بها في ذلك الزمان لا يعذبه بها .

قوله (فلما استجاب لكل نبي من استجاب) لعل المراد أن الايمان بعد استجابة الامة و كثرتهم ووضع الشرائع من الاوامر والنواهي والحدود والتفليظ عليهم بالمعاصي و عيدهم بالنار بفعلها صار عبارة عن ذلك التصديق والعمل حتى من ترك واحداً منهما كان كافراً يعذب بالنار. و الشرعة و المنهاج متقاربان لان الشرعة طريق الدين و المنهاج الطريق المستقيم والمراد بهما الاحكام والفرائض والحدود و غيرها من التكليف التي وقع التفليظ بها والوعيد فيها.

قوله (و من استخف بحقه واستحل ما حرم الله عليه) دل على أن مخالفة الاحكام كفر يوجب الدخول في النار مع الاستحلال والظاهر أنه لا خلاف فيه بين الامة وما ذلك الا لان

ذلك حيث استحلّوا الحيتان و احتبسوها و أكلوها يوم السبت، غضب الله عليهم من غير أن يكونوا أشركوا بالرّحمن ولا شكّوا في شيء مما جاء به موسى ﷺ، قال الله عزّ وجلّ: « و لقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت فقلنا لهم كونوا قردةً خاسئين » ثمّ بعث الله عيسى ﷺ بشهادة أن لا إله إلاّ الله والاقرار بما جاء به من عند الله و جعل لهم شرعة و منهاجاً فهدمت السبت الذي أمروا به أن يعظّموه قبل ذلك وعمامة ما كانوا عليه من السبيل والسنة التي جاء بهاموسى فمن لم يتّبع سبيل عيسى أدخله الله النار و إن كان الذي جاء به النبيون جميعاً أن لا يشركوا بالله شيئاً، ثمّ بعث الله محمداً ﷺ و هو بمكة عشر سنين فلم يمّت بمكة في تلك العشر سنين أحدٌ يشهد أن لا إله إلاّ الله و أن محمداً ﷺ رسول الله إلاّ أدخله الله الجنة باقراره وهو إيمان الاقرار بها والعمل بهاداخلان في الايمان، و اذا كان كذلك كان تاركها وان لم يستحل كافرأ يعذب بالنار أيضاً كما يدل عليه سياق العبارات الاتية.

قوله (حيث استحلوا الحيتان) أى استحلوا صيدها أو أكلها و يوم السبت ظرف لاحتبسوها لا لاكلها، أى احتبسوها يوم السبت في مضيق بسد الطريق عليها ثم اصطادوها يوم الاحد و أكلوها، فعلوا ذلك حيلة و تحرزاً من اصطادها في يوم السبت ولم تنفعهم تلك الحيلة لان احتباسها فيه هتك لحرمة فخرجوا بذلك من الايمان الى الكفر و لذلك غضب الله عليهم من غير أن يشركوا بالرحمن و أن يشكوا في رسالة موسى و ما جاء به، و لذلك يصطادوا يوم السبت فسبب الغضب عليهم و دخولهم في النار ليس الا تركهم حرمة السبت و احتباس الحيتان فيه فعلم ان الايمان ليس مجرد التصديق بل هو مع العمل لان المؤمن لا يغضب ولا يدخل النار و فيه شيء لان استحلالهم الحيتان ينافي ظاهراً عدم شكهم بما جاء به موسى، و يمكن دفعه بأن ما جاء به موسى تحريم الحيتان يوم السبت وهم استحلوها يوم الاحد و لحق بهم ما لحق بسبب احتباسهم يوم السبت والله أعلم .

قوله (قال الله تعالى و لقد علمتم) استشهد لقوله غضب الله عليهم أوله و لما قبله.

قوله (وان كان الذى جاء به النبيون) جميعاً أن لا يشرك بالله شيئاً الموصول اسم كان و أن لا يشرك خبره أو المجموع اسمه و خبره محذوف أى وان كان معه ما جاء به النبيون وهو عدم الشرك فعلى الاول يفيد عدم ورود النسخ عليه و على الثانى يفيد ان من لم يتبع يدخل النار و ان كان معه عدم الشرك بالله.

قوله (يشهد أن لا إله الا الله) لعل المراد به التصديق بالتوحيد و الرسالة أو مع الاقرار

التصديق ولم يعذب الله أحداً ممن مات و هو متبع لمحمد ﷺ على ذلك إلا من أشرك بالرَّحمن.

وتصديق ذلك أن الله عز وجل أنزل عليه في سورة بني إسرائيل بمكة « وقضى ربك أن لا تعبدوا إلا إياه و بالوالدين إحساناً - إلى قوله تعالى - إنه كان بعباده خبيراً بصيراً » أدبٌ وعظمةٌ وتعليمٌ ونهيٌ خفيفٌ ولم يعد عليه و لم يتواعد على اجتراح شيء ما نهى عنه ، وأنزل نهياً عن أشياء حذر عليها و لم يغلف فيها ولم يتواعد عليها و قال : « ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم إن قتلهم كان خطأً كبيراً . ولا تقربوا الزنى إنه كان فاحشة و ساء سيلاً . ولا تقتلوا النفس التي حرّم الله إلا بالحقّ ومن قتل مظلوماً فقد جعلنا لوليّه سلطاناً فلا يسرف في القتل إنه كان منصوراً . ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده و أوفوا بالعهد إن العهد كان مسؤولاً . و أوفوا الكيل إذا كلتم و زنوا بالقسطاس المستقيم ذلك خيرٌ و أحسن تأويلاً . ولا تقف ما ليس لك به علم إن

باللسان لا مجرد الاقرار به بقرينة قوله وهو ايمان التصديق، والمراد بالا سلام حينئذ هو الاقرار و يؤيده ما مر من أن الايمان اقرار و عمل ، والاسلام اقرار بلا عمل لما ذكرنا أن العمل عبارة عن التصديق.

قوله (وهو ايمان التصديق) الايمان على نوعين أحدهما هذا والاخر ايمان التصديق والعمل ، والثاني درجاته متفاوتة جداً و كذا الاول لان له تفاوتاً معنوياً بالقوة و الضعف اما بالذات أو باعتبار الاعمال الخارجة عنه ثم التعذيب قبل الهجرة بترك الاول فقط و بعدها بترك الاول والثاني.

قوله (الا من أشرك بالرحمن) أى من نفى التوحيد أو الرسالة بقرينة السياق .
قوله (ذلك أن الله عز وجل أنزل عليه في سورة بني اسرائيل) ذلك اشارة الى مفهوم الحصر و منطوقه أعنى عدم التعذيب بغير الشرك والتعذيب به فى مكة قبل الهجرة ، وقوله « وقضى ربك - الى قوله - ولا تجعل مع الله الهاً آخر » بيان للاول و تصديق له حيث أنه عز وجل أنزل آيات فيها و ذكر أحكاماً ولم يغلف فيها ولم يوعد عليها فلا يعاقب بها لانه يعاقب قبل التخليط والتشديد والوعيد، و قوله « ولا تجعل - الى قوله - حتى اذا اداركوا فيها جميعاً ، بيان للثاني وتصديق له لانه صريح فى أنه يعذب بالشرك وأوعد عليه .

السَّمْع والبصر والفؤاد كلُّ أولئك كان عنه مسؤولاً . ولا تمش في الأرض مرحاً إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولاً . كلُّ ذلك كان سيئه عند ربك مكروهاً . ذلك ممَّا أوحى إليك ربك من الحكمة ولا تجعل مع الله إلهاً آخر فتلقى في جهنم ملوماً مدحوراً » و أنزل في «والليل إذا يغشى» : «فأنذرتكم ناراً تَلَظِّي . لا يصلحها إلاَّ الأَشقى الَّذي كذَّب و تولى » فهذا مشركٌ و أنزل في «إذا السماء انشقت» : «وأما من أوتي كتابه وراء ظهره ، فسوف يدعو ثبوراً ، و يصلى سعيراً . إنَّه كان في أهله مسروراً . إنَّه ظنَّ أن لن يحور بلى » فهذا مشرك . و أنزل في [سورة] تبارك : «كلِّمَّا أُلتي فيها فوجٌ سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير . قالوا بلى قد جاءنا نذيرٌ فكذبنا و قلنا ما نزل الله من شيء » فهؤلاء مشركون . وأنزل في الواقعة : « و أمَّا إن كان من المكذبين الضالِّين . فنزل من حميم . و تصلية جحيم » فهؤلاء مشركون . وأنزل في الحاقة . «وأما من أوتي كتابه بشماله فيقول

قوله (ولا تلق - الخ) دل على تحريم القول والعمل والافتاء ونحوها بما لم يعلم، قال ابن عباس لا تقل سمعت ولم تسمع ولا رأيت ولم تر ولا علمت ولم تعلم، وقال بعض العلماء المراد بسؤال الجوارح ١٠٠ سؤال نفسها أو سؤال أصحابها كما يظهر من أولئك أو جعلت بمنزلة ذوى العقول أو هم ذوو العقول مع الله تعالى وهو أظهر كما في كثير من الآيات والروايات.

قوله (ولا تمش في الأرض مرحاً) أى لا تمش في الأرض أشراً و بطراً و اختيالاً انك لالن تخرق الأرض بتناقلك و كبرك في المشى أو بضرب قدميك عليها لتعرف قدرتك و قوتك ولن تبلغ الجبال طولاً بتطاولك و مد عنقك فماوجه تفاخرك و عدم تواضعك كل ذلك المذكور من النواهي كان سيئه ومعصيته عند ربك مكروهاً يريد تركه ولا يرضاه، وبين سبحانه أن العبد ضعيف وعلمه التواضع والتودد والوقار.

قوله (ولا تجعل مع الله إلهاً آخر فتلقى في جهنم ملوماً مدحوراً) أى مطروداً عن طريق جنته مبعداً عن نيل رحمته مدفوعاً عن احسانه ورافته وهذا شروع في ذكر آيات نزلت في مكة دالة على الوعيد بالشرك والتعذيب به.

قوله (فهذا مشرك) أى هذا المذكور و هو الأشقى والملقى في جهنم مشرك لا غيره ممن سدد بالتوحيد والرسالة و ترك العمل في مكة لانه مؤمن بإيمان التصديق الذى كان هو الإيمان في مكة، والمؤمن لا يلقي في جهنم ولا يصلى ناراً.

يا ليتني لم أوت كتابيه . ولم أدر ما حسايه . يا ليتها كانت القاضية . ما أغنى عني ماليه - إلى قوله - إنه كان لا يؤمن بالله العظيم « فهذا مشرك ، وأنزل في طسم : » و برزت الجحيم للغاوين . وقيل لهم : أينما كنتم تعبدون . من دون الله هل ينصرونكم أو ينصرون . فكبكبوا فيها هم والغاؤون . و جنود إبليس أجمعون « جنود إبليس ذريته من الشياطين . و قوله : « وما أضلنا إلا المجرمون » يعني المشركين الذين اقتدوا بهم هؤلاء فاتبعوهم على شركهم وهم قوم محمد ﷺ ليس فيهم اليهود و النصارى أحد و تصديق ذلك قول الله عز وجل : « كذبت قبلهم قوم نوح » كذب أصحاب الأيكة « كذبت قوم لوط » ليس فيهم اليهود الذين قالوا : عزيز ابن الله ولا النصارى الذين قالوا : المسيح ابن الله ، سيدخل الله اليهود والنصارى النار

قوله (جنود إبليس ذريته من الشياطين) دون من اتبعه من الغاوين لان التأسيس خير من التأكيد .

قوله (و قوله وما أضلنا الا المجرمون يعنى المشركين) حكاية عن أهل جهنم قالوا وهم فيها يختصمون « تالله ان كنا لفي ضلال مبين اذنويكم رب العالمين وما أضلنا الا المجرمون » وقوله مبتدء و يعنى خبره والجملة عطف على جملة جنود إبليس وذريته و اريد بالمجرمين المشركون الذين اقتدى بهم هؤلاء القائلون ، و قوله « وهم امة محمد «س» ، اشارة الى أن التابع « والمتبوع كليهما من امته لدفع ما عسى أن يقال من أن الاية فى بيان اليهود والنصارى و وصف مشركيهم القائلين بأن عزيز ابن الله والمسيح ابن الله و وصف تابعيهم لافى بيان حال المشركين من قوم محمد «س» فى مكة .

قوله (و تصديق ذلك قول الله عز وجل « كذبت قبلهم قوم نوح » « كذب أصحاب الأيكة » « كذبت قوم لوط ») ذلك اشارة الى قوله هم امة محمد «س» ، والايكة غيضة بقرب مدين سكنتها طائفة فبعث الله اليهم شعبياً كما بعثه الى مدين ، و وجه التصديق أن الاية تسليقه « س » ، بأن قومه ان كذبوه فهو غير منفرد فى التكذيب ، فان هؤلاء الرسل قد كذبهم قومهم قبل قومه . و فيه دلالة واضحة على أن المجرمين هم المشركون المكذبون من قومه دون اليهود والنصارى .

قوله (ليس فيهم اليهود) تأكيد لقوله ليس فيهم من اليهود والنصارى أحد والاول نفى للتشريك وهذا نفى للاختصاص ،
قوله (سيدخل الله اليهود) أشار به الى أنه لا يلزم من اختصاص الاية المذكورة

و يدخل كل قوم بأعمالهم ، و قولهم : « و ما أضلنا إلا المجرمون » إذ دعونا إلى سبيلهم ذلك قول الله عز وجل فيهم حين جمعهم إلى النار « قالت أوليهم لأخريهم ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذاباً ضعفاً من النار » و قوله : « كلما دخلت أمة لعنت أختها حتى إذا أدركوا فيها جميعاً » برىء بعضهم من بعض و لعن بعضهم بعضاً ، يريد بعضهم أن يحجّ بعضاً رجاء الفلج فيفلتوا من عظيم ما نزل بهم و ليس بأوان بلوى ولا اختبار ولا قبول معذرة ولا حين نجاة والآيات و أشباههنّ ممّا نزل به بمكة ولا يدخل النار إلا مشركاً ، فلما أذن الله لمحمد ﷺ في الخروج من مكة إلى المدينة بنى الاسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله و أن محمداً ﷺ عبده و رسوله و إقام الصلاة و إيتاء الزكاة و حج البيت و صيام شهر رمضان و أنزل عليه الحدود و قسمة الفرائض و أخبره بالمعاصي التي أوجب الله عليها و بها النار لمن

بمشركي قومه « ص » أن لا يدخل اليهود و النصارى النار اذ عدم فهم دخولهم فيها من هذه الآية لا يوجب عدم دخولهم فيها لانهم أيضاً يدخلون فيها بأدلة اخرى كما يدخل فيها كل قوم بأعمالهم .

قوله (و قولهم « و ما أضلنا الا المجرمون » اذ دعونا الى سبيلهم) أشاروا بذلك الى سبب الاضلال و هو أن المجرمين دعونا الى سبيلهم و هو الشرك فاستجبنا لهم و اتبعناهم و لما كان قولهم هذا يدل صريحا و ضمنا على نسبة الاضلال اليهم و المخاصمة بينهم و براءة بعضهم من بعض و الاعتذار من ضلالتهم أشار الى أنه أخبر بجمع ذلك قول الله عز وجل فيهم الى آخر ما ذكر . و اذار كوا أصله تداركوا فادغم ، و معناه تلاحقوا أى لحق آخرهم أولهم . **قوله** (فلما أذن الله لمحمد « ص » في الخروج) لما فرغ مما دل على أن الله تعالى لا يعذب قبل الهجرة الا بالشرك و هو انكار التوحيد و الرسالة شرع فيما دل على أنه يعذب بعدها بالشرك و بترك الطاعات و فعل المنهيات و هو مع انضمام أن المؤمن لا يعذب دل على أن العمل معتبر في تحقق الايمان بعدها ، و بالجملة المفهوم من احاديث هذا الباب أن المؤمن لا يسب و أن الايمان قبل الهجرة مجرد التصديق و بعدها التصديق مع العمل و بناء الاسلام بعدها على خمس دل على أن من ترك منها شيئاً خرج من الاسلام و دخل في الكفر و انما قال بنى الاسلام و لم يقل بنى الايمان لئلا يتوهم أن التارك داخل في الاسلام ثم ان سمي كل واحد من هذه الخمسة ايمانا أيضاً كما سمي المجموع على ما يظهر من الباب الاتي كان مصداق الايمان قبل الهجرة أقل من مصداقه بعدها و الا فهو أكثر .

عمل بها و أنزل في بيان القاتل « و من يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها و غضب الله عليه و لعنه و أعدّ له عذاباً عظيماً » و لا يلعن الله مؤمناً قال الله عزّ وجلّ : « إن الله لعن الكافرين و أعدّ لهم سعيراً . خالدين فيها أبداً لا يجدون وليتأول نصيراً » و كيف يكون في المشيئة وقد ألحق به - حين جزاء جهنم - الغضب و اللعنة وقد بيّن ذلك من الملعونون في كتابه و أنزل في مال اليتيم من أكله ظلماً « إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون في بطونهم ناراً و سيصلون سعيراً » و ذلك أن آكل مال اليتيم يجيء يوم القيامة و النار تلتهب في بطنه حتى يخرج لهب النار من فيه حتى يعرفه كل أهل الجمع أنه آكل مال اليتيم ، و أنزل في الكيل : « ويل للمطففين » و لم يجعل الويل لأحد حتى يسميه كافراً ، قال الله عزّ وجلّ : « فويل للذين كفروا من مشهديوم عظيم » و أنزل في العهد « إن الذين يشترون بعهد الله و أيمانهم ثمناً قليلاً أولئك لا خلاق لهم في الآخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكّيهم و لهم عذاب أليم » و الخلاق :

قوله (و لا يلعن الله مؤمناً) و كذا لا يغضب عليه و لعل المراد أن قاتل المؤمن متعمداً كافر خارج من الايمان و الظاهر أن قوله « قال الله عز وجل » استشهد لعدم لعن المؤمن ، و في دلالته عليه خفاء لان تعلق اللعن بالكافرين لا يدل على عدم تعلقه بغيرهم إلا أن يقال تخصيصهم بالذكر يدل على ذلك أو يقال المقصود من الآية بيان الملعونين و تعيينهم و تمييزهم عن غيرهم و يرشد اليه قوله « ع » قديين ذلك من الملعونين في كتابه فاذا لم يذكر غير الكافرين علم أن اللعن لا يتعلق بالمؤمنين .

قوله (و كيف يكون في المشيئة) كيف للانكار رداً على من زعم أن القاتل في مشيئة الله تعالى ان شاء عذبه و أخزاه ، و ان شاء رحمه و نجاه أى كيف يكون هو في المشيئة و قد ألحقه بالكافر في دخوله في النار أبداً و صرح بالغضب و اللعن عليه .

قوله (قد بين ذلك من الملعونون في كتابه) ذلك اشارة الى قوله تعالى و فاعل لبين و « من » مفعوله و اذا كان ذلك بياناً للملعونين علم أنهم هم الكافرون فلا يكون المؤمن ملعوناً .

قوله (و ذلك أن آكل مال اليتيم) اليتيم معروف و قد يطلق على آل محمد صلى الله عليه و آله بل على شيعتهم أيضاً كما دل عليه بعض الروايات و لا يبعد التعميم هنا .

النصيب ، فمن لم يكن له نصيبٌ في الآخرة فبأي شيء يدخل الجنة ، وأنزل بالمدينة « الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك وحرّم ذلك على المؤمنين » فلم يسم الله الزاني مؤمناً ولا الزانية مؤمنة. وقال رسول الله ﷺ : ليس يمتري فيه أهل العلم أنه قال : لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن فإنه إذا فعل ذلك

قوله (الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة) نهى الزاني عن نكاح المؤمنة نهى تحريم أو تنزيه لعدم التناسب بينهما في الإيمان و رخص له نكاح الزانية والمشركة لتحقيق التناسب بينهما في الكفر ، ولعل الغرض من النهي والترخيص هو الإشعار بخسة الزناء ، وإهانة أهله و الزجر عنه لانه الذي بعده عن الإيمان وقربه الى الكفر ولاستنكاف طبع المسلم أن تكون زوجته زانية أو مشركة ويحثه ذلك على ترك الزناء وقس على هذا نظيره.

قوله (فلم يسم الله الزاني مؤمناً ولا الزانية مؤمنة) وجه التفريع انه قارن الزاني بالمشرك وأخرجه عن حكم المؤمن وقارن الزانية بالمشركة وأخرجها عن حكم المؤمنة أو أنه لما منع بمفهوم الحصر الاول أن ينكح الزاني مؤمنة لا تنفاه الكفو وهو الإيمان و جواز بمنطوق الثاني أن ينكح الزاني والمشركة زانية لتحقيق الكفو وهو الكفر علم أن الزاني والزانية ليسا بمؤمنين أو أنه فهم ذلك من قوله تعالى « و حرم ذلك » أي النكاح المذكور على المؤمنين والتحريم يحتمل الوجهين.

قوله (وقال رسول الله «ص» ليس يمتري) أي قال رسول الله «ص» لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن لا يشك أهل العلم من هذه الأمة أن هذا قوله وفي هذا الحديث وأمثاله دلالة على أن الزاني حين الزناء والسارق حين السرقة ليسا مؤمنين قطعاً حتى لو ماتا في تلك الحالة كانا مخلدين في النار كسائر الكفار وهو يشكل بظاهره لما في الروايات الكثيرة من ان تارك العمل وفاعل المعصية فاسق تلحقه الشفاعة فلا بد من تأويله وأقرب التأويلات أنه ليس بكامل الإيمان وأنه يخلع عنه الإيمان الكامل كخلع القميص فيكون من باب نفي الشيء بنفي صفته نحو لاعلم الا ما نفع ، وقيل انه ليس بمؤمن اذا كان مستحلاً وهذا ليس مختصاً بما ذكر وكأ أنه للتمثيل ، وقيل ليس بمؤمن من العقاب وهذا أيضاً ليس بمختص ، وقيل المقصود نفي المدح أي لا يقال له مؤمن بل يقال : زان او سارق ، وقيل أنه لنفي البصيرة أي ليس ذا بصيرة ونقل عن ابن عباس انه لنفي النور أي ليس ذا نور ، وقيل انه نهى لا خبر وهو بعيد لانه لا يساعده اللفظ والرواية وقيل المقصود نفي الاستحضار أي ليس بمستحضر الإيمان ، وقيل المقصود نفي العقل أي ليس

خلع عنه الايمان كخلع القميص، و نزل بالمدينة «الذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبداً و أولئك هم الفاسقون» إلا الذين تابوا من بعد ذلك و أصلحوا فإن الله غفور رحيم « فبرأه الله ما كان مقيماً على القرية من أن يسمي بالايمان، قال الله عز وجل : « أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً لا يستوون » و جعله الله منافقاً ، قال الله عز وجل : « إن المنافقين هم الفاسقون » و جعله عز وجل من أولياء إبليس ، قال : « إلا إبليس

بعاقل لان المعصية مع استحضار العقوبة مرجوحة والحكم بالمرجوح بخلاف المعقول، وقيل المقصود نفى الحياء والحياء شعبة من الايمان أى ليس بمستحي من الله سبحانه، وقيل محمول على التشديد كقوله تعالى « و من كفر فان الله غنى عن العالمين » وقيل انه من المشابهات هذاجملة القول من العامة والخاصة فليتامل.

قوله (الذين يرمون المحصنات - الخ) رتب على قذف المحصنات ثلاثة امور الاول ثمانون جلدة. الثانى عدم قبول الشهادة مطلقاً كما يقتضيه وقوع النكرة فى سياق النفى، قال القاضى وقيل فى القذف ولا يتوقف على استيفاء الجلد خلافاً لابي حنيفة لان الواو لا يدل على الترتيب ولان حال القاذف قبل الجلد أسوء مما بعده الثالث أنه فاسق خارج عن طاعة الله تعالى ثم الظاهر أن الاستثناء متعلق بالآخرين، و أما الجلد فهو حق الناس لا يسقط الا بالاستحلال عن المقدوف والاصلاح المذكور بعد التوبة. قيل هو تأكيد وتقرير لها، وقيل هو البقاء عليها، و قيل هو تسليم النفس للحد أو طلب العفو عن المقدوف.

قوله (فبرأه الله ما كان مقيماً على القرية من أن يسمي بالايمان) أى فبرأه الله تصديقه بأن يكون الضمير راجعاً اليه بقرينة المقام أو اريد بالايمان المؤمن مجازاً أو أهل الايمان بحذف المضاف و فيه دلالة على أنه اذا تاب عن القرية و أكذب نفسه عنها عاد الى الايمان و يسمى مؤمناً .

قوله (قال الله عز وجل) بيان لعدم تسمية الرامى مؤمناً وحاصله ان الله تعالى سماه فى الاية المذكورة فاسقاً وجعل الفاسق فى قوله « أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً » مقابلاً للمؤمن فهو غير مؤمن و له وجه آخر و هو أنه تعالى سماه فاسقاً وسمى الفاسق كافراً فهو كافر والكافر ليس مؤمناً أما الاول فلما مر، و أما الثانى فلقوله تعالى « و من لم يحكم بما أنزل الله فاولئك هم الفاسقون » و من لم يحكم بما أنزل الله فاولئك هم الكافرون .

قوله (قال الله عز وجل ان المنافقين هم الفاسقون) دليل على جعله منافقاً اذ حصر

كان من الجن " فسق عن أمر ربّه " وجعله ملعوناً فقال : « إنّ الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا في الدنيا والاخرة و لهم عذاب عظيم . يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون » و ليست تشهد الجوارح على مؤمن إنّما تشهد على من حقّت عليه كلمة العذاب ، فأما المؤمن فيعطي كتابه بيمينه قال الله عزّ وجلّ : « فأما من أوتي كتابه بيمينه . فأولئك يقرؤون كتابهم ولا يظلمون شيئاً » و سورة النور أنزلت بعد سورة النساء وتصديق ذلك أنّ الله عزّ وجلّ أنزل عليه في سورة النساء « و اللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهنّ أربعة منكم فإن شهدوا فامسكوهنّ في البيوت حتى يتوفاهنّ الموت أو يجعل الله لهنّ سبيلاً » والسبيل الذي قال الله عزّ وجلّ « سورة أنزلناها و فرضناها و أنزلنا فيها آيات بيّنات لعلكم تذكرون . الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما

الفاسق في المنافق يدل على أنّ كل فاسق منافق .

قوله (ولست تشهد الجوارح على مؤمن- الخ) هذا صريح في أنّ شهادة الجوارح

مختصة بالكافرين كما ذهب اليه بعض المفسرين و مال اليه الشيخ بهاء الملة والدين في الحديث الخامس من الاربعين والظاهر أنّ شهادتها بطريق النطق والقادر الذي أقدر اللسان على النطق قادر على انطاقها و اقرارها عليه و يحتمل أن يكون بلسان الحال فإن كل عضو لما كان مباشراً لفعل من الافعال كان حضور ذلك العضو و ماصدر عنه في علم الله بمنزلة الشهادة القولية بين يديه و هذا الاحتمال بعيد جداً بل يأباه ظاهر الاية .

قوله (ولا يظلمون شيئاً) الفتيل ما يكون في شق النواة من الخيط وقيل ما يقتل بين

الاصبعين من الوسخ وهو كناية عن نفى الظلم مطلقاً .

قوله (و سورة النور انزلت بعد سورة النساء) الظاهر أنه لم يذكره لبيان السابق

اذ لاتعلق له به بل ذكره لبيان الواقع والاشعار بأن سبيلاً في آية النساء هو الجلد الذي في آية النور لان القرآن بعضه يفسر بمضاً و الراسخون في العلم يعرفونه بالهام الهى و تعريف نبوى .

قوله (واللاتي يأتين الفاحشة - الخ) قيل المراد بالفاحشة الزناه و قيل المساحقة و

بالامساك منعهن عنها أو حبسهن في البيوت فجعلها سجناً عليهن و لعل المضاف الى الموت محذوف أى ملك الموت والسبيل هو الجلد ولم يذكره استغناء بقوله « الزانية

مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رافة في دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر و
ليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين» .

٢- محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن محمد بن إسماعيل، عن محمد بن الفضيل، عن
أبي الصباح الكناني، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قيل لأبي المؤمنين عليه السلام: من
و الزاني فاجلدوا».

قوله (ولا تأخذكم بهما رافة) قال الفاضل الاردبيلي هي تدل على تحريم ترك
الحد أو البعض منه كما أو كفاً رحمة لهما بل مطلق الرحمة بأن يقال مسكين عذوبه، أو
حصل له عذاب كثير ونحو ذلك بالجملته الرحمة في دين الله أي طاعته و حكمه بخلاف مقتضاه
حرام بل يفهم أنها تسلب الايمان بالله واليوم الآخر يعني أن المؤمن بهما لا يفعل ذلك، و
في حضور طائفة عند اقامة الحد زيادة في التنكيل فان التفضيح ينكل أكثر ما ينكل
التعذيب، والطائفة قيل: أقلها ثلاثة وقيل: اثنان وقيل أربعة وقيل واحد وقيل جمع
يحصل به التشهير. (١)

(١) قوله «يحصل به التشهير» هذا الحديث بطوله رد على المرجئة وهم كانوا جماعة
في صدر الاسلام يرون أنه لا يضر مع الايمان شيء من عمل الجوارح كما مر مراراً فهم نظير
جماعة من عوام الشيعة يزعمون السعادة الاخرية تنحصر في ولاية أهل البيت عليهم السلام ولا
يضر مع ولايتهم ترك العبادات وارتكاب المناهي والقبائح ومثلهم جماعة من الزنادقة المتظاهرين
بالاسلام يطعمون أن يعدم المسلمون من جماعتهم ويصافوهم المودة ويعاونوهم في مقاصدهم
يقولون بأفواهم نحن مسلمون وان تركوا الصلاة والصوم و سائر ما جاء به النبي «ص» و
يستهوون باكثر أحكامه ويجدون في نقضها ونسخها وبيان الحجة التي اقامها الامام «ع» أنه لو
كان الايمان بلا عمل سبباً للنجاة في الاخرة لم يكن فائدة في تنابيع الانبياء واحداً بعد واحد
نسخ شريعة باخرى وتعذيب من يبقى على الدين المنسوخ ولا يؤمن بالدين الناسخ فقد نسخ
المسيح «ع» سبت اليهود وبعض أحكامهم وعذب اليهود لعدم ايمانهم به مع أن جميعهم كانوا على
نفى الشرك ولم يكن الايمان بالنبي الامقدمة للعمل بشريعته، و أيضاً ورد في آيات كثيرة
في السور المكية الاكتفاء بالايمان ونفى الشرك في النجاة ولكن في السور المدنية آيات
في مؤاخذه الناس في الاخرة بعمل الجوارح و ان لم يكونوا مشركين و هي ناسخة
للآيات المكية و صارت المنسوخة لاصحاب الارحاء من المتشابهات التي يتمسك بها
الذين في قلوبهم زيغ. (ش)

شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ﷺ كان مؤمناً؟ قال: فأين فرائض الله؟ قال: وسمعته يقول: كان عليٌّ ع يقول: لو كان الإيمان كلاماً لم ينزل فيه صوم ولا صلاة ولا حلال ولا حرام. قال: وقلت لأبي جعفر ع: إن عندنا قوماً يقولون: إذا شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ﷺ فهو مؤمن قال: فلم يضربون الحدود و لم تقطع أيديهم؟! وما خلق الله عزّ وجلّ خلقاً أكرم على الله عزّ وجلّ من المؤمن، لأنّ الملائكة خدام المؤمنين وأن جوار الله للمؤمنين وأن الجنة للمؤمنين وأن الحور العين للمؤمنين، ثمّ قال: فما بال من جحد الفرائض كان كافراً؟

قوله (قبل لامير المؤمنين «ع» من شهد أن لا إله إلا الله - الخ) هذا القول يحتمل أن يكون استفهاماً و اخباراً. وقوله «ع» فأين فرائض الله يدل على أنها معتبرة في الإيمان و لكن بعد الهجرة و أما قبلها فلا، كما مر.

قوله (لو كان الإيمان كلاماً لم ينزل) أي لو كان الإيمان كلاماً لسانياً و هو الاقرار بالشهادتين أو قلبياً أيضاً و هو التصديق فان الكلام يطلق على المعقول أيضاً لم ينزل هذه الاحكام التي وقع الوعيد والتنليظ فيها و توجيه الشرطية ظاهر فان مناط الكرامة والثواب والملازمة والعقاب هو الإيمان وعدمه و لو كان الإيمان مجرد كلام لم ينزل هذه الاحكام فان قلت لعل الإيمان وعدمه مناط لاسل الثواب والعقاب وتفاوت الدرجات والدرجات لاجل تلك الاحكام فيتوجه المنع الى الشرطية قلنا المتعود أن الدرجات أيضاً للإيمان فيتم الشرطية اذ محصلها أن الإيمان موجب لاستحقاق الثواب والدرجات العالية فلو كان كلاماً فقط لم ينزل احكام والحاصل أن كلامنا في الإيمان الكامل، و ظاهر أنه ليس مجرد كلام بل الاعمال والاحكام معتبرة فيها.

قوله (فلم يضربون الحدود و لم تقطع أيديهم) التعذيب بالضرب والتقطع و الاهانة بهما يدل على أن الزاني و السارق مثلاً ليسا بمؤمنين لان المؤمن عزيز لا يعذب ولا يهان. **قوله** (ثم قال فما بال من جحد الفرائض كان كافراً) لعل المراد أن جاحد الفرائض مثل الصلاة و الزكاة والصوم وغيرها كافر عندهم أيضاً وما ذلك الا لانها معتبرة في الإيمان و اذا كان كذلك كان تاركها أيضاً كافراً كما يدل عليه ما روى عن أبي عبد الله «ع» «أن الكفر كما يطلق على كفر الجحود كذلك يطلق على ترك ما أمر الله عز وجل به» و ما روى عنه «ع» في تفسير قوله تعالى «انا هديناه السبيل اما شاكرًا و اما كفورًا» قال اما «آخذ فهو شاكر و اما تارك فهو كافر» والكفر بهذا المعنى ينافي الإيمان الكامل دون إيمان التصديق وما روى من أن المؤمن لا

٣- علي بن إبراهيم ، عن محمد بن عيسى ، عن يونس ، عن سلام الجعفي قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الايمان، فقال : الايمان أن يطاع الله فلا يعصى.

(باب)

في أن الايمان مبثوث لجوارح البدن كلها

١- علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن بكر بن صالح ، عن القاسم بن بريد قال: حدثنا أبو عمر والزهري ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قلت له : أيها العالم أخبرني أي الأعمال أفضل عند الله؟ قال : ما لا يقبل الله شيئاً إلا به ، قلت : وما هو؟ قال : الايمان بالله الذي لا إله إلا هو ، أعلى الأعمال درجة أشرفها منزلة وأسناها

يدخل النار يراد به المؤمن الكامل ثم المفهوم من هذا القول أن الفرائض معتبرة في الايمان الكامل، وأما أنها من اجزائه أو شرايطه أو هي أيضاً ايمان فلا دلالة فيه على شيء من ذلك ولكن المشهور الاول وعليه روايات منها الروايات الاولى من هذا الباب والثاني محتمل والثالث مدلول بعض الاخبار كما سيجيء في الباب الاتي من تسمية الصلاة ايماناً.

قوله (فقال الايمان أن يطاع الله فلا يعصى) قد ذكرنا أن الايمان في عرف الائمة عليهم السلام هو الايمان الكامل الذي لا يستحق صاحبه الخزي والخذلان وليس ذلك الا التصديق والطاعة لله تعالى في أوامره و نواهيه فكان ما عداه ليس بايمان حقيقية، وليس المقصود نفي الايمان عن غيره (١) لان كثيراً من الايات والروايات دالة على أن التصديق ايمان .
قوله (باب في أن الايمان مبثوث لجوارح البدن) كلها اللام صلة لمبثوث أو بمعنى في ظرف له ويؤيده وجود في بدلا لها في بعض النسخ وهو الاظهر.

(١) «ليس المقصود نفي الايمان عن غيره» أحاديث هذا الباب أيضاً رد على المرجئة يرون الفساق والمؤمنين سواء في الفضل عند الله ليصير موجبا لعدم تنفر الناس عن بني امية والاجتناب عن لعنهم والتبري منهم ولكن الايمان الظاهر من الفساق في مذهبنا لا يؤثر الا في بعض أحكام الدنيا و أما الفضل عند الله و مصافاة المودة معهم و أعانتهم كسائر الصالحين فلا ولما كان هذا المذهب من الاراء غير المحمودة التي تنفر عن عليها مفسدة كثيرة في الامة بالغ الائمة عليهم السلام في نقضه ورده فانه يوجب جرأة الولاة على الشر والظلم واطمينانهم من مخالفة العامة و ثورتهم و يوهن الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وعدم حرمة للصالحين في الجامعة الانسانية و عدم رغبة الناس في التشبه بهم وأيضاً ان كان الصالح و الطالح سواء في الحرمة والفضل بطل مكارم الاخلاق وراجت الهمجية. (ش)

حظاً . قال: قلت: ألا تخبرني عن الإيمان أقول هو وعمل؟ أم قول بلا عمل؟ فقال:
الإيمان عملٌ كَلِّهِ والقول بعض ذلك العمل ، بفرض من الله بيِّن في كتابه، واضح

قوله (الإيمان بالله) أراد به الإيمان بالله وبالرسالة والولاية لان كل واحد منها بدون الآخر ليس بإيمان ولافضل له فضلا عن أن يكون أفضل وأشار بقوله الذي لاله الا هو الى أن الإيمان به مع الشرك ليس بإيمان وبقوله أعلى الاعمال درجة الى أنه عمل وسيصرح به وكون درجته أعلى باعتبار أنه أعظم الاعمال وعلو درجة كل بقدر عظمته لكون منزلته أشرف لتوقف قبول سائر الاعمال و صحتها عليه وكون حفظه ونصيبه أسنى و أرفع باعتبار أن ثوابه و جزاءه أكمل وأجزل.

قوله (قلت ألا تخبرني عن الإيمان) لما كان الجواب المذكور مجملا لم يعرف منه حقيقة الإيمان سأل السائل عنها وكأنه أراد بالقول المركب المعقول والملفوظ أعنى الاقرار باطناً بالتصديق و ظاهراً باللسان وبالعمل عمل سائر الجوارح اذ القول بأن الإيمان محض الاقرار باللسان بعيد لا يحمل كلام السائل عليه فأجاب «ع» بأن الإيمان عمل كله أى كل أفراده على ما هو ظاهر من التفصيل الاتي مثل قوله تعالى «و قال الذين آمنوا بأفواههم و لم تؤمن قلوبهم» أو كل أجزائه على أن يكون الإيمان مركباً من الجميع والحق أن الإيمان الكامل مركب من الجميع وأن كل واحد أيضاً يسمى إيماناً لان انقياد كل عضو و اطاعته فيما أمر به إيمان كما سيحىء فعلى كل عضو إيمان، ومجموع الاعمال المختلفة من حيث المجموع أيضاً إيمان ويعبر عنه بالإيمان الكامل وهو الذى ينبجى صاحبه عن الخزي والعقاب فقوله «ع» «والقول بعض ذلك العمل» معناه على الاول أنه بعض أفراد ذلك العمل الذى هو الإيمان وعلى الاخير أنه بعض أجزائه فليتأمل.

قوله (يفرض من الله) الظرف متعلق بقوله «الإيمان عمل كله» أو بقوله «والقول بعض ذلك العمل» أو بهما ودين، بالتنوين و«واضح» وصفان لفرض والضمير فى نوره و حجته راجع اليه، والمراد بالنور العلم، و اضافته باعتبار تعلقه به أو المراد به الدليل سمي به لانه يوصل الى المطلوب كالنور والاول أولى لان هذا المعنى يفهم من قوله ثابتة حجته والتأسيس خير من التأكيد والظاهر أن يشهد و يدعوه حال عن فرض وأن ضمير له واليه راجع الى الله تعالى و ضمير به والبارز فى يدعوه للفرض [ودعوة الفرض] اليه سبحانه نسبتة اليه و بيان أنه منه، ويحتمل أن يكون حالا عن الإيمان وأن يكون ضمير له و يدعوه راجعاً اليه و ضمير به واليه للمسل أى يشهد الكتاب للإيمان بانه عمل، هذا الذى ذكرناه من باب الاحتمال والله أعلم بحقيقة كلام و ليه .

نوره ، ثابتة حجته ، يشهد له به الكتاب و يدعوه إليه ، قال : قلت : صفه لي جعلت فداك حتى أفهمه ، قال : الايمان حالات و درجات و طبقات و منازل ، فمنه التام المنتهى تمامه و منه الناقص البين نقصانه و منه الرّاجح الزائد رجحانه ، قلت : إنّ الايمان ليتمّ و ينقص و يزيد ؟ قال : نعم ، قلت : كيف ذلك ؟ قال : لأنّ الله تبارك و تعالى فرض الايمان على جوارح ابن آدم و قسمه عليها و فرقّه فيها ،

قوله (الايمان حالات و درجات و طبقات و منازل) اشارة الى أن للايمان مراتب متكثرة و هي حالات للانسان باعتبار قيامها به و درجات باعتبار ترقيه من بعضها الى بعض و منه يظهر سر ماروى من «أن الايمان بعضه من بعض» و طبقات باعتبار تفاوت مراتبها في نفسها و كون بعضها فوق بعض و منازل باعتبار أن الانسان ينزل فيها و يأوى اليها فمنه التام المنتهى تمامه كايان الانبياء و الاوصياء و منه الناقص البين نقصانه وهو أدنى المراتب الذى دونه الكفر و منه الراجح الزائد رجحانه و هو على مراتب غير محصورة باعتبار التفاوت فى الكمية و الكيفية و الى هذه الاقسام أشار أمير المؤمنين «ع» بقوله «فمن الايمان ما يكون ثابتاً مستقراً فى القلوب و منه ما يكون عوارى بين القلوب و الصدور الى أجل معلوم» قسم الايمان الى قسمين لان الايمان ان بلغ حد الكمال فهو القسم الاول و الا فهو القسم الثانى ، واستعار له لفظ العوارى باعتبار كونه فى معرض الزوال كالعوارى و كنى بكونه بين القلوب و الصدور عن كونه متردداً غير مستقر و لا متمكن فى جوهر النفس . و القسمان الاخيران هنا أعنى الناقص و الراجح داخلان فى العوارى . و الله هو الموفق للمهداية و منه البداية و النهاية .

قوله (قلت ان الايمان ليتم و ينقص و يزيد) لوجه لسؤاله بعد ما عرف أن للايمان درجات و أنه عمل اذ لا ريب فى أن العمل يقبل الزيادة و النقصان و كأنه طلب زيادة التقرير و التوضيح ليعرف حقيقة الحال أو ظن أن المراد بالعمل عمل مخصوص ان نقص اتقى الايمان وان زاد لم يكن للزيادة مدخل فيه ، فأجاب «ع» بقوله نعم تصديقاً لذلك و تصريحاً بأن جنس الاعمال أنواعه متكثرة يزداد الايمان باعتبارها و ينقص ، قال المحقق الطوسى : الايمان فى اللغة التصديق و فى العرف التصديق المخصوص وهو التصديق بالله و برسوله و بما ثبت أنه جاء به الرسول و هذا القدر من الايمان لا يقبل الزيادة و النقصان اذ الانقص منه ليس بايمان و الزائد لا مدخل له فيه بل فى كماله ، و من علاماته الاتيان بالصالحات و ترك المنهيات و بهذا الاعتبار يتحقق فيه الزيادة و النقصان .

قوله (و قسمه عليها و فرقّه فيها) هذه القسمة اما قسمة الكل على جزئياته أو قسمة الكل على

فليس من جوارحه جارحة إلا وقد وكتلت من الإيمان بغير ما وكتلت به أختها فمنها قلبه الذي به يعقل ويفقه ويفهم وهو أمير بدنه الذي لا ترد الجوارح ولا تصدر إلا عن رأيه وأمره ومنها عيناه اللتان يبصر بهما وأذناه اللتان يسمع بهما ويده اللتان يبطن بهما ورجلاه اللتان يمشي بهما وفرجه الذي الباه من قبله ، ولسانه الذي ينطق به ورأسه الذي فيه وجهه ، فليس من هذه جارحة إلا وقد وكتلت من الإيمان بغير ما وكتلت به أختها ، بفرض من الله تبارك اسمه ، ينطق به الكتاب لها ويشهده عليها ففرض على القلب غير ما فرض على السمع وفرض على السمع غير ما فرض على العينين وفرض على العينين غير ما فرض على اللسان وفرض على اللسان غير ما فرض على اليدين وفرض على اليدين غير ما فرض على الرجلين وفرض على

أجزائه والاول قريب من الشكر بالمعنى اللغوي، الثاني من الشكر بالمعنى العرفي.
قوله (فمنها قلبه الذي به يعقل الخ) المراد بالقلب الروح والعقل والنفس الناطقة بالاعتبارات وقد يطلق على القوة المميزة (١) بين الحق والباطل وهو أمير البدن وحاكم على جوارحه وحواسه فاذا رجعت الجوارح الى أمره ورأيه وتديره في أفعالها حصلت السياسة البدنية وتحققت ملكة العدالة وانتظمت الامور وان خالفته فسد النظام وذاع الشرور واستولى المرض عليها حتى يزول عنها استعداد الخير بالمرة.
قوله (و فرجه الذي الباه من قبله) بكسر القاف أى من عنده . و الباه: جماع كردن .

قوله (ينطق به الكتاب لها ويشهده عليها) الضمير في به في الموضعين للإيمان أو للفرض وفي لها وعليها للجارحة .

(١) «على القوة المميزة» و يقال لها في اصطلاح الحكماء العقل العملى و ليس الا خاصة من خواص النفس الناطقة كالعقل النظرى و بالجملة للنفس قوتان نظرية بها يدرك حقائق الكليات على ما هي عليه بغير آلة والجزئيات بتوسط الالة و قوة عملية يدرك بها حسن بعض الافعال وقبح بعضها و قالوا تسرع الصبى الى ادراك قباحة بعض الامور ككشف العورة دليل على قوة النفس النظرية بخلاف الذى لا يدرك الا متأخراً والحيوان غير الناطق لا يدرك قبح شيء او حسنه، والدليل على أن العقل النظرى غير العملى عدم اختلاف الامم في الاوليات النظرية كالكل اعظم من الجزء والاثنان نصف الاربعة و اختلافهم في اوليات القوة العملية كقبح ذبح الحيوانات عند أهل الهند وحسن شرب الخمر عند النصارى. (ش)

الرجلين غير ما فرض على الفرج و فرض على الفرج غير ما فرض على الوجه ،
فأمّا ما فرض على القلب من الإيمان فالإقرار والمعرفة والعقد والرضا والتسليم بأن
لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، إلهاً واحداً ، لم يتخذ صاحبة ولا ولداً وأنّ محمداً

قوله (فأما ما فرض على القلب من الإيمان فالإقرار والمعرفة والعقد والرضا والتسليم
بأن لا إله إلا الله) لعل المراد بالإقرار الإقرار بما جاء به الرسول باطنياً بالقلب لا ظاهراً
باللسان لان المفروض أنه من فعل القلب، و بالمعرفة التصديق بالتوحيد والرسالة، وبالعقد
رسوخ ذلك التصديق وثبوته أو العطف للتفسير، وبالرضا الرضا بقضاء الله وهو من ثمرة
المحبة فان من أحب الله لا ينكر ما صدر منه ويكون راضياً به وان كان بشعاً مرأ مخالفاً لطبعه،
ويكون الموت والحياة والفناء والبقاء والفقر والغنى واقبال الدنيا وادبارها عنده سواء لا
يرجح أحدهما على الآخر لصدوره من المحبوب وكل ما صدر من المحبوب فهو محبوب،
والتسليم فوق الرضا لان العبد في مقام الرضا يرى نفسه ويمد كل فعله عزشأنه موافقاً لطبعه،
في مرتبة التسليم يسلم نفسه وطبعه وما يوافقه و يخالفه اليه ومن ههنا يظهر أن الإيمان
القلبي يتفاوت قوة وضعفاً (١) على مراتب متكثرة و ان أدناها أصل المعرفة لان زواله يوجب
الدخول في الكفر بخلاف البواقي فان زوالها يوجب زوال الكمال وربما يشعر به ما نقلناه
عن المحقق سابقاً و الظاهر أن قوله «بأن لا إله إلا الله» متعلق بالإقرار والمعرفة و
العقد وأن قوله «والإقرار بما جاء من عند الله» معطوف على أن لا إله إلا الله فيكون الاولان بياناً
للاخيرين والاخير بياناً للاول.

(١) قوله «يتفاوت قوة وضعفاً» يوصف الإيمان بالقوة والضعف والقلة والكثرة باعتبار
ما يؤمن به لا باعتبار نفس معناه المصدرى كما أن العلم يوصف بالقلة والكثرة باعتبار المعلوم
ولكن الظن يوصف بالشدة والضعف باعتبار نفس معناه المصدرى والفرق أن الظن يجتمع
مع تجويز النقيض وهو قريب وبعيد بخلاف العلم والإيمان فانهما الاعتقاد بالشئ مع عدم
تجويز الخلاف أصلاً، ولا يتصور فيه تفاوت أصلاً والغرض من هذه الاحاديث كما قلنا الرد
على المرجئة حيث كان مذهبهم التقريب والمصافاة بين فاسق بنى امية والمتدينين من رعاياهم
عكس مذهب الخوارج حيث كانوا على تشديد العداوة و اثاره البغضاء ليسهل عليهم الخروج
على الولاة وتوهين ملك بنى امية بتكفيرهم وكان ضرر المرجئة أشد ولذلك قال أمير المؤمنين
«ع» لاتقاتلوا بعدى الخوارج فانه ليس من طلب الحق فأخطأ (يشير الى الخوارج) كمن
طلب الباطل فأصاب (اشارة الى بنى امية). (ش)

عبده ورسوله صلوات الله عليه وآله والإقرار بما جاء من عند الله من نبي أو كتاب فذلك ما فرض الله على القلب من الإقرار والمعرفة وهو عمله وهو قول الله عز وجل «إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان ولكن من شرح بالكفر صدراً» وقال : «ألا بذكر الله مطمئن القلوب» وقال : «الذين آمنوا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم» وقال : «إن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء» فلذلك ما فرض الله عز وجل على القلب من الإقرار والمعرفة وهو رأس الإيمان، وفرض الله على اللسان القول والتعبير عن القلب بما عقد عليه وأقر به، قال الله تبارك وتعالى «وقولوا للناس حسناً» وقال : «قولوا آمنا بالله

قوله (و قلبه مطمئن بالإيمان) حال مؤكدة لان الاكراه لا ينفك عنه غالباً و دليل على أن الإيمان من الفروض القلبية وعلى أن لا يزول بالاكراه و اظهار نقيضه باللسان عند التقيّة وعلى أن الاقرار باللسان وغيره من الاعمال بدونه ليس بإيمان.

قوله (وقال ان تبدوا) أى ان تبدوا ما فى أنفسكم من الإيمان والكفر والكبر و العجب و غيرها من المعاصى القلبية أو تخفوها يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء بالفضل اذا كان من أهله و يعذب من يشاء بالعدل اذا كان من أهله و هذه الآية دلت بعمومها على المؤاخذه والتعذيب بنية المعاصى والمخاطرات النفسية و يمكن تخصيصها بالعقائد القلبية والخبائث النفسية مثل الإيمان والكفر والكبر والعجب و أمثالها لما يظهر من ظاهرا استشهاد المعصوم هنا ولدلالة الاخبار الكثيرة الآتية فى أبوابها على عدم المؤاخذه بالنية والمخاطرات و لقوله تعالى «لا يكلف الله نفساً الا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت» فان ذكر الاكتساب فى طرف المعصية دليل على أنه لا يعذب بها الا بعد المبالغة فى الكسب، والمبالغة لا يتحقق الا بعد ايجاد المنوى والاتبان بها بخلاف الطاعة فانه يثاب بها لاصل الكسب و هو يتحقق بالنية فيثاب بها كما يثاب بفعل المنوى، وقيل ان نية المعصية معصية يقتضى العقوبة ولكنه تعالى يعفو عن المؤمنين و يكون المراد بقوله فيغفر لمن يشاء المؤمنون والله أعلم.

قوله (وفرض الله على اللسان القول والتعبير عن القلب) دل على وجوب الاقرار باللسان بالاعتقادات مثل الإيمان وغيره، ولا يدل على اشتراط قبول الإيمان القلبي به كما ظن نعم بشرط عدم الانكار باللسان لقوله تعالى «و جحدوا بها و استيقنتها أنفسهم» وينبغى أن يراد بالقول الواجب مطلقاً مثل أداء الشهادات والاقرار بحقوق الناس و اظهار العقائد القلبية والقول الحسن للناس مثل تعليم العلوم والامر بالمعروف والنهي عن المنكر و أمثال ذلك حينئذ ذكر التعبير بعده من باب ذكر الخاص بعد العام لزيادة الاهتمام، و

و ما أنزل إلينا و ما أنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحدٌ و نحن له مسلمون « فهذا ما فرض الله على اللسان و هو عمله، و فرض على السمع أن يتنزّه عن الاستماع إلى ما حرم الله و أن يعرض عمّا لا يحلّ له ممّا نهى الله عزّ وجلّ عنه و الاصغاء إلى ما أسخط الله عزّ وجلّ فقال في ذلك: «وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يُكفر بها و يستهزء بها فلا تتعدوا معهم حتّى يخوضوا في حديث غيره .» ثمّ استثنى الله عزّ وجلّ موضع النسيان فقال: « و إمّا ينسينك الشيطان فلا تتعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين». فقال: «فبشّر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أو لك الذين هديهم الله و أولئك هم أولو الألباب» و قال عزّ وجلّ:

من ههنا ظهر أن عطف التعبير على القول ليس للتفسير، و حمله على التفسير مع أنه خلاف الظاهر مخل لوجهين: الاول أن الفروض اللسانية غير منحصرة في التعبير بل هي أكثر من أن تحصى، و الثاني لا يناسب قوله «ع» استهاداً له قال الله تبارك اسمه «و قولوا للناس حسناً» اذ لا يدخل له في التعبير عن القلب بخلاف ما قلنا فان هذا شاهد للقول و ما بعده شاهد للتعبير، و ينبغي أيضاً أن يراد بالاقرار في قوله «و أقربيه» الاقرار القلبي لا سناده الى القلب و هو ظاهر .

قوله (و فرض على السمع أن يتنزّه عن الاستماع الى ما حرم الله) يندرج فيه جميع المحرمات السمعية مثل الغناء و الغيبة و صوت الاجنبية و المزامير و نحوها و كلام الكذب و ذم الائمة عليهم السلام، و انكار حقوقهم و استهزاء المؤمنين و غيرها .

قوله (فقال في ذلك وقد نزل عليكم في الكتاب) ذلك اشارة الى النهي عن استماع ما حرم الله و الاصغاء الى ما أسخط الله، و المراد بالآيات الائمة عليهم السلام أو الاعم يعني اذا سمعتم الرجل يجحد الحق و يكذب به و يقع في الائمة و يستهزئ بهم فقوموا من عنده و لاتقاعدوه و لاتجالسوه حتى يخوض و يشرع في حديث غيره فحينئذ يجوز مجالسته لارشاده و غيره مما يجوز الجلوس معه ثم استثنى موضع النسيان اذ لا يكلف معه فقال «و امّا ينسينك الشيطان» حرمة المجالسة «فلا تتعد بعد الذكرى» للحرمة «مع القوم الظالمين» وهم المذكورون، و الاظهار في مقام الاضمار للتنصيص على ظلمهم و للتصريح بعلّة الحرمة.

قوله (فبشّر عباد الذين) الاضافة للتشريف و الاشعار بأنهم هم المستحقون بأن يسموا عباداً و أحسن القول ما فيه رضا الله تعالى أو رضا أكثر، و ما هو أشد على النفس و أشق، هذه كلمة جامعة يندرج فيها القول في اصول الدين و فروعه و الاصلاح بين الناس، و روى أن المراد به نقل الحديث باللفظ من غير زيادة و نقصان و التعميم أحسن .

«قد أفلح المؤمنون الذين هم عن اللغو معرضون و الذين هم للزكوة فاعلون» وقال: «إذا سمعوا اللغو، أعرضوا عنه و قالوا لنا أعمالنا و لكم أعمالكم» و قال: «وإذا مرؤوا باللغو مرؤوا كراماً» فهذا ما فرض الله على السمع من الإيمان أن لا يصغى إلى ما لا يحل له و هو عمله و هو من الإيمان، و فرض على البصر أن لا ينظر إلى ما حرم الله عليه و أن يعرض عما نهى الله عنه، مما لا يحل له و هو عمله و هو من الإيمان، فقال تبارك و تعالی: «قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم و يحفظوا فروجهم» فنهاهم أن ينظروا إلى عوراتهم و أن ينظر

قوله (و الذين هم عن اللغو معرضون) اللغو الفحش و ما لا خير فيه من الكلام و يكفى في الاستشهاد كون بعض أفراده حراماً و الاعراض عنه واجب مثل الغناء و الدف و الصنج و الطبل و الطنبور و الاكاذيب و غيرها.

قوله (و اذا مروا باللغو مروا كراماً) أى مكرمين أنفسهم عن استماع اللغو و الكريم من الناس الشريف الذى يتبرأ من أمثال الامور المذكورة.

قوله (فهذا ما فرض الله على السمع من الإيمان أن لا يصغى الى ما لا يحل) هذا اشارة الى المذكور من الواجبات و المحرمات ، و الظاهر أن «من الإيمان» مبتدأ و «أن لا يصغى» خبره ، و اكتفى بذكر عدم الاصغاء الى ما لا يحل عن ذكر الاصغاء الى ما يجب ولو جعل «من» بياناً لما بقى أن لا يصغى منفصلاً و لا محل له من الاعراب الا أن يجعل بدلاً و هو بعيد.

قوله (قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم) قال فى مجمع البيان «يغضوا» مجزوم لانه جواب شرط مقدر تقديره قل للمؤمنين غضوا فانك ان تقل لهم يغضوا ثم قال ويجوز أن يكون مجزوماً على تقدير لينغضوا. و قيل خبر بمعنى الامر و الاوسط أوسط عند الفاضل الاردبيلي حيث قال ولعل اللام مقدر و التقدير لينغضوا ثم ذكر الاول و رده من غير وجه و جبه و لم يذكر الثالث، و قال صاحب الكشاف «من» للتبويض و المراد غض البصر عما يحرم. و الاقتصار على ما يحل و هو مذهب سيويه، و جوز الاخفش أن يكون زائدة و بعض أصحابنا رد الاخير لضعف زيادة من فى الاثبات الاشاذاً و رجح الاول لانه لا يجب الغض عن جميع المحرمات لجواز النظر الى شعور المحرمات و أبدأها عدا العورة و الى وجوه الاجنبات و كفيها و قدمها فى إحدى الراويتين أو فى حال الضرورة كالنظر للملاج أو تحمل الشهادة أو اقامتها و الى المخطوبة مع امكان النكاح و بدونه الى وجوه الاماء المستعرضات للبيع، و الفاضل الاردبيلي رجح الثاني

المرء إلى فرج أخيه و يحفظ فرجه أن ينظر إليه و قال: « وقل للمؤمنات يغضن من أبصارهن » و يحفظن فروجهن » من أن تنظر إحداهن إلى فرج أختها و تحفظ فرجها من أن ينظر إليها. و قال: كل شيء في القرآن من حفظ الفرج فهو من الزنى إلا هذه الآية فإنها من النظر، ثم نظم ما فرض على القلب و اللسان و السمع و البصر

و رد الأول بأن التبعض يفيد غض بعض البصر دون البعض لا بعض المبصر وهو المطلوب و المعقول كما يفهم من قوله « والمراد إلى آخره » أقول يمكن أن يراد بالتبعض غض بعض البصر بارخائه في الجملة بحيث لا يرى المحرم لتطبيقه رأساً و يراد به على أي تقدير ترك النظر إلى ما لا يحل .

قوله (فنهاهم أن ينظروا إلى عوراتهم) دل على أن الأمر بالشئ نهى عن ضده أي نهاهم أن ينظر كل واحد إلى عورة غيره، ذكرنا أن أم اثني، قبل أن أم دبراً، وأن ينظر المرء إلى فرج أخيه وكذا فرج أخته والعطف للتفسير ويمكن أن يراد بغض البصر ترك النظر إلى كل ما لا يحل والمذكور أكمل أفراده وهذا ناظر إلى قوله « يغضوا من أبصارهم » وتفسير له وقوله « ويحفظ فرجه » ناظر إلى قوله تعالى « ويحفظوا فروجهم » وتفسير له والظاهر أن عطف يحفظ على ينظر غير صحيح لعدم اندراج تحت النهي، وكأنه عطف على نهاهم باضمار فعل أي وأمره أن يحفظ فرجه فليتأمل.

قوله (من أن تنظر إحداهن إلى فرج أختها وتحفظ فرجها من أن ينظر إليها) « من » متعلق بـ يغضن و يحفظن أو بفعل مقدر بقرينة السابق أي نهاهن من أن تنظر وهذا ناظر إلى يغضن و تفسير له، وقوله « وتحفظ فرجها » ناظر إلى يحفظن و تفسير له ولا يبعد تعميم الغض ليشمل كل ما لا يحل لهن النظر إليه والمذكور بعض أفراده و تخصيص الحفظ بما ذكره لأن التوافق بين القريتين، وهذه الرواية و غيرها يدل على المذكور.

قوله (فإنها من النظر) لما كان النظر إلى العورة مع قبحه مثيراً للشهوة و السفاد غالباً حرم النظر إليها وأوجب حفظها عنه دفماً للفساد.

قوله (ثم نظم ما فرض على القلب و اللسان و السمع و البصر في آية أخرى) فيه أن الفروض القلبية و اللسانية غير مندرجة في الآية الأولى و الفروض اللسانية في الآية الثانية و يمكن أن يقال يفهم ذلك من قوله « يستترون أن يشهد عليكم » ومن قوله « ولا تقف ما ليس لك به علم » فإن استتار الشئ عبارة عن اضماره في القلب و عدم اظهاره باللسان و عدم متابعة غير المعلوم عبارة عن عدم التصديق به و عدم اظهار العلم به باللسان والله أعلم .

في آية أخرى فقال: «وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم» يعني بالجلود: الفروج والأفخاذ. وقال: «ولا تتقف ما ليس لك به علم إنَّ السمع والبصر والفؤاد كلٌ أولئك كان عنه مسؤولاً» فهذا ما فرض الله على العينين من غضِّ البصر عما حرم الله عزَّ وجلَّ وهو عملهما وهو من الإيمان. وفرض الله على اليدين أن لا يبطش بهما إلى ما حرم الله وأن يبطش بهما إلى ما أمر الله عزَّ وجلَّ وفرض عليهما من الصدقة وصلة الرحم والجهاد في سبيل الله والظهور للصلاة، فقال: «يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلوة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم إلى الكعبين» وقال: «فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى إذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق فامسأ مناً

قوله (وما كنتم تستترون) قيل كنتم تستترون القبائح عند فعلكم اياها وما كنتم عالمين ولا ظانين بشهادة الجوارح على أنفسها فيدل على أنهم مكلفون بالفروج ولولاه لم يشهد على أنفسها وقيل لعل المراد بها أنكم ما كنتم لتستتروا وتدفعوا شهادتها على أنفسها بعدم فعل القبائح أو في القيامة بأن لا تشهد على أنفسها.

قوله (يعني بالجلود الفروج والأفخاذ) قيل هذا التفسير يدل على أن الأفخاذ عورة يحرم النظر إليها كما هو مذهب بعض وأن الفروج والأفخاذ تشهد على فعلها وهو الزناء والواط واللمس.

قوله (ان السمع والبصر والفؤاد) قد فرض الله تعالى على هذه الاعضاء فرائض يحتج بها عليك ويسألك عن كل واحد يوم القيامة فيما صرفته أصرفته فيما خلق لاجله أو في غيره، فوجب أن لا تستعمله في محرم لانه يشهد عليك وعلى نفسه بما فعل من خير أو شر .

قوله (الى ما حرم الله) مثل القتل والضرب والنهب والسرقة وكتابة الكذب والظلم ونحوها.

قوله (وفرض عليهما من الصدقة وصلة الرحم) اذ ايصال الصدقة الى الفقراء و ايصال الخير الى الاقرباء والضرب والبطش والشد في الجهاد والظهور للصلوة بتسلي اليدين ومسح الرأس والرجلين من فروض اليد واستشهد للظهور والجهاد باليتين ويفهم منه وجوب استعمال اليد في غسل الوجه وهو ما لانه الفرد الغالب أو لان فرد الواجب التخييري أيضاً واجب وان كان التخصص ببعض الافراد مستحباً.

بعد و إما فداءً حتى تضع الحرب أوزارها» فهذا ما فرض الله على اليدين لأنَّ الضرب من علاجهما. و فرض على الرّجلين أن لايمشي بهما إلى شيء من معاصي الله و فرض عليهما المشي إلى ما يرضى الله عزّ وجلّ فقال: «ولاتمش في الأرض مرحاً إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولاً» و قال: « و اقصد في مشيك و اغضض من صوتك إن أنكر الأصوات لصوت الحمير » وقال: فيما شهدت الأيدي والأرجل على أنفسهما و على أربابهما من تضييعهما لما أمر الله عزّ وجلّ به و فرضه عليهما: «اليوم نختم على أفواههم و تكلمنا أيديهم و تشهد أرجلهم بما كانوا يَكْسِبُونَ» فهذا أيضاً ممّا فرض الله على اليدين و على الرّجلين و هو عملهما وهو من الايمان و فرض على الوجه السجود له بالليل والنهار في مواقيت الصلاة فقال: « يا أيها الذين آمنوا اركعوا و اسجدوا و اعبدوا ربكم و افعلوا الخير لعلكم تفلحون » فهذه

قوله (فرض الرقاب) ضرب الرقاب عبارة عن القتل بضرب العنق و أصله فاضربوا الرقاب ضرباً حذف الفعل و اقيم المصدر مقامه و اضيف الى المفعول ، و الاثخان اكنار القتل أو الجراح بحيث لا يقدر على النهوض، و الوثاق بالفتح و الكسر ما يوثق به و شدة كناية عن الاسر، و مناً و فداء مفعول مطلق لفعل محذوف أى فاما تمنون مناً و اما تفدون فداء و اوزار الحرب آلتها مثل السيف و السنان و غيرها و المروى و مذهب الاصحاب أن الاسير ان أخذ و الحرب قائمة تعين قتله اما بضرب عنقه أو بقطع يده و رجله من خلاف، و تركه حتى ينزف و يموت و ان أخذ بعد انقضاء الحرب تخير الامام بين المن و الفداء و الاسترقاق و لا يجوز القتل، و الاسترقاق علم من السنة.

قوله (و فرض عليهما المشي الى ما يرضى الله عز وجل) مثل الحج و الجهاد و الزيارات و قضاء حوائج المؤمنين و الذهاب الى الصلاة و القيام فيها و نحوها.

قوله (اليوم نختم على أفواههم) قيل هذا ينافي ما روى أن الناس في ذلك اليوم يحتجون لانفسهم و يسمى كل منهم في فكك رقبتك كما قال سبحانه « يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها » و الله سبحانه يلقن من يشاء حجته و يرشد اليه أيضاً ما روى في دعاء الوضوء « اللهم لقمي حجتى يوم ألقاك ». و اجيب بأن الختم مخصوص بالكفار كما قاله بعض المفسرين أو أن الختم يكون بعد الاحتجاج و المجادلة كما في بعض الروايات ، و بالجملة المعلوم أن الختم يقع في ذلك اليوم فيجوز أن يقسع الختم في مقام و يقع المجادلة في مقام آخر .

فريضة جامعة على الوجه واليدين والرجلين ، و قال : في موضع آخر : «وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً» و قال فيما فرض على الجوارح من الطهور و

قوله (فهذه فريضة جامعة على الوجه واليدين والرجلين) أى الركوع والسجود والعبادة و فعل الخير فريضة على الاعضاء المذكورة غير مختصة بأحدها أما الركوع فلان لوجه فيه نصيباً من الفرض و هو الانحناء و للرجلين كذلك وهو القيام ، وليدين كذلك وهو وصولهما الى الركبتين هذا في الفرائض ، وأما أفعالها المندوبة فكثيرة تعرف بالنظر في كتب الفروع ، و أما السجود ففرض الرجل وضع الركبتين والابهامين على الارض ، و فرض الوجه السجود على التراب ونحوه . و فرض اليدين وضع الكفين على الارض . و أما العبادة و فعل الخير فظاهر اذ لكل عضو من الاعضاء فيهما نصيب من الفرض ولعل الترجمي للتحقيق لان حقيقته عليه عز شأ نه مجال ، و انما جرى به لثلا يفتر العابد بفعله .

قوله (و قال في موضع آخر و أن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً) أى المساجد السبعة و هى الاعضاء المشهورة أعنى الجبهة والكفين والركبتين والابهامين لله أى خلقت لان يعبد بها الله فلا تتركوا معه غيره في سجودكم عليها و هذا التفسير هو المشهور بين المفسرين والمذكور في حديث حماد عن أبي عبدالله «ع» و المروى عن أبي جعفر محمد بن علي بن موسى عليهم السلام حين سأله المعتصم عن هذه الآية ، و به قال سعيد بن جبير والزجاج والفراء و يؤيده قول النبي «ص» «أمرت أن أسجد على سبعة ارب» أى أعضاء و على هذا لا عبرة بقول من قال المراد بها المساجد المعروفة . ولا يقول من قال هى بقاع الارض كلها متمسكاً بقوله «ص» جعلت الارض مسجداً ، ولا يقول من قال : هى المسجد الحرام ، والجمع باعتبار أنه قبلة لجميع المساجد ولا يقول من قال هى السجدة جمع مسجد بالفتح مصدر أى السجودات لله فلا يفعل لغيره لان المعصومين أولى بمعرفة منازل القرآن و مراده من غيرهم نعم حمل الآية على الاعم و جعل المذكور هنا أظهر أفراده و أكملها ممكن .

قوله (و قال فيما فرض الخ) كان المراد وقال هذه الآية يعنى أن المساجد لله فيما فرض الله على الجوارح السبعة من الطهور و الصلاة بها فهذه أيضاً فريضة جامعة على الوجه واليدين والرجلين كالسابقة ، ولعل ذلك في قوله «وذلك أن الله عز وجل الخ» إشارة الى كون القرآن دليلاً على بث الايمان على الجوارح ، وتفصيل القول فيه أن الايات المذكورة انما دلت على أنه تعالى فرض على كل جارحة شيئاً غير ما فرضه على الاخرى ، ولم يثبت بهذا القدر من جهة القرآن ما ذكره أولاً من أنه تعالى فرض الايمان على جوارح ابن آدم وقسمه عليها وفرقه فيها فأشار هنا الى اثبات ذلك بالقرآن وحاصله أن الآية وهى قوله عز وجل «وما كان الله ليضيع

الصلاة بها و ذلك أن الله عز وجل لما صرف نبيه ﷺ إلى الكعبة عن البيت المقدس فأنزل الله عز وجل « و ما كان الله ليضيع إيمانكم إن الله بالناس لرؤف رحيم » فسمي الصلاة إيماناً فمن لقي الله عز وجل حافظاً لجوارحه موفياً كل جارحة من جوارحه ما فرض الله عز وجل عليها لقي الله عز وجل مستكملاً لإيمانه و هو من أهل الجنة و من خان في شيء منها أو تعدى ما أمر الله عز وجل فيها لقي الله عز وجل ناقص الإيمان، قلت: قد فهمت نقصان الإيمان و تمامه، فمن أين جاءت زيادته؟ فقال: قول الله عز وجل: « وإذ أماناً نزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه إيماناً فأما الذين آمنوا فزادتهم إيماناً وهم يستبشرون به و أما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجساً إلى رجسهم » و قال: « و نحن نقص عليك نبأهم بالحق إنهم فتية

إيمانكم » دلت على أن الصلاة إيمان ولا ريب في أن الصلاة مركبة من أفعال جميع الجوارح فقد ثبت أن الإيمان مركب منها هذا ما خطر بالبال على سبيل الاحتمال والله أعلم.
قوله (و هو من أهل الجنة) كامل الإيمان من أهل الجنة قطعاً و ناقص الإيمان قد يدخل النار و هذا أحد وجوه الجمع بين ما دل على أن المؤمن لا يدخل النار و ما دل على أنه يدخلها.
قوله (ومن خان في شيء منها أو تعدى ما أمر الله) الظاهر أن الخيانة فعل المنهيات، والتعدى ترك الأمور.

قوله (قلت قد فهمت نقصان الإيمان و تمامه فمن أين جاءت زيادته) لما ذكر «ع» أولان الإيمان مفروض على الجوارح وأنه يزيد و ينقص، و علم السائل الأول صريحاً من الآيات المذكورة والثاني ضمناً أو التزاماً منها للعلم الضروري بأن العمل يزيد و ينقص سأل عن الآيات الدالة على الثاني صريحاً أو قصده من السؤال اني قد فهمت مما ذكر نقصان الإيمان العملي و تمامه باعتبار أن العمل يزيد و ينقص فمن أين جاءت زيادة الإيمان التصديقي وأية آية تدل عليها، وفيه حينئذ استخدام إذ أراد بلفظ الإيمان الإيمان العملي و بضميره الإيمان التصديقي والاستخدام شائع عند البلغاء، و على التقديرين لا يرد أنه اذا علم نقصان الإيمان و تمامه فقد علم زيادته لان في التام زيادة ليست في الناقص.

قوله (فأما الذين آمنوا فزادتهم إيماناً) دل على أن الإيمان سبب للإيمان يعنى أن الدرجة التحتانية منه سبب لحصول الدرجة الفوقانية، و كذلك الكفر و من ثم قيل الخير والشر يسريان.

آمنوا برّبهم و زدناهم هدى « ولو كان كُله واحداً لازيادة فيه ولا نقصان لم يكن لأحد منهم فضل على الآخر ولا استوت النعم فيه ولا استوى الناس وبطل التفضيل و لكن بتمام الايمان دخل المؤمنون الجنة و بالزيادة في الايمان تفاضل المؤمنون بالدرجات عند الله و بالنقصان دخل المفراطون النار .

٢- عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد بن خالد، عن أبيه، و محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد بن عيسى، جميعاً، عن البرقي، عن النضر بن سويد ، عن يحيى بن

قوله (وزدناهم هدى) المراد به الهداية الخاصة المختصة بالاولياء وهى بصيرة قلبية زائدة على أصل التصديق (١) بها يتزايد ويرتقى الى مرتبة عين اليقين .

قوله (ولو كان كله واحداً) أى لو كان كل الايمان واحداً لازيادة فيه ولا نقصان لم يكن لأحد من المؤمنين فضل على الآخر لان الفضل انما هو بالايمان فلا فضل مع مساواتهم فيه، و لاستوت النعم فى الايمان مثل الهدايات الخاصة والالطاف والتوفيقات وغيرها، ولاستوى الناس فى الدخول فى الجنة لاستوائهم فى الايمان الموجب لدخولها، و بطل تفضيل بعضهم على بعض بالدرجات واللوازم كلها باطلة بالسنة والايات ولكن بتمام الايمان باعتبار أصل التصديق والعمل بالواجبات وترك المنهيات دخل المؤمنون المتصفون به الجنة و بالزيادة فى الايمان لذلك مع العمل بالاعمال المندوبة والاداب المرغوبة و الاخلاق المطلوبة تفاضل المؤمنون المتصفون بها بالدرجات العالية والمقامات الرفيعة عند الله تعالى و بالنقصان فى التصديق لعدم تمكنه واستقراره فى القلب أو فى التقصير فى الاعمال الواجبة بترك الواجبات و فعل المنهيات دخل المفراطون فى النار وقد ظهر من ذلك أن المدعين للإيمان ثلاثة أقسام تام و زايد و ناقص وقد علم حكم كل واحد منها والله هو الموفق .

قوله (عدة من أصحابنا عن أحمد بن محمد بن خالد، عن أبيه و محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى جميعاً، عن البرقي، عن النضر بن سويد) الظاهر أن لفظة عن أبيه

(١) قوله « زائدة على أصل التصديق » واصل التصديق غير قابل للزيادة والنقصان كما قلنا وانما التشكيك فى اخضاع سائر القوى و ادراك سائر المدارك فان الذى يبصر شيئاً و يسمع صوته ويلمس سطحه و يذوق طعمه غير من يسمع صوته فقط و الذى يعتقد بوجود شىء لرؤية آثاره غير من يراه نفسه و المؤمن بالله متيقن بوجوده قطعاً لا ظناً فقد يكون له دليل واحد وقد يكون له أدلة كثيرة بمنزلة من يشاهده و يتأثر بالايمان جميع قواه و بذلك يتفاوت

درجاتهم . (ش)

عمران الحلبي، عن عبيد الله بن الحسن بن هارون قال : قال لي أبو عبد الله عليه السلام : « إن السمع والبصر والفؤاد كلٌ أولئك كان عنه مسؤولاً » قال : يسأل السمع عما سمع والبصر عما نظر إليه والفؤاد عما عقد عليه .

٣ - أبو علي الأشعري ، عن محمد بن عبد الجبار ، عن صفوان أو غيره ، عن العلاء ، عن محمد بن مسلم ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : سألته عن الايمان فقال : شهادة أن لا إله إلا الله والإقرار بما جاء من عند الله وما استقر في القلوب من التصديق بذلك ، قال : قلت : الشهادة أليست عملاً ؟ قال : بلى ، قلت : العمل من الايمان ؟ قال : نعم الايمان لا يكون إلا بعمل والعمل منه ولا يثبت الايمان إلا بعمل .

أو جميعاً زائدة بل لا محصل له لان البرقي ليس الا محمد بن خالد ولا معنى لرواية البرقي عن البرقي وقد يقال المراد بالبرقي خالد لان البرقي لقب لهذه القبيلة أو نسبة الى مسكنهم .

قوله (فقال شهادة أن لا اله الا الله) كأنها كناية عن الشهادتين والمراد بها الاقرار اللساني وبما بعدها الاقرار القلبي وفيه دلالة على أن الايمان مركب من الشهادة والتصديق ، وهذا نوع من الايمان الكامل و ساء بعض المحققين بايمان الصديقين ان كان مع الشهادة خلوا النفس عن غيره تعالى و تنزهها عن هواها فان لا اله الا الله دل على التوحيد و هو انما يتحقق في نفس الامر بالتنزه عن الشرك الجلي والخفي ، وانما قلنا هذا نوع من الايمان الكامل لان له أنواعاً آخر منها مركب من التصديق وتخليية النفس عن الرذائل و تحليتها بالفضائل ومنها مركب من التصديق أو أعمال الجوارح ، ومنها مركب من الجميع وهذا أفضل الأنواع .

قوله (قال نعم الايمان لا يكون الا بعمل) لعل المراد أن الايمان لا يوجد أو لا يكن ايماناً الا بعمل ، والعمل بعض منه ولا يثبت الايمان في نفس الامر الا بعمل كما أن الكل لا يوجد الا بجزء ولا يكون كلاً الا بجزء و الجزء بعض منه ولا يثبت الكل في نفس الامر الا بجزء فيفيد أن الايمان مركب والعمل بعض أجزائه وهو الايمان الكامل أو المراد أن الايمان وهو التصديق لا يكون الا مقروناً بالعمل والعمل من شيم أهل الايمان ومحاسنه التي تقتضى الايمان الاتيان بها ولا يثبت الايمان عندنا أو لا يستقر في نفس الامر الا بعمل لان التصديق أمر قلبي لا يثبت الا بدليل وهو العمل أو لا يستقر الا به ، فلا يفيد أنه مركب ، والاوّل أنسب بظاهر صدر الحديث وعلى التقديرين لا يرد أن أول هذا الكلام يدل على أن العمل جزء من الايمان و ظاهر آخره على أنه خارج منه دليل عليه على أنه لو حمل على هذا لا يمكن أن يقال ان المراد شرح اصول الكافي - ٧ -

٤ - عدّة من أصحابنا ، عن أحمد بن محمد بن خالد ، عن عثمان بن عيسى ، عن عبد الله بن مسكان ، عن بعض أصحابه ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قلت له : ما الإسلام ؟ فقال : دين الله اسمه الإسلام و هو دين الله قبل أن تكونوا حيث كنتم و بعد أن تكونوا ، فمن أقرّ بدين الله فهو مسلمٌ و من عمل بما أمر الله عزّ وجلّ به فهو مؤمن .

بالإيمان الأول الإيمان الكامل ، وبالتالي التصديق فيكون المقصود أن الإيمان مطلقاً لا يتحقق ولا يعلم إلا بالعمل والله أعلم ،

قوله : (قال قلت لهما الإسلام ؟ قال دين الله اسمه الإسلام) كما قال تعالى وان الدين عند الله الإسلام ، وقال «ومن يبتغ غير الإسلام ديناً ، وهو دين الله قبل أن تكونوا وتوجدوا على هذا المكان المخصوص حيث كنتم في الاظلة أو في العلم الازلي و بعد أن تكونوا فمن أقر بدين الله فهو مسلم ومن عمل مع ذلك بما أمر الله عز وجل به فهو مؤمن ، لا يقال الظاهر ان ما هنا سؤال عن الحقيقة لاعتن الحكم . فقوله فمن أقر بدين الله فهو مسلم حيث وقع جواباً عن السؤال المذكور وجب أن يكون حداً لان المقول في جوابه هو الحد فيلزم أن يكون الإسلام مجرد الاقرار بما جاء به النبي «ص» وان لم يكن معه تصديق وليس الامر كذلك لقوله تعالى «ورضيت لكم الإسلام ديناً» و الله سبحانه لا يرضى اقراراً بدون تصديق بقلب و الالكان راضياً عن المنافقين و أنه محال قطعاً ، لانا نقول لا يلزم من كونه تعالى لا يرضى الإسلام بدون التصديق أن يكون التصديق جزءاً من الإسلام لاحتمال أن يكون شرطاً فيه و الله تعالى لا يرضى عملاً بدون شرطه و الشرط خارج عن المهمة (١) على أن لا نسلم أن ما مختص بالسؤال عن تمام الحقيقة لجواز أن يكون سؤالاً عن الذاتي سواء كان تمام الذاتيات أو بعضها ، وقد جوز هذا بعض المحققين الا أن الأول

(١) قوله «والشرط خارج عن المهمة» وعلى ذلك عمل الفقهاء وهم المهرة ففي أمثال هذه الامور مثلاً اذا قيل يجب السجدة لثلاوة بعض الايات قالوا يجب في سجدة الثلاوة ما عرف بالشرع دخله في ماهية السجدة ومعناها في الصلاة لا ما هو شرط فيها فوضع الجبهة على ما يصح السجود عليه و عدم كون محل السجدة مرتفعاً عن مكان الرجلين و وضع المساجد السبعة على الارض واجب ولا يجب الاستقبال والطهارة والذكر و غيرها مما يعتبر في سجدة الصلاة شرطاً فانها داخله في المطلوب منها في الصلاة لافي صحة اطلاق اسم السجدة ولم يعلم ما يؤخذ في ماهية السجدة الامن احكام سجدة الصلاة. (ش)

٥ - عنه ، عن أبيه ، عن النضر بن سويد ، عن يحيى بن عمران الحلبي عن أيوب بن الحر ، عن أبي بصير قال : كنت عند أبي جعفر عليه السلام فقال له سلام : إن خيثة بن أبي خيثة يحدثنا عنك أنك عن الاسلام فقلت له : إن الاسلام من استقبل قبلتنا وشهد شهادتنا ونسك نسكنا ووالى ولينا وعادى عدونا فهو مسلم ، فقال : صدق خيثة ، قلت : وسألك عن الايمان فقلت : الايمان بالله والتصديق بكتاب الله وأن لا يعصى الله ، فقال : صدق خيثة .

٦ - محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد بن عيسى ، عن ابن أبي عمير ، عن جميل بن دراج ، قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الايمان ، فقال : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، قال : قلت : أليس هذا عملاً ؟ قال : بلى ، قلت : فالعمل من الايمان ؟ قال : لا يثبت له الايمان إلا بالعمل والعمل منه .

مشهور بين أرباب المعقول ، و مما يؤيد ذلك ان للفصل والخاصة آلة يسئل بها عنهما فلو اخص ما بتمام الحقيقة بقى بعض الذاتيات بلا آلة يسئل بها عنه ، ولو سلم فنقول ما اسقط التصديق فى تفسير الاسلام لان الاقرار غير مختص باللسان بل يشمل فعل القلب أعنى التصديق لان التصديق نوع من الاقرار ، ولو سلم فنقول المراد بالاقرار هو الفرد الكامل المقارن للتصديق اذ ما ليس بمقارن له كانه ليس باقرار ، وأما عدم ذكر الاقرار فى الايمان فلانه يعلم بالمقايسة مع احتمال أن يكون المقصود ذكر ما يمتاز به كل واحد عن الآخر .

قوله (فقلت له ان الاسلام من استقبل قبلتنا وشهد شهادتنا ونسك نسكنا) نسك الله ينسك من باب قتل تطوع بقربة والنسك بضمين اسم منه والناسك الذى يؤدى المناسك و هى الطاعات ، و سميت الذبيحة نسكة لان قربانها طاعة ، و يحتمل أن يراد بالنسك الاتيان بالحج اذا عرفت هذا فنقول ظاهر هذا الكلام أن الاسلام الاقرار بالشهادتين ، وفعل الطاعات ومحبة اولياء الائمة عليهم السلام ، و معاداة أعدائهم سواء كان معه تصديق أم لا ، وأن الناصب ليس بمسلم وأن الايمان التصديق بالتوحيد والرسالة والولاية فان كل ذلك مندرج فى الايمان بالله والتصديق بكتاب الله ، وعدم المعصية بفعل الطاعات و ترك المنهيات فالايان اخص من الاسلام .

قوله (شهادة أن لا اله الا الله و أن محمداً رسول الله) خص الشهادتين بالذكر لانها أعظم أفراد الايمان على تقدير و أعظم أجزاءه على تقدير آخر مع دلالتها على التصديق الذى هو الايمان فى الاصل و ليس المقصود حصر الايمان فيهما فلا ينافى سائر الاخبار .

٧ - بعض أصحابنا ، عن علي بن العباس ، عن علي بن ميسر ، عن حماد بن عمر و النصيبي قال : سألت رجلاً من العالمين فقال : أيها العالم أخبرني أي الأعمال أفضل عند الله ؟ قال : ما لا يقبل عمل إلا به ، فقال : وما ذلك ؟ قال : الإيمان بالله الذي هو أعلى الأعمال درجة وأسناها حظاً وأشرفها منزلة ، قلت : أخبرني عن الإيمان أقولٌ وعملٌ أم قولٌ بلا عمل ؟ قال : الإيمان عمل كله والقول بعض ذلك العمل بفرض من الله يسنه في كتابه ، واضح نوره ، ثابتة حجته ، يشهد به الكتاب ويدعو إليه ، قلت : صف لي ذلك حتى أفهمه ، فقال : إن الإيمان - الات و درجات و طبقات و منازل فمنه التام المنتهى تمامه ومنه الناقص المنتهى نقصانه ومنه الزائد الراجح زيادته ، قلت : وإن الإيمان ل يتم و يزيد وينقص ؟ قال : نعم ، قلت : وكيف ذلك ؟ قال : إن الله تبارك و تعالی فرض الإيمان على جوارح بني آدم وقسمه عليها و فرقها عليها فليس من جوارحهم جارحة إلا وهي موكلة من الإيمان بغير ما وكلت بها أختها ، فمنها قلبه الذي به يعقل ويفقه ويفهم وهو أمير بدنه الذي لا ترد الجوارح ولا تصدر إلا عن رأيه وأمره ، ومنها يده اللتان يبطش بهما ورجلاه اللتان يمشي بهما وفرجه الذي الباه من قبله ولسانه الذي ينطق به الكتاب ويشهد به عليها ، وعيناه اللتان يبصر بهما ، وأذناه اللتان يسمع بهما وفرض على

قوله (قال لا يثبت له الإيمان إلا بالعمل والعمل منه) لعل المراد أن الإيمان عبارة عن التصديق والعمل ، و يطلق على نفس العمل أيضاً كالشهادتين والصلاة ونحوهما ، وعلى هذا لا يثبت له الإيمان إلا بالعمل كما لا يثبت الكل إلا بالجزء والعمل منه أي بعض أجزائه على تقدير وبعض أفرادها على تقدير آخر . وقد مر توجيه آخر قيل ذلك والله أعلم .
قوله (قال سال رجل العالم وع) فقال يا أيها العالم هذا الخبر مذكور في صدر الباب متناً مع اختلاف في السند وتغيير يسير في المتن وحذف في الآخر .

قوله (ولسانه الذي ينطق به الكتاب ويشهد به عليها) الظاهر أن المراد بالكتاب القرآن ، والضمير في يشهد راجع إليه وفي به إلى النطق أو إلى اللسان بحذف مضاف أي بأقواله وفي عليها إلى اللسان واللسان يذكر ويؤنث كما صرح به في المغرب ونطق القرآن بأقوال اللسان خيراً وشرأ وشهادته عليها كثير ، ويحتمل أن يراد بالكتاب كتاب الأعمال وصحيفتها

القلب غير ما فرض على اللسان و فرض على اللسان غير ما فرض على العينين و فرض على العينين غير ما فرض على السمع و فرض على السمع غير ما فرض على اليدين و فرض على اليدين غير ما فرض على الرجلين و فرض على الرجلين غير ما فرض على الفرج و فرض على الفرج غير ما فرض على الوجه، فأماً ما فرض على القلب من الايمان فالاقرار والمعرفة والتصديق والتسليم والعقد والرضا بأن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، أحداً، صمداً، لم يتخذ صاحبة ولا ولداً وأنَّ محمداً ﷺ عبده ورسوله.

٨- محمد بن الحسن، عن بعض أصحابنا، عن الأشعث بن محمد، عن محمد بن حفص ابن خازجة قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: - وسأله رجل عن قول المرجئة في الكفر والايمن وقال: إنهم يحتجون علينا ويقولون: كما أن الكافر عندنا هو

و شهادته عليها يوم القيامة ظاهرة، و قراءة الكتاب بضم الكاف و شد التاء و ارادة الحفظلة بعيدة .

قوله (فاما ما فرض على القلب من الايمان والاقرار والمعرفة) كذا في النسخ و الظاهر فالاقرار بالفاء ليكون جواباً لاما و موافقاً لما مر في صدر الباب و لعل الواو سهو من النسخ أو زائدة .

قوله (أحداً صمداً) هما في أكثر النسخ منصوبان وفي بعضها مرفوعان .

قوله (وسأله رجل عن قول المرجئة في الكفر والايمن (١)) اهو صحيح أم فاسد،

(١) قوله «عن قول المرجئة في الكفر والايمن» هم فرقة من فرق الاسلام وهم و الخوارج على طرفي نقيض كان هؤلاء يعتقدون كفر الفساق وهم على غاية البغض والعداوة مع بنى امية الولاة في عصرهم والمرجئة كانوا يعتقدون تساوى الصالح والطالح والعابد والفاسق في الفضل عند الله وكانوا متملقين ومائلين الى ولائهم وكان يؤيدهم سياسة بنى امية اوجدتهم وروجت آرائهم بين المسلمين وذلك لان ظلم بنى امية و تجاهرهم بالفسق والفجور بل كفرهم الباطنى نفرهم لانهم كانوا من بقايا مجارىبى رسول الله «ص» في احدوا الاحزاب وغيرها - لما ينحسم حب الجاهلية ولا حقدهم على رسول الله «ص» بقتل أشياخهم من قلوبهم بعد و قد ظهر منهم الانكار عليه وعلى أهل بيته والعادة بعد ظهور كل دين وملة حقة ان يبقى جماعة ممن لا يؤمن بهاسنين بل قروناً يثيرون الفتن ولم يكن بنو امية يصرحون بما في ضمائرهم خوفاً من الناس ولان بناء*

الكافر عند الله فكذلك نجد المؤمن إذا أقرَّ بإيمانه أنه عند الله مؤمن، فقال : سبحان الله وكيف يستوي هذان والكفر إقرار من العبد فلا يكلف بعد إقراره ببينة والإيمان

وهم فرقة من فرق الاسلام يعتقدون أنه لا يضر مع الايمان معصية كما أنه لا ينفع مع الكفر طاعة صادقين في المشبه به كاذبين في المشبه، و مجمل قولهم في حقيقتهما أن الايمان محض اقرار اللسان بالشهادتين و ما جاء به الرسول، والكفر مقابل له و هو انكاره شيئاً من ذلك و بذلك بنوا أن الكافر عندنا كافر عند الله تعالى و كذا المؤمن عندنا مؤمن عنده تعالى و هو ظاهر بناء على أصلهم، والسائل سأل عن صحة ذلك و بطلانه فأجاب «ع» بأنه باطل لبطلان أصلهم، وذلك لان الايمان عبارة عن التصديق والاقرار والعمل، والكفر انكار شيء من ذلك و اذا كان كذلك كان الكافر عندنا بترك واحد من الامور المذكورة كافرأ عند الله تعالى، و اما المؤمن عندنا و هو المتصف بالامور الثلاثة اما بالآخرين قطعاً و اما بالاول فظننا لدالتهما عليه دلالة غير قطعية لان العقل يجوز عدمه تجويزاً مرجوحاً فلا يلزم أن يكون مؤمناً عند الله تعالى لجواز أن يكون مقرأ عاملاً غير مصدق والله سبحانه عالم بعدم تصديقه فهو مؤمن عندنا تجري عليه أحكام الايمان وكافر عند الله تعالى.

قوله (والكفر اقرار) أي الكفر اقرار من العبد على نفسه بعدم الايمان، فلا يكلف

«دولتهم كان على دين عدوهم فأخفوا في قلوبهم ما أنبأ عنه أفعالهم فقتلوا الحسين «ع» و أسروا اهل بيت نبيهم و قتلوا أهل المدينة قتلاً عاماً لنصرتهم رسول الله «ص» ولم يقبلوا أحداً ممن يتولاهم في ولايتهم بل قتلوهم و شردهم و سلطوا على صلحاء الامة فساقهم كزياد بن أبيه و عبيد الله والحجاج بن يوسف وأوجب ذلك تنفر الناس عنهم و ثورتهم و قيام الناس من كل ناحية عليهم ولم ينجع فيه التشديد والتشريد والقتل والنفي و تجرأ عليهم الخوارج و رأوا جهادهم أفضل من جهاد الكفار الاصليين و خرج عليهم جماعة من الصلحاء في كل ناحية و اظهروا التبري منهم واللعن عليهم و اجتهدوا في ازالة ظلمهم فرأت بنو امية أن التوسل بما توسلوا به أولاً أضر بمقصدهم و افنى لدولتهم فاخترعوا لهم مذهب المرجئة و غرضهم ان بنى امية مسلمون مؤمنون وان ظهر منهم الفجور والقتل والمناهي وهم والصلحاء سواء عند الله في الفضل فيجب مودتهم والمصافاة معهم و اعانتهم في التدبير الملكي و نصرهم في جهاد عدوهم و بالجملة دفع تنفر الناس وما يلزمه ولما كان هذا من أضرار الراء في فرق الاسلام بل منافياً لأصل تشريع هذا الدين و كل دين بل لولا احتمال الشبهة الممكنة في حقهم لحكم بكفرهم لمخالفتهم ضروري الاسلام بل ضروري كل دين ولا تنفي فائدة ارسال الرسل و انزال الكتب و لم يبق للطاعات واكتساب الفضائل و مكارم الاخلاق موقع، رد الائمة عليهم السلام في هذه الاحاديث رأيتهم و مذهبهم. (ش)

دعوى لا يجوز إلا ببينة وببينة عمله ونية فاذا اتفقا فالعبد عند الله مؤمن والكفر موجود بكل جهة من هذه الجهات الثلاث من نية أو قول أو عمل والأحكام تجري على القول والعمل، فما أكثر من يشهد له المؤمنون بالايان و يجري عليه أحكام المؤمنين و هو عند الله كافر وقد أصاب من أجرى عليه أحكام المؤمنين بظاهر قوله وعمله.

(باب السبق الى الايمان)

١- علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن بكر بن صالح، عن القاسم بن بريد قال :

بعد اقراره بينة على المقر به وهو عدم الايمان كما في سائر أقارير العقلاء على أنفسهم بسل الاقرار بعدم الايمان أولى بعدم التكليف لان كل اقرار غيره يجوز العقل عدم تحقق المقر به في نفس الامر بخلاف الاقرار بالكفر فانه عبارة عن انكار شيء من أجزاء الايمان و تركه هو عين الكفر، فلا يحتاج الى بينة قطعاً بخلاف الايمان فانه دعوى لثبوته له، ولا يجوز ذلك ولا يثبت الابينة كما في سائر الدعاوى و بينته عمله المتعلق باللسان والجوارح، ونية المتعلقة بالقلب وهي التصديق فاذا اتفق العمل والنية شهد شاهد اعدل فالعبد عند الله مؤمن، وان اختلفا بأن يشهد العمل دون النية فهو ليس بمؤمن عند الله تعالى و مؤمن عندنا لانا نحكم بظاهره على باطنه فنحكم بأنه مؤمن مصدق حكماً ظنياً غالباً فقولهم بأن كل مؤمن عندنا مؤمن عند الله باطل. و أما قولهم الكافر عندنا كافر عند الله فهو صحيح اذ الكفر موجود بانتفاء كل جهة من هذه الجهات الثلاثة المعتمدة في الايمان وجوداً من نية و تصديق أو قول باللسان أو عمل بالجوارح يعني يتحقق الكفر بانتفاء واحد من هذه الثلاثة فمن اتفق منه واحد منها وعلمنا ذلك فهو كافر عندنا كما هو كافر عند الله تعالى وأما اذا لم نعلم كما اذا انتفت منه النية فقط فهو مؤمن عندنا وكافر عند الله وأحكام الايمان تجري عليه باعتبار القول والعمل دون النية لان علمنا بالنية متعسر وقد ظهر مما ذكر أن المشهود له بالايان والمجري عليه أحكام المؤمنين وهو كافر عند الله كثير و ان من أجرى عليه الاحكام مصيب لانه مكلف بالحكم على ظاهر قوله وعمله الدالين على النية وليس مكلفاً بالحكم على الباطن لعدم علمه به ولكن لما كان تخلف المدلول عن اللفظ وما يجري مجراه كثيراً كان وجود القول والعمل بدون النية كثيراً ولذلك كان وجود الكافر عند الله كثيراً.

قوله (باب السبق الى الايمان) (١) سبق پیش دستی نمودن وپیشی گرفتن .

(١) قوله «باب السبق الى الايمان» قدم في كتاب العقل والجهل أن الثواب على*

حدثنا أبو عمر الزُّبيري، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قلت له : إنَّ للإيمان درجات و منازل ، يتفاضل المؤمنون فيها عند الله ؟ قال : نعم ، قلت : صفه لي رحمك الله حتى أفهمه ، قال : إنَّ الله سبق بين المؤمنين كما يسبق بين الخيل يوم الرّهان ثم فضّلهم على درجاتهم في السبق إليه ، فجعل كل امرئ منهم على درجة سبقه ، لا ينقصه فيها من حقّه ولا يتقدّم مسبوقٌ سابقاً ولا مفضولٌ فاضلاً . يتفاضل بذلك أوائل هذه

قوله (قال ان الله سبق بين المؤمنين) أى قرر السبق وقدره بين المؤمنين فى الإيمان وندبهم إليه كما يسبق بين الخيل يوم الرهان فمنهم فى المقام الأدنى و هو مقام يتحقق فيه المسبوقية دون السابقة ، ومنهم فى المقام الأعلى و هو مقام يتحقق فيه السابقة دون المسبوقية و هو مقام خاتم الانبياء ، و بين المقامين مقامات غير محصورة يجتمع فيها السابقة و المسبوقية باعتبارين ، و التشبيه من باب تشبيه المعقول بالمحسوس لتصد الايضاح .

قوله (فجعل كل امرئ منهم على درجة سبقه) المراد بجعله عليها اعطاؤه المقرر له فى تلك الدرجة من الاجر و الثواب و التقرب من غير أن ينقص من حقوقه فيها ، و فى الاقتصار بنفى النقص دون الزيادة ايماء الى جوازها من باب التفضل وان لم يستحق .

قوله (ولا يتقدم مسبوق سابقاً) كما أن المسبوق فى المشبه به لا يتقدم سابقاً لعدم وسعه ذلك ، و للزوم خلاف الفرض كذلك المسبوق فى المشبه لا يتقدم سابقاً فى الكمال و المنزلة و الاجر و التقرب لانه تعالى حكيم عدل لا يجور ، بل يضع كلا فى موضعه .

قوله (يتفاضل بذلك أوائل هذه الامة و أواخرها) ذلك اشارة الى السبق و الاوائل و الاواخر أما بحسب الدرجات أو بحسب الوجود و الازمان كالصحابة و التابعين الى يوم الدين فكما أن فى عصرنا هذا يقع التفاصل بعلو الدرجة فى الإيمان و العلم و تخلية النفس عن الرذائل و تخليتها بالفرائض حتى أن من قدم المفضل على الفاضل و رجحه عليه ، كان رأيه ضعيفاً و عقله خفيفاً كذلك فى أوائل هذه الامة ، و من هذا يظهر أن تقديم العجل

العقل و ما فى هذا الباب يؤيده فان السابق الى الإيمان لا بد أن يكون عقله أقوى و معارضة الوهم له أضعف و الا فلا يسبق الى الإيمان و الوهم يأمر بحفظ العادات و يخاف من مخالفة الجمهور و لا يجوز ترك ما عليه أكثر الناس و لا يقدم على المخالفة الا من اطمئن بعقله و تجرأ على تخطئة الجمهور و لم يتأثر برأى الاكثرين و ضعيف العقل لا يطمئن بصحة رأيه الا اذا رأى المشهور موافقين له هذا بناء على أن يكون المراد السبق بالزمان و أما الانواع الاخر من السبق فظاهر . (ش)

الامة وأواخرها و لو لم يكن للسابق إلى الإيمان فضل على المسبوق إذاً للحق آخر هذه الأمة أو لها. نعم ولتقدموهم إذا لم يكن لمن سبق إلى الإيمان الفضل على من أبطأ عنه ولكن بدرجات الإيمان قدّم الله السابقين و بالآبطاء عن الإيمان

على على «ع» كان باطلا و لعل الغرض الاصلى من هذا الحديث هو التنبيه عليه و ان كان ظاهره أعم.

قوله (و لو لم يكن للسابق الى الايمان فضل على المسبوق إذاً للحق آخر هذه الامة أولها) أى للحق آخر هذه الامة بحسب درجات الايمان أولها بحسبها فيساوهم فى الدرجة أو للحق آخر هذه الامة بحسب الازمان كالتابعين ومن بعدهم أول هذه الامة بحسبها كالصحابة من المهاجرين والانصار ، و ذلك لانه اذا سقط اعتبار السبق لزم التساوى و الاشتراك فى الدرجة.

قوله (نعم و لتقدموهم) «نعم» تصديق لمضمون الشرطية المذكورة و تهديد لشرطية اخرى أفخم من الاولى، و تصديق لمضمونها أيضاً أى اذا لم يكن لمن سبق الى الايمان الفضل على ما أبطأ عنه لتقدم آخر هذه الامة بحسب ما ذكر أول هذه الامة بحسبه فقوله «لتقدموهم» جزاء الشرط على تقدير جواز تقديمه، أو دليل على جزائه المحذوف على تقدير عدم جوازه وبناء الشرطية الاولى على عدم تكثير العمل فى آخر هذه الامة و بناء هذه الشرطية على اعتباره فيهم، ووجه الشرطية أن السبق الى الايمان اذا لم يكن له مدخل فى الترجيح لزم تقدم الاخر مع زيادة العمل و تكثره لاختصاصه بهذه المزية، و اعلم أن المراد بالايمان اما نفس التصديق أو التصديق مع العمل و لكل واحد منهما درجات و منازل بعضها فوق بعض و آخرها غاية الكمال للبشر كمرتبة عين اليقين أو أعلى منها و صرف جميع الجوارح فى جميع الاوقات فى جميع ما خلقت له ثم المراد بالمسابقة اليه اما المسابقة الى درجاته و منازلها و طلب الاعلى فالاعلى الى غايتها و هى بزيادة العلم والعمل، أو المسابقة الى أصله و هى السبق الزمانى على سبيل منع الخلو، و الاول فى الموضوعين أولى من الاخير نظراً الى ظاهر الحديث فمن اجتمع فيه المسابقة بالمعنيين كأمر المؤمنين «ع» فهو الكامل مطلقاً و السابق على الاطلاق و من انتفى عنه الامران هو الناقص لللاحق مطلقاً و من له سبق الزمان الى الايمان مع اتقاء الزيادة عنهما أو بالعكس فهو السابق و أعلى درجة و أما اذا تعارض الامران بأن يكون لاحدهما سبق الزمان و للآخر زيادة العمل فظاهر هذا الحديث أن السابق زماناً أفضل و أعلى درجة من الاخر ، و تخصيص ذلك بالصحابى محتمل لان السابق أعون للنبي من اللاحق و التعميم أظهر و الله أعلم.

قوله (ولكن بدرجات الايمان) لما كان الشرط فى القضيتين وهو عدم الفضل للسابق

أخّر الله المقصّرين لأننا نجد من المؤمنين من الآخرين من هو أكثر عملاً من الأولين وأكثرهم صلاةً وصوماً وحجاً وزكاةً وجهاداً وإنفاقاً ولولم يكن سوابق يفضل بها المؤمنون بعضهم بعضاً عند الله لكان الآخرون بكثرة العمل مقدّمين على الأولين ولكن أبى الله عزّ وجلّ أن يدرك آخر درجات الإيمان أولها ويقدم فيها من أخّر الله أو يؤخّر فيها من قدّم الله . قلت : أخبرني عما ندب الله عزّ وجلّ المؤمنين إليه من الاستباق إلى الإيمان ، فقال : قول الله عزّ وجلّ : « سابعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والأرض أعدت للذين آمنوا بالله

على المسبوق يستلزم لحوق المسبوق به أو تقدمه عليه بالاعتبارين كما أشرنا إليه أشارهنا إلى نفسى التالي فيهما باثبات نقيض الشرط بحكم الله تعالى اذ نقيضه وهو ثبوت الفضل للمسابق يستلزم عدم اللحق والتقدم وهو ظاهر .

قوله (لانا نجد من المؤمنين) كأنه بيان للشرطية الثانية و توجيه لمضمونها و حاصله انانجد من آخر هذه الامة من هو أكثر عملا و عبادة من أولها فلولم يكن للمسابق الى الإيمان والتصديق وأعلادرجاتها المبنية على اليقين والرضا العلم والحلم وتخليفة النفس عن الرذائل وتحليلتها بالفضائل فضل على المسبوق لكان المسبوق بسبب كثرة العمل واتصافه بها مقدماً عليه ، ولكن هذا باطل لان الله عزوجل أبى أن يدرك آخر درجات الإيمان أولها و يلحق صاحب الآخر بصاحب الاول وكذا أبى أن يقدم فى درجات الإيمان من أخراش أو يؤخر فيها من قدم الله بل كل فى درجته لايقدم ولايؤخر فقولته «ولكن أبى الله» اشارة الى بطلان التالي تأكيداً لما مر ، و فيه سر لا يخفى وهو أنه اذا كان اللاحق فى الإيمان مع كثرة العمل غير للاحق بالسابق اليه ولامقدم عليه مع قلة عمله كان تقديم الغاصب الاول المنتحل لاسم الخلافة مسع تأخره فى الإيمان على تقدير تسليم إيمانه، ومع قلة عمله على العالم الربانى والمؤمن الوجدانى على بن أبى طالب «ع» مع تقدمه الى الإيمان وسبقه الى أعلى مراتبه و كثرة عمله باتفاق الخاصة والعامة باطلا بالضرورة.

قوله (قلت أخبرني عما ندب الله عزوجل) لما دل كلامه «ع» سابعاً على أنه تعالى طلب منهم الاستباق الى الإيمان و دعاهم اليه سألهم الزبيرى عن موضع من القرآن يدل عليه **قوله** (سابعوا الى مغفرة) أى سارعوا مسارعة السابقين فى المضمار الى سبب مغفرة من ربكم من الاعمال الصالحة الموافقة لمقتضى النواميس الالهية والكلمات النفسانية ، و أعظم تلك الاعمال هو الإيمان الكامل البالغ الى النهاية المتوقف على

ورسله» و قال : «السابقون السابقون» ولئلك المقرَّبون » و قال : « والسابقون

جميع الكمالات النفسانية.

قوله (وجنة عرضها كعرض السماء والارض) قال الفاضل الاردبيلي كنى بالعرض عن مطلق المقدار و هو متعارف و نقل على ذلك الاشعار فى مجمع البيان وأنه لما علم أن عرضه الذى هو أقل من الطول عرفاً فى غير المتساوى علم أن طوله أيضاً يكون اما أكثر أو مثله، وقال القاضى ذكر العرض للمبالغة فى وصفها بالسعة على طريق التمثيل لانه دون الطول وعن ابن عباس أنها كسبع سموات و سبع أرضين لو وصل بعضها ببعض و ظاهر الاية وجوب المسارعة أو رجحانها الى الطاعة الموجبة للدخول فى الجنة وأعظمها الايمان بالله و كتبه ورسله واليوم الاخر والترقى الى مقاماته العالية.

قوله (أعدت للذين آمنوا بالله ورسله) ظاهر هذه الاية و غيرها من الايات والروايات أن الجنة مخلوقة الان وكذا النار قال الفاضل المذكور : وقال به الاصحاب و صرح به الشيخ المفيد فى بعض رسائله وقال أن الجنة مخلوقة مسكونة سكنتها الملائكة و ظاهر الاية أنها فى السماء والظاهر ان المراد به أنه يكون بعضها فى السماء ويكون البعض الاخر فوقها أو يكون أبوابها فيها أو فوق الكل وما ذكره الحكماء من «أن السماء لا تقبل الخرق والالتيام وأن فوقها لاخلاء ولاملاء» غير مسموع شرعاً (١) و هو ظاهر كما قيل أن النار

(١) قوله وما ذكره الحكماء غير مسموع شرعاً، ما ذكره الحكماء يعنى امتناع الخرق على الفلك مما لم يدل عليه دليل عقلى ولم يبينوه ببرهان تعليمى كما هو دأبهم فى الفلكيات اعترف بذلك المنصفون منهم و صرحوا بأن الدليل خاص بمحدد الجهات و على فرض صحته فلا يوجب عبور الملائكة والاجسام الاخرية خرقاً كما لا يوجب دخول الملائكة فى القبور نبشاً و فى البيوت خراب الجدار، والبحث الذى أورده الشارح بحث طويل جداً لا يمكن حقه ادائه فى هذا الموضع ولا يناسب فيه الاشارة مختصرة فنقول اول الحق أن الجنة والنار موجودتان فعلاً و ان خالف فيه جماعة من المسلمين وربما ينسب الى السيد الرضى رضى الله عنه، وثانياً بناء على وجودهما فعلاً فالحق أن مكان الجنة فى السموات أو فوقها ومكان النار تحت الارض أو تحت البحر، ثالثاً أن أحكام الاجسام الدنيوية المبنية على التجريبات والمعادات غير جارية فى الاجسام الاخرية ولا يجوز التشكيك فى وجود الجنة والنار أو فى مكانهما بعدم امكان جريان أحكام الاجسام الدنيوية عليها ، لان التجربة خاصة بالدنيوية منها مثلاً اذا قيل كيف يرتفع الصلحاء من الارض و كيف يصعدون الى السماء يوم القيامة ولم يرد فى رواية أو آية ذكر صعودهم وآلة صعودهم وان الابدان مائلة الى الارض لجاذبيتها و أن رسول الله «ص» وكثيراً من خواص أصحابه وأصحاب الائمة عليهم السلام كيف رأوا أهل الجنة فى الجنة وأهل النار فى النار مع هذه *

الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا

تحت الأرض فتكون الآية دليلاً على بطلان ما قالوه انتهى كلامه أعلى الله مقامه ، و قال القاضى فيه دلالة على أن الجنة مخلوقة و أنها خارجة عن هذا العالم (١) و ذهب جماعة من المعتزلة الى أنهما مخلوقة و أنهما خارجة عن هذا العالم، و ذهب جماعة من المعتزلة الى أنهما غير مخلوقين و انما تخلقان يوم القيامة.

قوله (و قال السابقون) السابقون مبتدأ و خبر أى السابقون الى مادعاهم اليه من التوحيد و الايمان و الاخلاص و الطاعة هم السابقون الى المقامات العلية و الدرجات الرفيعة أو السابقون ذلك هم السابقون الذين عرفت حالهم و بلغك و صفهم ، و يكون تعريف الخبر للمبالغة و الاشارة الى ما هو معلوم لك ، و هذا بحسب الظاهر خبر، و بحسب المعنى حث على المسابقة الى ما ذكر.

قوله (و السابقون الاولون من المهاجرين و الانصار) قال المفسرون : السابقون الاولون من المهاجرين هم الذين صلوا الى القبليتين أو شهدوا بدرأ أو أسلموا قبل الهجرة و من الانصار أهل بيعة العقبة الاولى و كانوا سبعة نفر و أهل بيعة العقبة الثانية ، و كانوا سبعين، و قال الفاضل النيشابورى : الظاهر أن الآية عامة فى كل من سبق بالهجرة و النصر، و قال أكثر العلماء كلمة «من» للتبعية و انما استحق السابقون منهم هذا التعظيم لانهم آمنوا و فى عدد المسلمين قلة و فيهم ضعف قوى الاسلام بسببهم، و كثر عدد المسلمين و اقتدى بهم غيرهم، و قيل للتبيين فيتناول المدح جميع الصحابة.

قوله (و الذين اتبعوهم باحسان) قال صاحب الكشاف و النيشابورى هم الذين آمنوا حين قدم عليهم أبو زرارة مصعب بن عمير فعلمهم القرآن و قال القاضى : هم اللاحقون بالسابقين أو

المسافة البعيدة بين الأرض الى السموات و حيلولة الأرض بين الابصار و بين جهنم و كيف يفتح من الجنة التى فى السماء باب الى قبور الصالحين و كيف يرى ذلك صاحب القبر مع كونه ميتاً و لا يراه الناس مع كونهم أحياء و أمثال ذلك كثيرة مما دعا المعتزلة الى انكار أصل وجودهما فعلاً و ما يتفرع عليه.

و جواب ذلك و أمثاله ان حكم الآخرة غير حكم الدنيا فانه عالم آخر لا يقاس ما فيه بما فى هذا العالم و لا يمتنع هناك الاتصال من بعيد و الرؤية مع الفاصلة و العبور من الموانع و الحواجز العنصرية كما يدخل الملائكة فى القبور بغير نبش و تجوز الافلاك بغير خرق و فى بيت لا خرق فيه لقبض روح المحصورين فيه و لتفصيل ذلك مجال واسع فى موضعه ان شاء الله. (ش)
(١) قوله «و أنها خارجة عن هذا العالم» لان الجنة أو سع من عالم الاجسام بسماواتها و أرضها لان عرضها السموات و الأرض فكيف يكون فى موضع منه. (ش)

عنه» فبدأ بالمهاجرين الأوّلين على درجة سبقهم، ثمّ ثنّى بالأُنصار ثمّ ثلث بالتابعين لهم بإحسان، فوضع كلّ قوم على قدر درجاتهم و منازلهم عنده، ثمّ ذكر ما فضل الله عزّ وجلّ به أوليائه بعضهم على بعض، فقال عزّ وجلّ: «تلك الرُّسُل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كَلَّمَ الله و رفع بعضهم فوق بعض درجات - إلى آخر الآية -» و قال: «ولقد فضلنا بعض النبيّين على بعض» و قال: «انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض وللآخرة أكبر درجات و أكبر تفضيلاً» و قال: «هم درجات عند الله» و قال: «ويؤت كلّ ذي فضل فضله» و قال: «الذين آمنوا و هاجروا

من اتبعوهم بالايمان والطاعة الى يوم القيامة.

قوله (ثم ذكر ما فضل الله عز وجل به أوليائه) بعد ما فرغ عن ذكر آيات دلت على الدعاء الى الاستباق ذكر آيات دلت على ما يترتب عليه من التفضيل و اعلاء الدرجة. **قوله** (تلك الرسل) في الكشاف تلك اشارة الى جماعة الرسل التي ذكرت قصصها في سورة أو التي ثبت علمها عند رسول الله ص.

قوله (و رفع بعضهم فوق بعض درجات) في الكشاف أى منهم من رفعه على سائر الانبياء فكان بعد تفاوتهم في الفضل ارفع منهم بدرجات كثيرة، والظاهر أنه أراد محمداً ص، لانه هو المفضل عليهم حيث اوتى ما لم يؤته أحد من الايات المتكاثرة المرتقية الى ألف آية أو أكثر و لو لم يؤت الا القرآن وحده لكفى به فضلاً منيفاً على ساير ما اوتى الانبياء لانه المعجزة الباقية على وجه الدهر دون ساير المعجزات، و في هذا الابهام من تفخيم فضله و اعلاء قدره ما لا يخفى لما فيه من الشهادة على أنه العلم الذي لا يشتهب و التميز الذي لا يلتبس.

قوله (هم درجات) أى ذوو درجات متفاوتة بعضها فوق بعض.

قوله (و يؤت كل ذي فضل فضله) فوجب بحسب وعده الصادق أن يضع كل ذي فضل في منزلته و درجته فدرجة الفاضل أرفع من درجة غيره و درجة الافضل أعلى من درجة المفضول، و درجة السابق الى الايمان أشرف و أرفع من درجة المسبوق و قد رد الله عزّ شأنه بهذه الآية و أمثالها على من علم أنه سيزعم جواز تفضيل المفضول على الافضل بل الجاهل على الفاضل، و من زعم أن الافضلية باعتبار الزيادة في الثواب و اعلاء الدرجة في الآخرة لا باعتبار سبق و الكمال في الايمان و الزيادة في العمل لله تعالى ولم يدرك الزيادة في الثواب و الدرجة انما هي بالاعتبار المذكور، و الا لزم الكذب بالوعد و الوعيد و بطلان الكتاب

وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم و أنفسهم أعظم درجة عند الله » وقال : « فضل الله المجاهدين على القاعدين أجر أعظيماً » درجات منه ومغفرة و رحمة » وقال :

والشريعة نعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا .

قوله (و قال الذين آمنوا و هاجروا) أى قال الذين آمنوا بالله و رسوله و اليوم الآخر ايماناً لا يشوبه شك و هاجروا الى الرسول و فارقوا الاوطان و تركوا الاقارب و الجيران و طلبوا مرضات الله و جاهدوا فى سبيل الله بصرف أموالهم و رفع أنفسهم الى الله و دفع هواها أعظم درجة عند الله ممن لم يتصف بالصفات المذكورة لازالة طمعهم عن الحياة الدنيوية ، و بذل أرواحهم القدسية طلباً للحياة الاخروية ، و صرف همتهم العالية لاعلاء كلمة الحق و تقوية الدين ، فلذلك صاروا أعظم درجة عند رب العالمين ، والله لا يضيع اجر المحسنين و من هذا يظهر أن على بن أبى طالب صلوات الله عليه أعظم درجة من جميع الصحابة لانه آمن و هاجر و جاهد حين فشلوا و فروا كما يظهر بالنظر فى حاله و حالهم فى حرب حنين و أحد و خيبر و غيرها من الحروب .

قوله (و قال فضل الله المجاهدين على القاعدين أجر أعظيماً درجات منه ومغفرة و رحمة) أجر أمفعول ثان لفضل باعتبار تضمنه معنى الاعطاء كأنه قيل وأعطاهم زيادة على القاعدين أجر أعظيماً ، و كل واحدة من درجات منه و مغفرة و رحمة بدل من أجرأ ، و يجوز أن تكون منصوباً على المصدر لان فضل بمعنى أجر كأنه قيل : و أجرهم زيادة على القاعدين أجر أعظيماً ، و البديل بحاله ، و يجوز أيضاً أن ينتصب درجات بنزع الخافض أى بدرجات ، أو على المصدر لانها تدل على التفضيل فكأنه قيل : فضلهم تفضيلات كقولك ضربته أسواطاً أى ضربات لان الاسواط تدل على الضربات و حينئذ ينتصب أجرأ على أنه حال عنها تقدمت عليها لانها نكرة ، و مغفرة و رحمة على المصدر باضمار فعلهما أى فغفر لهم مغفرة و رحمة ، كذا ذكره المفسرون . . و ههنا شيئان لا بأس أن نشير اليهما الاول أن النيشابورى قال فى تفسيره : استدل الشيعه ههنا بأن علياً «ع» أفضل من غيره من الصحابة لانه بالنسبة اليهم مجاهدوهم بالاضافة اليه قاعدون لما اشتهر من وقايعة و اقدامه و شجاعته و حمايته ، و أجاب أهل السنة بأن جهاد أبى بكر بالدعوة الى الدين و هو الجهاد الاكبر حين كان الاسلام ضعيفاً و الاحتياج الى المدد شديداً و انما جهاد على «ع» ظهر بالمدينة فى الغزوات و كان الاسلام فى ذلك الوقت قوياً و الحق أن الآية لا تدل الا على تفضيل المجاهدين على القاعدين أما على تفضيل المجاهدين بعضهم على بعض فلا انتهى ، أقول هذا المجيب اعترف بأن علياً «ع» فى الغزوات سابق على أبى بكر و غيره و سبقه «ع» فى العلم و العمل و الزهد أشهر من أن

« لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أو تلك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا » و قال : « يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أتوا العلم درجات » و قال : « ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة في سبيل الله ولا يطؤون موطأ

ينكره أحد من المعاندين ، و أما ما ذكره من جهاد أبي بكر في الدين حين كان ضعيفاً فلا أثر له ، و أى جهاد كان له لم يكن لعلى «ع» مع أن دعوته «ع» الى الدين و ارشاد الصحابة أجمعين و ارجاع الثلاثة كثيراً عن الباطل الى الحق المبين أشهر من أن يخفى و أكثر من أن يحصى ، والثاني أن فاضلا من الشيعة كان في مجلس حاكم من أهل السنة و كان فيه أيضاً عالم ذو ذنب (١) فذكر ذو ذنب أن عائشة كانت أفضل من فاطمة عليها السلام ، فقال الحاكم لذلك الفاضل : ما تقول؟ فقال : أيها الأمير أنا أقول في شأنها ما قال الله تعالى و قرأ هذه الآية رمزاً الى الحق و اشارة الى ارتدادها بخروجها على على «ع» فضحك الحاكم بمعرفة قصده و خاطب ذالذنب فقال ما تقول؟ فهت الذي كفر .

قوله (و قال لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح) اذ انفاق الاموال في سبيل الله و المقاتلة من قبل الفتح أعظم و أشرف و أسبق و أشق على النفس منهما من بعد الفتح لوقوعهما عند ضعف الاسلام و قوة الكفر و كثرة العدو و شدة شوكتهم فلذلك صار سبباً لرفع درجات السابقين و عظمتهما .

قوله (والذين أتوا العلم درجات) قيل المراد الرفعة في مجلس النبي وهو المناسب للمقام والمشهور الرفعة في درجات ثواب الآخرة .

قوله (وقال ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ) ذلك اشارة الى وجوب الجهاد المفهوم من

(١) قوله «عالم ذو ذنب» كأنه كان ناصبياً يشعر به اصراره على تفضيل عائشة وأكثرهم على تفضيل فاطمة قال السهيلي وهو من أعظم علماء أهل السنة يذكر عن أبي بكر بن داود أنه سئل أعاشه أفضل أم خديجة؟ فقال : عائشة أقرئها رسول الله (ص) السلام من جبرئيل وخديجة أقرئها جبرئيل السلام من ربها على لسان محمد «ص» فهي أفضل . قيل له : فمن أفضل أم خديجة أم فاطمة؟ فقال : ان رسول الله «ص» قال : ان فاطمة بضعة مني فلا أعدل ببضعة من رسول الله أحداً ، قال السهيلي : وهذا استقراء حسن ويشهد لصحة هذا الاستقراء أن أبا البابة حين ارتبط نفسه وحلف أن لا يحلله الا رسول الله «ص» فجاءت فاطمة لتحلله فأبى من أجل قسمه فقال رسول الله (ص) : انما فاطمة مضعة مني فحلته قال : و يدل على تفضيل فاطمة قوله «ع» لها أما ترضين أن تكوني سيدة نساء أهل الجنة الامريم فدخل في هذا الحديث امها وأخواتها وقد تكلم الناس في المعنى الذي به سادت به فاطمة غيرها الى آخر ما قال . (ش)

يغيظ الكفار ولا ينالون من عدو نيلاً : إلا كتب لهم به عمل صالح » وقال : « وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله » وقال : « فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره » فهذا ذكر درجات الايمان و منازلها عند الله عز وجل .

(باب)

﴿ درجات الايمان ﴾

١- عدة من أصحابنا ، عن أحمد بن أبي عبدالله ، عن الحسن بن محبوب ، عن عمارة بن أبي الأحوص ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : إن الله عز وجل وضع الايمان على سبعة أسهم على البر والصدق واليقين والرضا والوفاء والعلم والحلم ، ثم

الاية السابقة والمنع من التخلف عنه وما بعده يحث عليه ويجرى مجرى المنع من التخلف والظلم شدة العطش والنصب الاعياء والتعب والمخمة المجاعة الشديدة والموطىء اما اسم مكان أو مصدر . والضمير في « يغيظ » عائد الى الوطى وفيه دلالة على أن من قصد طاعة الله كان قيامه وقعوده ومشيه وحرركته وسكونه كلها حسنات تكتب في ذبوان عمله .

قوله (وما تقدموا لأنفسكم من خير) فيه حث على الخير وترغيب فيه والمراد به الانفاق أو الاعم .

قوله (وقال فمن يعمل مثقال ذرة خيراً) يدل على أن عمل الخير سبب لعلو الدرجة ورفع المنزلة ، وعمل الشر خلاف ذلك ففيه ترغيب في الخير وتبديد عن الشر .

قوله (ان الله عز وجل وضع الايمان على سبعة أسهم) هذه الاسهم كلها من أفعال القلب (١) وصفاته الا النادر منها . الاول البرأى الاحسان الى نفسه بفعل الواجبات وترك المنهيات ، والى الوالدين والاقربين والاخوان المؤمنين ، وقد روى عن أبي عبدالله « د ع »

(١) قوله « هذه الاسهم كلها من أفعال القلب » ومن مراتب السلوك في اصطلاح العرفاء وهو حركة نفسانية من النقص الى الكمال الانساني وقد تكلم فيها العلماء بهذا الشأن و من أحسن ما صنف فيه كتاب أوصاف الاشراف للمحقق الطوسي الذي أشار اليه الشارح ، واعلم أن تلك المراتب غير متناهية من جهة التقسيم كسائر الحركات كما أن السير في المسافة ينقسم الى الفراسخ والاميال والاذرع والاصابع وباعتبار كل تقسيم يختلف عدد الاقسام فان قسمنا مسافة بالفراسخ وحصل عشرة اقسام مثلاً كانت بالاميال ثلاثين قسماً و بالاذرع مائة وعشرين ألف ذراع والمسافة واحدة كذلك السير الى الكمال الالهي ينضبط باقسام تختلف باعتبارات وقد يعبر عنها *

أنه قال «ومن خالص الايمان البر بالاخوان والثاني: الصدق وهو القول المطابق للواقع كما هو المشهور وينشأ من استقامة اللسان واعتداله في البيان ويطلق أيضاً على فعل القلب والجوارح المطابقين للقوانين العدلية والموازن الشرعية منه والصديق وهو من حصل له ملكة الصدق في جميع هذه الامور ولا يصدر منه خلاف المطلوب عقلاً أو نقلاً، كما صرح به المحقق الطوسي في أوصاف الاشراف. الثالث: اليقين وهو الحالة التي تحصل للانسان عند كمال قوته النظرية كما ان التقوى هي الحالة التي تحصل له عند كمال قوته العملية و بعبارة اخرى هو الاعتقاد

※ بالطوائف السبع وأشار اليه الشاعر:

هفت شهر عشق را عطار گشت ماهنوز اندر خم يك كوچه ايم

وضبطها المحقق الطوسي في ستة أقسام ثم قسم كل قسم الى ستة، وقسم صاحب منازل السائرين الى عشرة وكل قسم الى عشرة، وقسم مولانا الصادق «ع» في هذا الحديث الى سبعة أقسام، وفي حديث الى عشرة، وفي حديث آخر سأئتي ان شاء الله تعالى أيضاً الى سبعة، وكل قسم منها الى سبعة فصارت تسعة وأربعين، ثم قسم كل منها الى عشرة وللناس فيما يشقون مذاهب وكلها صحيح والاولى بنا حفظ اصطلاح الامام «ع» ووجه الترتيب أن الانسان في مبدء السلوك لا يمكن أن يكون راغباً في الشر مصراً في الفسق معرضاً عن الخير لان من هذه صفته لا يتصور في حقه التوجه الى الكمال النفساني فأول المراتب البر ولما كان البر ذا درجات أولها أن يكون معتقداً لحسن الحسن وقبح القبيح ومع ذلك يرتكب القبائح مسامحة وغفلة وغروراً كما نرى من كثير من الفساق المعترفين بقبح فعالهم وهؤلاء لا يصدق فعلهم قولهم فئاني المراتب الصدق، ثم من صدق قوله فعلة قد لا يكون ايمانه خالياً عن شوائب الوهم، ولم يكن له محض اليقين بحيث يبعثه على الحركة على ما يأتي شرحه ان شاء الله في درجات الايمان و ثالث المراتب لمزيد الكمال اليقين، ولما لم يكن اليقين بنفسه محرراً للانسان الا بالرضا كما أن العلم بالنافع لا يوجب الحركة اليه الا اذا اشتاق فرب عالم بنفع التجارة لا يتجر لعدم شوقه ورب متيقن بالجنة لا يعبد الله لعدم شوقه لذلك كان الرضا رابعاً والوفاء بعد الرضا بمنزلة تحريك العضلات بعد الشوق ثم عبر «ع» عما يسنح للسالك بعد الوفاء بالشروط، بالعلم والحلم وهو العلم المفيد في الآخرة وهو المعرفة بالله تعالى وصفاته وأسمائه وأفعاله بما يسمى عندهم بالفناء أو له العلم و آخره الحلم وهذا وجه قريب الاحتمال في ضبط الاسهم السبعة والله العالم بحقيقة كلام وليه و كل كلام من هذا الجنس في أخبار الأئمة عليهم السلام ورد مجعلاً ولم يرد فيه شرح يجوز للمقول التدبر فيها وأبداء أقرب الاحتمالات فيه والا كان ذكرهم عبثاً تعالى أولياء الله عن العبث. (ش)

قسّم ذلك بين الناس ، فمن جعل فيه هذه السبعة الأسم فهو كامل ، محتمل ، و قسّم لبعض الناس السهم و لبعض السهمين و لبعض الثلاثة حتى انتهوا إلى [ال] سبعة

الجازم المطابق الثابت الذى لا يمكن زواله وهو فى الحقيقة مؤلف من علمين العلم بشىء و العلم بأنه لا يمكن خلاف ذلك العلم. وله مراتب مذكورة فى القرآن علم اليقين و عين اليقين و حق اليقين، قال الله تعالى «لو تعلمون علم اليقين لترون الجحيم ثم لترونها عين اليقين» وقال «و تصليّة جحيم ان هذا لهو حق اليقين» و هذه المراتب مترتبة فى الفضل و الكمال مثلالعلم بالنار بتوسط النور أو الدخان هو علم اليقين و العلم بها بمعابنة جرمها المفيض للنور عين اليقين و العلم بها بالوقوع فيها و معرفة كيفيتها التى لا تظهر بالتعبير حق اليقين، و بالجملة علم اليقين يحصل بالبرهان، و عين اليقين بالكشف، و حق اليقين بالاتصال المعنوى الذى لا يدرك بالتعبير، الرابع الرضاء بقضاء الله فى النفس و المال و الولد حلواً كان ام مرأ، الخامس الوفاء بعهد الله وهو ما عقده على أنفسهم من الشهادة برؤيته حين اشهدهم على أنفسهم ألتست بربكم قالوا بلى أو الاعم منه و من الوفاء بالرسالة و الولاية و التكليف و عهدود الناس و شروطهم الجائزة ، السادس العلم بالاحكام الدينية و الشرايع النبوية و الاخلاق النفسية، و بالجملة المراد به البصيرة القلبية فى أمر الدين وهى التى توجب استيلاء الخوف و الخشية على القلب كما قال جل شأنه «انما يخشى الله من عباده العلماء السابع الحلم وهو هيئة حاصلة للنفس من الاعتدال فى القوة الغضبية مانعة لها من الانفعال بسهولة عن الواردات المكروهة المؤذية التى من شأنها تحريك النفس الى الانتقام و التسلط و الترفع و الغلبة و بالجملة هو صفة يوجب سكون النفس و تسأنيها عند هيجان الغضب.

قوله (فهو كامل محتمل) لبلوغ ايمانه حدالكمال واحتماله جميع سهامه وأنحائه.

قوله (ثم قال: لاتحملوا على صاحب السهم سهمين) كما أن القوة الجسمانية يتفاوت

فى أفراد الانسان حتى يقدر أحد بحمل من والاخر بحمل منين والثالث بحمل ثلاثة و هكذا، و كذلك القوة الروحانية فتكلف الادنى حين كونه أدنى بماكلف به الاعلى تكليف بما لا يطاق، والثواب والعقاب ليسا بمتساويين كما روى «انما يداق الله العباد فى الحساب يوم القيامة على قدر ما آتاهم من العقول فى الدنيا» نعم على الاعلى ان ينقل الادنى الى درجته بالتعليم والرفق والوعظ كما سيجىء عن أبى عبدالله «ع» قال «إذا رأيت من هو أسفل منك بدرجة فارفعه اليك برفق ولا تحملن عليه ما لا يطيق فتكسره» و على الادنى أن يتضرع الى الله عزوجل فى المسألة بان يكمله ويوفقه المترقى الى درجة أعلى من درجته كما مر فى

ثم قال : لاتحملوا على صاحب السهم سهمين ولاعلى صاحب السهمين ثلاثة فتبعضوهم،
ثم قال : كذلك حتى ينتهى الى [ال]سبعة .

٢- أبو علي الأشعري، عن محمد بن عبد الجبار و محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد بن عيسى جميعاً ، عن ابن فضال عن الحسن بن الجهم ، عن أبي اليقظان ، عن يعقوب ابن الضحاك عن رجل من أصحابنا سرّاج و كان خادماً لأبي عبد الله عليه السلام قال: بعثني أبو عبد الله عليه السلام في حاجة و هو بالحيرة أنا وجماعة من مواليه قال : فانطلقنا فيها ثم رجعنا مغتمين قال : و كان فراشي في الحائر الذي كنا فيه نزولاً ، فجئت و أنا بحال فرميت بنفسي فينا أنا كذلك إذ أنا بأبي عبد الله عليه السلام قد أقبل قال: فقال: قد أتيناك أو قال: جئناك ، فاستويت جالساً و جلس على صدر فراشي فسألني عما بعثني له فأخبرته ، فحمد الله ثم جرى ذكر قوم فقلت : جعلت فداك إننا نبرأ منهم، إنهم لا يقولون ما نقول. قال: فقال : يتولّونا ولا يقولون ما تقولون تبرؤون منهم؟ قال: قلت: نعم قال: فهو ذاعندنا ما ليس عندكم فينبغي لنا أن نبرأ منكم؟ قال: قلت:

كتاب العقل، و من ههنا ظهر أن القسمة المذكورة لا توجب الظلم لان المطلوب من كل أحد ما يقتضيه قسمه و نصيبه و أن كل ذى قسم قابل للدرجة الفوقانية اما فى نفس الامر أو فى ظنه و تجويزه و ان بناء الكمال على التدرج و التعلم و الطلب منه تعالى، و فيه دلالة على أن الرجل بعد تحصيل أصل الايمان لو قصر فى كماله لقصور فى القوة العقلية أو القوة العملية لا يعد مقصراً ولا يؤاخذ عليه و الله أعلم.

قوله (فتبعضوهم) بهضه الحمل يبهض بالضاد أى أثقله و أعجزه و بالطاء أكثر.
قوله (و هو بالحيرة) الحيرة بالكسر مدينة كان يسكنها النعمان بن المنذر وهى على رأس ميل من الكوفة.

قوله (مغتمين) بالعين المعجمة و فى بعض النسخ و معتمين، بالعين المهملة قيل أى داخلين وقت العتمة.

قوله (و كان فراشى فى الحائر) الحائر المكان المطمئن و البستان كالبحر و كربلا.
قوله (و أنا بحال) أى من الضعف و الكلال.

قوله (انهم لا يقولون ما نقول) من الفضائل أو من المسائل أو من الاعمال الصالحة التى يقولها أصحاب العرفان و يعملها أرباب الايقان، لامن اصول العقائد.

لا - جعلت فداك - قال : و هو ذاعندالله ما ليس عندنا افتراه أطرحنا ؟ قال:قلت: لا والله جعلت فداك، ما تفعل ؟ قال : فتولّوهم ولا تبرؤوا منهم ، إنَّ من المسلمين من له سهمٌ و منهم من له سهمان، ومنهم له ثلاثة أسهم ، و منهم من له أربعة أسهم، ومنهم من له خمسة أسهم ، و منهم من له ستة أسهم، و منهم من له سبعة أسهم ، فليس ينبغي أن يحمل صاحب السهم على ما عليه صاحب السهمين، و لصاحب السهمين على ما عليه صاحب الثلاثة، و لصاحب الثلاثة على ما عليه صاحب الأربعة، و لصاحب الأربعة على ما عليه صاحب الخمسة، و لصاحب الخمسة على ما عليه صاحب الستة. و لصاحب الستة على ما عليه صاحب السبعة ، و سأ ضرب لك مثلاً إن رجلاً كان له جارٌ و كان نصرانياً فدعاه إلى الإسلام و زينّه له فأجابهُ فاتاه سحيراً ففرع عليه الباب فقال له : من هذا ؟ قال : أنا فلان قال : و ما حاجتك ؟ فقال : توضأ و البس ثوبيك و مرّ بنا إلى الصلاة قال : فتوضأ و لبس ثوبيه و خرج معه ، قال : فصلياً ماشاء الله ثم صلّيا الفجر، ثم مكثنا حتى أصبحنا ، فقام الذي كان نصرانياً يريد منزله ، فقال له الرجل أين تذهب ؟ النهار قصير و الذي بينك و بين الظهر قليل ؟ قال : فجلس معه إلى أن صلّى الظهر ، ثم قال : و ما بين الظهر و العصر قليل فاحتبسه حتى صلّى العصر .

قوله (ما تفعل) لما رجع السائل بالمقدمات المذكورة عن الجهل المركب و هو القطع بالبراعة منهم إلى الجهل البسيط، استفهم عما يلزمه من التوسط بين التولى و التبرى أو التولى بقوله ما تفعل على صيغة المتكلم، و الحاصل أن الاحتمالات ثلاثة التولى و التبرى و السكوت ، و لما بطل التبرى استفهم عن أحد الاخرين فأجاب «ع» بأن اللازم عليكم هو التولى، و في بعض النسخ « ما يفعل » بالياء و هو حينئذ من تنمة السابق ، « و ما » نافية و الفاعل ضمير عائد الى الله .

قوله (فليس ينبغي ان يحمل صاحب السهم على ما عليه صاحب السهمين) كل من القوة العملية و القوة العقلية اما في مرتبة النقص أو في مرتبة الكمال أو الاولى في مرتبة النقص و الثانية في مرتبة الكمال أو بالعكس ، فالاحتمالات باعتبار القوتين أربعة و لا ينبغي أن يحمل الناقص على ما عليه الكامل بل ينبغي أن يراعى التوسط في كل مرتبة كما يظهر من المثل .

قوله (ثم صلّيا الفجر ثم مكثنا حتى أصبحنا) يمكن ان يراد بالفجر الفريضة و

قال : ثم قام و أراد أن ينصرف إلى منزله فقال له : إن هذا آخر النهار وأقل من أوّله فاحتبس حتى صلي المغرب ثم أراد أن ينصرف إلى منزله فقال له : إنما بقيت صلاة واحدة قال : فمكث حتى صلي العشاء الاخرة ثم تفرّقا فلما كان سحيراً غدا عليه ف ضرب عليه الباب فقال : من هذا ؟ قال : أنا فلان ، قال : وما حاجتك ؟ قال : توضأ والبس ثوبك و اخرج بنا فصل ، قال : أطلب لهذا الدّين من هو أفرغ منّي و أنا إنسان مسكين و عليّ عيال ، فقال أبو عبد الله عليه السلام : أدخله في شيء أخرجه منه - أو قال : أدخله من مثله و أخرجه من مثل هذا - .

(باب آخر منه)

١- أحمد بن محمد ، عن الحسن بن موسى ، عن أحمد بن عمر ، عن يحيى بن أبان عن شهاب قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : لو علم الناس كيف خلق الله تبارك و تعالى هذا الخلق لم يلم أحدٌ أحداً . فقلت : أصلحك الله فكيف ذاك ؟

بالاصباح الدخول في الصبح المضى الكامل النور و أن يراد به النافلة مع الحذف أي حتى أصبحا وصليا الفريضة .

قوله (أدخله في شيء أخرجه منه) لا يخفى أن هذه العبارة ذات وجهين لان الشيء يحتمل الاسلام والنصرانية .

قوله (لو علم الناس كيف خلق الله تبارك و تعالى هذا الخلق لم يلم أحدٌ أحداً) عدم اللوم باعتبار قصور في القوة النظرية أو في القوة العملية ظاهر و لذلك لا يلام شارب الخمر مثلا لو ادعى عدم العلم بحرمته و أمكن في حقه و لامن أنكر شيئاً مما جاء به النبي ص ، اذا لم يبلغه بل اللازم عليه حينئذ هو الارشاد و التعليم برفق و الحاق الناقص بالكامل ، كمداد عليه الثاني من هذا الباب ، و أما اذا كانت القوتان كاملتين بان علم مثلا وجوب شيء و قدر على فعله و تركه فانه يلام قطعاً و منه يظهر الجمع بين الروايات الدالة على اللوم و عدمه فليتأمل .

قوله (ان الله تبارك و تعالى خلق اجزاء بلغ بها تسعة و أربعين جزءاً) (١) كان

(١) قوله «بلغ بها تسعة و أربعين جزءاً» حاصلة من ضرب سبعة في نفسها فكانه قسم المراتب أولا الى سبعة ثم كل قسم الى سبعة نظير ما مر من المحقق الطوسي «ره» حيث قسم أولا الى ستة أقسام و كل قسم الى ستة . (ش)

فقال : إن الله تبارك و تعالی خلق أجزاء بلغ بها تسعة و أربعين جزءاً . ثم جعل الأجزاء أعشاراً فجعل الجزء عشرة أعشار ، ثم قسمه بين الخلق فجعل في رجل عشر جزء و في آخر عشري جزء حتى بلغ به جزءاً تاماً و في آخر جزءاً أو عشر جزء و آخر جزءاً و عشري جزء و آخر جزءاً و ثلاثة أعشار جزء حتى بلغ به جزئين تامين ، ثم بحساب ذلك حتى بلغ بأرفعهم تسعة و أربعين جزءاً ، فمن لم يجعل فيه إلا عشر جزء لم يقدر على أن يكون مثل صاحب العشرين و كذلك صاحب العشرين لا يكون مثل صاحب الثلاثة الأعشار و كذلك من تم له جزء لا يقدر على أن يكون مثل صاحب الجزئين ولو علم الناس أن الله عز و جل خلق هذا الخلق على هذا لم يلم أحداً أحداً .

٢ - محمد بن يحيى ، عن محمد بن أحمد ، عن بعض أصحابه ، عن الحسن بن علي بن أبي عثمان ، عن محمد بن عثمان ، عن محمد بن حماد الخزاز . عن عبدالعزیز القرطيسي قال : قال لي أبو عبدالله عليه السلام : يا عبدالعزیز إن الإيمان عشر درجات

المراد بها العقل و ما يتبعه من قوة الاعمال و الاخلاق كالتوكل و الزهد و الورع و اليقين و الرضا و غيرها من الصفات النفسانية ، فانها تبلغ تسعة و أربعين ، ثم جعل تلك الاجزاء أعشاراً بأن جعل التوكل عشرة أجزاء ، و قوة العمل عشرة أجزاء ، و قوة البصر كذلك و هكذا ، و الحاصل أنه قدر عمل البصر و السمع و اللسان و الرجل و اليد و عمل القلب أعنى التصديق و الاخلاق أعشاراً ، و يؤيده قوله «ع» في آخر الباب « و بعضهم أكثر صلاة من بعض و بعضهم أنفذ بصر من بعض و هي الدرجات » .

قوله (فجعل الجزء عشرة أعشار ثم قسمه بين الخلق) أي جعل كل جزء عشرة أجزاء فبلغ المجموع أربعين جزءاً ، و المالك للجميع هو الكامل مطلقاً و الناقص للجميع هو الناقص مطلقاً و ما بينهما كامل و ناقص بالإضافة و الناس يبد تفاوتهم بهذه المراتب مشاركون في أصل القوة التكليفية و القدرة و اللوم باعتبار هذه القوة و القدرة و ابطال استعدادهما و صرفهما في غير الجهات المشروعة لا باعتبار ما هو فوق طاقتهما .

قوله (أن الإيمان عشر درجات) (١) يجوز ان يراد بالإيمان هنا التصديق و

(١) قوله «الإيمان عشر درجات» لا ينافي ذلك تسبيح الاقسام أو جعلها تسعة وأربعين على ما ذكرنا ، و أما اختلاف الناس في درجاتهم و التكلم معهم على قدر عقولهم و عدم جواز*

بمنزلة السلم يصعد منه مرقاة بعد مرقاة فلا يقولون "صاحب الاثنى لصاحب الواحد لست على شيء حتى ينتهي إلى العاشرة فلا تسقط من هو دونك فيسقطك من هو فوقك وإذا رأيت من هو أسفل منك بدرجة فارفعه إليك برفق ولا تحملن" عليه ما لا يطبق

الايمان الكامل المركب منه و من العمل والاجزاء الاصلية المذكورة التي جعل كل واحد عشرة أجزاء .

قوله (و اذا رأيت من هو أسفل منك بدرجة فارفعه اليك برفق) ينبغي لارباب الكمال و اهل الصحة والسلامة أن يرحموا أهل النقص و أرباب الذنوب بانقاذهم و اعانتهم على الخروج منهما بالرفق واللفظ تدريجاً لان ذلك دأب الانبياء والعلماء العالمين بكيفية التعليم والتفهيم، و في قوله «فارفعه اليك» دلالة واضحة على أن القيام على الدرجة الاولى ليس من باب الحتم والحصر بل هو قابل للترقى الى الاعلى فالاعلى حتى يبلغ غاية ما يمكن له من الكمال. لا يقال الخبر السابق دل على أن صاحب عشر جزء لا يقدر أن يكون مثل صاحب العشرين فكيف يؤمر صاحب العشرين بأن يرفعه الى درجته برفق؟ لاننا نقول لعل

*حمل احد على شيء لا يقدر فهو مما لا يخفى على المزاولين لهذه الامور كالتدريس والسوخط ووصى به الحكماء أيضاً في علومهم التي لا يستلزم الخطأ فيها سوء العاقبة فكيف في علم الدين الذي لانجاة للضال فيه بدأ. قال الشيخ أبو علي بن سينا في آخر الاشارات القمئكة في الحكم في لطائف الكلم فضنه عن الجاهلين والمبتدلين و من لم يبرق الفطنة الوقادة والدربة والمادة و كان صفاه مع الغاغة أو كان من ملحدة هؤلاء المتفلسفة ومن همجهم انتهى.

و مما أوصى به افلاطون أن لا يتصدى أحد للفلسفة اذالم يحكم العلوم التعليمية وكان مكتوباً على مدرسه: من لا يعلم الهندسة فلا يحضر هنا والسرفيه أن العقل الانسانى قلما يخلص عن شائبة الوهم ومثاله المعروف الميت جماد والجماد لا يخاف عنه يحكم به العقل ولا يدعن به الوهم والانسان بعد قيام الدليل على عدم الخوف يخاف من الميت متابعة لوهمه و نظير هذا ثابت في كل قضية عقلية قام على صحتها البرهان والوهم حاضر يعارضه وقل ان يتفق رجل لا يتشوش خاطره به ويقدر على الجزم بالحق والقطع على الدليل وعدم الاعتناء بالوهم ومما جربنا في العلوم وجربنا عليه في تدريس العقليات منذ سنين الاحتراز من تعليم الفلسفة الالهية لمن لم يرتض ذهنه بالرياضيات كالهندسة والهيئة ولا تتكلم في العقليات مع من لا يعرفها فان خاطر يتبلبل ويتشوش عند سماع البرهان و يتردد بين قبول البرهان ومتابعة أوهامه المرتكزة السراسخة في قلبه منذ حدثته الى أن كمل و من أحسن ما يؤثر في اقامة الذهن البراهين الرياضية. (ش)

فتكسره ، فإن من كسر مؤمناً فعليه جبره .

٣- محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد بن عيسى ، عن محمد بن سنان ، عن ابن مسكان ، عن سدير قال : قال لي أبو جعفر عليه السلام : إن المؤمنين على منازل منهم على واحدة ومنهم على اثنتين ومنهم على ثلاث ومنهم على أربع ومنهم على خمس ومنهم على ست ومنهم على سبع فلو ذهبت تحمل على صاحب الواحدة ثنتين لم يقو و على صاحب الثنتين ثلاثاً لم يقو و على صاحب الثلاث أربعاً لم يقو و على صاحب الأربع خمساً لم يقو و على صاحب الخمس ستاً لم يقو و على صاحب الست سبعا لم يقو و على هذه الدرجات .

٤- عنه ، عن علي بن الحكم ، عن محمد بن سنان ، عن الصباح بن سيابة ، عن أبي عبد الله عليه السلام : قال : ما أنتم والبراءة ، يبرء بعضكم من بعض ، إن المؤمنين بعضهم أفضل من بعض ، وبعضهم أكثر صلاة من بعض ، وبعضهم أنفذ بصراً من بعض وهي الدرجات .

(باب نسبة الإسلام)

١- عده من أصحابنا ، عن أحمد بن محمد بن خالد ، عن بعض أصحابنا رفعه

المقصود أنه صاحب عشر بالفعل و له استعداد اكتساب عشر آخر على أنه لو فرض اختصاصه بالعشر و عدم استعداده للزائد في نفس الامر فلا ريب في أن صاحب العشرين لا يعلم ذلك ، بل ربما يظن أنه قابل للترقي فهو مأثور بهذا الاعتبار رجاء لتحقيق مظنونه والله أعلم .

قوله (من كسر مؤمناً فعليه جبره) ان كان كسره باخراجه عن الدين فعليه أن يدخله فيه بالارشاد و ان كان يكسر قلبه فعليه أن يرضيه .

قوله (و بعضهم أنفذ بصراً) لعل المراد بالبصر البصر القلبي فهو اشارة الى تفاوت الدرجات في القوة النظرية و ما قبله الى تفاوت الدرجات في القوة العملية ، و كان قوله «وهي الدرجات» اشارة الى الدرجات التي في قوله تعالى «هم درجات عند الله» .

قوله (باب نسبة الاسلام) أي صفته التي يتضح بها أمره و حقيقته ، يقال نسبته الى الشيء نسباً من باب طلب أي عزوته اليه و انتسب هو اليه اعترى و الاسم النسبة بالكسر و لما كانت نسبة شيء الى شيء توضح أمره و حاله و ما يؤول هو اليه أراد بها هذا من باب ذكر الملزوم و ارادة اللزوم .

قال : قال أمير المؤمنين عليه السلام : لا نسبن الإسلام نسبة لا ينسبه أحدٌ قبلي ولا ينسبه أحدٌ بعدي إلا بمثل ذلك : إن الإسلام هو التسليم والتسليم هو اليقين واليقين هو التصديق والتصديق هو الإقرار والإقرار هو العمل والعمل هو الأداء ، إن المؤمن لم يأخذ دينه عن رأيه ولكن أتاه من ربه فأخذه ، إن المؤمن يرى يقينه في عمله والكافر يرى إنكاره في عمله ، فوالذي نفسي بيده ما عرفوا أمرهم ، فاعتبروا

قوله (ان الاسلام هو التسليم والتسليم هو اليقين واليقين هو التصديق والتصديق هو الاقرار والاقرار هو العمل والعمل هو الاداء) (١) أشار «ع» الى أن الإسلام هو دين الله الذي أشار إليه جل شأنه بقوله « ان الدين عند الله الإسلام » يتوقف حصوله على ستة أمور حتى أنه ينتفى بانتفاء واحدها الأول التسليم وهو بذل العبد نفسه ورضاه بالاحكام الالهية والنوابغ وان كان مرة في طبعه ، الثاني اليقين بالله واليوم الآخر والثواب والعقاب وهو العلم به مع زوال الشك ، الثالث التصديق الذي هو الايمان الخالص ، الرابع الاقرار بما يجب الاقرار به ، الخامس العمل بالجوارح ، السادس أداء ما افترض الله به بل ما ندبه اليه الا أنه حمل كل لاحق على سابقه وكل واحد على الاسلام على سبيل القياس المفصول النتائج وان كانا متغايرين يتوقف السابق على اللاحق لشدة الاتصال بينهما ، ثم هذه العبارة لاتخلو من لطف وهو أنه جعل الذي هو الايمان الخالص الحقيقي بين ثلاثة وثلاثة و اشتراك الثلاثة التي قبله في أنها من مقتضياته وأسباب حصوله ، و اشتراك الثلاثة التي بعده في أنها من لوازمه وآثاره و ثمراته ، وبالجملة جعل التصديق الذي هو الايمان وسطاً عدلاً ، وجعل أول مراتبه من جهة الاسباب مراقبة الاسلام ، و ثانيها التسليم ، و ثالثها اليقين ، و جعل أول مراتبه من جانب المسببات الاقرار ، و ثانيها العمل ، و ثالثها الاداء فليتأمل .

قوله (ان المؤمن لم يأخذ دينه عن رأيه ولكن أتاه من ربه فأخذه) هذا بمنزلة التأكيد لقوله « ان الاسلام هو التسليم » لان دين الحق لا يجوز أخذه من الرأي بل يجب أخذه من الرب بلا واسطة أو بواسطة عالم رباني ، و من أخذه من الرب كان من أهل التسليم له .

قوله (ان المؤمن يرى يقينه في عمله والكافر يرى انكاره في عمله) يرى امام جهول

(١) قوله « والعمل هو الاداء » وفي نهج البلاغة « الاقرار هو الاداء والاداء هو العمل » و تكلم في هذا الحديث شراح نهج البلاغة و استدل به ابن أبي الحديد على صحة مذهبه وهو ان العمل من الايمان . (ش)

إنكار الكافرين والمنافقين بأعمالهم الخبيثة.

٢- عنه ، عن أبيه ، عن عبدالله بن القاسم ، عن مدرك بن عبدالرحمن ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : الإسلام عريان ، فلباسه الحياء و زينته الوقار و مروته العمل الصالح و عماده الورع و لكل شيء أساس ، و أساس الإسلام حبنا أهل البيت.

من الرؤية أو معلوم من الاراءة و ما بعده على الاول مرفوع و على الثاني منصوب، وهذا بمنزلة الدليل والتأكيد لما لزم من قوله واليقين هو العمل و صريح في أن العمل معتبر في الايمان و ان كل من كان عمله خبيثاً غير واقع على القوانين الشرعية فهو كافر أو منافق و ان كان مدعياً للايمان، و ان الايمان هو التصديق القلبي والعمل دليل عليه فكل ما دل على أن الايمان هو التصديق مع العمل أو دل على أنه العمل فلا بد من حمله على أن إضافة العمل اليه إضافة كمال لا أنه جزء منه بحيث ينتفى الايمان بانتفائه، لا يقال اذا كان الايمان نفس التصديق و جب أن لا يتفاوت اذا التصديق لا يزيد ولا ينقص لانه علم والعلوم لا تتفاوت فوجب أن يكون ايمان أحدنا مثل ايمان أمير المؤمنين «ع» و أنه باطل قطعاً، لاننا نقول لانسلم أن العلوم لا تتفاوت وقد زعم النووي من العامة أن التصديق الواحد يزيد باعتبار كثرة الادلة وان كان هذا لا يخلو من شيء لان كثرة الادلة انما يفيد العلم بالشئ من جهات متعددة لا تتفاوت العلم ولوسلم فلانسلم أن تفاوت مراتب الايمان وقع من جهة التصديق بل من جهة الاعمال المنضافة اليه لاجل الكمال، و الحاصل أن العمل غير داخل في حقيقة الايمان لانه غير داخل في حقيقة أفراده والتفاوت انما هو بين الافراد لا بين الحقيقة فليتنامل.

قوله (الاسلام عريان فلباسه الحياء) شبه الاسلام بالرجل العريان في النقص و الضعف و أثبت اللباس له ترشيحاً للتشبيه. و شبه الحياء به لانه يمنع من المعاصي و يحجب عن القبايح و يحسن الصورة و يدفع العار كاللباس الفاخر الساتر و زينته الوقار و العهد الربوبية والرسالة والولاية، أو الاعم منه و من عهود الناس ولا يبعد أن يراد به الاقرار و التسليم، و مروته العمل الصالح و هو من آثارها اذ من شأن المروة وهي كمال الرجولية الحث على فعل ما ينبغي فعله، و عماده الورع من المنهيات والمكروهات بل عن المشبهات أيضاً لان ذلك يوجب ثبات الاسلام وبقائه كما أن فعل المنهيات يوجب زواله و فناءه.

قوله (و لكل شيء اساس) الظاهر أنه كلام أبي عبدالله «ع» واستعار اساس

عليُّ بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن عليِّ بن معبد ، عن عبد الله بن القاسم ، عن مدرك
ابن عبد الرحمن ، عن أبي عبد الله مثله .

٣- عدَّةٌ من أصحابنا ، عن أحمد بن محمد ، عن عبد العظيم بن عبد الله الحسيني .
عن أبي جعفر الثاني عليه السلام ، عن أبيه ، عن جدِّه صلوات الله عليهم قال : قال أمير -
المؤمنين عليه السلام : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : إنَّ الله خلق الإسلام فجعل له عرصة وجعل
له نوراً وجعل له حصناً وجعل له ناصراً . فأما عرصته فالقرآن ، وأما نوره فالحكمة

الاسلام لحب أهل البيت عليهم السلام اذ حبهم مبدء للاسلام ودين الحق و أصل له لما
يعتبر فيه و به بناؤه وثباته .

قوله (ان الله خلق الاسلام فجعل له عرصة) شبه الاسلام بالدار في الرجوع اليه و
السكون فيه والانس به و جعل له عرصة وهي موضع واسع فيها لابناء فيه و جعل له نوراً
يرى به ماخفى كما أن للبيت نوراً ، وجعل له حصناً يمنع من خروج المصلح عنه و دخول
المفسد فيه كما أن للدار حصناً مانعاً من ذلك ، و جعل له ناصراً ينصره و يروجه و يتدبر
في أمره و اصلاحه كما أن للدار ناصراً كذلك فأما عرصته فالقرآن لان أهله يستريح
فيه و يسير اليه و أيضاً لا يدخل في الدين الا ما يدخل في القرآن كما أنه لا يدخل في الدار
الا ما يدخل في العرصة ، و أما نوره فالحكمة (١) لان بالحكمة وهي العلم يظهر أوامر
الدين ونواهيها ، و آدابها و أسرارها ، و أما حصنه فالمعروف لان المعروف و اقامته يوجب

(١) قوله «وَأما نوره فالحكمة» القرآن والحكمة و بعبارة اخرى الشرع و العقل
ولن يفيد العقل والحكمة ان لم ينظر بهما الى القرآن ولا يستفيد من القرآن اذالم يتدبر
فيه بعقله فالقرآن عرصة يرى ما فيها بنور العقل والحكمة وقد روى في آخر كتاب العقل
(المجلد الاول صفحة ٤٣٧) عن أمير المؤمنين «ع» «بالعقل استخراج غور الحكمة وبالحكمة
استخراج غور العقل الى آخره» وفي حديث ورد في بعض نسخ الكافي آخر كتاب العقل و
الجهل عن الصادق «ع» في حديث طويل : «أن أول الامور ومبداها وقوتها وعمارته التي لا ينتفع
شيء الاب، العقل الذي جعله الله زينة لخلقه و نوراً لهم ، فبالعقل عرف العباد خالقهم ، وأنهم
مخلوقون ، وأنه المدبر لهم ، وأنهم المدبرون ، و أنه الباقي وهم الفانون ، و استدلوا
بعقولهم على ما رأوا من خلقه ، من سمائه وأرضه ، و شمس و قمره . و ليله ونهاره ، بأن له
ولهم خالقاً ومدبراً لم يزل ولا يزول ، و عرفوا به الحسن من القبيح ، و أن الظلمة في الجهل ،
وأن النور في العلم ، فهذا ما دلهم عليه العقل .

قيل له : فهل يكفي العباد بالعقل دون غيره؟ قال : ان العاقل لدلالة عقله الذي جعله*

و أمّا حصنه فالمعروف، وأمّا أنصاره فأنا و أهل بيتي و شيعتنا ، فأحبّوا أهل بيتي و أنصارهم فإنّه لما أُسري بي إلى السّماء الدُّنيا فنسبني جبرئيل عَلَيْهِ السَّلَامُ لأهل السّماء ، استودع الله حبّي و حبّ أهل بيتي و شيعتهم في قلوب الملائكة، فهو عندهم وديعة إلى يوم القيامة . ثمّ هبط بي إلى أهل الأرض فنسبني لأهل الأرض فاستودع الله عزّ وجلّ حبّي وحبّ أهل بيتي و شيعتهم في قلوب مؤمني أمّتي فمؤمنوا

حفظه من خروج الحق عنه و دخول الباطل فيه و أيضاً حفظه يوجب حياة الاسلام و تركه يوجب هلاكه فهو يشبه الحصن، وأمّا أنصاره فأنا و أهل بيتي و شيعتنا ولعل المراد بالشيعة من كان تابعا لهم في العلم والعمل اذ لا يتصور النصره بدونهما .

قوله (ثم هبط بي الى أهل الأرض فنسبني لأهل الأرض) فان قلت كيف ذكر نسبة لأهل الأرض والمؤمنون به الى يوم القيامة لم يكونوا موجودين في ذلك الزمان، قلت لعله نادى بقوله «يا أيها الناس هذا محمد بن عبد الله رسول الله وخاتم النبيين» فسمع صوته من في

الله قوامه وزينته و هدايته، علم أن الله هو الحق، و أنه هوربه، و علم أن لخالقه محبة، وأن له كراهية، وأن له طاعة، وأن له معصية ، فلم يجد عقله يدله على ذلك و علم أنه لا يوصل اليه الا بالعلم و طلبه، و أنه لا ينتفع بعقله ان لم يصب ذلك بعلمه ، فوجب على العاقل طلب العلم والادب الذي لا قوام له الا به .

قال الراغب الاصفهاني في كتابه المسمى بالذريعة: الله عز وجل رسولان الى خلائقه أحدهما من الباطن وهو العقل ، والثاني من الظاهر وهو الرسول ولا سبيل لاحد الانتفاع بالرسول الظاهر مالم يتقدمه الانتفاع بالباطن فالباطن يعرف صحة دعوى الظاهر ولولاه لما كان تلزم الحجة و لهذا أحال الله من يشكك في وحدانيته وصحة نبوة أنبيائه على العقل و أمر أن يفزع اليه في معرفة صحتهما فالعقل قائد والدين مسدد ولولم يكن العقل لم يكن الدين باقيا ولولم يكن الدين لاصبح العقل حائرا واجتماعهما كما قال تعالى «نور على نور» و نقل الفيض رحمه الله - في كتاب عين اليقين عن بعض الفضلاء و هو الراغب في تفصيل النشأتين قال: اعلم أن العقل لن يهتدى الا بالشرع والشرع لن يتبين الا بالعقل والعقل كالاس والشرع كالبناء ولن يثبت بناء مالم يكن اس و لن يغنى اس مالم يكن بناء، و أيضاً العقل كالبصر والشرع كالشعاع و لن ينفع البصر مالم يكن شعاع من خارج ولن يغنى الشعاع مالم يكن بصر . قال : و أيضاً فالعقل كالسراج والشرع كالزيت الذي يمدده فما لم يكن الزيت لم يشعل السراج وما لم يكن سراج لم يضيء الزيت انتهى . وقال الرضا «ع» : «لا يعبا بأهل الدين ممن لا عقل له» . وقال الصادق «ع» «ليس بين الايمان والكفر الا قلة العقل» و كل ذلك مأخوذ من كلام أمير المؤمنين «ع» . (ش)

أمتي يحفظون وديعتي في أهل بيتي إلى يوم القيامة ، ألا فلو أن الرّجل من أمتي
عبد الله عزّ وجلّ عمره أيام الدنيا ثمّ لقي الله عزّ وجلّ مبغضاً لأهل بيتي و شيعتي
ما فرّج الله صدره إلاّ عن الثّفاق.

(باب خصال المؤمن)

١- محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد بن عيسى ، عن الحسين بن محبوب ، عن
جميل بن صالح ، عن عبد الملك بن غالب ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : ينبغي للمؤمن
أن يكون فيه ثمان خصال : وقوراً عند الهزاهز ، صبوراً عند البلاء ، شكوراً عند
الرخاء ، قانعاً بما رزقه الله ، لا يظلم الأعداء ولا يتحامل للأصدقاء ، بدنه منه في

أصلاّب الرجال وأرحام النساء الى يوم القيامة فأجاب من أجاب كما نادى خليل الرحمن للحج
أو أراد بذكر نسبه لاهل الارض ذكره في القرآن فانهم يسمونه بطناً بعد بطن وعصراً بعد
عصر الى يوم القيامة فيحبهم شيعتهم و يبغضهم عدوهم والله أعلم.
قوله (وقوراً عند الهزاهز) الوقور فعول من الوقار و هو الحلم و الرزانة ،
و الهز : التحريك ، يقال هزرته هزاً فاهتز من باب قتل أى حركته ، و الهزاهز الفتن
يهتز الناس فيها .

قوله (صبوراً عند البلاء) البلاء اسم لما يمتحن به من شر أو خير ، و يقال
بالفارسية «زحمت و نعمت» وكثر استعماله في الشر و الصبر و هو حبس النفس على الامور
الشاقة عليها و ترك الاعتراض على المقدور و عدم اظهار الشكاية و الاضطراب من
أعظم خصال الإيمان .

قوله (شكوراً عند الرخاء) الرخاء النعمة و الخصب و سعة العيش ، و الشكر الاعتراف
بالنعمة ظاهراً و باطناً و معرفة حق المنعم و الاتيان بطاعته و ترك معصيته و الشكور للمبالغة فيه .
قوله (قانعاً بما رزقه الله) لا يبعثه الحرص على الحرام و جمع ما لا يحتاج اليه
و تضييع العمر فيما لا يعنيه .

قوله (لا يظلم الأعداء) المقصود نفي الظلم مطلقاً و انما خص الأعداء بالذكر لانهم
مورد الظلم اذ العداوة تبعث عليه غالباً .

قوله (ولا يتحامل للأصدقاء) أى لا يتحامل على الناس يعنى لا يجور عليهم لاجل
الأصدقاء و طلب مرضاتهم ، و قيل لا يتحمل الوزر لاجلهم كما اذا كان عندك شهادة على صديقك
لغيره فلا تشهد له رعاية للصداقة .

تعب والناس منه في راحة ، إن العلم خليل* المؤمن والحلم* وزيره والعقل أمير جنوده والرفق أخوه والبر والده.

قوله (بدنه منه في تعب والناس منه في راحة) لقيامه بالعبادات ليلاً ونهاراً واشتغاله بالطاعات سراً وجهاراً حتى أسهرت ليلاليه وأظمأت هواجره وكان همه بعد ذلك رفع الأذى عن الناس وإيصال الخير إليهم، فهم منه في راحة دنيوية وأخروية.

قوله (إن العلم خليل المؤمن) إشارة إلى ما هو الأصل لجميع ما ذكر لتوقف الخصال المذكورة على هذه الأمور، والخلقة بالضم الصداقة والمحبة التي تخللت القلب فصارت خلاله أي في باطنه والخليل الصديق فيل بمعنى فاعل وقد يكون بمعنى مفعول، وإنما كان العلم خليل المؤمن لأنه ينفعه غاية النفع كالخليل، والمراد بالمؤمن النفس الناطقة المطيعة المنزلة إلى هذا البدن لتحقيق معرفة الحق من جهة آثاره، ومشاهدة عجائب صنعه، والتقرب منه قبل العود وبعده على الوجه الأكمل كما قال عزشأ نه «سنريهم آياتنا في الأفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق» ولما كان ذلك التحصيل لا يتم إلا بالأعضاء والحواس الظاهرة والباطنة والشهوة والغضب والحلم والعقل وغيرها خلقت لها هذه الأمور وجعلت جنودها وهي سلطان على الجميع تأمر كل واحد بما خلق له تنهاه عن غيره فتأمر اللسان بالقول الصحيح وتأمّر البصر بالنظر الصحيح وتأمّر الشهوة بطلب ما ينفع البدن وتأمّر الغضب بدفع ما يضره، وقس عليه وكما أن للسلطان الظاهر وزيراً يشاوره في نظام أمره ومملكته وأميراً لجنوده يقهر الأعداء بحسن تدبيره ويضبط أمور عساكره، كذلك لسلطان البدن وزير وأمير فوزيره الحلم وأميره العقل إذ العقل ينهى إليه أن مرسوم اليد مثلاً الأخذ والاعطاء الصحيحين، ومرسوم اللسان القول اللين والأقوال الصحيحة الموافقة للقوانين الشرعية، ومرسوم الشهوة هو القدر الضروري من الطعام والشراب ونحوهما، ومرسوم الغضب هو دفع المانع منه ودفع العدو المفسد فأمّر الوزير وهو الحلم بأن يعطى كل واحد ما أنهائه الأمير إليه ويمنعه من التجاوز عنه، فأمير البدن إذا رجع إليها تم نظام مملكته وصارت جنوده مسخرة له فتحمل له السعادة الأبدية والتقرب بالحضرة الربوبية ولو انعكس الأمر وعصت الرعايا وغلبت الشهوة والغضب على الأمير والوزير زالت سلطنته وخربت مملكته ونكست أحواله وبعد عن مولاه وهو من الخاسرين.

قوله (والرفق أخوه والبر والده) أي الرفق وهو اللين والتلطف بالصديق والعدو والجليس والرفق، بمنزلة الأخ في دفع الشر عنه، والبر هو الاحسان إلى الخلق بمنزلة الوالد في جلب النفع وطلب الخير له.

٢- علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن النوفلي ، عن السكوني ، عن أبي عبد الله ، عن أبيه عليه السلام قال : قال أمير المؤمنين صلوات الله عليه : الايمان له أركان أربعة التوكل على الله ، وتفويض الأمر إلى الله ، والرضاء بقضاء الله ، والتسليم لأمر الله عز وجل .

٣- عدة من أصحابنا ، عن أحمد بن محمد بن خالد ، عن أبيه عن ذكره ، عن محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، عن أبيه ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : إنكم لا تكونون صالحين حتى تعرفوا ولا تعرفون حتى تصدقوا ولا تصدقون حتى تسلموا أبواباً أربعة لا يصلح

قوله (الايمان له أركان أربعة) المراد بالايمان اما التصديق الجازم الثابت المطابق للواقع أو هو مع العمل ، ولكماله أولثباته واستقراره أركان أربعة لو اتتفى أحد ها لبطل كماله وزال استقراره الاول التوكل على الله وهو الاعتماد عليه والثوق به فى الرزق وغيره من الضروريات ، وقطع تعلق القلب بغيره من الاسباب والمسببات وهو يوجب قوة الايمان وثباته اذ لو اتتفى التوكل عليه وتعلق القلب بغيره من الاسباب والمسببات والوسائط تحركت الجوارح الى تحصيلها وفرغ القلب عن ذكره وذملت الجوارح عن طاعته ، وهو يوجب ضعف الايمان ، الثانى تفويض الامر فى دفع شر الاعداء وكيد الخصماء ومكائد النفس ووسوس الشيطان أو مطلقاً الى الله كما فوض مؤمن آل فرعون أمره الى الله فوقاه الله سيئات ما مكروا فان من استكفاه كفاه الله وفرغ هو لذكره وطاعته وهو يوجب قوة الايمان وثباته ، الثالث الرضا بقضاء الله فى حصول الشدة والرخاء ونزول المصيبة والبلاء ، وهذه خصلة شريفة توجب كمال الايمان وثباته ، واتفأؤها يوجب السخط بالله وبصنعه ، وذلك يوجب نقص الايمان بل زواله غالباً ، الرابع التسليم لامر الله عز وجل والالتقياد له فى الشرايع والاحكام والحدود وكل ما أنزله على رسوله وهو فى الحقيقة قبول قول الله وقول الرسول والاصياء وأفعالهم ظاهراً وباطناً و تلقياها بالبشر والسرور وان كان ثقيلاً على النفس وغير موافق للطبع ، وهو أصل عظيم لرسوخ الايمان وكماله اذ لو اتتفى استولى ضده وهو الشك على القلب والشك يناقئ أصل الايمان فضلاً عن كماله .

قوله (عدة من أصحابنا عن أحمد بن محمد بن خالد ، عن أبيه) قد مر هذا الحديث سنداً و متنأ فى أوائل كتاب الحججة فى باب معرفة الامام والرد اليه و ذكرنا شرحه مفصلاً .

قوله (انكم لا تكونوا صالحين حتى تعرفوا) ذكر اموراً أربعة كل سابق موقوف

أولها إلا بآخرها ، ضل أصحاب الثلاثة و تاهوا تيهاً بعيداً ، إن الله تبارك وتعالى لا يقبل إلا العمل الصالح ولا يتقبل الله إلا بالوفاء بالشروط والعهود، ومن وفى الله بشروطه و استكمل ما وصف في عهده نال ما عنده و استكمل وعده ، إن الله عز وجل أخبر العباد بطريق الهدى و شرع لهم فيها المنار و أخبرهم كيف يسلكون، فقال : « و إنني لغفار لمن تاب و آمن و عمل صالحاً ثم اهتدى » و قال : « إنما يتقبل

على اللاحق لظهور أن الصلاح وهو التحلى بالفضائل الظاهرة والباطنة والتخلى عن الرذائل متوقف على معرفتها والمعرفة متوقفة على التصديق اذهى بدونه نفاق واستهزاء ، والتصديق موقوف على تسليم أبواب أربعة. و لعل المراد بها الاقرار بالله، والاقرار بالرسول، والاقرار بما جاء به الرسول، والاقرار بالائمة عليهم السلام بعده، أو المراد بها الرسول وعلى والحسن والحسين عليهم السلام، أو المراد بها الاربعة المذكورة فى الاية الاتية و هى التوبة والايمان والعمل الصالح والاهتداء وهو متابعة الامام ولكن لا يخلو هذا من مناقشة.

قوله (لا يصلح أولها الا بآخرها) فلا يصلح الاقرار بالله والتسليم له الا بالاقرار بالامام والتسليم له .

قوله (لا يقبل الا العمل الصالح) و هو المشتمل على ما يعتبر فى تحققه و صلاحه شرعاً داخلاً كان أم خارجاً ومن جملة ذلك التسليم للابواب الاربعة وهو شرط الله و عهده على عباده فى صلاح العمل و قبوله واستحقاق الاجر به. ولا يتقبل الله من العاملين أعمالهم الا بوفائهم بشروطه وعهوده ومن وفى الله بشروطه وحفظها وأتى بما وصف فى عهده على وجه الكمال ورعاه و عبده بارشاد الرسول والهداة من بعده نال ما عنده من الثواب الجزيل و استكمل وعده من الاجر الجميل كما قال عز وجل أوفوا بعهدي أوف بعهدكم أى أوفوا بما عاهدتكم عليه من الامور المذكورة أوف بعهدكم من الثواب والجزاء. وقيل ان للوفاء عرضاً عريضاً أوله الاقرار بالشهادتين و آخره الاستغراق فى التوحيد.

قوله (ان الله عز وجل اخبر العباد بطرق الهدى) بيان للشروط والعهود المذكورة أو تأكيد لها أو دليل عليها ولذا ترك العطف، والمراد بطرق الهدى طرق الشرع الموصلة الى المطلوب الهادية الى مقام القرب وبالمنار وهى جمع المنارة على غير قياس يعنى موضع النور ومحله اعلام الهدى وهم الحجج عليهم السلام لانهم محال أنوار الله تعالى و علومه التى بمنزلة النور فى الايصال الى المطلوب باخبارهم كيفية سلوكهم طرق الشرع والزامهم باقتناء آثار الحجج و اتباع أقوالهم وأعمالهم و عقائدهم فقال عز وجل :

(و انى لغفار لمن تاب) عن الباطل ورجع الى والى الحجج (و آمن) بى وبهم

الله من المتقين » فمن اتقى الله عز وجل فيما أمره لقي الله عز وجل مؤمناً بما جاء به محمد ﷺ، هيهات هيهات فات قوم و ماتوا قبل أن يهتدوا و ظنوا أنهم آمنوا، و أشركوا من حيث لا يعلمون، إنه من أتى البيوت من أبوابها اهتدى و من أخذ في غيرها سلك طريق الردى، و صل الله طاعة و لي أمره بطاعة رسوله ﷺ و طاعة رسوله بطاعته، فمن ترك طاعة و لاة الأمر لم يطع الله و لارسوله وهو الاقرار بما نزل (و عمل صالحاً) ببيانهم و ارشادهم، (ثم اهتدى) الى والى مقام قربي أو الى العلم بأه لا يتحقق المغفرة و العمل الصالح بدون التوبة و الايمان المذكورين.

(و قال عز وجل انما يتقبل الله من المتقين) الذين يتمكنون بما جاء به الرسول (ص) و بين لهم الحجج و لم يتجاوزوه و يقومون على ما أمرهم الله به و ينتهوا عما نهاهم عنه. (فمن اتقى الله عز وجل فيما أمره) من متابعة الحجج و اقتفاء آثارهم . (لقي الله عز وجل) يوم القيامة مؤمناً (بما جاء به محمد ص) هيهات هيهات (أى بعد التقوى و اللقاء بالايان . (فات قوم) فى الضلالة (و ماتوا قبل أن يهتدوا) الى الله و الحجج (و ظنوا أنهم آمنوا) بالله و الحال أنهم (أشركوا) به (من حيث لا يعلمون) انه اتباع الهوى و ترك متابعة الحجج شرك بالله العظيم، ثم أوضح ذلك على سبيل الاقتباس من القرآن الكريم بقوله (أنه من أتى البيوت) بيوت الشرع (من أبوابها) و هى الحجج (اهتدى) الى دين الله الموصول اليه (و من أخذ فى غيرها سلك طريق الردى) أى الضلال و الهلاك و سر ذلك أن الوصول الى الله متوقف على سلوك سبيله المتوقف على العلم بالمبدأ و المعاد و القوانين الشرعية المقررة بالوحى و شىء من ذلك لا يتسير الا بارشاد معلم ربانى وهو النبى و من يقوم مقامه من الاوصياء و العلماء التابعين لهم فمن أخذ منهم فقد اهتدى ، و من عدل عنهم فقد سلك سبيل الردى و ضل عن سبيل الحق، و مثله كمثل من قصد جهة الشرق وهو سلك سبيل الغرب فكلم بالبعث فى السير بعد عن المقصد و ضل عن سبيله وهو الضلال البعيد (ثم أكد ذلك بقوله ص) و صل الله طاعة و لى أمره بطاعة رسوله و طاعة رسوله بطاعته) فى قوله « أطيعوا الله و أطيعوا الرسول و اولى الامر منكم » و هو يفيد التلازم (فمن ترك طاعة و لاة الامر لم يطع الله و لا رسوله) لان ترك اللزم يوجب ترك الملزوم و الحال أن الاقرار بطاعة و لاة الامر (وهو الاقرار بما نزل من عنده) و هى الاية الكريمة لان كل من أقر به فقد أقر بالاولين أيضاً دون العكس فان كثيراً من الناس أقروا بالاولين دون الاخير فهم لم يقرؤا بما نزل من عنده ثم بالغ فى الاقرار بولاة الامر و حث عليه بقوله (خذوا زينتكم عند كل مسجد) و الزينة مطلق ما يتزين به شرعاً، و منه الاقرار و التصديق بولاة و لاة الامر لانه أعظم ما يتزين به الظاهر و

من عند الله ، خذوا زينتكم عند كل مسجد والتمسوا البيوت التي أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه، فإنه قد خبركم أنهم رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله عز وجل وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ، يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار، إن الله قد استخلص الرسل لأمره، ثم استخلصهم مصدقين لذلك في نذره فقال : « وإن من أمة إلا خلا فيها نذير » تاه من جهل و اهتدى من أبصر وعقل ، إن الله عز وجل يقول : «فانها لاتعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور» وكيف يهتدي من لم يبصر وكيف يبصر من لم يندر اتبعوا رسول الله ﷺ وأقروا

الباطن (والتمسوا البيوت التي أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه) أى اطلبوها وهى بيوت النبوة والوصاية التي شرفها الله تعالى على بيوتات ساير الانبياء والاصياء ، ويذكر فيها اسم الله وآياته، كما أشار اليه بقوله (فانه قد خبركم أنهم) أى الرسول وولاية الامر (رجال لا تلهيهم تجارة) أى مطلق الاكتساب (ولا بيع عن ذكر الله) عزوجل (واقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوماً) أى عذابه أو شره (تتقلب فيه القلوب و الابصار) ظهر البطن و من جانب الى جانب كتقلب الحية على الرمضاء ، و ذلك لكثرة شدائده و عظمة مصايبه .

قوله (ان الله قد استخلص الرسل لامره) «الاستخلاص» رهانیدن خواستن ورهانيده خواستن وپاك شدن خواستن، و كان النذر بضمين جمع النذير، و أن المراد به على بن أبى طالب و ولاية الامر بعده. أى جعل الرسل خالصين لامره فارغين عما عداه بالمجاهدات النفسانية والتأبيدات الربانية ثم جعلهم خالصين من باب التأكيد حال كونهم مصدقين لاجل خلوصهم فى نذره أى فى وصف الاولياء و تعيين الاوصياء (فقال وان من امة الا خلا فيها نذير) فكيف يجوز أن لا يكون فى هذه الامة نذير منصوب من قبل الله و قبل رسوله، و فيه رد على من جعل الكفرة صاحبين للخلافة قابلين للنياحة (تاه) أى تحير فى الدين و ضل الطريق من جهل النذير و اهتدى من أبصره وعقله.

قوله (ان الله عز وجل يقول فانها لاتعمى الابصار) فيه تسهيل للاول و تقبيح للثانى، و اشارة الى أن سبب الجهل ذهاب البصيرة و ابطال القوة القلبية التي بها تدرك الصور الحقة والاسرار الالهية و ابطالها يتحقق تارة بعدم التفكير والتدبر، و اخرى بمتابعة القوة الشهوية والغضبية حتى ينزل فى الدرجة الحيوانية.

قوله (كيف يهتدى من لم يبصر وكيف يبصر من لم يندر) اشارة الى أن الهداية

بما نزل من عند الله واتبعوا آثار الهدى، فانهم علامات الأمانة والتقى، واعلموا أنه لو أنكر رجل عيسى بن مريم عليه السلام وأقر بمن سواه من الرسل لم يؤمن، اقتصوا الطريق بالتماس المنار والتمسوا من وراء الحجب الآثار. تستكملوا أمر دينكم وتؤمنوا بالله ربكم.

٤- عنه، عن أبيه، عن سليمان الجعفري، عن أبي الحسن الرضا، عن أبيه عليه السلام

الى الدين بدون البصيرة والبصيرة بدون هداية الهادى و ارشاد المنذر محال ولذلك أمر باتباع الرسول والائمة الهداة بعده فقال (اتبعوا رسول الله ص، و أقرؤا بما نزل من عند الله) ومنه طاعة ولاة الامر (و اتبعوا آثار) ائمة (الهدى) من العقائد والاقوال والافعال والاخلاق (فانهم علامات الامانة والتقى) اذ بهم يعرف الامانة أى الدين والتقوى، ويعلم أركانها وشرائطها وكيفية الوصول اليهما والتقوى ملكة تحدث من ملازمة المأمورات واجتناب المنهيات والمشتبهات و ثمرتها حفظ النفس عن الدنيا.

قوله (و اعلموا أنه لو انكر رجل عيسى بن مريم) المقصود أن من أنكر واحداً من الائمة أو أزاله عن موضعه لم يؤمن بالله، و ذكر عيسى بن مريم على سبيل التمثيل والا فالحكم مشترك و هو أن منكر أحد من الرسل غير مؤمن بالله تعالى مما ذهب اليه حذاق المتكلمين و دليلهم على ذلك هو السمع دون العقل اذ لا يمتنع فى العقل أن يعرف الله من كذب رسوله لانهما معلومان لا ارتباط لاحدهما بالآخر عقلا، لا يقال العقل دل عليه لان منكر الرسول مقر باله غير مرسل لهذا الرسول، ولا شيء من المقر باله غير مرسل لهذا الرسول مقر بالله سبحانه فلا شيء من منكر الرسول مقر بالله سبحانه فلا يكون مؤمناً به وهو المطلوب أما الصغرى فصادقة لانها الواقع و أما الكبرى فلان الاله الذى لم يرسل هذا الرسول ليس هو الله سبحانه. لانا نقول يصير النزاع لفظياً والكبرى فيها مصادرة. أما الاول فلان الخلاف يتوجه الى أن العارف بالشىء المقربه من وجه وغير مقر به من وجه آخر هل يسمى عارفاً لذلك الشىء أم لا، و أما الثانى فهو ظاهر فلي تأمل.

قوله (اقتصوا الطريق بالتماس المنار) قص الاثر و اقتصه اذا تبعه، أى اتبعوا الطريق و اطلبوه بطلب اعلامه التى نصبت لمعرفته كيلا تضلوا.

قوله (والتمسوا من وراء الحجب الآثار) أى اطلبوا آثار الائمة و أخبارهم من وراء حجب شبهات الجاحدين، أو من ورائهم، ففيه أمر بالرجوع اليهم عند غيبتهم بخلاف السابق فانه أمر به عند حضورهم، و يحتمل أن يراد بالحجب الانبياء ففيه حث على اقتفاء آثار أقدامهم و سلوك طريقهم، ولا يتحقق ذلك الا بارشاد الاوصياء.

قال : رفع إلى رسول الله ﷺ قوم في بعض غزواته فقال من القوم ؟ فقالوا :
مؤمنون يا رسول الله ، قال : وما بلغ من إيمانكم ؟ قالوا : الصبر عند البلاء والشكر
عند الرِّخاء والرضاء بالقضاء ، فقال رسول الله ﷺ : حلما علماء كادوا من الفقه
أن يكونوا أنبياء ، إن كنتم كما تصفون ، فلا تبنوا مالا تسكنون ولا تجمعوا مالا
تأكلون واتقوا الله الذي إليه ترجعون .

(باب)

١- علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، و محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد بن عيسى ،
و عدّة من أصحابنا ، عن أحمد بن محمد بن خالد ، جميعاً ، عن الحسن بن محبوب ، عن
يعقوب السراج ، عن جابر ، عن أبي جعفر ع و بأسانيد مختلفة ، عن الأصمغ
ابن نباتة قال : خطبنا أمير المؤمنين ع في داره - أو قال : في القصر - ونحن
مجتمعون ، ثم أمر صلوات الله عليه فكتب في كتاب و قرىء على الناس و روى غيره
أن ابن الكوِّاء سأل أمير المؤمنين ع عن صفة الاسلام و الايمان و الكفر و النفاق ،

قوله (فقال من القوم) سأل عما يوجب تعيينهم من الخصال والصفات (فقالوا
مؤمنون) أى نحن أو القوم مؤمنون ، و لما كان للإيمان آثار و لوازم شريفة يدل عليه
سأل عما بلغهم منها من أجل إيمانهم فقالوا : الصبر على المشاق عند البلاء و الشكر للمنع
عند الرِّخاء و الرضاء بالقضاء ، و لما كانت هذه الامور من آثار العلم و الحكمة و الحلم
و كانت من أعظم صفات الانبياء قال «ص» حلما علماء (١) لان وجود الاثر يدل على
وجود المؤثر ، و شبههم بالانبياء على وجه المبالغة لكمال التشابه و التقارب ، ثم لما كانت هذه
الصفات تقتضى الزهد فى الدنيا و التقوى أى الاتيان بالمأمورات و ترك المنهيات حثهم
على الاول بقوله : ان كنتم صادقين ، فلا تبنوا مالا تسكنون ولا تجمعوا مالا تأكلون و خصهما
بالنهي لانهما من أعظم مطالب الراغبين فى الدنيا و على الثانى بقوله (واتقوا الله الذى اليه
ترجعون) و فيه وعد و وعيد جميعاً .

(١) قوله « علماء حلما » لانهم استنبطوا لوازم الايمان بعقلهم فانهم فهموا أن المؤمن
يصبر عند البلاء اذ علموا أن ما يصيب الانسان انما هو من الله تعالى وهو لا يريد السوء لعبادة
و الشكر عند الرضا لان النعمة منه تعالى ، و الرضا بالقضاء يعم ذلك وغيره ، و سماهم الفقهاء
لاستنباطهم و عدم وقوفهم على حفظ ماسموا .

فقال : أمّا بعد فإنّ الله تبارك و تعالى شرع الإسلام و سهل شرائعه لمن ورده و أعزّ أركانها لمن حاربه و جعله عزّاً لمن تولاه و سلماً لمن دخله و هدى لمن ائتمّ به و زينة لمن تجلّله و عذراً لمن انتحلّه و عروة لمن اعتصم به و حبلاً لمن استمسك به و برهاناً لمن

قوله (و روى غيره أن ابن الكواء) الظاهر أن ضمير غيره راجع الى الاصبغ بن نباته ، و عبدالله بن الكواء من رجال أمير المؤمنين «ع» خارجي ملعون .

قوله (شرع الاسلام) أى أظهره و أوضحه أو جعله شريعة للعقول و طريقاً لها لتسلكه اليه .

قوله (و سهل شرائعه لمن ورده) الشرائع جمع الشريعة و هى طريق الماء . و المراد بها قواعده و أركانها و خطاياه على سبيل الاستعارة ، و بتسهيلها اظهارها و ايضاحها و جعلها سهل المأخذ بحيث يفهمها الفصيح و البليغ و يدركها النبي و الفطن .

قوله (و أعزّ أركانها لمن حاربه) لعل المراد باعزاز أركانها أى قواعده و قوانينه و أحكامه و حدوده - حمايتها بنصره و رفعها بأهله على من قصد محاربتها و هدمه و اطفاء نوره و ازالة بنيانه مغالبة من المشركين و الجاحدين و الجاهلين .

قوله (و جعله عزّاً لمن تولاه) فى الدنيا من القتل و الاسر و النهب بالعدوان و فى الآخرة من العذاب و النكال و الخزي و الخذلان .

قوله (و سلماً لمن دخله) استعار له لفظ السلم بالكسر و هو الصلح باعتبار عدم أذاه لمن دخل فيه و انقاد لحكمه فهو كالمسالمة المصالح له ، و قد لاحظ شبهه بالغالب من الشجعان باعتبار مسالمتهم و مصالحتهم لمن تبعه و انقاد لامره ، و ايذائه لمن خالفه و عانده و فى معنى مسالمتهم معه جعله محقون الدم مستقراً فى يده ما يملكه و محفوظاً فى الآخرة من عقوبة المخالفة .

(و هدى لمن ائتم به) فانه يهديه الى سعادة الدنيا و الآخرة التى أعظمها قرب الحق و هو المطلوب من خلق الانسان .

(و زينة لمن تجلّله) أى جعله برداً و لباساً من قولهم جليل فرساً له فتجلل . و لا ريب فى أن أحكام الإسلام بعضها يتعلق بالظاهر و بعضها يتعلق بالباطن ، و من تلبس بها يتزين ظاهراً و باطنه فيصير انساناً كاملاً له صورة مزينة ظاهراً و باطنياً (و عذراً لمن انتحلّه) العذر بالضم و ضمّتين و المعذرة اسم لما يرفع به اللوم . و الانتحال اما بمعنى أخذ النحلة و الدين أو بمعنى ادعائه و انتسابه اليه مع عدم كونه له ، و الاسلام على الاول عذر له فى الدنيا و الآخرة و يرفع به اللوم عنه مطلقاً ، و على الثانى عذر له فى الدنيا و يرفع عنه لومها مثل القتل

تكلّم به و نوراً لمن استضاء به و عوناً لمن استغاث به و شاهداً لمن خصم به و فلجاً لمن حاجّ به و علماً لمن وعاه و حديثاً لمن روى و حكماً لمن قضا و حليماً لمن جرب

والاسر و النهب و الاذى و غيرها .

(و عروة لمن اعتم به) عروه دسته كوزه و دسته هرچيز، و اعتصام دست درزدن؛ لاحظ شبه الاسلام بالعروة لانه عروة الخيرات كلها فمن اعتم به ملك جميعها ورفها لنفسه. (و حبلاً لمن استمسك به) لان الاسلام حبل الله المتين بينه و بين خلقه فمن استمسك به خرج من حضيض النقص الى أوج الكمال و من جب الغربة و الفراق الى منزل القرب و الوصال، و الحبل يطلق على الرسن و على العهد و الامان و الكل محتمل.

(و برهاناً لمن تكلم به) لان من علم حقيقته و عرف أسراره غلب به على من حجده و أنكره عند المناظرة و لذلك كان العالم بالشرع كما ينبغي فائقاً على الباطل و أهله دائماً. (و نوراً لمن استضاء به) شبهه بالنور و استعار له لفظه و رشحه بذكر الاستضاءة، و وجه المشابهة أنه يهدي النفس الناطقة المستضيئة به في ظلمات البشرية و الغواشي النفسانية الى فناء القدس و طريق الجنة.

(و شاهداً لمن خصم به) الشاهد أعم من البرهان لتناوله الجدل و الخطابة مع احتمال ارادة أنه برهان لمن احتج به و شاهد لمن جعله مؤيداً.

(و فلجاً لمن حاج به) الفلج بالفتح و السكون الظفر و الفوز كالافلاج، و الاسم منه الفلج بالضم و السكون وهو الغلبة و جعله فلجاً من باب المبالغة لكونه تاماً في الغلبة فكأنه نفسها. (و علماً لمن وعاه) اطلاق العلم على الاسلام من باب اطلاق المسبب على السبب لان الاسلام سبب لحصول العلم لمن وعاه و حفظه و توقف و عيه و حفظه على قدر من العلم به لا ينافي ذلك لان العلم به يزداد و يتكامل بالتدريج حتى يبلغ غاية الكمال.

(و حديثاً لمن روى) خبراً جديداً مشتملاً على المواعظ و النصائح و القصص و الاحكام و الحدود و غيرها لمن روى، و أخبر، و فيه حث على روايته. و في السابق على درايته.

(و حكماً لمن قضى) أى و جعله حكماً زاجراً عن القبائح باعثاً على المحاسن لمن اريد القضاء و الحكم و هو أصل له.

(و حليماً لمن جرب) اطلاق الحكم على الاسلام مجاز من باب اطلاق المسبب على السبب لان الاسلام سبب لحصول ملكة الحلم لمن جرب الامور و تفكر في عواقبها و عرف قبح السفه الناشى من طغيان القوة الغضبية و تجاوزها عن الاعتدال. و من خفة النفس و حركتها الى ما يليق مثل القتل و الضرب و البطش و الشتم و الترفع و التسلط و الغلبة و غيرها

و لباساً لمن تدبّر و فهماً لمن تفتنّ و يقيناً لمن عقل و بصيرة لمن عزم و آية لمن توسّم و عبرة لمن اتعظ و نجاة لمن صدّق و تؤدّة لمن أصلح و زلفى لمن اقترب و ثقة لمن توكلّ و رخاءاً لمن فوّض و سبقة لمن أحسن و خيراً لمن سارع و جنّة

من المفاسد. (و لباساً لمن تدبر) فان من تفكر فيه و تدبر في أوامره و زواجه و ربط نفسه بقوانينه و معارفه حصلت له حالة متوسطة معتدلة محيطه بباطنه شبيهة باللباس في الاحاطة و الشمول و الزينة و هي لباس العلم و المعرفة، و أطلق تلك الحالة على الاسلام اطلاقاً للمسبب على السبب لان الاسلام و معارفه سببها .

(و فهماً لمن تفتن) الفهم جودة تهيوّ الذهن لقبول ما يرد عليه و لما كان الاسلام و الدخول فيه و رياضة النفس بقوانينه لاتصاف الذهن بذلك التهيوّ و قبوله للانوار العقلية و الاسرار الربوبية أطلق عليه لفظ الفهم مجازاً اطلاقاً لاسم المسبب على السبب.

(و يقيناً لمن عقل) لما كان اليقين هو العلم الاستدلالي مع زوال الشك ، و كان الاسلام و الدخول فيه و التمسك بقوانينه سبباً لحصوله أطلق عليه لفظ اليقين مجازاً على نحو مامر . (و بصيرة لمن عزم) أى من عزم على أى أمر من الامور الدنيوية و الاخروية و قصد فعله فان فى الاسلام بصيرة لكيفية فعله على الوجه الذى ينبغى و هذا الاطلاق أيضاً مثل مامر .

(و آية لمن توسّم) أى من تفرس طرق الخير الموصلة الى الحق و مقاصده التسي ترشد الى ساحة القدس فان الاسلام آية و علامة لذلك المتفرس المتوسّم فاذا اهتدى بهاسلك طريق الهدى . (و عبرة لمن اتعظ) عبرت اعتبار گرفتن و پند گرفتن ، و متعظ پند گرفتن و ذلك ظاهر لان فى الاسلام عبرة للمعتبر و عظة للمتعظ لما فيه من أخبار القرون الخالية و أحوال الايام الماضية و كيفية تصرف الزمان بهم و جريان القضاء فيهم مثل قوم فرعون و عاد و ثمود و قوم نوح و صالح و هود و غيرهم ممن لا يحصى كثرة .

(و نجاة لمن صدق) فان الاسلام سبب لنجاة من صدق الرسول فيما جاء به و دخل فيه من القتل و الاسر و النهب و الاذى فى الدنيا ، و من العذاب و العقوبة فى الآخرة ، و الاطلاق فيه و فيما سبق مثل مامر . (و تؤدّة لمن أصلح) -بضم التاء و سكون الهمزة و فتحها - الرزانة و التأتى و ذلك ظاهر لان من أصلح بقواعد الاسلام و تبع حكمه كان الاسلام سبباً لتأنيه و رزاقته . (و زلفى لمن اقترب) زلفى نزيك شدن يعنى أن الاسلام سبب القرب من الله لكل من اقترب اليه ، و الحاصل أن كل من اقترب فسبب قربه هو الاسلام باعتبار التمسك بذيله ، و العمل بقوانينه .

(و ثقة لمن توكل) أى هو سبب ثقة و اعتماد لمن توكل على الله لاشتماله على

لمن صبر و لباساً لمن اتقى و ظهيراً لمن رشد و كهفياً لمن آمن و أمانة لمن أسلم و

الوعد الصادق مثل من يتوكل على الله فهو حسبه وغير ذلك و هو يوجب زيادة استعداد للتوكل .
(و رخاء لمن فوض) أى هو رخاء سهل غير صعب لمن فوض فعله اليه ولم يتكلف فان الاسلام
ملة سهلة . وقيل من ترك البحث والاستقصاء من الدليل فتمسك باحكام الاسلام ودلائل القرآن
والسنة المتداولة بين أهله، و فوض أمره اليه استراح بذلك التفويض ولا يقع فى تعب، وقيل :
المراد أن المسلم اذا كمل اسلامه و فوض أمره الى الله كفاه فى جميع الامور وأراحه من
الاهتمام بها . (وسبقة لمن أحسن) السبقة والسبق بفتحين الخطر وهو ما يتراهن عليه
المسابقان أى الاسلام خطر و حظ لمن أحسن الى أهله أو لمن أحسن صحبته، أو لمن أحسن العمل
فيه، أو الاعم من الجميع وبالجملة هو نصيب للمحسن وكان غير المحسن ليس له نصيب فيه .
(و خيراً لمن سارع) الخير ما ينفع فى الدنيا والاخرة، والاسلام خير لمن سارع اليه لانه
ينفعه فيها . (و جنة لمن صبر) استعار لفظ الجنة للاسلام لانه يحفظ من صبر على العمل
بقواعده وأركانها من العقوبة الدنيوية والاخرية كما أن الجنة تحفظ صاحبها من شر
الاعداء وعقوباتهم . (و لباساً لمن اتقى) فان من اتقى الله حق تقاته واجتنب عما يضر فى
الاخرة من محرّماته ومكروهاته وترك واجباته حصلت له حالة معتدلة محيطه بظاهره، و
سمى تلك الحالة الشبيهة باللباس فى الاحاطة والشمول والزينة اسلاماً مجازاً تسمية للمسبب
باسم السبب ، لان تلك الحالة حصلت بسبب الاسلام و متابعتها . فالمراد باللباس هنا لباس
الظاهر وهو لباس التقوى و فى السابق لباس الباطن المحيط بالنفس الناطقة الحاصل
بالتدبر والتفكر فى معارف الاسلام و أسرارها والله أعلم .

(و ظهيراً لمن رشد) ظهير يارى كئنده و هم پشت . ورشد راه راست يافتن، وانما كان
الاسلام ظهيراً لمن رشد وسلك طريقاً مستقيماً وهو طريق الحق لان قواعده ترشد اليه، و
قوانينه تدل عليه، فهو يمينه ويمده الى أن يبلغ الى الغاية ويصل الى النهاية .

(و كهفياً لمن آمن) كهف غارى كه دركوه باشد ، و پناهى كه دفع كند از شخص
حوادث را . يعنى من آمن بالله ورسوله واليوم الآخر فقد دخل فى الاسلام الذى بمنزلة الكهف
فى دفع الضر عنه اذ كل ضرر يعود الى أحد فانما يعود اليه بمخالفة قانون من قوانينه و
خروجه منه . (و أمانة لمن أسلم) أمانة ايمن داشتن و بى ترس شدن . يعنى من أسلم لله ودخل
فى الاسلام كان آمناً من غيره فالاسلام سبب لآمنه، فاطلاق الامنة على الاسلام للمبالغة فى
السببية . (و رجاء لمن صدق) يعنى من صدق النبى و العترة النبوية دخل فى الاسلام ،
والاسلام سبب لرجائه المثوبات الدنيوية والاخرية .

رجاء لمن صدق و غنى لمن قنع، فذلك الحق، سبيله الهدى و مآثرته المجد و صفته الحسنى فهو أبلج المنهاج مشرق المنار، ذا كى المصباح، رفيع الغاية، يسير المضمار،

(و غنى لمن قنع) غنى آسوده داشتن و فائده دادن و بس کردن . و قناعت بانك چیزى اكتفا کردن . و لعل المراد ان من قنع بالقليل من المال و اكتفى بالكفاف من الرزق، فالاسلام غنى له امالان التمسك بقواعده و الاعتماد بقوانينه يوجب وصول ذلك القدر اليه كما قال عزوجل «و من يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب » أولانه يحثه على القيام بها و يفيد الثبوت عليها لاشتماله على فوائد القناعة و مضار عدمها و الله أعلم .
(فذلك الحق سبيله الهدى) هدى راه نمودن و بيان کردن و راه راست . و والفاء ،

للتفريع، و ذلك للتنبية على علو المنزلة يعنى ذلك الحق الثابت الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه وهو الاسلام، سبيله اراءة الطريق الموصلة الى المطلوب، أو سبيله السبيل المستقيم الموصل اليه، أو سبيله بيان ما يحتاج اليه الانسان .

(و مآثرته المجد) المآثرة- بالسكون بعد الفتح قبل الضم- المكرمة و احدة المآثر و هى المكام من الاثر و هو النقل و الرواية لانها تنقل و تروى و المجد الكرم و الشرف، و رجل ماجد أى كريم شريف، و لعل المقصود أن مكارمه عين الشرف لاهله أو مقتضية له .
(و صفته الحسنى) أى الخصلة الحسنى مثل الدعوة الى الخير و نحوها .

(فهو أبلج المنهاج) الأبلج الواضح من بلج الحق اذا وضح و ظهر، و منهاج الاسلام طريقه التى يصدق على من سلكها أنه مسلم و هى الاقرار بالله و رسوله و التصديق بما جاء به الرسول و وضوحها ظاهر . (مشرق المنار) الاشراف بالقاف الاضاعة، و المنار الاعمال الصالحة التى يتنور بها قلوب العارفين كالعبادات الخمس و نحوها، و كونها مشرقة ظاهر ، و قد يقرئ بالفاء . و كونها مشرقة عالية على غيرها من العبادات أيضاً ظاهر .

(ذاكى المصباح) الذاكى المتوقد المستنير يقال ذكت النار اذا اشتد لهبها و استنار ، و المصباح چراغ، و الجمع مصابيح استعاره لفقته و المعارف الاسلامية و رشحه بالذكاء و وصفه بالذكاء و الاستعارة اما لانه فى نفسه نور الهى مستنير و اطلاق النور على العلم شايح أو لظهوره من الأدلة الاسلامية و هى الكتاب و السنة بل يمكن أن يراد به نفس هذه الأدلة، و قيل اريد به علماء الاسلام و كنى بالذكاء عن صفاء عقولهم، أو عن ظهور العلم و اقتداء الخالق بهم .

(رفيع الغاية) كما جعل للاسلام مصباحاً و للمصباح ذكاء كذلك جعل له غاية و للناية رفعة و لعل المراد بغايته الوصول الى الجنة، و رفعتة ظاهرة اذ لا غاية أرفع منه منزلة و أعلى منه مرتبة، أو المراد الموت المعروف أو موت الشهوات و كون كل واحد ربيعاً لكونه سبباً للوصول المذكور

جامع الحلبة، سريع السبقة. أليم النعمة ، كامل العُدَّة ، كريم الفرسان ، فالإيمان منهاجه والصالحات مناره والفقّه مصابيحهم والدُّنيا مضماره والموت غايته والقيامة حلبيته

والتقرب بالحق. (يسير المضمار) المضمار الميدان و مضمار الاسلام الدنيا وهى يسير قليل يسهل السبق فيها الى الله تعالى، وفى بعض النسخ «بشير» بالشين المعجمة فكانها تبشر للسابق بما عند الله تعالى. (جامع الحلبة) الحلبة وزان سجدة و ضربة خيل يجمع من كل أوب للسباق ولا يخرج من وجه واحد يقال جاءت الفرس فى آخر الحلبة أى آخر الخيل وهى بمعنى الحلبية، ولهذا تجمع على حلابيب ، وقد شبه المسلمين بالحلبة واستعار لهم لفظها حيث اجتمعوا فى الاسلام للسباق الى طاعة الرب وقد شاع اطلاقها على محلها تجوزاً، وهذا الاطلاق هو الاولى بالارادة هنا بالنظر الى ماسياتى ومحلها هنا هو القيامة لانها محل لاجماعهم فيها للسباق الى حضرة الله التى هى الجنة كاجتماع الخيل فى الحلبة للسباق الى السبق وهو الرهن . (سريع السبقة) سبقتها الجنة وسرعتها ظاهرة لان مضمارها وهى الدنيا التى هى مدة العمر فى زمان التكليف يسير .

(أليم النعمة) أليم درد رسانند . بمعنى المولم ونقمته النار و يلامها ظاهر .

(كامل العدة) العدة بالضم والشد ما عدته وهياتة من مال أو سلاح أو غير ذلك مما ينفعك يوماً ما، والمراد بها هنا التقوى والورع وكمالهما ظاهر .

(كريم الفرسان) المراد بالفرسان أهل الاحسان وعلماء الاسلام، وكونهم كرماء و شرفاء ظاهر باعتبار اقتباس الانوار منهم وهدايتهم للضعفاء .

(فالإيمان منهاجه) لما جعل سابقاً للإسلام منهاجاً أى طريقاً واضحاً يوصل الى الرحمن عينه هنا بأنه الايمان، فهذا ناظر الى قوله أبلغ المنهاج. وقس عليه ما بعده.

(والصالحات مناره) أى الاعمال الصالحة والاخلاق الفاضلة علامات الاسلام بها يعرف الاسلام والداخل فيه. (والفقّه مصابيح) المراد بالفقّه العلم بأحكام الاسلام وأسراره ، أو البصيرة القلبية فى أمر الدين وهو شبهه بالمصباح فى أنه يضيء طريق الحق و يرى به وجه المطلوب ولذلك استعار له لفظ المصباح . (والدنيا مضماره) اذهى محل للتسابق الى الطاعات، والسعى الى القربات، وقد وصفها سابقاً بأنها يسير للتحرّك الى التسابق فيها .

(والموت غايته) أى الموت المعروف غايته التى هى سبب الوصول الى الله تعالى أو موت الشهوات فانها أيضاً غاية قريبة للإسلام موصلة اليه تعالى وهذه الفقرة متعلقة بقوله رفيع الغاية فكان الانسب أن يقدم على قوله «والدنيا مضماره» ولعل التأخير هنا لاجل أن ذكر الغاية بعد ذكر المضمار أنسب بحسب الواقع والتقديم سابقاً باعتبار الرفعة والشرف .

والجنة سبقته و النار نغمته والتقوى عُدَّتَه والمحسنون فرسانه، فبالايمان يُستدلُّ على الصالحات و بالصالحات يعمر الفقه و بالفقه يُرهب الموت و بالموت تختم الدنيا

(والقيامة حلبته) قد ذكرنا أن الحلبة هي الخيول المجتمعة من كل أوب للسباق و انها تطلق على محلها أيضاً و باعتبار هذا الاطلاق استعار لفظ الحلبة للقيامة لانها حلبة الاسلام و محل اجتماع المسلمين للسباق الى حضرة الله التي هي الجنة كاجتماع الخيل في الحلبة للسباق الى الرهن. (والجنة سبقته) السبقة ما يوضع بين أهل السباق وهي الثمرة المطلوبة منه و استعارها للجنة لكونها الثمرة المطلوبة من الاسلام والغاية المقصودة من الدين كما أن السبقة غاية سعى المراهنين. (والنار نغمته) لما جعل سابقاً للاسلام نعمة مولمة لمن خالفه فسر هنا بأن نغمته النار وهي أشد النعمات.

(والتقوى عدته) لانها تنفع صاحبها في أشد الاوقات وأعظمها وهو القيامة كما أن العدة من المال تنفع صاحبها في وقت الحاجة.

(والمحسنون فرسانه) استعار لفظ الفرسان لارباب الاحسان ، و علماء الدين وهم فرسان الاحسان والعلوم لملاحظة تشبيه الاحسان والعلوم بالفرس الجواد.

(فبالايمان يستدل على الصالحات) لدلالة المجمع على المفصل اذ يدخل في الايمان التصديق بما جاء به النبي اجمالا ومنه الاخلاق الفاضلة والاعمال الصالحة كالعبادات والخمس ونحوها وأيضاً الايمان منهج الاسلام و طريقه الواضح ولا بد للطريق من زاد يناسبه و زاد طريق الاسلام هو الاخلاق و الاعمال الصالحة، وهو يقتضيها و يطلبها فيدل الايمان عليها كدلالة السبب على المسبب، و ما وقع في بعض الروايات من أن الاعمال تدل على الايمان فهو باعتبار أن الاثر يدل على المؤثر ، والمسبب على السبب.

(و بالصالحات يعمر الفقه) ولما شبه آناً الفقه بالمصباح في الهداية الى المطلوب و كان تعبير المصباح الحقيقي بالدهن كان تعبير الشبيه بالمصباح أيضاً يشبه بالدهن و هو الاعمال الصالحة، و لذلك روى أن العلم مقرون بالعمل فان عمل بقي والارتحل ، و بعبارة اخرى الفقه نور نفساني ، والعمل نور جسماني و للظاهر تأثير في الباطن ، فالعمل يوجب ثبات الفقه و زيادته و هو المراد بتعميره.

(و بالفقه يرهب الموت) لان الفقه بما بعد الموت والعلم اجمالا وتفصيلا بما يرد على الانسان بعده من الخير والشر والحساب والميزان و الصراط وغيرها من أحوال البرزخ والقيامة وأهوالها يوجب الخوف من الموت لامن حيث هو موت. بل من حيث أنه لا يدري ما يفعل به بعده، و يوجب ذلك كمال الاستعداد لما بعده والله هو الموفق .

و بالدنيا تجوز القيامة وبالقيامة تزلف الجنة والجنة حسرة أهل النار والنار موعظة المتقين والتقوى سنخ الايمان .

(باب صفة الايمان)

١- بالاسناد الأول، عن ابن محبوب، عن يعقوب السراج، عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام قال : سئل أمير المؤمنين عليه السلام عن الايمان ، فقال : إن الله عز وجل جعل الايمان على أربع دعائم : على الصبر واليقين والعدل والجهد، فالصبر من ذلك

(و بالموت تختم الدنيا) لان الدنيا مضار، والموت غايته فاذا وردت الدنيا وانقطع السير فيها، ثم لا عود اليها.

(و بالدنيا يجوز القيامة) ومن ثم قيل من مات قامت قيامته. (و بالقيامة تزلف الجنة) أى تقرب (والجنة حسرة أهل النار) لمارأوا من كمال نعيمها وحرمانهم عنها مع شدا تدعوتهم بالنار (والنار موعظة المتقين) موعظه يند دادن، وذلك لان المتقين يتعضون من النار و شداؤها ويتركون كل ما يؤثم، و يجتنبون عن كل ما يوجب الدخول فيها.

(والتقوى سنخ الايمان) السنخ من كل شيء أصله، والجمع أسناخ. مثل حمل وأحمال، وذلك لان المراد بالايمان الايمان الكامل، وقد مر أن كماله بالاعمال فله سنخان: أحدهما اليقين وهو الكمال فى القوة النظرية، والثانى التقوى وهى الكمال فى القوة العملية فاذا تحققتا تحقق كمال الايمان فهما سنخاه.

(ان الله عز وجل جعل الايمان على أربع دعائم) (١) أى جعل بناءه عليها فهى أساسه لاحقيقته لان حقيقته التصديق لما مر مراراً، والدعامة معروفة، وقد شبه الايمان بالبيت من الشعر ونحوه مما يكون اعتماده على الدعائم، ولاحظ فى ذلك أن الايمان هو المقصود الاصلى وأن الامور الاربعة مقصودة لحفظه وبقائه.

(على الصبر واليقين والعدل والجهد) قدم الهم ولكل واحد منها مدخل عظيم فى تحقق الايمان و ثباته وبقائه، والمراد بالصبر الثبات على أحكام الكتاب والسنة و خلع النفس عن الشهوات ومنعها عن الجزع عند المصيبات، وهو كنز من كنوز الجنة و طريق عظيم للدخول فيها. و باعث قوى للبقاء على الايمان، و باليقين العلم مع زوال الشك و

(١) قوله «على أربع دعائم» قدم أن هذه الامور النفسانية التى تعد من درجات الايمان أومراتب السلوك ينقسم باعتبارات مختلفة الى أقسام مختلفة لامنافاة بينها وجميعها صحيحة باعتبار ويتداخل أقسامها (ش).

على أربع شعب : على الشوق والاشفاق والزهد والترقب، فمن اشتاق إلى الجنة سلا عن الشهوات، ومن أشفق من النار رجع عن المحرمات، ومن زهد في الدنيا هانت عليه المصيبات، ومن راقب الموت سارع إلى الخيرات، واليقين على أربع شعب:

عدم احتمال طريانه و حاصله مشاهدة الغيوب بأ نوار القلوب و ملاحظة الاسرار بمعاونة الافكار و بالعدل ملكة الاعتدال في القوة النظرية والعملية والتوسط في القوة الشهوية و الغضبية وهو مثمر لقوة الايمان وكمالها، و بالجهد المجاهدة النفسانية والبدنية والمراقبة الروحانية والجسمانية، والله سبحانه أظهر الدين و طلب الايمان به وجعل عزمهاو كمالهما في الجهاد فمن جاهد كمل ايمانه و شارك المجاهدين، و من فقد نقص ايمانه و شارك المتخلفين والمنافقين. (فالصبر من ذلك على أربع شعب) لما فرغ من دعائم الاسلام شرع في تفصيلها لان الصبر من المباح ليس من دعائمه واليقين بكثير من الاشياء وذكر آثار تلك أيضاً ليس منها وكذا العدل والجهاد وذكر منها ما هو من الايمان وذكر لكل واحد منها أربع شعب والشعب وثمراتها. والشعب جمع الشعبة، والمراد بها هنا الاغصان فقد شبه الصبر مثلاً بشجرة في كونه أصلاً والشعب بالاغصان في كونها فروعاً، وما يترتب على الشعب بالانتماء في كونه حاصلًا. (على الشوق) أى الشوق الى الجنة ونعيمها و درجاتها وهو ميل النفس الى الشيء بعد تصور و تصور نفعه، والصبر أصل له اذ هو لا يحصل بدون الصبر عن أحكام الله و مكاره النفس، و هو مع ذلك سبب لكمال الصبر و ثباته.

(والاشفاق) وهو الخوف من نار جهنم أو من نار الفراق لان الصابر بترقياته يصل الى أعلى مراتب القرب فيحصل له الخوف مما ذكر وهو سبب لبقاء الصبر و ثباته .
(والزهد) أى الزهد في الدنيا و زهراتها وهو لا يحصل بدون الصبر في الطاعات و زجر النفس عن التلذذات و هو مع ذلك سبب لثبات الصبر.

(والترقب) أى ترقب الموت و انتظاره و هو لا يحصل بدون الصبر لان الصابر هو الذى يطلب الحياة الحقيقية التى تحصل بالموت والترقب سبب لبقاء الصبر و كماله ثم أشار الى فوائد تلك الشعب و ثمراتها بقوله.

(فمن اشتاق الى الجنة سلا عن الشهوات) أى فارقتها و طيب نفسه عن جميع مشتتها التى هى طرق النار لان من اشتاق الى شيء يجتنب عما يوصل الى ضده.

(و من أشفق من النار رجع عن المحرمات) لانها مؤدية الى النار، و سبب لها و من خاف من المسبب يفر عن السبب فمن ادعى الاشفاق و ارتكب الحرام فهو كاذب .
(و من زهد في الدنيا هانت عليها المصيبات) اذ منشأ صعوبتها هو الميل الى الدنيا

تبصرة الفطنة ، وتأول الحكمة ، ومعرفة العبرة ، وسنة الأولين . فمن أبصر الفطنة عرف الحكمة ، ومن تأول الحكمة عرف العبرة ، ومن عرف العبرة عرف السنة ومن عرف السنة فكأنما كان مع الأولين واهتدى إلى التي هي أقوم ونظر إلى من

و محبة قنبايتها والشوق الى لذاتها و راحتها النفسانية والبدنية ، و من ثم يكون الفقر و البلاء عند الزهاد أحسن من الفراغ والغناء .

(و من راقب الموت سارع الى الخيرات) حذراً من أن يموت قبل أن يدركها ، و لعلمه بأنها سبب للحياة الابدية التي هي الحياة الحقيقية فيستعد لها بالتبادر الى الاعمال الصالحة ، و لما فرغ من شعب الصبر و بيان فوائدها أشار الى شعب اليقين وفوائدها بقوله ، (واليقين على أربع شعب تبصرة الفطنة) الفطنة جودة الذهن وتهيؤه لادراك الاشياء و أحوالها كما هي ، و الاضافة من باب اضافة المصدر الى مفعوله ، والمراد برؤيتها التوجه اليها . و التأمل فيها و في مقتضاها من العلوم و المعارف ، و جعلها فاعلاً للمصدر و ارادة رؤيتها للاشياء و ان كان محتملاً في نفسه لكن ينافى قوله فمن أبصر الفطنة .

(و تأول الحكمة) التأول بمعنى التأويل و هو تفسير ما يؤول اليه الشيء ، و الحكمة العلم الذي يمنع الانسان من القبيح مطلقاً ، والمراد بتأولها الوصول الى غورها ليعرف منافع كل شيء و مضاره . (و معرفة العبرة) وهي اسم من الاعتبار بآثار الماضين و أطوار الاولين فانهم عبرة لاولي الابصار و محل لاعتبار ما كانوا فيه من نعيم الدنيا ولذاتها ، و المباهاة بكثرة أسبابها و زهراتها ثم مفارقتهم لذلك كله بالموت و بقاء الحسرة و الندامة لهم حججاً حائلة بينهم و بين الوصول الى حضرة جلال الله .

(و سنة الاولين) أي و معرفة سنتهم و طريقتهم من خير يوجب النجاة و شر يوجب الهلاك ، ثم أشار الى فوائد هذه الشعب و الترتيب بينها بقوله :

(فمن أبصر الفطنة) و نظر الى وجه مقتضاها (عرف الحكمة و من تأول الحكمة) و بلغ غورها (عرف العبرة) بأحواله و أحوال الماضين . (و من عرف العبرة عرف السنة) أي سنة الاولين و طرزهم و طريقتهم .

(و من عرف السنة فكأنما كان مع الاولين) في حياتهم فيرى أعمالهم و ما يتعقبها من العقوبات الدنيوية ، أو بعد موتهم فيرى حسراتهم و عقوباتهم الاخرية (و اهتدى) بذلك (الى) الطريقة (التي هي أقوم) الطرائق و أفضلها .

(و نظر الى من نجى بما نجى) من الاعمال الصالحة و الاخلاق المرضية .

(و من هلك بما هلك) من الاعمال الباطلة و الاخلاق الفاسدة .

نجى بما نجى و من هلك بما هلك و إنما أهلك الله من أهلك بمعصيته وأنجى من أنجى بطاعته، والعدل على أربع شعب : غامض الفهم ، و غمر العلم، و زهرة الحكم و روضة الحلم، فمن فهم فسر جميع العلم ، و من علم عرف شرائع الحكم، و من حلم لم يفرط في أمره و عاش في الناس حميداً ، و الجهاد على أربع شعب : على الأمر بالمعروف، و النهي عن المنكر، و الصدق في المواطن و شأن الفاسقين ، فمن أمر بالمعروف شدت

(و انما أهلك الله من أهلك) من الامم السابقة وغيرهم (بمعصيته) .

(و أنجى من أنجى بطاعته) يظهر كل ذلك لمن نظر في الايات و الروايات، و فيه ترغيب في الطاعة و زجر عن المعصية . (والعدل على أربع شعب) أولها (غامض الفهم و غمر العلم) الاضافة فيها اضافة الصفة الى الموصوف أى الفهم الغامض الذى ينفذ فى بواطن الاشياء و الغامر أى الغائر الذى يطلع عليه أذهان الاذكياء . ولو كان الغايص من النوص بدل الغامض كان له أيضاً معنى صحيح و الغايص الذى يدخل فى الماء ليطلع على ما فيه من اللؤلؤ و نحوه لياخذه و استعير للفهم الغايص الذى ينفذ فى دقائق الاشياء و يطلع على أسرارها و حقائقها (و) اخريها : (زهرة الحكم و روضة الحلم) أى نضارتها و غضارتها و حسنهما و كمالهما ، و التركيب من باب لجين الماء، و جعله من باب الممكنية و التخيلية بعيد ، و المراد بزهرة الحكم الحكم المعجب للانام . و بروضة الحلم الحلم المكمل للنظام ، ثم أشار الى ثمرات تلك الشعب و فوائدها المترتبة عليها بقوله :

(فمن فهم) بالفهم الغامض أو الغايص . (فسر جميع العلم) الشرعى و القانون العقلى

و النقلى لان هذا التفسير من شأن الفهم المذكور و آثاره .

(و من علم) كذلك . (عرف) جميع (شرائع الحكم) و مشاربه و موارده لان ذلك من آثار العلم الغامر . (و من حلم لم يفرط فى أمره) ولم يقصر فيه أصلاً لان شأن الحليم الكامل هو التحرز عن طرف الافراط و التفريط و الاستقرار فى الوسط .

(و عاش فى الناس حميداً) أى محموداً لانه يطفى عنائرة الغضب عند نزول التعب و مكاره النفس فيحمده الناس و ينصرونه كما قيل : الحلم يكتسب المدح من الملوك و المحبة من المملوك . (و الجهاد على أربع شعب) أولها (الامر بالمعروف و النهي عن المنكر) أى الامر بالطاعة و النهي عن المعصية بالشرائط و المراتب المذكور فى كتب الفروع (و) ثالثها (الصدق فى المواطن) أى مواطن جهاد النفس و العدو و الفاسق بالامر و النهي و منه أن يكون قوله موافقاً لفعله، و فعله موافقاً لقلبه، و قلبه موافقاً لرضا الله تعالى ، (و) رابعها (شأن الفاسقين) أى بغضهم وهو راجع الى انكارهم بالقلب و مقتضى الايمان، وليس بداخل

ظهر المؤمن، و من نهى عن المنكر أرغم أنف المنافق و أمن كيده، و من صدق في المواطن قضى الذي عليه و من شأ الفاسقين غضب الله و من غضب الله غضب الله له، فذلك الايمان و دعائمه و شعبه.

(باب)

فضل الايمان على الاسلام واليقين على الايمان

١- أبو علي الأشعري، عن محمد بن سالم، عن أحمد بن النضر، عن عمرو بن شمر، عن جابر قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام: يا أخا جعفر إن الايمان أفضل من الاسلام و إن اليقين أفضل من الايمان و ما من شيء أعز من اليقين.

في النهي عن المنكر عند جماعة. و من الاصحاب من أدخله فيه مجازاً. ولما فرغ عن شعب الجهاد أشار الى فوائدها بقوله:

(فمن أمر بالمعروف شد ظهر المؤمن، و من نهى عن المنكر أرغم أنف المنافق و أمن كيده) والمراد بشد ظهر المؤمن تقويته و امداده، و بارغام أنف المنافق اهانته و اذلاله و ذلك لان الامر بالمعروف تحريص العبد على ما يقربه الى الله تعالى باتباع شرائعه، و النهي عن المنكر زجره عما يبعده منه و من الندم عاجلاً و آجلاً، و من البين أن من اتصف بهذه الصفة يكون مقوياً و مرغماً و آمناً.

(و من صدق في المواطن) كلها (قضى الذي) يجب (عليه) من القول الحق وغيره، و دخل في زمرة الصادقين الذين مدحهم الله في كتابه الكريم بقوله ديوم ينفع الصادقين صدقهم (و من شأ الفاسقين) و أبغضهم لفسقهم (غضب الله) طلباً لمرضاته. (و من غضب الله غضب الله له) و أرضاه في الدنيا و الآخرة. نعم من كان الله كان الله له؛ رضى الله عنه و رضى عنه. (فذلك الايمان و دعائمه و شعبه) و ثمرات شعبه و الله هو الموفق للصواب.

قوله (ان الايمان أفضل من الاسلام) (١) لاعتبار خصوصية في الايمان غير معتبرة في الاسلام و هي التصديق و الاقرار بالولاية، و قد مر سابقاً ما يوضحه فلا نعيده (و ان اليقين أفضل من الايمان) لان الايمان اما نفس التصديق، وهو مع العمل، سواء حصل ذلك بالبرهان أو بالتقليد كما في أكثر العوام و سواء احتمل النقيض أو لا و اليقين غاية الكمال في القوة النظرية التي

(١) و ان الايمان أفضل من الاسلام، في صدر الحديث يا أخا جعفر المشهور في اسم هذه الطائفة بصيغة النسبة و النسبة اليه جعفي أيضاً و يسأ أخا جعفر فالظاهر أنه تصحيف من بعض النساخ. (ش)

٢- عدةٌ من أصحابنا ، عن سهل بن زياد والحسين بن محمد ، عن معلى بن محمد جميعاً ، عن الوشاء ، عن أبي الحسن عليه السلام قال : سمعته يقول : الايمان فوق الاسلام بدرجة، والتقوى فوق الايمان بدرجة، واليقين فوق التقوى بدرجة، وما قسم في الناس شيء أقلّ من اليقين.

لا تحتمل النقيض سواء حصلت بالبرهان وهو علم اليقين أو بالمجاهدات والرياضات النفسانية والهدايات الخاصة بالاولياء وهو عين اليقين وحق اليقين، وبالجملة هو أعلى مراتب العلم و أشرفها ولا ريب في أنه أفضل من الايمان، (وما من شيء أعز من اليقين) أى أرفع درجة ، أو أقل وجوداً ومن علامة قلته في أكثر الخلق صدور المعصية منهم، اذ لا يصدر معصية من أهل اليقين وانما يكون لهم ظن ضعيف يزول بأدنى وسوسة النفس والشيطان الا ترى أن الطبيب اذا أخبر أحدهم بأن الشيء الفلاني يضره ، أو يوجب زيادة مرضه ، أو بطؤ برئه يتبع قوله المفيد للظن و يترك ذلك الشيء حفظاً لنفسه من الضرر الضعيف ، ولا يتبع قول الله تعالى ولا قول رسوله بأن هذه معصية مهلكة وليس ذلك الا لان ظنه بقولهما دون الظن بقول ذلك الطبيب.

قوله (الايمان فوق الاسلام بدرجة، والتقوى فوق الايمان بدرجة ، و اليقين فوق التقوى بدرجة) فاليقين أفضل من التقوى والتقوى أفضل من الايمان. والايمان أفضل من الاسلام فدل على أن كل مؤمن مسلم دون العكس لاعتبار خصوصية في الايمان دون الاسلام ، كما مر . وان كل متق مؤمن دون العكس لان المتق يؤثر ذكر من لم يزل ولا يزال على ذكر من لم يكن فكان ، وطاعة من لم يزل ولا يزال على خدمة من لم يكن فكان ، ومحبة من لم يزل ولا يزال على محبة من لم يكن فكان، وكل مؤمن ليس كذلك. وأيضاً التقوى من الوقاية ، وهى فى اللغة فرط الصيانة وفى العرف صيانة النفس عما يضرها فى الآخرة وقصرها على ما ينفعه فيها ولها ثلاث مراتب: الاولى التوقى من العذاب الخلد باظهار الشهادتين وهى أدناها ؛ والثانية التجنب عن كل ما يؤثم من فعل أو ترك حتى الصغائر عند قوم وهو المتعارف فى عرف الشرع باسم التقوى. والثالثة التوقى عن كل ما يشغل القلب عن الحق والرجوع اليه بالكلية و هو لخاص الخاص، والمراد بالتقوى هنا أحد المعنيين الاخيرين وكونه فوق الايمان ظاهر اذ كل مؤمن ليست له هذه المرتبة سواء اريد بالايمان التصديق فقط، أو هو مع العمل . اما التصديق فظاهر، واما التصديق مع العمل فباعتبار أن التجنب عن الكل حتى عن المباحات والمكروهات والمشتبهات معتبر فى التقوى دون الايمان لانه مقول بالاضافة أو باعتبار أن

٣- محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد بن عيسى ، عن الحسن بن محبوب ، عن علي بن رئاب ، عن حمزان بن أعين قال : سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول : إن الله فضل الايمان على الاسلام بدرجة كما فضل الكعبة على المسجد الحرام .

٤- عدته من أصحابنا ، عن أحمد بن محمد بن خالد ، عن أبيه ، عن هارون بن الجهم أو غيره عن عمر بن أبان الكلبى ، عن عبد الحميد الواسطى ، عن أبي بصير قال : قال لي أبو عبد الله عليه السلام : يا أبا محمد الاسلام درجة قال : قلت : نعم قال : والايमान على الاسلام درجة قال : قلت : نعم ، قال : والتقوى على الايمان درجة . قال : قلت : نعم ، قال : واليقين على التقوى درجة ، قال : قلت : نعم ، قال : فما أوتي الناس أقل من اليقين وإنما تمسكنكم بأدنى الاسلام فإياكم أن ينقلت من أيديكم .

الملكة معتبرة فيها لافيه فليتأمل، وعلى أن كل من اتصف باليقين متصف بالتقوى دون العكس أما الاول فظاهر بالتأمل فيما ذكرنا، وأما الثانى فلان التقوى قد توجد بدون اليقين كما فى بعض المقلدين (وما قسم فى الناس شيء أقل من اليقين) ثم حق اليقين أقل من عين اليقين وعين اليقين أقل من علم اليقين .

قوله (كما فضل الكعبة على المسجد الحرام) فكما أن حرمة المسجد داخلة فى حرمة الكعبة دون العكس . كذلك حرمة الاسلام داخلة فى حرمة الايمان دون العكس . فالايمان أفضل من الاسلام .

قوله (يا أبا محمد الاسلام درجة) لما كان الاسلام أول درجة من الدرجات المطلوبة قال : الاسلام درجة . ولم يقل : الاسلام على الكفر درجة كما قال : (والايمان على الاسلام درجة) .

قوله (فما أوتي الناس أقل من اليقين) قال بعض الاكابر : معناه ما أوتي الناس شيئاً قليلاً من اليقين، ويحتمل أن يكون معناه أن اليقين فيهم أقل من كل شيء، والاول يفيد نفس اليقين بالمرة . والثانى يفيد ثبوت قليل منه والاول أنسب بقوله (وانما تمسكنم بأدنى الاسلام فإياكم أن ينقلت من أيديكم) التفتت والافلات والانفلات التخلص من الشيء فجأة . وفيه ترغيب فى امساك مالهم من أدنى الاسلام وحفظه، وتحذير من النفلة عنه وتفلته فان تفلته يوجب الدخول فى الكفر و لعل المراد بالاسلام هنا الايمان مجازاً من باب تسمية الشيء باسم جزئه بقرينة أن المخاطب كان مؤمناً مع أن هذه التسمية لاتخلو من نكته وهى أن المؤمن اذا خرج من الايمان خرج من الاسلام ودخل فى الكفر .

٥- عليُّ بن إبراهيم . عن محمد بن عيسى ، عن يونس قال : سألت أبا الحسن الرضا عليه السلام عن الايمان والاسلام فقال : قال أبو جعفر عليه السلام : انما هو الاسلام ، والايمان فوقه بدرجة ، والتقوى فوق الايمان بدرجة ، و اليقين فوق التقوى بدرجة و لم يقسم بين الناس شيء أقل من اليقين ، قال : قلت : فأى شيء اليقين ؟ قال : التوكل على الله والتسليم لله والرضا بقضاء الله والتفويض إلى الله . قلت : فما تفسير ذلك؟ قال : هكذا قال أبو جعفر عليه السلام .

قوله (قال قلت فأى شيء اليقين ؟ قال : التوكل على الله ، والتسليم لله ، والرضا بقضاء الله ، والتفويض إلى الله) تفسير اليقين بما ذكر من باب تفسير الشيء بآثاره اذ اليقين سبب للامور المذكورة . و ذلك لانه اذا حصل لاحد بالبرهان أو الهداية الخاصة أو الكشف بتصفية النفس اليقين بالله وبوحدانيته وعلمه وقدرته و تقديره للاشياء ، و تدبيره فيها ، وحكمته التي لا يفوتها شيء من المصالح ، ورأفته بالعباد ، و احسانه اليهم ظاهراً و باطناً ، و تقديره كمالات الاعضاء الظاهرة والباطنة ، و تدبير منافعها بلا استحقاق ولا مصلحة منهم ومن غيرهم وايصال الارزاق اليهم حيث لا شعور لهم بطرقها ولا قدرة لهم على تحصيلها مع عدم جوره بوجه من الوجوه حصلت له حالات قلبية شريفة بعضها أرفع من بعض أحدها العلم بأن من كان كذلك كان قادراً على مستقبل اموره ومهمات و ايصال أرزاقه و تحصيل مراداته ، و ذلك يبعثه على التوكل عليه في اموره ، والاعتماد عليه من الوثوق به كما يثق الموكل على وكيله ، وليس معنى التوكل قلع نفسه عن اموره بل لا بد من التمسك بها والاعتماد على الله وثانيتها العلم بعظمته وكبريائه واشتمال حكمه على مصالح وان لم يعلم خصوصياتها وتفصيلها ، و ذلك يبعثه على التسليم لله في أحكامه وغاية الانقياد والاخبات والخضوع والخشوع له . و ثالثها العلم بأنه ينبغي المحبة له وتفريغ القلب عن غيره و جعله سريراً لوجهه ، و ذلك يبعثه إلى الرضا بقضاء الله من الصحة والسقم والغنا والفقر وغيرها من المصائب والنوائب الواردة على النفس والمال والولد . بل يجد لذة ذلك في نفسه كما هو شأن المحب بالنظر إلى فعل حبيبته وان كانت مرة في نفس الخلى عن حبه . و رابعها العلم بكمال قدرته وجريان حكمه مع ملاحظة العجز في نفسه و ذلك يبعثه على تفويض امره ورده إليه و جعله الحاكم فيه وسلب القدرة عن نفسه ومشاهدة اضمحلال قدرته في قدرة الله و هذا قريب من مرتبة الفناء في الله لاهي لانه في هذه المرتبة لا يرى لنفسه وجوداً ولا قدرته اسماً .

قوله (قلت فما تفسير ذلك) كان السائل استبعد تفسير اليقين بالتوكل وما بعده لعلمه

٦- محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد بن عيسى ، عن أحمد بن محمد بن أبي نصر ، عن الرضا عليه السلام قال : الايمان فوق الاسلام بدرجة ، والتقوى فوق الايمان بدرجة ، واليقين فوق التقوى بدرجة و لم يقسم بين العباد شيء أقل من اليقين .

(باب)

حقيقة الايمان و اليقين

١- عده من أصحابنا . عن أحمد بن محمد بن خالد ، عن محمد بن إسماعيل بن بزيع

بأنه غيره أو استعلم عن حاله ووجه صحته لعدم تظننه به فأجاب «ع» بما أجب لضيق المقام عن ذكره ، أو لغير ذلك ومثل هذا الجواب شائع كما تقول : العلم هو العمل فيقال : كيف ذلك ، أو ما وجهه فنقول هكذا قالوا .

قوله (الايمان فوق الاسلام بدرجة) قد ذكرنا شرحه ولا بأس أن نعيده لزيادة التوضيح فنقول : الاسلام هو الاقرار ، والايمان اما التصديق ، أو التصديق مع الاقرار . وعلى التقديرين فهو فوق الاسلام بدرجة اما على الثاني فظاهر و أما على الاول فلان التصديق القلبى أفضل وأعلى من الاقرار اللسانى ، كما أن القلب أفضل من اللسان . (والتقوى فوق الايمان بدرجة) لان التقوى هو التجنب عما يضر فى الآخرة وان كان ضرره يسيراً و له ثلاث مراتب كما مر ، وليست المراد هنا المرتبة الاولى لانها مرتبة الايمان بل المراد الاخيرات لانهما فوق الايمان (واليقين فوق التقوى) اذ التقوى قد لا يكون فى مرتبة اليقين . نعم من اتقى وثبت قدمه فيها ترقى فى اليقين الى أن يبلغ أعلى مراتبه وهى مرتبة حق اليقين (١) وهى التى أشار أمير المؤمنين «ع» بقوله «لو كشف الغطاء ما ازدت يقيناً»

(١) قوله «وهى مرتبة حق اليقين» كأنه اريد باليقين غير ما يتبادر الى أذهاننا لان اليقين وهو العلم بالواقع فى مقابل الظن من شرائط الايمان بل الاسلام اذ قد مر أن من ظن أن الله واحد ، أو ظن أن محمداً رسول الله ، و قال انى أظن ذلك وفى القلب منه شيء لا يحكمه باسلامه كما صرح به أبو سفيان فى مجلس رسول الله «ص» وردعه عباس وقال اشهد و الاضرب عنقك و بالجملة ليس المراد باليقين هنا المعنى المقابل للظن بل معنى آخر و كأنه سلامة الايمان عن معارضة الوهام وغلبة الوسوس فان الانسان قد يعلم ثبوت أمر مثل أن الميت جماد و الجماد لا يخاف منه ولا يعترف بأن الميت لا يخاف منه وان كان متيقناً بأنه جماد كالحجر . وكذلك اليقين بالتوحيد والرسالة قد يكون مع معارضة أوهام كثيرة يمنع الانسان عن الالتزام بلوازم يقينه وانما يحصل بعد ارتكاز التقوى فى قلبه حالة يغلب يقينه على أوهامه ولا يمنعه*

عن محمد بن عذافر ، عن أبيه ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : بينا رسول الله صلى الله عليه وآله في بعض أسفاره إذ لقيه ركبٌ . فقالوا : السلام عليك يا رسول الله ، فقال : ما أنتم؟ فقالوا : نحن مؤمنون يا رسول الله ، قال : فما حقيقة إيمانكم ؟ قالوا : الرضا بقضاء الله ، والتفويض إلى الله ، والتسليم لأمر الله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : علماء حكماء كادوا أن يكونوا من الحكمة أنبياء ، [ف] إن كنتم صادقين فلا تبينوا مالا تسكنون ولا تجمعوا مالا تأكلون واتقوا الله الذي إليه ترجعون .

قوله (بينما رسول الله «ص» في بعض أسفاره اذ لقيه ركب) قال بعض المحققين : بينا هي بين الظرفية اشبهت فتحتها فصار ألفاً ، ويقع بعدها حينئذ اذ الفجائية غالباً و عاملها محذوف يفسره الفعل الواقع بعد اذ عند بعض ، و بعضهم يجعلها خبراً عن مصدر مسبوك من الفعل أى بين أوقات سفره لقي الركب ، و الركب جمع راكب الدابة مثل صاحب و صحب .

قوله (فقال ما أنتم) «ماء» كما تكون سؤالاً عن حقيقة الشيء كذلك تكون سؤالاً عن خواصه وآثاره المترتبة عليه وهو المراد هنا فلذلك أجابوا بها (فقالوا نحن مؤمنون) أى متصفون بالايمان الكامل (يا رسول الله) ولما ادعوا أنهم من أهل الايمان سألهم رسول الله «ص» عن خواص الايمان وآثاره اللازمة له ليعلم هل علموا الايمان أم لا ؟ (قال : فما حقيقة ايمانكم) أى ما الذى ينبىء عن كون ما تدعون من الايمان حقاً ثابتاً فاجابوا بأفضل خواص الايمان وأكمل آثاره التى لا تنفك عنه حقيقة الايمان الكامل . (قالوا الرضا بقضاء الله) فى جميع الاحوال (والتفويض الى الله) فى جميع الامور (والتسليم لامر الله) و الاخبار له فى جميع الاحكام . (فقال رسول الله «ص») فى مدحهم لكون هذه الخصال المرضية من آثار العلم والحكمة ، وهما من أعظم صفات الانبياء (علماء حكماء كادوا أن يكونوا من الحكمة أنبياء) لان وجود الاثر دليل على وجود المؤثر ، وقد ذكرنا سابقاً أن الحكيم أرفع من العليم ، وشبههم بالانبياء على وجه المبالغة لكمال التشابه والتقارب ، ولما كانت هذه الصفات يقتضى الزهد فى الدنيا والتقوى أى التحرز عما يؤثم وتفرغ القلب عن غيره تعالى حثهم على الاول بقوله (فان كنتم صادقين فلا تبينوا مالا تسكنون ولا تجمعوا مالا تأكلون) وانما خصهما بالنهاي لانهما من أعظم مطالب الراغبين فى الدنيا ، و على الثانى بقوله (واتقوا الله الذى اليه

يشىء عن الجرى على مقتضى ايمانه كما لا يخاف عمال الموتى عن الاموات ولا يخاف الممارس من المشى على جذع موضوع على جدار عال . (ش)

٢- محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد بن عيسى ، وعلي بن إبراهيم ، عن أبيه ، جميعاً عن ابن محبوب ، عن أبي محمد الوابسي وإبراهيم بن مهزم ، عن إسحاق بن عمار قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : إن رسول الله صلى الله عليه وآله صلى بالناس الصبح ، فنظر إلى شاب في المسجد وهو يخفق ويهوى برأسه ، مصفراً لونه ، قد نحف جسمه و غارت عيناه في رأسه . فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله : كيف أصبحت يا فلان ؟ قال : أصبحت يا رسول الله موقناً ، فعجب رسول الله صلى الله عليه وآله من قوله وقال : إن لكل يقين حقيقة فما حقيقة يقينك ؟ فقال : إن يقيني يا رسول الله هو الذي أجزني وأسهر ليلي و أظماً هو اجري فعزفت نفسي عن الدنيا و ما فيها حتى كأنني أنظر إلى عرش ربي

ترجعون) وفيه وعد ووعد جميعاً وقد مر تفسير التقوى وبيان مراتبها .

قوله (فنظر الى شاب في المسجد) يحتمل أن يكون حارثة بن مالك الانصاري الاتي (وهو يخفق) أي يضرب أو ينام حتى يسقط ذقنه على صدره وهو قاعد . يقال : خفق برأسه اذا أخذته سنة من النعاس فمال رأسه دون سائر جسده و حينئذ قوله (ويهوى برأسه) كالتفسير له . ومنشأ هذا وما بعده من اصفرار اللون و نحافة الجسم و غور العينين قلة الاكل و كثرة السهر والرياضة والعبادة والحزن من امر الآخرة . (فعجب رسول صلى الله عليه وآله من قوله) لانه أخبر بشيء نادر الوقوع موجب لحمده واستحسانه والرضاء عنه ، والتعجب انفعال النفس لزيادة وصف مدح أو ذم في المتعجب منه . ولما دعى اليقين لنفسه تقاضاه «س» بمصداقه أي ما يصدقه وطلب منه شواهد تشهد له بحقيقة دعواه ، وقال (ان لكل يقين حقيقة) أي لكل فرد من أفراد الشخصية كما يشعر به قوله (فما حقيقة يقينك) فان الاضافة تفيد الاختصاص و الجزئية أو لكل نوع من أنواعه وهي علم اليقين . و عين اليقين ، ولعل المراد بحقيقة اليقين غايته التي ينتهي اليها ويستقر فيها ولها آثار شريفة وصفات لطيفة و امارات منيفة دالة على حصولها وتحققها والسؤال وقع عن تلك الآثار فلذلك أجاب بها (فقال : ان يقيني يا رسول الله هو الذي أجزني) في أمر الآخرة أو بالمر الغراق و شوق اللقاء (وأسهر ليلي) بترك النوم مع التفكير والتضرع والعبادة (و أظماً هو اجري) بالصيام ، و ترك الشراب والطعام ، ونسبة الاسهار الى الليل والاطماء الى الهواجر مجاز عقلي ، و اظماء الهواجر كناية عن الصوم في حر النهار فان الصوم فيه أشقأ و أفضل و ثوابه أكمل و أجزل (فعزفت نفسي عن الدنيا وما فيها) ومن نيمها وزهراتها و عزفت بسكون التاء أي عاقتها و كرهتها نفسي وانصرف عنها وضم التاء محتمل أي هنت نفسي و صرفتها عنها (حتى كأنني أنظر الى عرش ربي وقد نصب

وقد نُصِبَ للحساب و حُشِرَ الخلائق لذلك و أنا فيهم و كأنني أنظر إلى أهل الجنة يتنعمون في الجنة ويتعارفون وعلى الأرائك متكئون ، و كأنني أنظر إلى أهل النار وهم فيها معدَّبون مصطرخون و كأنني الآن أسمع زفير النار ، يدور في مسامعي ، فقال رسول الله ﷺ لأصحابه : هذا عبدٌ نور الله قلبه بالايان، ثم قال له : إ لزم ما أنت عليه ، فقال الشاب : ادع الله لي يا رسول الله أن أُرزق الشهادة معك، فدعاه رسول الله ﷺ فلم يلبث أن خرج في بعض غزوات النبي ﷺ فاستشهد بعد تسعة نفر و كان هو العاشر .

للحساب و حشر الخلائق لذلك وأنا فيهم) تمثيل لحال الغايب بحال الشاهد لزيادة الايضاح مع احتمال ارادة الظاهر والاضافة للاختصاص كبيت الله و كأنه قصد افادة حصول الظن بثبوت خبر كان لاسمه من غير تشبيه أو قصد تشبيه النظر القلبي بالنظر العيني لقصد التوضيح، (و كأنني أنظر إلى أهل الجنة يتنعمون في الجنة ويتعارفون) أى يعرفون بعضهم بعضاً ويتكلمون (وعلى الأرائك متكئون، و كأنني أنظر إلى أهل النار وهم فيها معدَّبون مصطرخون) أى صايحون مستغيثون. (و كأنني الآن أسمع زفير النار يدور في مسامعي) جمع مسمع وهو آلة السمع أو جمع سمع على غير قياس كمشابهه وملامح جمع شبه و لمحة، وينبئ أن يعلم أن السالك العارف الموقن الزاهد وان كان في الدنيا بجسده فهو في مشاهدة عين بصيرته لاحوال الجنة ودرجاتها و سعادتها وأهلها وأحوال النار ودرجاتها و شقاوتها وأهلها كالذين شاهدوا الجنة بعين حسهم وتنعم أهلها و كالذين شاهدوا النار و عذاب أهلها، وهى مرتبة عين اليقين أو حق اليقين أو مرتبة علم اليقين على احتمال بعيد. والحق أن الجواب بمرتبة عين اليقين أنسب فقال رسول الله (ص) بعد ما سمع منه هذه الاثار والامارات التى شواهد صدق على وجود حقيقة اليقين و غاية كماله فيه: (هذا عبد نور الله قلبه بالايان) اريد بالايان الايمان الكامل، وقد مر أنه لا يتحقق الا بعد استقامة جميع الاعضاء الظاهرة والباطنة، ولا يربى فى أن الايمان بهذا المعنى نور الهى يتنور به الظاهر والباطن، و كل يهتدى به الى ما هو له وقد مر أيضاً ان بين الظاهر والباطن مناسبة توجب تأثر كل منهما عن الاخر فنور الظاهر سبب لنور الباطن و بالعكس على وجه لا يدور، و انما اكتفى بذكر نور الباطن وهو نور القلب لانه المقصود الاعظم والمطلوب الاهم و لانه المقضى للصفات المذكورة بلا واسطة (ثم قال له الزم ما أنت عليه) دل أن الكمالات البشرية قد تزول بعدم المحافظة ، و لذلك قال العارفون الخائفون من زوالها : « ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة

٣- محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن محمد بن سنان، عن عبد الله بن مسكان، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: استقبل رسول الله صلى الله عليه وآله حارثة بن مالك بن النعمان الأنصاري فقال له: كيف أنت يا حارثة بن مالك؟ فقال: يا رسول الله! مؤمن حقاً، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: لكل شيء حقيقة فما حقيقة قولك؟ فقال: يا رسول الله عزفت نفسي عن الدنيا فأسهرت ليلي وأظمأت هو اجري و كأنني أنظر إلى عرش ربي [و] قد وضع للحساب، و كأنني أنظر إلى أهل الجنة يتزاورون في الجنة، و كأنني أسمع عواء أهل النار في النار، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: عبدك أنك أنت الوهاب.

قوله (فقال يا رسول الله مؤمن حقاً) أى كامل فى خصال الايمان و هو من سار فى طرق الايمان باكتساب مكارم الاعمال والاخلاق حتى يبلغ أعلاه و ترقى بالمجاهدة والوفاء من حضيض نقصه الى أن بلغ ذراه، ولما ادعى هذه المرتبة و نطق بدعوى حق الايمان تقاضاه بمصدق ذلك واماراته و طلب منه بيان آثاره وعلاماته (فقال له رسول الله ص، لكل شيء حقيقة) أى لكل شيء من الاشياء الظاهرة والباطنة حقيقة بها تمامه و كماله و غاية اليها انتهائه و مآله (فما حقيقة قولك) الظاهر فى دعوى ذلك الامر الباطن الكامن؟ و ما غايته المترتبة عليه و ما علاماته الدالة عليه. (فقال: يا رسول الله عزفت نفسي عن الدنيا فاسهرت ليلي وأظمأت هو اجري و كأنني أنظر الى عرش ربي وقد وضع للحساب، و كأنني أنظر الى أهل الجنة يتزاورون) أى يزور بعضهم بعضاً (فى الجنة) و كأنني أسمع عواء أهل النار فى النار، أى صياحهم. والعوى صوت السباع، و كأنه بالدب والكلب أخص و السالك اذا اجتهد فى زيادة العلم والعمل والاخلاق و قطع تعلقه عن المحسوسات ورسوم العادات ومات مع الحياة بلغ مرتبة عين اليقين و شاهد جمال الاسرار، و انكشف له أحوال الآخرة والجنة والنار، ثم اذا رجع الى نفسه و نظر الى عالم المحسوسات لابين التعلق خطر بياله بعض تلك الاحوال و انتقش فى نفسه بعض هذه الآثار ولوشاهد الجنة يجد فى نفسه السرور والنشاط، ولو شاهد النار يجد فى نفسه الحزن والخوف. وبالجملة تظهر له حالات مع الحياة كما تظهر بعد الموت الآن ظهورها بعد الموت لا ينفع بل يوجب الحسرة والندامة بخلاف ظهورها قبله فانه يوجب السعادة التى هى قرب الحق و الاعراض عن غيره بالكلية، واعلم أن فى هذه الرواية ورواية القاسم بن يزيد دلالة واضحة على أن حارثة استشهد فى عهد الرسول ص و قال الفاضل الاسترأبادى فى رجاله حارثة بن النعمان الانصارى كنيته

نور الله قلبه ، أبصرت فائتت ، فقال : يا رسول الله أدع الله لي أن يرزقني الشهادة معك ، فقال : اللهم ارزق حارثة الشهادة ، فلم يلبث إلا أياماً حتى بعث رسول الله ﷺ بسرية فبعثه فيها؟ فقاتل فقتل تسعة أو ثمانية، ثم قتل.

و في رواية القاسم بن بريد، عن أبي بصير : قال : استشهد مع جعفر بن أبي طالب بعد تسعة نفر وكان هو العاشر.

٤- علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن النوفلي عن السكوني ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قال أمير المؤمنين صلوات الله عليه : إن علي كل حق حقيقة و علي كل صواب نوراً .

أبو عبد الله شهد بدماء واحداً وما بعدهما من المشاهد وذكر هو أنه رأى جبرئيل «ع» دفتين على صورة دحية الكلبى أولهما حين خرج رسول الله «ص» الى بنى قريظة ، والثاني حين رجع من حنين . وشهد مع أمير المؤمنين «ع» القتال و توفي في زمن معاوية ولا يخفى المنافات بينه و بين الرواية الآن يكون هذا غيره .

قوله (ان على كل حق حقيقة) الحق وهو ضد الباطل كل ما جاء به الرسول من الاحكام والاخلاق والشرائع و جميع ما أمر به ودعا اليه فاخبر «ع» ان على كل حق ظاهر حقيقة هو ينتهي اليها ويراد بها، وفيها كماله والبهام له، وقول بعض المحققين في تقسيم ما جاء به الشارع الى شريعة وحقيقة اشارة اليهما حيث أرادوا بالشريعة ظاهراً ورد به النقل، وبالْحَقِيقَةُ باطن ما بين العبد و بين الله عز وجل فحكم الشريعة على الظاهر، وحكم الحقيقة على الباطن كما روى عنه «ص» « نحن نحكم بالظاهر والله يتولى السرائر » فقد ظهر أن الحق كالشريعة أول الحقيقة وهي غايته وهو ظاهر وهي بطائنه، فكل عبادة ظاهرة ان لم تصدر عن حقيقة باطنة كأعمال المنافقين فهي باطلة، وكل طاعة ان لم تنته الى حقيقة ثابتة كأفعال المرأين فهي عاطلة، وكذلك الاخلاق لها حق وحقيقة كالنوكل فان حقه مع العام بضرورة عقد الايمان مع تعلقهم بالاسباب وحقيقته ينتهي اليها الخاص بقطع الاسباب وسكون السر الى مسبب الاسباب، وكالحياء فانه له حقاً مع الكل وله حقيقة مع الخواص، و كالنقوى فان أوله حق وهو تقوى الشرك يشمل عوام المؤمنين وله حقيقة وغاية يبلغها خواص الاولياء ، وكذلك الايمه فان أوله حق وبه يخرج عن الكفر وهو يشمل عوام المؤمنين وله حقيقة وغاية وهي كماله يبلغها خواص المؤمنين الذين قال الله تعالى في شأنهم «انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم و اذا تليت عليهم آياته زادتهم ايماناً وعلى ربهم يتوكلون» وكذلك اليقين أوله حق وآخره و

باب التفكير

١- عليُّ بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن النوفلي ، عن السكوني ، عن أبي عبدالله عليه السلام : قال كان أمير المؤمنين عليه السلام يقول : نبه بالتفكير قلبك ، و جاف عن

باطنه حقيقة هي غايته وكمالها وبالجملة الحق في كل شيء بمنزلة القشر والحقيقة بمنزلة اللب ولا ينفع القشر بدون اللب وإنما قال: على كل حق ولم يقل لكل حق للتنبه بالاستسلاء على أن حقيقة كل شيء باعتبار حقيقته التي هو بها هو حتى لو لم يكن حقيقة كاملة وغاية مرادة منه لم يكن حقاً أو باعتبار المجانسة مع قوله (وعلى كل صواب نوراً) الصواب ضد الخطأ أي على كل صواب جلي أو خفي من قول أو فعل أو وعد، برهان يحققه ودليل يصدقه كالايمان واليقين فان لهما علامات دالة عليهما وبينات كاشفة عنهما حتى أن من ادعاهما و لم تكن له تلك العلامات والبيانات كانت دعوا باطلة وانما سمي البرهان نوراً لان البرهان آلة لظهور المعقولات كما أن النور آلة لظهور المحسوسات.

قوله (نبه بالتفكير قلبك) دل على أن القلب ينفل عن الحق والاخرة وما ينفع فيها وأنه لا بد من تنبيهه عن الغفلة دائماً بالتفكير واختلفت العبارة في تفسيره والمرجع واحد . قال الغزالي : حقيقة التفكير طلب علم غير بدهي من مقدمات موصلة اليه كما اذا تفكر أن الاخرة باقية وأن الدنيا فانية ، فانه يحصل له العلم بأن الاخرة خير من الدنيا وهو يبعثه على العمل للاخرة فالتفكير سبب لهذا العلم ، وهذا العلم يقتضى حالة نفسانية وهو التوجه الى الاخرة وهذه الحالة يقتضى العمل لها و قس على هذا فالتفكير موجب لتنوير القلب وخروجه عن الغفلة، واصل لجميع الخيرات، وقال المحقق الطوسي: التفكير سير الباطن من المبادئ الى المقاصد وهو قريب من النظر ولا يرتقى أحدهم من النقص الى الكمال الا بهذا السير ومبادئه الافاق والانسف بأن يتفكر في أجزاء العالم وذراته، وفي الاجرام العلوية من الافلاك والكواكب و حرركاتها وأوضاعها و مقاديرها واختلافاتها ومقارناتها ومفارقاتها و تأثيراتها و تغييراتها، وفي الاجرام السفلية و تربيتها و تفاعلها و كيميائياتها و مركباتها و معدنياتها و حيوانياتها، وفي أجزاء الانسان وأعضائه من العظام والعضلات والعصبات والعروق وغيرها مما لا يحصى كثرة، ويستدل بها وبمفاهيمها من المصالح والمنافع والحكم والتغير على كمال الصانع وعظمته وعلمه وقدرته وعدم ثبات ماسواه، وبالجملة التفكير فيما ذكر ونحوه من حيث الخلق والحكمة والمصالح أثره العلم بوجود الصانع وقدرته ومن حيث تغييره وانقلابه وفنائته وبعده وجود أثره الانقطاع عنه والتوجه بالكلية الى الخالق الحق، ومن هذا القبيل التفكير في أحوال الماضين وانقطاع أيديهم عن الدنيا وما فيها ورجوعهم الى دار الاخرة فانه يوجب انقطاع المتفكر عن

الليل جنبك؛ واتق الله ربك.

٢- علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن بعض أصحابه ، عن أبان ، عن الحسن الصقل قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام عما يروي الناس [أن] تفكر ساعة خير من قيام ليلة ، قلت : كيف تفكر ؟ قال : يمر بالخربة أو بالدار فيقول : أين ساكنوك ، أين بانوك ، ما [با] لك لا تتكلمين .

٣- عدّة من أصحابنا ، عن أحمد بن محمد بن خالد ، عن أحمد بن محمد بن أبي نصر ، عن بعض رجاله ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : أفضل العبادة إيمان التفكر في الله وفي قدرته .

غير الله اليه بالطاعة والتقوى ، و لذلك أمر بهما بعد الامر بالتفكر ، وقال (وجاف عن الليل جنبك) وهو كناية عن الامر بالقيام للعبادة في ظلمات اللبالي فان العبادة فيها أفضل كما دلت عليه الايات والروايات (واتق الله ربك) بترك المحرمات بل المكروهات والمشتبهات .

قوله (ان تفكر ساعة خير من قيام ليلة) أي تفكر ساعة في عظمته وآلاته وتواتر أياديه ونعمائه أو في سكرات الموت وما بعده من العقوبات أو في محن الدنيا وعدم فوائدها وما فيها من المصائب والبليات أو في فناء أهلها وانقطاع أيديهم من التصرفات (خير من قيام ليلة) للعبادة فان كل ذلك يوجب تنور القلب وسفاء الذهن وترك الدنيا والميل الى الآخرة وحلاوة الذكر والطاعة وكمال السعادة ومحبة الحق واعراضه عن غيره واستعمال الاعضاء الظاهرة والباطنة فيما خلقت له ، وربما يخطر بالقلب بتفكر ساعة حالة مانعة من المعاصي في مدة العمر فهو أفضل من عبادة ليلة لكثرة فوائده وعظمتها (قلت كيف تفكر) أراد ايضاحه بمثال جزئي فلذلك أتى «ع» به (قال يمر بالخربة أو بالدار) التي هلك أهلها (فيقول) تحسراً أو تحزناً لحاله وحالهم (أين ساكنوك أين بانوك مالك لا تتكلمين) فانه اذا تفكر في ذلك تجدهم انقطعوا عن الدنيا وثمراتها ، وزالت أيديهم عما كان لهم من أسبابها وزهراتها وانتقلوا عن دار الانس والاجبة وخلوا بيت الغربة والوحشة ، مالهم من احبائهم ظهير ولا نصير ولا له من أموالهم قطمير ولا نقيز اذا أوجدتهم كذلك خطر بباله أنه يصير مثلهم عنقريب ولا يكون له من ماله حق ولا نصيب فتبسر لذلك قنيت الدنيا في بصره و تحقر زهراتها في نظره فيقدم الى اصلاح أمره ومثواه ولا يبيع آخرته بديناره .

قوله (أفضل العبادة ايمان التفكر في الله وفي قدرته) أفضلية العبادة باعتبار عظمة قدرها وكثرة منافعها وآثارها وشرافة لوازمها وأسرارها ولا ريب في ان ايمان التفكر في الله وفي قدرته

٤- محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد بن عيسى ، عن معمر بن خلاد قال : سمعت أبا الحسن الرضا عليه السلام يقول : ليس العبادة كثرة الصلاة والصوم . إنما العبادة التفكير في أمر الله عز وجل .

٥- محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد ، عن إسماعيل بن سهل ، عن حماد ، عن ربعي قال : قال أبو عبد الله عليه السلام : قال أمير المؤمنين صلوات الله عليه : [إن التفكير

أعظم العبادات قدراً وأشرفها أثراً و أفخمها رتبة وأرفعها منزلة ، ولذلك وقع الامر به في آيات متكررة وروايات متضاربة وله آثار شريفة ولو ازم منيفة كلها عبادات عظيمة كعرفة الرب وعظمته وعلمه وقدرته واحتقار الدنيا وزهراتها و معرفة الجنة ودرجاتها ومعرفة النار و دركاتها والانتطاع عن غير الحق وتفرغ القلب له و بالجملة ادمان التفكير عبادة و أصل لجميع العبادات فهو أفضلها ، و ليس المراد التفكير في حقيقة ذاته و حقيقة قدرته وسائر صفاته اذ معرفتها خارجة عن قدرة البشر ولا يصل اليها العقل والتفكر ، وكان التفكير فيها مؤديا الى الضلال المبين والاحاد في الدين بل المراد به التفكير في وضع صنع الله وآثار قدرته فان التفكير فيها وفي عظمتها يدل على عظيمة الصانع الحق وكمال قدرته ، ومما يدل على ذلك ما رواه محمد بن مسلم عن أبي جعفر «ع» قال : «اياكم والتفكر في الله ولكن اذا أردتم ان تنظروا الى عظمته فانظروا الى عظيم خلقه ، و مارواه حسين بن المياع عن أبيه قال : سمعت أبا عبد الله «ع» يقول « من نظر في الله كيف هو هلك » و بالجملة التفكير على قسمين : تفكر في الحق . و تفكر في الخلق ، والبعيد ممنوع من الاول و مندوب الى الثاني . قال الله تعالى : « و يتفكرون في خلق السموات والارض - الآية » .

قوله (انما العبادة التفكير في أمر الله عز وجل) الحصر اضافي بالنسبة الى غير المتفكر أو حقيقي لان العبادة كلها تابعة للتفكر فلا توجد عبادة بدونه فان من تفكر بأبصر الحق وطرقه الموصلة اليه وهانت الدنيا وما فيها عنده لما رأى من كثرة انقلابها على أهلها وعدم الوفاء لهم فيحصل له كمال الميل الى المولى الحق وغاية الخشوع والطاعة له والشوق الى لقاءه لعلمه بأن الوصول الى الدرجة العليا ، والبلوغ الى السعادة العظمى ، والتخلص عن أهوال العقبي ، والتقرب الى مقام الزلفى انما يحصل بترك الدنيا والتزام العبادة والتقوى فيصرف نفسه عن ميدان الطغيان و يجربها في مضمار الطاعة و مرضات الرحمن ، ويقدم لنفسه ما ينفعه في دار الجنان والتوفيق من الله الملك المنان .

قوله (التفكر يدعو الى البر والعمل به) لان التفكير سراج القلب يرى به المتفكر

يدعو إلى البرِّ والعمل به.

(باب المكارم)

١- محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن الهيثم بن أبي مسروق، عن يزيد بن إسحاق شعر، عن الحسين بن عطية، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: المكارم عشر

خيرها و شره و منافعه و مضاره و كل قلب لا فكر فيه فهو مظلم لا يرى الى البر دليلاً ولا الى العمل سبيلاً، و من التفكر أن يتفكر لاي شيء خلق و من أين جاء و الى أين يقصد و لاي شيء أنزل في هذا المنزل، و فيها سعادته و شقاوته فان هذا التفكر أشد جاذب له الى البر والعمل به، و منه أن يتفكر في قوله تعالى: «أولم يروا كم أهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم في الارض ما لم نمكن لكم - الآية» الى غيرها من الايات الدالة على الترغيب في التفكر فان التفكر فيها أقوى زاجر له عن الدنيا و اكمل داع الى البر والعمل به للاخرة اذ من تفكر في احوال الماضين من الرعايا و السلاطين و أعمالهم و أخبارهم و آثارهم و تفكر في أنهم بنوا ما لم يسكنوا و جمعوا ما لم يأكلوا و سعوا فيما لم ينتفعوا و في أنهم كم تركوا من جنات و عيون و زروع و مقام كريم و نعمة كانوا فيها فاكهين تبرد الدنيا و ما فيها عنده، و اشرق قلبه بنور ربه حتى رأى بعين البصيرة احوال الاخرة و مقاماتها و رغبت نفسه عن قبيات الدنيا و زهراتها و مال الى حضرة الحق و الجلال و اشتاق الى كأس القرب و الوصال، و علم أن ذلك لا يحصل الا بالبر و العمل فعلم أن التفكر يدعو اليهما، نعم ما قيل:

و لم أر كالايم للمراء واعظاً	ولا كصروف الدهر للمراء هادياً
لعمرك ما بدرى الفتى كيف يتقى	إذا هو لم يجعل له الله واقياً
و أحسن فان المراء لا بد ميت	وانك قد تجزى بما كنت ساعياً

و منه أن يتفكر في معاني آيات القرآن عند تلاوته فاذا بلغ آيات الصفات مثل العزيز و الحكيم و القدوس يتأمل في أسراره، و اذا بلغ آيات الافعال مثل خلق السموات و الارض يتأمل في عظمة الخالق و كمال علمه و قدرته، و على هذا فانه يحصل له بذلك الانتفاع عن الدنيا و ملكة الميل الى البر و العمل به.

قوله (قال المكارم عشر) المكرمة بزرگي و بزرگواری و المكارم بزرگيها و بزرگواریها و ينبغي أن يعلم أن النفس الناطقة اذا تركت سلطانها في ملك البدن و صارت مأسورة في يدقواء حصلت له أخلاق مهلكة مثل الكذب و الخيانة و الحرص و الحسد و الفخر و النضب و البخل و قطع الرحم و أمثال ذلك مما يعد في هذا الكتاب ثم تسرى تلك الاخلاق الى الاعضاء الظاهرة فيصدر منها الضرب و القتل و النهب و البهتان و نحوها، و بذلك تبعد عن

فإن استطعت أن تكون فيك فلتكن، فإنها تكون في الرجل ولا تكون في ولده
وتكون في الولد ولا تكون في أبيه، وتكون في العبد ولا تكون في الحر، قيل:
وما هن؟ قال: صدق البأس وصدق اللسان وأداء الأمانة وصلة الرحم وإقراء

رب العالمين وتستقر في أسفل السافلين و إن راعت سلطنتها فيه وأسرت قواه واعطت كل
واحدة ما فيه صلاحها عقلا و شرعاً حصلت لها أخلاق صالحة منجية مثل حسن الخلق والرفق
والحكمة والعدالة والشجاعة وأمثالها مما يعد في هذا الكتاب أيضاً و يصدر بسببها من
الاعضاء أفعال حسنة ومكارم فاضلة مثل الصدق وأداء الامانة وغيرهما من الامور المذكورة وان
المكارم غير منحصرة فيما ذكر و ان اطلاقها عليه مجاز من باب تسمية السبب باسم المسبب
لان ما ذكر من الافعال سبب لمكارم النفس (فان استطعت أن تكون فيك فلتكن) دل على أنها كسبية
تحصل بمشقة الاكتساب والمجاهدة مع النفس الامارة ورياضتها، وقد بالغ في ذلك بقوله (فانها تكون
في الرجل، ولا تكون في ولده وتكون في ولده ولا تكون في أبيه وتكون في العبد ولا تكون
في الحر) للتنبيه على أنها نعمة عظيمة يمن الله على عباده ممن أخذت يده العناية الالهية و
توجهت اليه التوفيقات الربانية بحسن سياسته وكمال عزمته و تمام ارادته الى معالي الامور
(قيل: وما هن؟ قال صدق البأس) أي الخوف أو الخضوع أو الشدة والفقر و منه البأس الفقير
أو القوة و صدق الخوف عن المعصية بأن يتركها ومن التقصير في العمل بأن يسعى في كماله
ومن عدم الوصول الى درجة الابرار بأن يسعى في اكتساب الخيرات فلوا دعى الخوف في
شيء من ذلك و بقي عليه ولم يسع في ازالته فهو كاذب و صدق الخضوع بأن يخضع لله
تعالى لغيره فمن ادعى الخضوع لله تعالى وهو يخضع لغيره فهو كاذب و صدق الفقر بأن
يترك عن نفسه هواها و متميناتها و آمالها والا فهو ليس بفقير، و صدق القوة أن يصر فيها في
الطاعات فمن صرفها في المعاصي فهو ضعيف عاجز، (و صدق اللسان) بأن لا يتكلم بما ليس فيه
رضاء تعالى مثل الكذب واللفو والفضح والغيبة و نحوها بل يتكلم بما فيه رضاء من الامور الدينية
أو الدنيوية (وأداء الامانة) أي امانة الناس برأكان أو فاجراً أو امانة الله تعالى أيضاً مثل الامانة
وفعل الطاعات وترك المنهيات والعهود.

(و صلة الرحم) أي الاحسان الى الاقربين من ذوى النسب والاصهار والتعطف عليهم
والرفق بهم والرعاية لحوالهم في السر والعلانية وان أسأه فكأنه بالاحسان اليهم و صل
ما بينهم و بينه من علاقة القرابة والصح، ويدخل فيها صلة أقرباء النبي (ص) (واقراء الضيف)
أي المؤمن أو المسلم مطلقاً أو الاعم منه، ومن الكتابي على احتمال لدلالة ظاهر بعض الروايات
عليه، وأما الحربى ففيه تأمل والظاهر أن الاقراء بمعنى القرى المجرد يقال: قرى الضيف

الضيف وإطعام السائل والمكافاة على الصنایع والتذمم للجار والتذمم للصاحب و
رأسهن الحياء .

٢- عدّة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد بن خالد، عن عثمان بن عيسى ، عن
عبدالله بن مسكان، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: إن الله عز وجل خصّ رسله بمكارم

أقریه من باب رمى بالكسر والقصر والاسم القراء بالفتح والمد (واطعام السائل) كذلك
والاطعام كما يوجب الثواب الجزيل في الآخرة كذلك يدفع الفقر والبلاء ويوجب زيادة الرزق
في الدنيا ثم يتفاوت ذلك بحسب تفاوت نية المطعم واحتياجه واستحقاق السائل وصلاحه، (و
المكافاة على الصنائع) جمع الصنعة وهي ما اصطنعت من خير وكل شيء ساوى شيئاً حتى صار
مثله فهو مكافئ له والمكافاة بين الناس من هذا، ويقال بالفارسية پاداش دادن بمثل وقديم
ويراد مطلق المجازاة الشامل للمساوى والازيد والانقص ثم المكافاة من باب الاداب والاستحباب
لجواز الاخذ من غير عوض للروايات منها رواية اسحاق بن عمار قال قلت له: والرجل الفقير
يهدى الى الهدية يتعرض لما عندي فأخذها ولا أعطيه شيئاً؟ قال نعم هي لك حلال ولكن لا
تدع أن تعطيه (والتذمم للجار، والتذمم للصاحب) التفضل يجيء للتجنب مثل تأثم وتخرج
أى تجنب الاثم والجرح، ومنه التذمم وهو مجانبة الذم والتحرز منه والمقصود أن من مكارم
الرجل أن يحفظ ذمام الجار ولصاحب ويطرح عن نفسه ذم الناس له ان لم يحفظه، والذمام
بالكسر الحرمة، وما يذم به الرجل على اضاعته من العهد والامان وغيرهما (رأسهن الحياء)
هو خلق غريزي أو مكتسب يمنع من فعل القبيح وخلاف الاداب والتقصير في الحقوق خوفاً من
اللوم والذم به، ولا يوجد شيء من المكارم بدون ذلك هو رأسهن.

قوله (ان الله عز وجل خص رسله بمكارم الاخلاق) الاخلاق جمع خلق وهو ملكة للنفس
يصدر عنه الفعل بسهولة من غير روية وفكر خلاف الحال؛ وقد توهم أن الاخلاق كلها خلقية فيكون
التكليف بها تكليفاً بما لا يطاق وهذا التوهم فاسد لان الاخلاق قد تتغير و تتبدل كما هو المشاهد
في كثير من الناس فانهم يزولون و يمارسون خلقاً من الاخلاق حتى يصير ملكة لا يقال مدخول الباء
اما مقصور كما يقتضيه القاعدة، أو مقصور عليه. فعلى الاول لزم أن لا توجد المكارم في غير
الرسل وهو ينافي ما بعده وعلى الثاني لزم أن لا يوجد في الرسل غير المكارم لانا نقول يمكن
دفع الاول بأن للمكارم عرضاً عريضاً والمقصود على الرسل هو الطرف الاعلى، ولا ينافيه وجود
مادونه على تفاوت المراتب في غيرهم، أو بان خلقية المكارم مقصورة على الرسل جميعاً
ولا توجد في غيرهم جميعاً ولا ينافيه وجودها في بعض الاعيان، و يمكن دفع الثاني بأن
الحصر اضافي بالنسبة الى اعداد المكارم يعنى أن الرسل مقصرون على المكارم ولا يتجاوزونها

الاخلاق، فامتحنوا أنفسكم، فإن كانت فيكم فاحمدوا الله و اعلموا أن ذلك من خير
و إن لاتكن فيكم فاسألوا الله و ارجبوا إليه فيها، قال : فذكر [ها] عشرة: اليقين
والقناعة والصبر والشكر والحلم وحسن الخلق والسخاء والغيرة والشجاعة والمرورة
قال : وروي بعضهم بعد هذه الخصال العشرة وزاد فيها الصدق و أداء الأمانة.

الى أضعافها بخلاف غيرهم وهذا أظهر على أنه يمكن ان يكون المقصود أنه تعالى خص
رسله بانزال المكارم اليهم وتقريرهم لها وعلى هذا لا يتوجه شيء.

(فامتحنوا أنفسكم) و اختبروها (فان كانت فيكم فاحمدوا الله) لانها من أعظم نعمائه
لديكم (واعلموا أن ذلك من خير) عظيم أفاضه عليكم (و ان لاتكن فيكم فاسألوا الله) عن
تيسير ذلك الكمال (و ارجبوا اليه) بالتضرع والابتهال .

(قال فذكرها عشرة) غير العشرة المذكورة في الحديث السابق لكونها غير منحصرة
فيها . (اليقين) بالله واليوم الآخر وكتبه و رسله، وهو العلم مع زوال الشك و علاماته العمل
بمقتضاه (والقناعة) وهى الرضا بالقليل وفيه راحة فى الدارين، و فى الحديث والقناعة كنز
لا يفنى، لان الانفاق معها لا ينقطع كلما تعذر عليه شيء من امور الدنيا قنع بما دونه ورضى وفيه
«عزم من قنع وذل من طمع» لان القانع لا يذله الطلب فلا يزال عزيزاً .

(والصبر) على المصيبة وفعل الطاعة وترك المعصية (والشكر) لله فى جميع الاحوال
باللسان والجنان والاركان (والحلم) بضبط النفس عن الانتقام عند صدور ما يؤذيه عن الغير
وهو صفة لها بالاعتدال فى القوة الغضبية.

(و حسن الخلق) مع الناس بالجميل والطلاقة والبشاشة والتودد والتلطف و الاشفاق
عليهم (و السخاء) أى بذل المال بسهولة على قدر لابد منه فى موضعه و هو فضيلة
نفسانية مندرجة تحت الاعتدال فى القوة الشهوية وأفضل ما وقع بغير سؤال كما يدل عليه قول
أمير المؤمنين «ع» والسخاء ما كان ابتداء فاما ما كان عن مسئلة فحياء وتذمم، أى استنكاف و
مجانبة عن الذم (والغيرة) أى الحمية فى الدين والاستنكاف عما يغيره و تغير الطبع عما
يخالفه (والشجاعة) وهى ملكة للنفس حاصلة من الاعتدال فى القوة الغضبية و يبتنى عليها
الامر بالمعروف والنهى عن المنكر وامضاء الاحكام والحدود والجهاد مع النفس والشيطان
والعدو (والمرورة) أى كمال الرجولية فى الدين ورعاية حال فقراء المسلمين والمسلمات و المسلمين
و تفقد أحوال اليتامى والارامل والمساكين.

(قال وروى بعضهم بعد هذه الخصال العشرة وزاد فيها الصدق) أى صدق البأس و صدق
اللسان (و اداء الامانة) الى الناس، أو مطلقاً وهو أى الصدق مفعول روى و زاد على سبيل

٣- عنه، عن بكر بن صالح، عن جعفر بن محمد الهاشمي، عن إسماعيل بن عباد قال بكر: وأظنني قد سمعته من إسماعيل؛ عن عبدالله بن بكير، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: إنا لنحبُّ من كان عاقلاً، فهماً، فقيهاً، حليماً، مدارياً، صبوراً صدوقاً، وفيما التنازع وان توهم زيادة لفظ بعدأوزاد.

قوله (انا لنحب من كان عاقلاً) له جوهر مجرد (١) نوراني يدرك به المعقولات و المنقولات ويميز بين الحق والباطل والهادى والمضل (فهماً) الفهم من صفات العاقل و هو جودة تهيوُ الذهن لقبول مايرد عليه من الحق وبه ينتقل من المبادئ الى المطالب بسرعة . (فقيهاً) الفقه العلم بالاحكام من الحلال والحرام و بالاخلاق وآفات النفوس(٢) و موانع

(١) قوله «له جوهر مجرد» جرى على اصطلاح الحكماء فان العقل عندهم يطلق على العقل النظرى والعقل العملى، وهما مما امتاز به الانسان من سائر الحيوانات. فانها تشترك مع الانسان فى الحسن، ويمتاز الانسان عنها بشيئين: الاول بأنه يدرك الحسن والقبح فى الافعال ويحكم بأن بعض الاعمال حسن وبعضها قبيح، ولا يدرك الحيوان شيئاً من ذلك ألبتة، ولذلك كلف الانسان بتكاليف وصار مسؤولاً عن أفعاله وان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسؤولاً، وهذا يسمى العقل العملى وهو الذى أنكره الاشاعرة. والثانى أنه يدرك الكليات والمعانى العامة. ولا يدركها الحيوانات والدليل عليه أنه يتكلم، وأكثر كلما ته كليات يدرك معناها ويحكى عنها ولا يقدر على ذلك الحيوانات الاخرى. فالحيوان يتوجع ويعرض له الالم ويحس به ويخاف من عدوه، ويحصل له الباعث على الفرار، ويجب أولاده ويحفظها من الافات حتى تكبر وتستغنى عن الام، ولكن لا يقدر على لفظ يحكى به عن معنى الالم والخوف والحب لانه لم يدرك معنى عاماً يشمل أفراد كل منها، وانما يحصل لها مصاديق هذه المعانى كما يحصل للطفل الصغير قبل أن يتكلم، ولذلك عبر عن ادراك الكلى بالنطق، وبالجملة أشار الشارح بقوله «يدرك به المعقولات» الى العقل النظرى، وبقوله «يميز بين الحق والباطل» الى العقل العملى و كلاهما حاصل للانسان بسبب تجرده عن المادة ذاتاً وان تعلق بها فعلاً ولا ريب أن الاختيار من لوازم النفس المجردة والطبيعة مقهورة مجبورة فى أفعالها لاسبيل لها الى التخلف عما أودع فيها، والانسان لكونه مختاراً غير مجبور لا بد أن يكون له قوة يرجح بها ما ينيق أن يفعله ويميز ما يجب أن يتركه وهو العقل العملى، و لكونه مستعداً لاستنباط المجهولات من المعلومات ان يكون له عقل نظرى يدرك به الكليات اذ الجزئى لا يكون كاسياً ولا مكتسباً . (ش)

(٢) قوله «و بالاخلاق و آفات النفوس» جرى على اصطلاح الائمة عليهم السلام فى تعريف الفقه . فان الفقه عندهم عليهم السلام كان يشمل علم الاخلاق وغيره . و لكن *

إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ خَصَّ الْأَنْبِيَاءَ بِمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ، فَمَنْ كَانَتْ فِيهِ فَلَاحِدِ اللَّهِ عَلَيَّ ذَلِكَ وَمَنْ لَمْ تَكُنْ فِيهِ فَلْيَتَضَرَّعْ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَ لِيَسْأَلْهُ إِيَّاهَا. قَالَ : قُلْتُ : جَعَلْتَ فِدَاكَ وَمَاهِنًا؟ قَالَ : هُنَّ الْوَرَعُ وَالْقَنَاعَةُ وَالصَّبْرُ وَالشُّكْرُ وَالْحِلْمُ وَالْحَيَاءُ وَالسَّخَاءُ وَالشُّجَاعَةُ وَالغَيْرَةُ وَالْبِرُّ وَ صَدَقَ الْحَدِيثُ وَأَدَاءُ الْأَمَانَةِ.

٤- محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن الحسن بن محبوب، عن بعض أصحابه، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ ارْتَضَى لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا ،

القرب من الحق أو بصيرة قلبية في أمر الدين تابعة للعلم والعمل مستلزمة للخوف والخشية (١)
(مدارياً) المداراة الملائمة مع الناس وترك مجادلتهم ومناقشتهم.

(صدوقاً وفيماً) أى دائم الصدق والوفاء ، والصدق ملكة تحصل عن لزوم الاقوال المطابقة، والوفاء ملكة تنشأ عن لزوم العهد والامانة والبقاء عليه وهما فضيلتان داخلتان تحت العفة متلازمتان، و لذلك قال أمير المؤمنين «ع» ان الوفاء متوأم الصدق ولما كان التوأم هو الولد المقارن لولد آخر في بطن واحد شبهه بالوفاء لمقارنته الصدق تحت العفة ، و فى هذا الحديث تحريص على محبة الموصوف بالصفات المذكورة فيه واختيار مصاحبه . فانه دليل الى سبيل الخيرات و مرشد الى طرق النجاة ولكن وجدانه متمسر فان الجاهل قد يدلس فلا بد للطالب من حزم وتجسس لئلا يتخذ الجاهل مصاحباً ولا يقع فى ويل الخذلان بعد الايمان. واعلم أن المكارم المذكورة فى هذا الحديث اثني عشرة كما فى السابق الا أن اليقين وحسن الخلق والمروة المذكورة فى السابق غير مذكورة فى هذا الحديث، والورع والحياء والبر المذكورة فى هذا الحديث غير مذكورة فى السابق. والورع هو الكف عن المحرمات و المشتبهات بل عن المباحات أيضاً والبر هو الاحسان بالوالدين والاقربى بل بالناس أجمعين و قد يطلق على الاعمال الصالحة والخيرات كلها.

«المتأخرين رضی الله عنهم خصصوا الفقه بالاحكام الظاهرية وميزوا بينه وبين علم الاخلاق ولا مشاحة فى الاصطلاح. (ش)

(١) قوله «مستلزمة للخوف والخشية» فرق بعض علماء الاخلاق بين الخوف والخشية وقال ان الخوف من الضغفاء وأهل الاهواء لكثرة معاصيهم وتقصيرهم يخافون العذاب. والخشية حاصلة للعلماء بالله والاولياء لمعرفةهم بعظمة ربهم والاستشعار بشدة قهره وكمال رحمته و عظم قدرته واحاطة علمه وسائر صفاته الكمالية للخوف من العذاب اذ لا خوف عليهم ولا هم يحزنون وقال تعالى «انما يخشى الله من عباده العلماء». (ش)

فأحسنوا صحبته بالسخاء و حسن الخلق.

٥- علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن النوفلي، عن السكوني، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين صلوات الله عليه: الايمان أربعة أركان: الرضا بقضاء الله والتوكل على الله و تفويض الأمر إلى الله والتسليم لأمر الله.

٦- الحسين بن محمد، عن معلى بن محمد، عن الحسن بن علي، عن عبد الله بن سنان عن رجل من بني هاشم قال: أربع من كن فيه كمل إسلامه ولو كان من قرنه إلى قدمه خطايا لم تنقصه: الصدق والحياء و حسن الخلق والشكر.

قوله (فأحسنوا صحبته بالسخاء و حسن الخلق) فانهما يوجبان كمال الدين و قراره كما أن البخل و سوء الخلق يوجبان نقصانه و فراره. فالدين كالمصاحبان راعيته قر وان آذيته فر. **قوله** (الايمان أربعة أركان الرضا بقضاء الله والتوكل على الله وتفويض الأمر الى الله والتسليم لامر الله) الرضا بقضاء الله سكون النفس تحت مجارى القدر و سرورها بما يرد عليها وان كان ثقيلاً عليها لانه من الحبيب وكل شيء من الحبيب فهو حبيب والتوكل جعل الغير وكيلاً في اموره وهو على قسمين أحدهما أن يقصد رجوع الوكيل اليه في امضاءها والاخر أن يقصد استقلاله فيه وهذا القسم هو التفويض فالتفويض قسم من التوكل وأفضل أفراده، ثم التفويض على قسمين: أحدهما أن يرى المفوض، كل ما يفعله المفوض اليه موافقاً لطبعه والاخر أن يجرد نفسه عن ملاحظة الموافقة والمخالفة حتى كأنه فوض نفسه وطبعه أيضاً اليه ، وهذا هو التسليم فالتسليم نوع من التفويض وأكمل أفراده، وانما كانت هذه الاربعة أركان الايمان اذ بانتفاء الرضا بقضاء الله يتحقق السخط عليه وهو يوجب هدم بناء الايمان به، و بانتفاء التوكل يتحقق الحرص في الطلب وفوات كثير من الاعمال الصالحة المعتبرة في الايمان وهو يوجب هدمه و كذا انتفاء التفويض والتسليم يوجب تحقق تعلقات كثيرة منافية للايمان الكامل ، وبالجملة هذه الامور من لوازم اليقين فانتفاؤها موجب لانتفائه المنافي للايمان.

قوله (أربع من كن فيه كمل اسلامه ولو كان من قرنه الى قدمه خطايا لم تنقصه) أى أربع خصال، والضمير المفعول فى لم تنقصه راجع الى الاسلام، أو الى من (الصدق والحياء و حسن الخلق والشكر) قدمه تفسيرها ، ولا يخفى أن ثبوتها يستلزم انتفاء العصيان (١) مطلقاً كما لا يخفى على المتأمل.

(١) قوله « يستلزم انتفاء العصيان » أولانه ينتهى أمره الى التوبة يقيناً ويموت تائباً ألبتة (ش)

٧- عِدَّةٌ من أصحابنا، عن سهل بن زياد، وعلي بن إبراهيم عن أبيه، جميعاً عن ابن محبوب، عن ابن رثاب، عن أبي حمزة، عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: ألا أخبركم بخير رجالكم؟ قلنا: بلى يا رسول الله! قال: إن من خير رجالكم التقي النقي، السمح الكفي، النقي الطرفين البرّ بوالديه ولا يلجى عياله إلى غيره.

(باب فصل اليقين)

١- الحسين بن محمد، عن معلى بن محمد، عن الحسن بن عليّ الوشاء، عن مثنى ابن الوليد، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ليس شيء إلا وله حدٌّ، قال: قلت: جعلت فداك فما حدُّ التوكل؟ قال: اليقين، قلت: فما حدُّ اليقين؟ قال: ألا تخاف مع الله شيئاً.

قوله (ألا أخبركم بخير رجالكم؟ قلنا بلى يا رسول الله قال ان من خير رجالكم) لا يقال أول هذا الكلام ينافي آخره في الجملة لان قوله خير رجالكم يفيد أنه الخير مطلقاً، و قوله من خير رجالكم يفيد أنه من جملة خير الرجال وبعضهم لانا نقول لعل المراد بالاول الصنف والآخر كل فرد من هذا الصنف أو نقول الاخير قرينة على أن المراد بالاول الخير الاضافي بالنسبة الى من لم توجد فيه الصفات المذكورة دون الخير الحقيقي وعلى الاطلاق.

(التقى النقي السمح الكفي) «التقى» المحترز عن كل ما يؤثم خوفاً من الله تعالى و تبعيداً لنفسه عن مخالفته و«النقي» التنظيف الظاهر والباطن من الوسخ النفساني و الدنس الجسماني و«السمح» الجواد المعطي و اسناد الجود والاعطاء الى الكفين لظهورهما منهما و في ذكر الكفين مبالغة في كمالهما .

(النقى الطرفين) أي الفرجين أو الفرج واللسان، أو الفرج والبطن، وقيل الوالدين (والبر بوالديه) أي المحسن اليهما والمطيع لهما والرفيق بهما والمتحرى لمحا بهما والمتوقى عن مكارههما.

(ولا يلجى عياله الى غيره) مع القدرة على انفاق ما يكفيهم يقال: ألجأت له اليه ولجأت به بالهمزة والتضعيف أي اضطررته و أكرهته.

قوله (فما حد التوكل؟ قال اليقين) في المصباح اليقين: العلم الحاصل عن نظر و استدلال، ولهذا لا يسمى علم الله يقيناً. وفي أوصاف الاشراف اليقين اعتقاد جازم مطابق ثابت

٢- عنه، عن معلّى، عن الحسن بن عليّ الوشاء، عن عبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله عليه السلام، ومحمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن ابن محبوب، عن أبي ولاد الحنّاط و عبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: من صحّة يقين المرء المسلم أن لا يرضى

لا يمكن زواله و هو في الحقيقة مؤلف من علمين: العلم بالمعلوم، والعلم بأن خلاف ذلك العلم محال وله مراتب علم اليقين وعين اليقين و حق اليقين والقرآن ناطق بذلك والحد في اللغة منتهى كل شيء و نهايته وفي العرف التعريف و يمكن ارادة كلا المعنيين: أما الاول فلان التوكل ينتهي الى اليقين و هو منتهاه و أثره اذا الانسان قبل التوكل يظن أن له مدخلا في حصول مهماته فليس له يقين بالله و صفاته الذاتية والفعلية كما هو حقه و بعده يرى أن مهماته تحصل على الوجه الاحسن والاكمل فيحصل له يقين كما هو حقه فاليقين حده و منتهاه. وأما الثاني فلان اليقين أثر من آثار التوكل كما عرفت فتعريفه باليقين تعريف له بأثر من آثاره، و أما جعل الحد بمعنى التعريف و جعل اليقين سبباً للتوكل فهو وان كان محتملاً في نفسه لكن لا يناسب ما بعده اذ اليقين سبب لعدم الخوف من غير الله دون العكس .

(قلت فما حد اليقين؟ قال الاتخاف مع الله شيئاً) جعل عدم الخوف من غير الله نهاية لليقين و أثراً من آثاره أو تعريفاً له مبالغة للسببية لان الانسان اذا كملت قوته النظرية باليقين بالله و صفاته العظام لا يخاف الا من الله كما قال عز شأنه « انما يخشى الله من عباده العلماء » ثم نقول حد الخوف استعمال الجوارح والاعضاء فيما خلقت له و صرفها عن غيره. ثم حد هذا تفرغ القلب عما عداه بحيث لا ينظر الى شيء سواه، ولا يرى في الوجود الا اياه فهو منتهى كل غاية و غاية الغايات كما ورد في بعض الروايات.

(قال من صحّة يقين المرء المسلم أن لا يرضى الناس بسخط الله) ليس كل من يدعى اليقين له يقين صحيح صادق مستمر بل لصحته وثبوته و كونه ملكة علامات، ومن علامات صحته أن لا يرضى الناس أبداً بما يوجب سخط الله تعالى و غضبه عليه كما هو فعل غير موقن فانه يقول ما يوافق طبع الناس و يعمل ما فيه رضاهم و ان كان فيه سخط الرب لثلاث يفوت مقاصده المأمولة منهم ، أو لغير ذلك من الاغراض الفاسدة فيترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر و يجالس الفاسقين والظالمين ، و يساهل معهم و يميل الى ما هو مستحسن في طباعهم المعوجة ولا يعلم أن أقل ما يفعل الله تعالى بمن جعل رجاء فداء لرضا غيره و سخطه فداء لسخط خلقه بعد مقتته هو أن يضرب على قلبه ذل الحجاب وأن يقلب قلب من طلب رضاه بينغضه اياه كما روى من أرضى الناس بسخط الله سخط الله عليه و أسخط عليه الناس بخلاف الموقن فانه لما كانت ثقته بالحق و اعتماده على لطفه و احسانه مع يقينه بأن الخلق مقهورون مضطرون و أن

الناس بسخط الله ولا يلومهم على ما لم يؤت الله، فإن الرزق لا يسوقه حرص حريص ولا يردّه كراهية كاره، ولو أن أحدكم فرّ من رزقه كما يفرّ من الموت لأدر كه رزقه كما يدركه الموت، ثم قال: إن الله بعدله وقسطه جعل الروح والراحة في

قلوبهم بيده يتصرف فيها ما يشاء كان صليباً في الدين قائماً على اليقين يقول الحق و يأمر به و ينهى عن الباطل و يزجر عنه و يفرّ مما فيه رضى الناس و سخط الرب ولا يبالي أن ذلك بوجوب سخطهم ومنهم لعلمه بأن حصول المقاصد و وصول الارزاق من عند الله تعالى.

(ولا يلومهم على ما لم يؤت الله) أى ولا يذمهم على ما لم يؤت الله تعالى من الرزق و هو ما يحتاج اليه و ينتفع به فى العيش والبقاء وفى اختصاصه بالحلال أو شموله للحرام أيضاً خلاف المذكور فى موضعه والنهى عن الذم لوجوه الاول أن ذمهم ظلم لهم لانهم لم يمنعه بل الله لم يؤت ما طلب منهم، الثانى أن ذمهم ينتهى الى الله لانه انما يذم المانع من الاعطاء ولا معطى ولا مانع الا الله فيرجع الذم اليه، الثالث ان ذمه المانع من الخلق شرك لانه اعتقد أنهم مانع له فذمه فأشرك فى المنع مع الله غيره ألا ترى كيف رده عن هذا الشرك الى التوحيد وعن الجهل الى العلم وعن الشك الى اليقين وعن الاضطراب الى الاطمينان بقوله:

(فان الرزق لا يسوقه حرص حريص ولا يردّه كراهية كاره) فان أمر الرزق ليس بيد احد حتى يسوقه اليه عند حرصه أو ترده عند كراهته بل هو بيده تعالى يوصله الى عباده على حسب ما يقتضيه المصلحة من الزيادة والنقصان، و يحتمل أن يكون المراد أن الرزق لا يسوقه الى أحد حرص حريص ولا يردّه عنه كراهية كاره فينبغى أن لا يذم الخلق بالرد والمنع. ويؤيده ما روى من طرق العامة أن رزق الله لا يسوقه اليك حرص حريص ولا يردّه عنك كراهية كاره .

(لو أن أحدكم فرّ من رزقه كما يفرّ من الموت لادرّكه رزقه كما يدركه الموت) بالغ به فى أن رزق كل أحد كموته بيده تعالى يوصله اليه قطعاً أرادّه أو كرهه لان الحكيم القادر اذا جعل الوجود موقوفاً على الرزق يمتنع عليه أن يقطع الرزق مع تحقق الوجود بل وجب عليه ايصاله، و ان لم يكن المرزوق عالماً بطرقه و منه ينشأ الاضطراب والهم والحزن، ويحرك الى السؤال والذم والدافع له هو اليقين والرضا عنه تعالى و لذلك حث على طلبهما للظفر بالروح فى القلب والتخلص من الاضطراب و بالراحة فى البدن والتنزه من ذل السؤال و خسايس الاكتساب بقوله:

(ثم قال ان الله بعدله وقسطه) العطف للتفسير (جعل الروح والراحة) أى راحة القلب و سكونه عن الاضطراب و راحة البدن و فراغه من الاعقاب.

اليقين والرضا و جعل الهمَّ والحزن في الشك والسخط.

- ٣- ابن محبوب، عن هشام بن سالم قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إنَّ العمل الدائم القليل على اليقين أفضل عند الله من العمل الكثير على غير يقين.
- ٤- الحسين بن محمد. عن معلى بن محمد، عن الوشاء، عن أبان، عن زرارة، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين صلوات الله عليه - على المنبر - : لا يجد أحد [كم] طعم الايمان حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه.

(في اليقين والرضا) فان الموقن بالله و بصفاته العظمى والراضى عنه بالمنع والاعطاء يطمئن قلبه عن التردد والتلون ، و يفرغ عن الاعتماد والتحزن و ينقطع عن علقه الاسباب و يقوى توكله على رب الارباب فيستريح عن تصادم الهموم والاضطراب ويتخلص عن تراكم النجوم والاكساب لتيقنه بأن رزقه يصل اليه لانه ضمنه عادل حكيم ثم عكس ذلك تأكيداً بقوله (و جعل الهم والحزن) الهم الغم المقلق للنفس أو الغم في تحصيل المطلوب عند صعوبته خوفاً من فواته، والحزن غم يصيب الانسان بعد فوات المحبوب.

(في الشك والسخط) لان الشك يوجب تردد القلب وانزعاجه وتلونه واضطرابه من تجاذب الاسباب وغفلته عن تقدير رب الارباب و كل ذلك يوقعه في الهم والحزن والعذاب وكذا سخط القلب بالمقسوم وعدم الرضا به يوقعه في الهم والحزن والغموم ولذلك قيل :
 ما العيش الا في الرضا والصبر في حكم القضاء * ما بات من عدم الرضا الاعلى جمر الغضاء
قوله (أن العمل الدائم القليل على اليقين) بذلك أو مطلقاً . (أفضل عند الله من العمل الكثير على غير يقين) « لا بد من اعتبار الدوام في العمل الكثير ليكون نماً على أن الافضلية باعتبار اليقين ولعل السرفيه أن اليقين يوجب التقوى وكمال الاخلاص والفضل يزداد بهما و لذلك قال أمير المؤمنين «ع» لا يقل عمل مع التقوى وكيف يقل ما يتقبل» وفيه ايماء الى قوله تعالى «انما يتقبل الله من المتقين» وإشارة الى أن المقبول من الاعمال لا يعد قليلاً وكيف يعد قليلاً ما يضاعف و ينمو عند الله تعالى، والى أن العمل على غير يقين قد لا يكون مقبولاً وقد سمع «ع» رجلاً من الحرورية يتهجّد و يقرأ فقال: «نوم على يقين خير من صلاة في شك» وذلك لان صلاة الشاك فيما يجب الاعتقاد فيه لا تنفعه عقلاً ونقلاً، ونوم الموقن ينفعه.

(لا يجد أحد [كم] طعم الايمان) فيه مكنية وتخييلية حيث شبه الايمان بالطعام في أنه غذاء للروح به ينمو و يبلغ حد الكمال كما أن الطعام غذاء للبدن.
 (حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه) إشارة الى أن للايمان

٥- علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن زيد الشحام، عن أبي عبدالله (عليه السلام) أن أمير المؤمنين صلوات الله عليه جلس إلى حائط مائل، يقضي بين

بداية ونهاية وغاية فبدايته حق ونهايته حقيقة كما أشار إليه اجمالاً بقوله سابقاً: ان على كل حق حقيقة وأن المؤمن ينبغي أن يسير في طرق الايمان باكتساب مكارم الاخلاق حتى يبلغ أعلاه ويطرق بالمجاهدة والوفاء من حضيض النقصان الى أن يبلغ ذراه فلا يزعه الهوى ولا تحركه الشهوة والمنى ويقبل بكلية قلبه الى المولى ويحقق ما قلنا قوله حتى يعلم لذكر الحقيقة بلفظ الغاية وهو حتى الموضوع لها فجعلها حقيقة الايمان المترقى اليها باستعمال وظائفه وليس المراد بهذا العلم العلم السابق قدر الله ونفوذ حكمه فيما قدره وقضاه من عطاء ومنع وضر ونفع لان هذا أول الايمان وحقه الذي اشترك فيه المؤمنون كلهم (١). بل المراد والله أعلم يقينياً بالمطلوب بالنأ مرتبة عين اليقين حتى كأنه يماينه كما أخبر حارثة بحضرة النبي (ص) بأنه مؤمن حقاً وادعى حقيقة الايمان فطالبه بامارات تلك الحقيقة التي ادعى بلوغها. فقالوا عزفت نفسى عن الدنيا الى آخر ما ذكره، وما كان هذا الحديث الا كما روى أن أفضل ايمان المرء أن يعلم أن الله معه حيث كان، فلو كان المراد الاعتقاد بأن الله معهم أينما كانوا علماً واحاطة لم يكن للتفضيل معنى وفائدة لاشترك الكل فيه فلا بد من أن يراد بلوغ صاحب هذا الايمان

(١) قوله «اشترك فيه المؤمنون كلهم» قد سبق منا مراراً خصوصاً في مقدمة الكتاب أن اليقين بالمعنى الذي ذكره الشارح أولاً وهو التصديق الثابت الجازم المطابق للواقع معنى واحد لا يقبل الشدة والضعف بنفسه وهو مناط الايمان والاسلام اذ لم يحكم أحد من علماء المسلمين من صدر الاسلام الى زماننا هذا باسلام من يظن صدق رسول الله تعالى، وانما يحكم بما يدل على يقينه وعلمه المانع من احتمال النقيض فلا بد أن يلتزم بتأويل ما يوهم خلاف ذلك والظاهر أن يحمل الدرجات والمراتب على درجات تغليب العقل على الوهم. اذ قد يتفق أن يعلم الانسان شيئاً علماً يقيناً ولكن يعارضه وهمه كمن يعلم بعقله أن الميت جماد لا يخاف ولكن يخاف منه بوهمه ومن يعلم أن البطالة توجب الحرمان والفقر ولا يبالي به لمعارضته وهمه والمؤمن يجب أن لا يعنى بوهمه بكل حال ويغلب عليه، ويلتزم بلوازم يقينه ومثال علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين يشير الى هذا التأويل فان الذي يعلم بوجود النار، والذي يراها بعينه كلاهما عالمان. لا يحتمل عندهما عدم وجود النار لكن العين باصهارها تغلب على الوهم غلبة لا تحصل من العلم. والذي ماس النار وأدرك ألم الحرق يجهنّب عنها أكثر ممن لم يدركه وهذا حاصل بالتجربة في أفراد الناس، وفي أمثالنا ما معناه لسيع الحية يخاف من الحبل وذكرنا هناك تأويلاً آخر ينطبق على كثير من الروايات. (ش)

الناس فقال: بعضهم، لاتقع تحت هذا الحائط، فانه معور فقال أمير المؤمنين صلوات الله عليه: حرس امرء أجله فلما قام سقط الحائط قال: وكان أمير المؤمنين عليه السلام ممماً يفعل هذا وأشباهه وهذا اليقين.

غاية يفضل بها على غيره فكذا المراد هنا أن أحداً لا يجد طعم الايمان وحقيقته حتى ينتهي الى غاية يعلم بها يقيناً كالعيان ان ما أصابه من خير وشر ونفع وضر لم يكن ليخطئه أى يجاوزه الى غيره، وما أخطأه أى جاوزه الى غيره لم يكن قط ليصيبه ولا يعرف بلوغ العبد الى حقيقة هذا الايمان والعلم الا بظهور أماراته له ولغيره كما أبان حارثة أمارات ما ادعى من حقيقة ايمانه فيسلم له ويقف هو عند علمه ومن أمارات من بلغ حقيقة هذا اليقين والايمان أنه يسكن عن طلب الدنيا وثمراتها، وعن التشرف الى منافعها وزهراتها، وتعذيب القلب والخاطر بانتظارها وتمنيها ثقة بأن ما قسم له منها لا يجاوزه وما جاوزه الى غيره لا يصبه فيطمئن قلبه و يرضى بسابق قسمته له فلا يحرس في طلب المنافع ولا يتوجه قلبه اليها كأنه يخاف فيها منع مانع، ولا يتحرك في أسبابها الا أن يتوجه اليه أمر المولى كقوله «فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه»، فالظاهر منه متحرك والباطن ساكن مطمئن موقن بأنه لا بد من كون جميع ما قدر الله كونه وامضاءه. ومن لم يبلغ هذه المرتبة فعليه الصبر على ما يكره فان فيه خيراً كثيراً لعله يوصله الى غاية مقام اليقين والرضا. قال بعض الاكابر: لله عباد لا يرضون له منهم بالصبر على ما قدره قضي بل يتلقون أمرأحكامه باليقين والمحبة والرضا.

قوله (فانه معور) بضم الميم وسكون العين وكسر الواو أى ذوعوار بفتح العين وضمها يعنى فيه عيب وخلل يخاف منه القطع والهدم.

(حرس امرء أجله) امرء مرفوع على الفاعلية وأجله منصوب على المفعولية والعكس

محتمل والمقصود الانكار لان أجل المرء ليس بيده حتى يحرسه.

(وهذا اليقين) بالقدر فانه يسكن النفس في مثل هذه المواضع لعلمه يقيناً بأن كل ما قدر وقوعه فهو واقع فلا ينبغ الفرار منه وكل ما قدر عدم وقوعه فهو غير واقع فلا يضر عدم الفرار. لا يقال لعل تقدير عدم وقوع الحائط عليه مثلاً مشروط بالفرار فيجب الفرار طلباً للقدر وتحرزاً عن الهلاك لانا نقول الفرار وعدمه أيضاً داخلان في التقدير، ومن جملة المقدر فان كان المقدر هو الفرار. وقع قطعاً وان كان عدمه لم يقع. فان قلت لامعنى حينئذ للتكليف بالفرار. قلت التكليف به تكليف بالمقدر والتكليف بالمقدر أيضاً مقدر فهو واقع على أنه يمكن أن يقال مناط التكليف به امكانه في ذاته، أو التكليف به مختص بغير الموقن لان الموقن يتوكل على الله، و يفوض أمره اليه فيقيه عن كل مكروه كما قال عز وجل «ليس الله بكاف عبده» وكما قال مؤمن آل فرعون «و أفوض أمري الى الله ان الله بصير بالعباد فوقاه

٦ عدّة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد بن خالد، عن أحمد بن محمد بن أبي نصر عن صفوان الجمال قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عز وجل: «وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة وكان تحته كنز لهما» فقال: أما إنّه ما كان ذهباً ولا فضةً وإنما كان أربع كلمات: لا إله إلا أنا، من أيقن بالموت لم يضحك سنّه، من أيقن بالحساب لم يفرح قلبه، و من أيقن بالقدر لم يخش إلا الله.

الله سيئات مأمكروا، وسر ذلك أن المؤمن الموقن المتوكل المفوض امره الى الله اذا بلغ إيمانه و إيقانه و توكله و تفويضه حد الكمال لا ينظر الى الاسباب و الوسائط فى النفع و الضر و لا يتعلق قلبه بها أصلاً و إنما كان نظره الى مسبب الاسباب و تعلق قلبه به وحده، و أما من لم يبلغ حد الكمال و لم يغلب عليه مشاهدة اليقين كآحاد المؤمنين فإنه يخاطب بالفرار قضاء لحق الوسائط. هذا الذى ذكرنا من باب الاحتمال و الله أعلم بحقيقة الحال.

قوله (وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين) قال القرطبي كان اسمهما اصرم و اصيرم ، و قال عياض كان أبوهما الصالح جدّهما السابع و كان اسمه كاشحاً. ففيه أنه تعالى يحفظ الصالح فى نفسه و ولده و ان بعدوا كما يشعر به قوله تعالى «ان ولى الله الذى نزل الكتاب و هو يتولى الصالحين» و روى أنه تعالى يحفظه فى سبعة من ذريته.

(و إنما كان أربع كلمات) حث بالاولى على التوحيد المطلق و التنزيه عن جميع مالا يليق به تعالى، و بالثانى على تذكر الموت و الاستعداد لما بعده و التحزن لاحوال البرزخ، و بالثالثة على تذكر أحوال القيامة و أهوالها سيما الحساب الذى لا يعلم مآل أحواله و هو يوجب زوال الفرح و السرور عن القلب، و بالرابعة على اليقين بالقدر و الخوف من الله وحده و اقتصر بذكر هذه الخصال لان الاتصاف بها يوجب البلوغ الى غاية الكمال.

(لا إله إلا الله أنا من أيقن بالموت لم يضحك سنه) السن معروف و يحتمل أن يراد به العمر أى لم يضحك فى مدة عمره لان الضحك ينشأ من الفرح و السرور و الموقن بالموت و شدائده و ما بعده من القبر و سؤال منكر و نكير فيه و أهوال البرزخ و القيامة و الجنة و النار قلبه محزون مغموم دايماً لعدم علمه بمآل حاله و ما يفعل به فى تلك المواطن فينقطع عنه أسباب السرور بالكلية

(و من أيقن بالحساب) عن القليل و الكثير. (لم يفرح قلبه) لشدة الحزن و الخوف من رجحان سيئاته على حسناته و يوجب ذلك اشتغاله بمحاسبة النفس قبل أن تحاسب.

(و من أيقن بالقدر) قيل المراد به التقدير كما أن المراد بالقضاء الخلق على وفق التقدير،

- ٧- عنه، عن علي بن الحكم ، عن صفوان الجمال ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان أمير المؤمنين عليه السلام يقول: لا يجد عبدٌ طعم الايمان حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه و أن ما أخطأه لم يكن ليصيبه و أن الضار النافع هو الله عز وجل.
- ٨- محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد بن عيسى ، عن الوشاء ، عن عبد الله بن سنان ، عن أبي حمزة ، عن سعيد بن قيس الهمداني قال : نظرت يوماً في الحرب إلى

و قيل المراد به تعلق علم الله سبحانه و ارادته بالكائنات قبل وجودها.

(لم يخش الا الله) و من علاماته تخلية الظاهر والباطن عن الرذائل و تحليتهما بالفضائل و عدم الرجوع في جلب النفع و دفع الضر الى الله. قال عياض قيل: الكنز كان لوحاً من ذهب مكتوباً في جانب منه «بسم الله الرحمن الرحيم عجبت لمن أيقن بالقدر ثم نصب عجباً لمن أيقن بالنار ثم ضحك» و في رواية «لا اله الا أنا محمد عبدي ورسولي» و في الشق الاخر «أنا الله الذي لا اله الا أنا وحدى لا شريك لي خلقت الخير والشر فطوبى لمن خلقته للخير و أجرته على يديه والويل لمن خلقته للشر و أجرته على يديه» و قيل المكتوب «عجبت لمن آمن بالقدر كيف يحزن و لمن آمن بالرزق كيف يتعب و لمن أيقن بالموت كيف يفرح و لمن أيقن بالحساب كيف يغفل و لمن رأى الدنيا و تقلبها بأهلها كيف يطمئن اليها لا اله الا الله محمد رسول الله». و قيل كان الكنز ما لا مدفوناً انتهى.

قوله (لا يجد عبد طعم الايمان) أى لذته و حقيقته (حتى يعلم) يقيناً لا يعتره شك. (ان ما أصابه لم يكن ليخطئه و أن ما أخطأه لم يكن ليصيبه) لثيقته بأن ما أصابه علم الله أزلاً بأنه يصيبه فيستحيل أن لا يصيبه، و ما أخطأه علم الله بأنه لا يصيبه فيستحيل أن يصيبه كل ذلك لاستحالة أن يصير علمه جهلاً هذا فيما لا اختيار للعبد فيه مثل الصحة و السقم و الحسن و القبح و الطول و القصر الى غير ذلك ظاهر، فأما في فعله الاختياري مثل الصلاة و تركها و الشرب و تركه. و القتل و عدمه الى غير ذلك فكذلك لعلمه تعالى في الازل بكل ما يقع فلا بد من أن يقع لما ذكر ولكن علمه ليس علته لوقوعه بل تابع له، و قد مر توضيحه في كتاب التوحيد.

(و أن الضار النافع هو الله عز وجل) الضر و النفع منه تعالى بلا واسطة ، و الضر يعود الى النفع العظيم كحصى يوم مثلاً فانها توجب ثواباً جزيلاً ، و أما الضر و النفع المستندان الى الغير ظاهراً فهما مستندان الى الله تعالى عز شأنه باطناً لانه أقدره عليهما، فاذن ليس الضار النافع الا هو ، فاذن لا بد لكل أحد أن لا يطلب الخير الا منه ، ولا يلوذ في دفع الضر الا اليه.

رجل عليه ثوبان فحرقته فرسى فاذا هو أمير المؤمنين عليه السلام فقلت: يا أمير المؤمنين في مثل هذا الموضع؟ فقال: نعم يا سعيد بن قيس إنه ليس من عبد إلا وله من الله حافظٌ وواقية معه، ملكان يحفظانه من أن يسقط من رأس جبل أو يقع في بئر، فاذا نزل القضاء خليا بينه وبين كل شيء.

٩- الحسين بن محمد، عن معلى بن محمد، عن علي بن أسباط قال: سمعت أبا الحسن الرضا عليه السلام يقول: كان في الكنز الذي قال الله عز وجل: «وكان تحته كنز لهما» كان فيه بسم الله الرحمن الرحيم عجبت لمن أيقن بالموت كيف يفرح وعجبت لمن أيقن بالقدر كيف يحزن وعجبت لمن رأى الدنيا وتقلبها بأهلها كيف يركن إليها وينبغي لمن عقل عن الله أن لا يتهم الله في قضاؤه ولا يستبطئه في رزقه، فقلت: جعلت فداك أريد أن أكتبه قال: فضرب والله يده إلى الدواة ليضعها بين يدي، فتناولت يده، فقبلتها وأخذت الدواة فكتبته.

١٠- محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن علي بن الحكم، عن عبد الرحمن العرزمي، عن أبيه، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان قبر غلام علي يحب علياً عليه السلام حباً شديداً فاذا خرج علي صلوات الله عليه خرج علي أثره بالسيف، فرآه ذات ليلة فقال: يا قبر! مالك؟ فقال: جئت لأمشي خلفك يا أمير المؤمنين قال: ويحك أمن أهل السماء تحرسني أو من أهل الأرض؟! فقال: لا، بل من أهل الأرض،

قوله (ملكان يحفظانه) بدل من حافظ وواقية، والقضاء الامر أو الحكم بوقوع الشيء على النحو المقدر والحاصل أن مع وجود الحافظ لا يضر شيء ومع عدمه لا ينفع شيء فليس في تحمل آيات الحرب مثل الدرع وغيره فائدة وهذا أمر يقتضيه اليقين بالله وبقدرة. فان المستغرق في بحر اليقين لا يرى غيره ولا يخاف أحداً سواه فضا عن أن يتحرز منه ويحترز من شره، وأما غيره فلما لم يكن له هذه المرتبة كان عليه التمسك بالاسباب والجريان على ظاهرها الشرعية.

قوله (كان فيه بسم الله الرحمن الرحيم) كان فيه تأكيد لما سبق والقضاء مشترك بين الحكم والامر ويحمل على أحدهما بالقرينة، وهو هنا يحتمل كلا المعنيين، ولا ينافي هذا الخبر مأمراً ولا مذكراً من طرق العامة و أقوالهم، لجواز أن يكون كل ذلك مكتوباً فيه.

فقال: إن أهل الأرض لا يستطيعون لي شيئاً إلا بأذن الله من السماء فارجع، فرجع.
 ١١- علي بن إبراهيم ، عن محمد بن عيسى ، عن يونس عمّن ذكره قال: قيل
 للرضا عليه السلام: إنك تتكلم بهذا الكلام والسيف يقطر دماً ، فقال : إن الله وادياً من
 ذهب، حماه بأضعف خلقه : النمل : فلو رامه البخاتي لم تصل إليه.

(باب الرضا بالقضاء)

١- علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن ابن أبي عمير، عن جميل بن صالح، عن
 بعض أشياخ بني النجاشي، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: رأس طاعة الله الصبر والرضا

قوله (ان أهل الارض لا يستطيعون لي شيئاً الا باذن الله) فيه وفيما بعده اشارة
 الى أن الايمان بالقدر والايقان به كما روى عنه «و لكل امرء عاقبة سوف يأتيك ما قدر
 لك» ومن كلامه «ع» لما خوف من النيلة « وان علي من الله جنة حصينة فاذا جاء يومى انفرجت
 عنى و أسلمنى، أراد بيومى حضور الموت ، و بالانفراج زوال أسباب الحياة المستلزم
 لعدمها و باسلام الجنة اسلامها له الى المنية تشبيهاً للجنة بمن يحفظه ثم يسلمه الى
 القاتل ، و من كلامه المنظوم:

فى أى يومى من الموت افر
 ايوم لم يقدر أم يوم قدر

فيوم لم يقدر فلا أربهه
 ويوم قدر لا يغنى الحذر

و فى ذلك ملاحظ لقوله تعالى «وما كان لنفس أن تموت الى باذن الله كتاباً مؤجلاً فاذا
 جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون» وقد أشرنا سابقاً الى أن الموقن بالله وقدره لما كان
 توسله بالله تاماً بالغاً حد الغاية كان الله يكفيه، و يحصل له أسباب النفع ويدفع عنه أسباب الضر
 ومن يتوكل على الله فهو حسبه. وأما غيره فلما لم يكن له مثل هذا التوسل والتوكل فربما كان
 تمسكه بأسباب النفع سبباً وشرطاً لحصوله له، وفراره عن أسباب الضرباعثاً لدفعه عنه.

قوله (قال رأس طاعة الله الصبر والرضا عن الله فيما احب العبد أو كره) الرأس
 العضو المعروف والاصل ومنه رأس المال والاشرف قدراً، و منه رئيس القوم. وكل واحد
 منهما محتمل والاول من باب المكنية والتخييلية، والصبر نوع من العفة الحاصلة من الاعتدال
 فى القوة الشهوية، و هو قوة للانسان يقدر بها على حبس نفسه على الامور الشاقة مثل البليات
 والمصيبات، و فعل الطاعات و ترك المنهيات، والرضا عن الله بقضائه فيما أحبه العبد مثل
 الصحة فى الجسم، والسعة فى الرزق، و نحوهما، أو فيما كرهه مثل السقم والضيق وغيرهما

عبارة عن الاقبال الى الواردات من الحق و تلقيها بالقبول، والسرور بها لكونها تحفة و هدية منه تعالى له منافع كثيرة . والقضاء الامر والحكم والخلق على وفق التقدير الازلي، و من ثمة قيل: القضاء والقدر متلازمان لا ينفك أحدهما عن الآخر اذ القدر بمنزلة الاساس و القضاء بمنزلة البناء ووجه كون الصبر والرضا رأس الطاعة ظاهر اذ بانتفاء الصبر في المصيبات والعبادات والمنهيات يتحقق الجزع والشكوى عن الله. و ترك الطاعات وفعل المنهيات و كل ذلك يوجب انتفاء الطاعة، و بانتفاء الرضا يتحقق السخط وهو أيضاً يوجب انتفاء الطاعة لان بناء الطاعة على المحبة، و بناء السخط على البغض، وهما لا يجتمعان. و اعلم أن رضا العبد و سروره فيما أحب سهل. لانه موافق لطبعه. و أما رضاه فيما كرهه فصعب لانه مخالف لطبعه و ميله الى الشيء و الى ضده مشكل، و من ثمة ذهب جماعة من الناس الى أن الرضا بما يستكرهه الطبع و يخالف هوى النفس كالبلايا والمصائب غير ممكن، وغاية ما يمكن هي الصبر عنه ، والجواب عنه أن الرضا ثمرة المحبة الكاملة و محبة العبد للرب اذا بلغت حد الكمال يمكن أن يرجح ارادته على ارادة نفسه. بل يمكن أن لا يرى لنفسه مراداً غير مراده تعالى لاستغراقه في بحر المحبة، أولان فعل المحبوب مثله محبوب. أو لانه لا يجد في نفسه الالم لاشتغال قلبه به. و غفلته عن نفسه فضلا عن الامور الموافقة لها، كما أن المجاهد لتوغله في الجهاد قد لا يجد ألم الجراحة وبالجملة هو أمر ممكن الا انه صعب نادر ثم الرضا بالشيء لا ينافي الدعاء لرفعه خلافاً لطائفة من المتصوفة المبتدعة حيث قالوا: ان شرط الرضا ترك الدعاء لرفع البلاء و طلب النعماء. لان طلب رفع امر و ارد منه تعالى و حصول غيره ينافي الرضا بما حكم به، وهم في طرف الافراط، والطائفة الاولى في طرف التفريط. والجواب عنه أولاً بالنقض وهو أن دعاء الانبياء والاصياء وحثهم عليه أمر مشهور، و في الكتب السماوية و غيرها مذكور ولا ينكره أحد من أهل الاسلام، وثانياً بالمنع لانا لانسلم أن الطلب المذكور ينافي الرضا وانما المنافي له استكره النفس بالواردات من عند الله تعالى والطلب لا يستلزم الاستكراه، و ثالثاً بالحل وهو أن الدعاء عبادة أمر الله تعالى بها غير مرة لتضمنها انكسار القلب وجزؤه وتضرعه وتواضعه وخشوعه ومخالفة امر الله تعالى تنافي الرضا وههنا بحث مشهور وهو أن المعصية والكفر بلية، والرضا بهما معصية وكفر فكيف يعد من الفضائل وكيف يطلبه الشارع، واجيب عنه بأنه مستثنى لورود النهي عنه كما نقله الغزالي، وأجاب هو بأن المعصية من قضاء الله تعالى ولكن لها وجهان: أحدهما كونها من فعل العبد باختياره وسبباً لمقتته ، وثانيهما كونها بقضاء الله و تقديره عدم خلو العالم منها ولا بد من الرضا بها على هذا الوجه

عن الله فيما أحبّ أو كره ولا يرضى عبد عن الله فيما أحبّ أو كره إلاّ كان خيراً له فيما أحبّ أو كره.

٢- عدّةٌ من أصحابنا، عن أحمد بن أبي عبد الله، عن أبيه، عن حماد بن عيسى عن عبد الله بن مسكان، عن ليث المرادي، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ أعلم الناس بالله أرضاهم بقضاء الله عزّ وجلّ.

٣- عنه، عن يحيى بن إبراهيم بن أبي البلاد، عن عاصم بن حميد، عن أبي حمزة الثمالي، عن عليّ بن الحسين عليهما السلام قال: الصبر والرّضا عن الله رأس طاعة الله ومن صبر ورضي عن الله فيما قضى عليه فيما أحبّ أو كره لم يقض الله عزّ وجلّ له فيما أحبّ

دون الاول الذي هو صدورهما من العبد، واجيب عنه أيضاً بأن الرضا بالقضاء لا يستلزم الرضا بالمقضى. والمقضى ان كان فعله تعالى أو فعل العبد وهو خير، فالرضا به مطلوب من دليل خارج وقد مر لهذا زيادة توضيح في كتاب العقل في حديث جنوده.

(ولا يرضى عبد عن الله فيما أحبّ أو كره الا كان خيراً له فيما أحبّ أو كره) اسم كان راجع الى ما قضاه الله بقريئة المقام أى كاف ما قضاه الله خيراً للعبد فيما أحبه وما كرهه لاشتماله على مصالح جليلة جلية أو خفية كما قال سبحانه «عسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم» أو الى رضاء العبد وهو خير له لانه يوجب أجراً عظيماً وذلك كما أن الدواء مرفى مذاق المريض مكروه له الا أنه خير له في الواقع، فكما أن الحكيم منا يداوى المريض بما هو خير له، وان كان مكروهاً لطبعه كذلك الحكيم المطلق يفعل بعباده ما هو خير لهم.

قوله (ان أعلم الناس بالله أرضاهم بقضاء الله عز وجل) دل على أن الرضا بالقضاء تابع للعلم والمعرفة، وأنه قابل للشدة والضعف مثلهما، والوجه فيه أن بناء الرضا على العلم بأنّه عدل حكيم يفعل الاشياء على ما يقتضيه الحكمة والمصلحة، فكما كان العلم بالله أزيد وأتم كان الرضا بقضائه أكثر وأعظم. وأيضاً الرضا به ثمرة المحبة والمحبة تابعة للعلم به فكلمة زاد العلم زادت المحبة وكلمة زادت المحبة زاد الرضا به الا ترى أن المحبة اذا بلغت حد الكمال وجد المحب كلما صدر من الحبيب لذيذاً موافقاً لطبعه وان كان كريهاً بالنسبة الى الغير سيما اذا علم أن الحبيب يجعل ذلك وسيلة الى البر والاحسان.

قوله (ومن صبر ورضى عن الله فيما قضى عليه) دل بحسب المفهوم على أن من ام يصبر ولم يرض قديضى الله عليه ما هو شر له فلا بد من القول بأن المفهوم غير معتبر، أو القول بأن ما قضاه شر له لفقده أجر الصبر والرضا، أو في نظره بخلاف الصابر والراضي فانه خير،

أو كره إلا ما هو خير له.

٤- محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن ابن محبوب، عن داود الرقي عن أبي عبيدة الحداء، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله قال الله عز وجل: "إن من عبادي المؤمنين عبداً لا يصلح لهم أمر دينهم إلا بالغنى والسعة والصحة في البدن فأبلوهم بالغنى والسعة وصحة البدن، فيصلح عليهم أمر دينهم وإن من عبادي المؤمنين عبداً لا يصلح لهم أمر دينهم إلا بالفاقة والمسكنة والسقم في أبدانهم فأبلوهم بالفاقة والمسكنة والسقم، فيصلح عليهم أمر دينهم وأنا أعلم بما يصلح عليه أمر دين عبادي المؤمنين وإن من عبادي المؤمنين لمن يجتهد في عبادتي فيقوم من رقاذه ولذيذ وساده فيتجهد لي الليالي فيتعب نفسه في عبادتي فأضربه بالنعاس الليلة والليلتين نظراً مني له وإبقاء عليه، فينام حتى يصبح فيقوم وهو ماقت لنفسه زارئ عليها ولو أخلى بينه وبين ما يريد من عبادتي لدخله العجب من ذلك فيصيره العجب إلى

في نظرهما، وفي الواقع.

قوله (قال الله عز وجل ان من عبادي المؤمنين عبداً لا يصلح أمر دينهم الا بالغنى و السعة والصحة في البدن فأبلوهم بالغنى والسعة وصحة البدن فيصلح عليهم أمر دينهم) الدنيا كلها وكل ما فيها من خير وشر ونفع وضر وصحة وسقم وغنى وفقر الى غير ذلك محض الاختبار والامتحان. فيختبر الغنى بالغنى ليرى أنه يشكره أم يكفره، و لعلمه بأنه أصلح لدينه، ويختبر الفقير بالفقر ليختبره بأنه يصبر أم يشكو و لعلمه بأنه أصلح لدينه، ووجوه الابتلاء والاختبار متكررة وطرق الامتحان متعددة، والله تعالى عالم يبلوكل أحد بما هو أصلح له فلو اختبر الغنى بالفقر أو العكس لفسد دينهما وقس عليها.

(وهو ماقت لنفسه زارئ عليها) أي مبغض لها مغيب ومعاتب عليها لتقصيرها في العبادة،

وتركها بالنوم وهذا مع كونه دافعاً للعجب من أعظم العبادات.

(ولو أخلى بينه وبين ما يريد من عبادتي لدخله العجب) وهو ابتهاج الانسان و سروره بتصور الكمال في نفسه واستظامه اياه لامن حيث أنه من عطاياه تعالى ونعمائه عليه مع طلب زيادته، والخوف من نقصه أو زواله، بل من حيث أنه وصف له موجب لعلو قدره ورفع درجته و سمو مرتبته وخروجه عن حد النقص والتقصير مع الغفلة عن قياس نفسه الى الغير بكونه أكمل وأفضل منه، و بهذا القيد ينفصل عن الكبر اذ لا بد فيه أن يرى لنفسه مرتبة، و للغير مرتبة. ثم

الفتنة بأعماله فيأتيه من ذلك ما فيه هلاكه لعجبه بأعماله ورضاه عن نفسه حتى يظن أنه قد فاق العابدين و جاز في عبادته حد التقصير فيتباعد مني عند ذلك و هو يظن أنه يتقرب إليّ ، فلا يتكلم العاملون على أعمالهم التي يعملونها لثوابي فإنهم لو اجتهدوا و أتعبوا أنفسهم و أفنوا أعمالهم في عبادتي كانوا مقصّرين غير بالغين في عبادتهم كنه عبادتي فيما يطلبون عندي من كرامتي و النعيم في جنّاتي و رفيع درجات العلى في جواربي ولكن فبر حمّتي فليثقوا و بفضلتي فليفرحوا و إلى حسن الظن بي فليطمأنوا ، فإنّ رحمّتي عند ذلك تداركهم ، و منّي يبلغهم رضواني و مغفرتي ، تلبّسهم عفوي فإنّي أنا الله الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ و بذلك تسمّيت .

٥- عدّةٌ من أصحابنا؛ عن سهل بن زياد، عن أحمد بن محمد بن أبي نصر ، عن صفوان الجمال ، عن أبي الحسن الأوّل (عليه السلام) قال: ينبغي لمن عقل عن الله أن لا

يرى مرتبته فوق مرتبة غيره، والعجب من أعظم الذنوب المهلكة حتى روى عن النبي (ص) أنه قال «لولم تذنبوا لخشيت عليكم ما هو أكبر من ذلك العجب العجب» وفيه دلالة على أنه تعالى قد يبلى العبد بالذنب ليدفع عنه العجب .

(فلا يتكل العاملون على أعمالهم التي يعملونها لثوابي) وان كانت حسنة تامة الاركان والافعال لانهم، وان بالغوا واجتهدوا كانوا مقصّرين غير بالغين كنه العبادة و حقيقتها ولانه لا قدر لعبادتهم في جنب ثوابها وهو الجنة و نعيمها و درجاتها و قرب الحق ولان مفسدات العبادة كثيرة لا يتحقق العلم بخلوصها منها الا عند المعاينة و حضور الموت ، وفيه دلالة على أنه يجوز العمل لقصد الثواب .

(والى حسن الظن بي فليطمئنوا) كان يظن منه الغفران حين يستغفر و يقبول العمل حين يعمل، و التوبة اذا تاب، و الاجابة اذا دعا، و الكفاية اذا استكفاه و نحو ذلك. و بالجملة ينبغى أن يعمل ولا يتكل بحسن عمله و كثرته بل يحسن ظنه بالله في قبول عمله و رفع درجته واحسانه، و أما من يحسن ظنه بالله بدون العمل فهو احمق و نظيره من لم يزرع في وقته و يتوقع الحصاد كما يتوقعه الزارعون.

قوله (ينبغي لمن عقل عن الله أن لا يستبطئه في رزقه) المجرور في رزقه يعود الى الله الى «من» أى من عرفه ينبغى أن لا ينسب اليه البطؤ و البخل في اصال الرزق كاليهود قالوا

يستبطئه في رزقه ولا يتهمه في قضاؤه.

٦- أبو علي الأشعري، عن محمد بن عبد الجبار، عن محمد بن إسماعيل، عن علي بن النعمان، عن عمرو بن نهيك بياع الهروي قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: قال الله عز وجل "عبدني المؤمن لا أصرفه في شيء إلا جعلته خيراً له، فليرض بقضائي و ليصبر على بلائي وليشكر نعمائي أكتبه يا محمد من الصديقين عندي.

٧- محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن الحسن بن محبوب، عن مالك بن عطية، عن داود بن فرقد، عن أبي عبد الله عليه السلام أن "فيما أوحى الله عز وجل" إلى موسى بن عمران عليه السلام: يا موسى بن عمران ما خلقت خلقاً أحب إلي من عبدني المؤمن فإني إن ما ابتليته لما هو خير له و أعافيه لما هو خير له، و أزوي عنه ما هو شر له لما هو خير له، و أنا أعلم بما يصلح عليه عبدي، فليصبر على بلائي وليشكر نعمائي و ليرض بقضائي، أكتبه في الصديقين عندي، إذا عمل برضائي و أطاع أمري.

يد الله مغلوله. (ولا يتهمه في قضاؤه) بالظلم والجور أو بنفيه، أو لا يشك فيه بل يستيقن من اتهمته في قوله بمعنى شككت في صدقه.

قوله (عن عمرو بن نهيك بياع الهروي) قال في المغرب ثوب هروي بالتحريك ومروى بالسكون منسوب إلى هرات ومرو، وهما قرينتان معروفتان بخراسان، وعن خواهرزاده هما على شط الفرات ولم يسمع ذلك لغيره و في الأشكال سوى هراة خراسان هراة أخرى هي بنواحي اصطخر من بلاد فارس.

(أكتبه يا محمد في الصديقين عندي) الصدق راست گفتن و راست شدن و راست داشتن والمراد هنا تقويم العبد ظاهره و باطنه و تقويم الباطن يتحقق بتخليته عن الرذائل و تحليته بالفرائض و تقويم الظاهر يتحقق بفعل الطاعات و ترك المنهيات و إليه يشير قوله تعالى «انما المؤمنون الذين آمنوا بالله و رسوله ثم لم يرتابوا» إلى قوله «اولئك هم الصادقون» و لا ريب في أن الصدق بهذا المعنى قابل للزيادة والنقصان، و من بلغ حد الكمال فهو صديق ومفهومه في الصدق أيضاً على أفرادها متفاوت، والصديق الاكمل هو الذي قطع منازل الناسوتية و رفع عوائق البشرية حتى شاهد جمال الاسرار و جلال الحق، واستغرق في توحيده بحيث لا يطلب الا اياه و يغفل عن مشاهدة ما سواه.

(إذا عمل برضائي و أطاع أمري) لعل المراد ان كتب من اتصف بالخصال المذكورة

٨- أبو علي الأشعري، عن محمد بن عبد الجبار، عن صفوان بن يحيى، عن فضيل ابن عثمان، عن ابن أبي يعفور، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: عجبت للمرء المسلم لا يقضى الله عز وجل له قضاء إلا كان خيراً له وإن قرض بالمقاريض كان خيراً له وإن ملك مشارق الأرض ومغاربها كان خيراً له.

٩- محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن ابن سنان، عن صالح بن عقبة عن عبد الله بن محمد الجعفي، عن أبي جعفر عليه السلام قال: أحق خلق الله أن يسلم لما قضى الله عز وجل: من عرف الله عز وجل. ومن رضي بالقضاء أتى عليه القضاء وعظم الله أجره، ومن سخط القضاء مضى عليه القضاء وأحبط الله أجره.

١٠- علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن القاسم بن محمد، عن المنقري، عن علي بن هاشم بن البريد، عن أبيه قال: قال [لي] علي بن الحسين صلوات الله عليهما:

وهي الصبر على البلاء والشكر على النعماء والرضا بالقضاء في زمرة الصديقين مشروط بالعمل بما فيه رضا الله تعالى وإطاعة أمره بالشرائع والأحكام ولا يتحقق ذلك إلا بأخذها من أهل العلم.

قوله (عجبت للمرء المسلم لا يقضى الله عز وجل له قضاء إلا كان خيراً له) أي عظمت له ذلك وأعدته أمراً عظيماً لكونه تفضلاً مشتملاً على نفع عظيم وخير جليل، والاصل أن الإنسان لا يتعجب من الشيء إلا إذا عظم موقعه عنده وخفى عليه سببه فأخبره «ع» بذلك ليعلم موقع القضاء ويرضى به لعلو منزلته، وإنما حملنا تعجبه «ع» على المجاز لأنه لا يخفى عليه أسباب القضاء والتعجب ما خفى سببه ولم يعلم وجهه، والمقاريض جمع المقراض بالكسر وهو آلة القرض، تقول: قرضت الشيء قرضاً من باب ضرب أي قطعته.

قوله (أحق خلق الله أن يسلم لما قضى الله عز وجل من عرف الله عز وجل) أي من عرف الله حق معرفته وعرف حكمته وعدله ولطفه وإحسانه فهو أحق أن يسلم ما قضاه الله عليه من غيره لأن التسليم له، تابع للمعرفة فكما كانت المعرفة أكمل وأكثر كان التسليم أولى واجدر. (ومن رضي بالقضاء أتى عليه القضاء وعظم الله أجره) تعظيم الأجر لجريان القضاء عليه والرضاه به، فله أجران كاملان، وأما الإحباط فيحتمل أن يكون المراد به إحباط أجر الرضا، أو إحباط أجر جريان القضاء أيضاً ويؤيد الأول ما روى عن أبي عبد الله «ع» قال «ثواب المؤمن من ولده إذا مات الجنة صبراً ولم يصبر».

الزُّهد عشرة أجزاء، أعلا درجة الزُّهد أدنى درجة الورع، وأعلى درجة الورع أدنى درجة اليقين، وأعلى درجة اليقين أدنى درجة الرُّضا.

١١- عدّةٌ من أصحابنا، عن أحمد بن محمد بن خالد، عن محمد بن عليّ، عن عليّ بن أسباط، عمّن ذكره، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لقي الحسن بن عليّ عليهما السلام

قوله (الزهد عشرة أجزاء أعلى درجة الزهد أدنى درجة الورع وأعلى درجة الورع أدنى درجة اليقين وأعلى درجة اليقين أدنى درجة الرضا) دل على أن الرضا فوق اليقين، واليقين فوق الورع، والورع فوق الزهد، وجه الترتيب أن الدنيا رأس كل خطيئة فلا بد للسالك من الزهد فيها أولاً، ثم بعد الزهد يسهل له ترك المعصية لان المعصية كلها عابدة الى الدنيا فيحصل له مرتبة الورع. فاذا حصلت له هذه المرتبة قرب من الحق فيحصل له مرتبة عين اليقين أو حق اليقين، واليقين يوجب المحبة فيحصل له الرضا لان الرضا لازم للمحبة وتابع له وعلى أن لكل واحد منها عشرة أجزاء كل جزء يصدق عليه اسم الكل، فكل جزء من الزهد مثلاً زهدفه أفراد متفاوتة والظاهر أن كل جزء فوقاني مشتمل على جزء تحتاني مع زيادة فعلى هذا الجزء العاشر من الزهد مثلاً عبارة عن الزهد على وجه الكمال، وانما قلنا الظاهر ذلك لاحتمال أن يكون العاشر جزء من الزهد الكامل كالسوابق، وان شئت زيادة توضيح المقال فنقول على سبيل الاجمال أن كل خصلة من خصال الخير ليست لها مرتبة شخصية لاتقبل الزيادة والنقصان. بل لها عرض عريض يمكن أن يفرض فيها درجات بعضها فوق بعض، والعلم بتلك الدرجات تفصيلاً وتعييناً ليس في وسعنا، وانما هو عند أهله ففرضها عشرة وبين تفاوت مراتبها على سبيل الاجمال وتفاوت مراتب بعض الخصال على سبيل التفصيل وأشار بذلك الى أن الرضا فوق الجميع، ومن ثم كان مقام الرضا فوق جميع مقامات السالكين لان الرضا ثمرة المحبة الكاملة اذ المحبة في الجملة تكون في كل مؤمن مع انتفاء فضيلة الرضا عن أكثرهم والمحبة الكاملة ثمرة اليقين بالله وبكمال ذاته وصفاته وصدق مقاله وحسن فعاله بحيث يرى كل سبب من أسباب المحبة مختصاً به، واليقين ثمرة الورع، وهو الاعراض عن كل ما يوجب الائم، والورع ثمرة الزهد وهو الاعراض عن الدنيا وزهراتها المانعة من السير الى الحق، وبالجملة السالك اذا أخذ ما يعنيه وترك ما لا يعنيه وصل الى مقام المشاهدة واذا وصل الى هذا المقام يستولى على قلبه المحبة التامة، واذا حصلت له المحبة حصلت له فضيلة الرضا فيرضى بكل ما صدر منه كما هو شأن المحب مع محبوبه .

عبدالله بن جعفر فقال : يا عبدالله ! كيف يكون المؤمن مؤمناً وهو يسخط قسمه و يحقر منزلته والحاكم عليه الله، وأنا الضامن لمن لم يهجس في قلبه إلا الرضاء أن يدعو الله فيستجاب له.

١٢- عنه، عن أبيه، عن ابن سنان، عن ذكره، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قلت له بأي شيء يعلم المؤمن بأنه مؤمن؟ قال: بالتسليم لله والرضاء فيما ورد عليه من سرور أو سخط.

١٣- عنه، عن أبيه، عن ابن سنان، عن الحسين بن المختار، عن عبدالله

قوله (كيف يكون المؤمن مؤمناً) «كيف» لانكار والمقصود نفي الكمال ان لم يقصد تحقير الحاكم . (وهو يسخط قسمه) الواو للحال و القسم - بالكسر - الحصة والنصيب المقدر له لصالح حاله .
(و يحقر منزلته) عندالله تعالى لانه تعالى جعل ذلكقسماً له لرفع منزلته فتحقير القسم السبب لها تحقير لها .

(والحاكم عليه الله) عطف على منزلته، والله، بدل عن الحاكم . أى و يحقر الحاكم عليه وهو الله لان تحقير حكم الحاكم تحقير له، و يحتمل أن يكون الواو للحال والحاكم حينئذ مبتدأ والله خبره، والمقصود أن تحقير القسم والمنزلة مستلزمة لتحقير الله لانه الحاكم عليه ، أو أنه لاجور فى تقسيمه فكيف يحقر ما قدره له من القسم .
(و أنا الضامن لمن لم يهجس فى قلبه الا الرضاء) هجس الامر فى القلب أى وقع و خطر) أن يدعو الله فيستجاب له) الرضاء بالقسم شكر للنعمة والمنعم و هو يوجب الزيادة فكيف اذا طلبها من الله فانه لا يردده .

قوله (بأي شيء يعلم المؤمن بأنه مؤمن) لعل المراد بالمؤمن المؤمن الكامل وله علامات أقواها التسليم لله فى حكمه و تلقيه بالقبول ظاهراً و باطناً والرضاء بكل ماورد عليه مما يوجب السرور أو السخط و يوافق الطبع أو يخالفه . قال المحقق الطوسى فى أوصاف الاشراف نقل ان واحد من أهل الرضاء مضى له سبعون سنة ولم يقل ليت كان ذاك و ليت لم يكن هذا وسئل ان أى أثر بلغك من الرضاء قال بلغنى شائبة من الرضاء وريح منه ومع ذلك لو جعلنى الله صراط جهنم و مر على الخلايق كلهم و دخلوا الجنة ثم أدخلنى وحدى فى النار لم يخطر ببالى لم كان حظى هذا و حظ غيرى ذاك .

ابن أبي يعفور عن أبي عبدالله عليه السلام قال : لم يكن رسول الله عليه السلام يقول لشيء قد مضى : لو كان غيره .

(باب)

التفويض الى الله والتوكل عليه

١- محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن محمد بن سنان، عن مفضل، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : أوحى الله عز وجل إلى داود عليه السلام ما اعتصم بي عبد من عبادي دون أحد من خلقي، عرفت ذلك من نيتي، ثم تكيده السماوات والأرض ومن فيهن

قوله (لم يكن رسول الله ص) يقول لشيء قد مضى لو كان غيره (روى مسلم عن النبي ص) قال : وان أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كذا لم يصبنى كذا فان «لو» تفتح عمل الشيطان» (١) أقول ينبغى للمؤمن أن يطاب من طريق أحله الله ما ينتفع به في أمر دنياه وآخرته الذى يصون به دينه وعباله و مروته و عرضه، ولا يعجز في تحصيل ذلك و يتكل على القدر فينسب الى التفريط شرعاً وعادة و مع الطلب فلا بد من الاستعانة بالله واللجأ اليه، و سلوك هاتين الطريقتين يحصل خير الدارين. ثم ان أصابه شيء بعد ذلك ينبغى له التسليم والرضاء بقضاء الله و ترك أن يقول لو أننى فعلت كذا لم يصبنى كذا، فانه يجر الى وسوسة الشيطان، و أن التدبير يسبق القدر، و قال الابي في كتاب اكمال الاكمال وألحق الشاطبي بـ«لو» ليت وهو كذلك اذا اريد بليت الندم والتأسف على عدم فعل ما لو فعله لم يصبه، أى تمنى لو فعل ذلك، و قال عياض النهي عن هذا القول مختص بالماضى لان النهي انما هو عن دعوى رد القدر بعد وقوعه. وأما المستقبل فيجوز فيه ذلك، و منه قوله «دع» «لولا أن أشق على امتى لامرتهم بالسؤال عند كل صلاة» لانه مستقبل لا اعتراض فيه على قدر مضى، و انما أخبر فيه أنه كان يفعل ما هو في قدرته لولا المانع، و أماما مضى و ذهب فليس في القدرة والامكان فعله. و قال الابي: والذى عندى أن النهي على عمومه ولكنه نهى تنزيه، و قال المازرى النهي عن هذا القول فى الماضى ينافى ما جاء عنه «د» «لو استقبلت من أمرى ما استدبرت ما سقت الهدى» و أجاب بأن الظاهر أن النهي انما هو عن اطلاق ذلك فيما لا فائدة فيه فهو نهى تنزيه، و أما من يقول تأسفاً على فعل طاعة فلا بأس به، و عليه يحمل أكثر ما جاء من استعمال ذلك فى الاحاديث

قوله (ما اعتصم بي عبد من عبادي دون أحد من خلقي) الاعتصام به دون غيره عبارة عن الانتطاع عن الغير بالكلية والرجوع اليه والركون الى فضله وهو معنى التوكل والتفويض

إلا جعلت له المخرج من بينهنّ و ما اعتصم عبدٌ من عبادي بأحدمن خلقي ، عرفت ذلك من نيته إلاّ قطعت أسباب السّماوات والأرض من يديه وأسخت الأرض من تحته ولم أبال بأبيّ واد هلك.

٢- أبو عليّ الأشعريّ، عن محمد بن عبد الجبار، عن ابن محبوب، عن أبي حفص الأعمش، عن عمر [و] بن خالد، عن أبي حمزة الثماليّ، عن عليّ بن الحسين صلوات الله عليهما قال : خرجت حتى انتهيت إلى هذا الحائط فاتكأت عليه فإذا رجلٌ عليه ثوبان أبيضان ، ينظر في تجاه وجهي ثمّ قال : يا عليّ بن الحسين مالي أراك كئيباً حزيناً؟ أعلى الدنيا؟ فرزق الله حاضر للبرّ والفاجر، قلت : ما عليّ هذا أحزن و إنّهُ لكما تقول، قال: فعلى الآخرة؟ فوعد صادق يحكم فيه ملك قاهر - أو قال : قادر- قلت: ما عليّ هذا أحزن و إنّهُ لكما تقول، فقال: ممّ حزنتك؟ قلت: ممّا نتخوف من فتنة ابن الزبير و ما فيه الناس قال: فضحك، ثمّ قال: يا عليّ بن

والوكيل كما يدفع الضرر عن موكله يجلب النفع اليه أيضاً واقتصر على الاول لان دفع الضرر أهم من جلب النفع على أن جلب النفع لدفع الضرر أيضاً.
(و أسخت الارض من تحته) السخت بالفتح الصلب الشديد فارسي معرب يستعمله العرب والمجم على معنى واحد، وهو كناية عن تضيق الامر عليه لان صلاحة الارض يستلزم الضيق والسنك في العيش لعدم خروج الزرع والتبات منها.
(ولم أبال بأبي وادهلك) اشارة الى سلب اللطف والتوفيق عنه وعدم المبالاة بسيره في وادي الضلالة او وقوعه في وادي جهنم وهلاكه فيها .

قوله (ينظر في تجاه وجهي) تجاه الشيء بضم التاء وفتحها ما يواجهه، وأصله و جاء قلبت الواو تاء جوازاً ويجوز استعمال الاصل فيقال وجاء لكنه قليل وقعدوا تجاهه أي مستقبليّن له (قال فعلى الآخرة فوعد صادق يحكم فيه ملك قاهر أو قال قادر) الترديد من الراوي حيث لم يحفظ أنه سمع هذا اللفظ أو ذلك لا يقال قوله «فوعد صادق» لا يدفع الحزن على الآخرة ولا ينفيه بل يؤكده لانا نقول لعل المراد أن العامل للآخرة لا ينبغي أن يحزن عليها لان الله تعالى وعد لهم الاجر الجميل ووعدده صادق، وهو في امضائه قادر قاهر لا يمنعه أحد، أو المراد أن وعده بالمغفرة : أو وعده أهل العصمة بالدرجات العالية صادق.

(قلت ممّا نتخوف من فتنة ابن الزبير وما فيه الناس) حيث خرج و ادعى الخلافة و بايعه أهل مكة و غيرهم في دولة بني امية وسلطانهم وخوفه «ع» من ثوران نار الفتنة والحرب

الحسين هل رأيت أحد دعا الله فلم يجبه؟ قلت: لا، قال فهل: رأيت أحد أتوكّل على الله فلم يكفه؟ قلت: لا، قال: فهل رأيت أحد سأل الله فلم يعطه؟ قلت: لا، ثم غاب عني. علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن محبوب مثله.

٣- عدّة من أصحابنا، عن سهل بن زياد، عن علي بن حسان، عن عمه عبد الرحمن بن كثير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن الغنى والعزّ يجولان، فاذا ظفرا بموضع التوكّل أوطنا.

عدّة من أصحابنا، عن أحمد بن أبي عبد الله، عن محمد بن علي، عن علي بن حسان مثله.

بينه وبينهم، وقيل السادة العلوية وغيرهم.

(قال فضحك) لعل وجه الضحك تنشيط نفس المخاطب وتفريج همّه باظهار أن ذلك سهل ودفع سبب الحزن في غاية السهولة وذلك بأن يدعو الله ويتضرع اليه في دفع الفتنة ورفع الغوائل ويسأله حصول الرفاهية والامن ويتوكّل عليه في جلب المنافع ورفع المكاره حتى في هذا الدعاء والمسئلة (قال فهل رأيت أحد سأل الله فلم يعطه) هذا تأكيد لما سبق للحث على الدعاء والسؤال ولذلك لم يقل شيئاً بعد ذلك وغاب.

قوله (قال ان الغنى والعز يجولان) أى يقطعان النواحي و يمران في الاطراف كالطير طلباً للمسكن (فاذا ظفرا بموضع التوكّل أوطناً) فالمتوكّل في غنى وعز دائماً أما الاول فلان الله يكفيه ويأتي بمهماتة فهو أغنى الاغنياء. وأما الثاني فلاعتراله عن الذل المطلق وهو الالتجاء الى الخلق وتمسكه بالعزيزا وفروهو اللجأ الى الله. ومعنى التوكّل على الله هو الرجوع اليه والاعتماد عليه والثقة بكفائته، ويمكن أن يقال توكّل العبد فيما ينبغي أن يفعله أو يتركه من أمر الدنيا والاخرة هو الاعتماد على الله والثقة بكفائته، والتمسك بحوله وقوته و ترقب التوفيق والاعانة منه دون الاعتماد على نفسه وحوله وقوته وقدرته وعلمه وما يظنه من الاسباب الضرورية والعادية وغيرها لترك وظائفه وعمله وأسبابه في جلب المنافع و دفع المضار، و من ثم اشتهر أن التمسك بالاسباب لا ينافي التوكّل وفيما يجري عليه من غيره سواء كان من قبل الله أو من قبل غيره هو تفويض نفسه وأمره الى الله توقّعاً من أن يرد عليه ما هو خير له و المعلوم أنه لا يرد عليه بعد ذلك الا ما هو خير له في الدنيا والاخرة فعليه حينئذ القيام بمقام الرضا بالتضاء وهذا أقصى مراتب الكمال، وقال المحقق الطوسي المراد بالتوكّل أن يوكل العبد جميع ما يصدر عنه ويرد عليه الى الله تعالى لعلمه بأنه أقوى وأقدر ويفعل ما قدر عليه على وجه احسن وأكمل ثم يرضى بما فعل وهو مع ذلك يسعى ويجتهد فيما وكله اليه ويمد نفسه وعلمه وقدرته

٤- محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن ابن محبوب، عن عبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: أيما عبد أقبل قبل ما يحب الله عز وجل أقبل الله قبل ما يحب و من اعتصم بالله عصمه الله و من أقبل الله قبله و عصمه لم يبال لو سقطت السماء على الأرض أو كانت نازلة نزلت على أهل الأرض فشملتهم بليّة، كان في حزب الله بالتقوى من كل بليّة، أليس الله عز وجل يقول: «إن المتقين في مقام أمين».

٥- عدّة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد بن خالد، عن غير واحد، عن علي بن أسباط، عن أحمد بن عمر الحلّال، عن علي بن سويد، عن أبي الحسن الأوّل عليه السلام إرادته من الأسباب والشروط المخصصة لتعلق قدرته تعالى وإرادته لما صنعه بالنسبة إليه، ومن ذلك يظهر سر لاجبر ولا تفويض بل أمر بين أمرين. و ان أردت زيادة التوضيح فأرجع الى كلامه في أوصاف الاشراف.

قوله (أيما عبد أقبل قبل ما يحب الله عز وجل أقبل الله قبل ما يحب) يقال أقبل قبلك أى قصد قصدك وتوجه اليك، وجعلك قبالة وجهه وتلقاه، والمراد بأقبال العبد نحو ما يحبه الله قصده والاتبان به طلباً لرضاه، وبأقبال الله نحو ما يحبه العبد افاضة ما يسر به قلبه وتقربه عينه (و من اعتصم بالله عصمه الله) من الضياع والحاجة كما اعتصم به مؤمن آل فرعون بقوله «و افوض أمرى الى الله ان الله بصير بالعباد» فلجأ من شر فرعون و جنوده اليه سبحانه واعتصم به فوقاه الله سيئات ما مكروا، واعتصم به يونس «ع» في الظلمات بقوله «لا اله الا انت سبحانك انى كنت من الظالمين» فلجأ من غضبه اليه واعتصم به فأقبل الله اليه بالقبول وعصمه بقوله «فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك نتجى المؤمنين» واعتصم به أيوب وأقبل اليه بقوله «رب انى مسنى الضر وأنت أرحم الراحمين» فأقبل الله اليه بالقبول وعصمه ورفع عنه الكرب والضر. وكذلك لجأ اليه كثير من الانبياء والمرسلين والصلحاء والمتقين والفاستقين فأقبل الله اليهم بقضاء حوائجهم و ازاحة مكارهم.

(و من أقبل الله قبله و عصمه لم يبال لو سقطت السماء) ان جعل لم يبال وحده جواباً للشرط السابق كان جواب الشرط اللاحق قوله (كان في حزب الله) وان جعل جواباً للشرط اللاحق وجعل المجموع جواباً للشرط السابق كان قوله «كان في حزب الله» استينافاً.

(بالتقوى من كل بليّة) أى يقيه من كل بليّة في الدنيا والاخرة

(ان المتقين في مقام أمين) أى المؤمنون من البليّة والافقه فيهما.

قال: سألته: عن قول الله عز وجل: « ومن يتوكل على الله فهو حسبه » فقال: التوكل على الله درجات منها أن تتوكل على الله في أمورك كلها، فما فعل بك كنت عنده راضياً، تعلم أنه لا يألوك خيراً وفضلاً و تعلم أن الحكم في ذلك له، فتوكل على الله بتفويض ذلك إليه وثق به فيها وفي غيرها.

٦- عدة من أصحابنا. عن سهل بن زياد، و علي بن إبراهيم، عن أبيه جميعاً عن يحيى بن المبارك، عن عبد الله بن جبلة، عن معاوية بن وهب، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: من أعطى ثلاثاً لم يمنع ثلاثاً: من أعطى الدعاء أعطى الاجابة و من أعطى الشكر أعطى الزيادة و من أعطى التوكل أعطى الكفاية ثم قال: أتلتو كتاب الله عز وجل: « ومن يتوكل على الله فهو حسبه »؟ وقال: « لئن شكرتم لأزيدنكم »

قوله (فقال التوكل على الله درجات منها أن تتوكل على الله في امورك كلها) قد عرفت ان شرط التوكل فيها ليس رفع اليد عن أسبابها بل شرطه عدم الاعتماد عليها والوثوق بها فلو طلب طالب الرزق مثلاً رزقه من أسبابه المشروعة كالتاجر من التجارة، والزارع من الزراعة، و ليس اعتمادهما على عملهما بل على الله سبحانه، وعلى أن الرزق عليه ان شاء رزقه منهما وان شاء رزقه من غيرهما حتى لو فسد العمل لم يحزنا لم يكن ذلك منافياً للتوكل، وكذلك لو حمل الخائف من العدو سلاحاً وقفل الخارج من البيت باباً و شرب المريض دواء ، ولم يكن اعتمادهم على السلاح والقفل والدواء اذ كثيراً ما يغلب العدو مع السلاح ويسرق السارق بكسر القفل ولا ينفع الدواء بل اعتمادهم عليه عز وجل لم يكن هذا منافياً للتوكل، وبالجملة قلب المتوكل متوجه الى الله وتوجهه الى الوسائط والاسباب باعتبار أن العالم عام الاسباب وأن الله تعالى أرى أن تجرى الامور الا بأسبابها فهو ان ظن سبباً وتعرض له ولم يعتمد عليه بل على خالقه فان ترتب عليه الاثر شكر وان لم يترتب لم يسخط و رضى لعلمه بأنه تعالى عالم بمصالح اموره، وأن ما فعله كان محض الخير فهو متوكل مفوض أمره الى الله (تعلم أنه لا يألوك خيراً) الالوال التصير واذ اعدى الى المغولين يضمن معنى المنع أى لا يمنعك خيراً وفضلاً مقصراً في حقك.

قوله (ومن اعطى التوكل اعطى الكفاية) نقل أن خليل الرحمن حين وضع فى المنجنيق قال حسبي الله ونعم الوكيل، فلما رمى لاقاه جبرئيل وع في الهواء وقال ألك حاجة؟ قال أما اليك فلا. قال ذلك ابقاء لتوكله الذى أظهره أولاً فكفاه الله عن النار .

(و من يتوكل على الله فهو حسبه) النشر على غير ترتيب اللف فالاول للاخر

وقال : « أدعوني أستجب لكم. »؟

٧- الحسين بن محمد ، عن معلى بن محمد ، عن أبي علي ، عن محمد بن الحسن ، عن الحسين بن راشد ، عن الحسين بن علوان قال : كنا في مجلس نطلب فيه العلم وقد نفدت نفقتي في بعض الأسفار فقال لي : بعض أصحابنا من تؤمّل لما قد نزل بك؟ فقلت : فلاناً فقال : إذا والله لا تسعف حاجتك ولا يبلغك أملك ولا تنجح طلبتك ، قلت : وما علمك رحمك الله ؟ قال : إن أبا عبد الله عليه السلام حدّثني أنه قرأ في بعض الكتب أن الله تبارك وتعالى يقول : وعزّتي وجلالي ومجدي وارتفاعي على عرشي لا تقطن أمل كل مؤمّل [من الناس] غيري باليأس ولا كسونه ثوب المذلة عند الناس ولا تحيينه من قربي ولا بعدنه من فضلي ، أيؤمّل غيري في الشدائد؟! والشدائد بيدي ويرجو غيري ويقرع بالفكر باب غيري؟! ويبيدي مفاتيح الأبواب وهي مغلقة وبابي

وهكذا الى الاول. والشكر الاعتراف بالاحسان والتحدث به والانقياد للمشكور، وهو بالفعل أظهر منه بالقول.

قوله (و عزتي وجلالي ومجدي وارتفاعي على عرشي) العزة الشدة والقوة والغلبة والسلطنة والملك والجلال والعظمة. والمجد الشرف والكرم الواسع، والارتفاع كناية عن الاستيلاء على جميع الممكنات والاستعلاء على جميع المخلوقات والاحاطة علماً وقدرة بها لكون العرش محيطاً بجميعها.

(لا تقطن أمل كل مؤمّل من الناس غيري باليأس ولا كسونه ثوب المذلة عند الناس و لا تحيينه من قربي ولا بعدنه من فضلي) باليأس متعلق بقوله لا تقطن، وفيه وعيد على كل من يؤمل غيره تعالى في المقاصد بأمور أربعة: الاول اليأس من حصول ما موله غالباً أو الا باذنه تعالى بقرينة ما سيجيء. الثاني احاطة المذلة به وازافة الثوب اليها من باب اضافة المشبه به الى المشبه، والكسوة ترشيح للتشبيه، والثالث تبعيده أو ابعاده من قرب رحمته، والرابع تبعيده من احسانه و افضاله، وكل ذلك يوجب خسرانه في الدنيا والاخرة.

(أيؤمّل غيري في الشدائد؟! والشدائد بيدي) ذكر اليد مجازاً في بيان أن الشدائد تحت قدرته لاقدرة غيره وقد جرت الحكمة على أن يختبر الله تعالى عبده في الدنيا بالشدائد ليرجع اليه ويتضرع بين يديه في دفعها فاذا رجع الى غيره مع كون الشدائد بيد ذلك الغير كان ذلك موجباً للتوبيخ والانكار (و يقرع بالفكر باب غيري) تشبيه الفكر باليد مكنية واثبات القرع لها تخيلية ،

مفتوح* لمن دعاني فمن ذا الذي أملني لنوائبه فقطعته دونها؟! و من ذا الذي رجاني لعظيمة فقطعت رجاءه مني؟! جعلت آمال عبادي عندى محفوظة، فلم يرضوا بحفظي وملأت سماواتي ممن لا يمل من تسبيحي وأمرتهم أن لا يغلقوا الأبواب بيني وبين عبادي، فلم يثقوا بقولي، ألم يعلم [أن] من طرفته نائبة من نوابي أنه لا يملك كشفها أحدٌ غيري إلا من بعد إذني، فمالي أراه لاهياً عنّي، أعطيته بجودي مالم

وذكر الباب ترشيح، والمقصود منه بصرف قلبه وفكره عند الحاجة إلى غيره تعالى (و بيدي مفاتيح الابواب وهى منلقة) أى أبواب الحاجات مغلقة ومفاتيحها بيده تعالى وهو استعارة على سبيل التمثيل للتنبية على أن قضاء الحاجة المرفوعة إلى الخلق لا يتحقق الا بآذنه ان شاء أذن به وان شاء لم يأذن.

(و بابى مفتوح لمن دعانى) وهو أيضاً استعارة لتشبيهه الغائب بالحاضر، وترغيب السائل بالرجوع إليه، وتنبية الغافل على سهولة عرض المطلب عليه.

(فمن ذا الذى أملنى لنوائبه فقطعته دونها) أى قطعته عند النوائب وهجرته أو منعه عن أمله ورجائه ولم أرفع نوائبه. تقول قطعتم الصديق قطيعة إذا هجرته، وقطعته عن حقه إذا منعته (رجائى لعظيمة) أى لمطالب عظيمة.

(جعلت آمال عبادى عندى محفوظة) لاردها اليهم عند طلبهم كالوديعة. (فلم يرضوا بحفظى) حتى جعلوها عند غيرى وطلبوها منه (و ملات سماواتى ممن لا يمل بتسبيحى) وهم الملائكة عليهم السلام الذين لا يفترون من تسبيحه، ولا يأسأمون من تقديسه، ولا يخالفونه فى أمره (و أمرتهم أن لا يغلقوا الابواب بينى وبين عبادى) كناية عن عدم منعهم لمن أراد الوصول إليه والسؤال منه، وعرض المقاصد عليه كما يمنع حجاب الملوك، أو عن اىصال حوائج السائلين ومطالبهم اليهم فانه تعالى قد يأمرهم بذلك كما دل عليه بعض الروايات .

(فلم يثقوا بقولى) والدليل على عدم الوثوق رجوعهم إلى الغير وجعلهم له موضعاً للحاجات و منشاء ذلك معارضة الوهم والخيال، ولو رجعوا إلى صرافة العقل وحكمه لوجدوا أن ذلك من أقيح الفعال (ألم يعلم من طرفته نائبة من نوابى) أى أتته مطلقاً ولا وجه لتخصيص اتيانها بالليل (انه لا يملك كشفها) أى دفعها.

(أحد غيرى الا بعد اذنى) دل ظاهراً على أن العبد لورجع إلى غيره تعالى فى كشف نوائبه فقد تكشف باذن الله تعالى فهذا مخصص لما دل على اليأس وعدم القضاء على الاطلاق لا يقال العالم عالم الاسباب فكيف يذم من رجع إلى الغير لظنه أنه سبب لانا تقول الذم باعتبار

يسألني ثم انتزعتة عنه فلم يسألني رده و سأل غيري، أفيراني أبدأ بالعطاء قبل المسألة ثم أسأل فلا أجيب سألني؟! أبخيل أنا فيبخلني عبدي؟! أو ليس الجود و الكرم لي؟! أو ليس العفو والرّحمة بيدي؟! أو ليس أنا محلّ الآمال؟! فمن يقطعها دوني؟! أفلا يخشى المؤمنون أن يؤمّلوا غيري ، فلو أن أهل سماواتي وأهل أرضي أمّلوا جميعاً ثم أعطيت كل واحد منهم مثل ما أمّل الجميع ما انتقص من ملكي مثل عضو ذرة و كيف ينقص ملك أنا قيمه ، فيا بؤساً للقائنين من رحمتي و يا بؤساً لمن عصاني ولم يراقبني.

أن قلبه تعلق به واعتمد عليه، و أما من لم يركن اليه و لم يثق به ولم يعتمد عليه فالظاهر أنه ليس بمنموم والاولى مع ذلك أن يرجع الى الله فان شاء الله أن يكون قضاء حاجته على يد أحد جعله وسيلة له شاء أولم يشأ.

(أفيرانى أبدأ بالعطاء قبل المسألة ثم أسأل فلا أجيب) الاستفهام للانكار والتعجب فان من تأمل مثلاً في وجوده وذاته و حالاته السابقة يجد أنه تعالى شأنه أكرمه و نمنه وأحسن اليه بلا سابقة مسئلة واستحقاق ما لا يقرره اللسان ولا يحيط به البيان و أنه أخرجه من حد النقص الى حد الكمال بالالتماس أحد و لا معاونة مدد و لا شفاعة شفيح، ثم لا يحصل له العلم بأنه يعطيه في مستقبل الاحوال جميع ما يحتاج اليه، و يصلح جميع ما يرد عليه عند السؤال و التفويض والتوكل والرجوع اليه بالتضرع والابتهال، ولم يتيقن أنه تعالى يقوم بكفايته و رعايته و اضطر الى أن يقرع باب غيره و يلجأ اليه و يظهر الفقر والعجز بين يديه. كان ذلك محل التعجب والانكار وان هذا الشيء عجاب.

(أفلا يخشى المؤمنون أن يؤمّلوا غيري) الخشية اما من العقوبة أو من قطع الامال والياس عنها ، أو من الابعاد عن مقام القرب ، أو من ازالة النعماء عنه، أو من رفع الوجود والفيض والجود عنه .

(و كيف ينقص ملك أنا قيمه) أى قايم بسياسة اموره (فيا بؤساً للقائنين من رحمتي) البؤس والياس والبأساء الشدة والفقر والحزن و كأنه كان غير متعين وقت ندائه لعظمتته فناده و أحضره لبروه و يتعجبوا منه، و يحتمل أن يكون منصوباً على المفعول لفعل مقدر تقديره بأعبادى أبصروا بؤساً للقائنين و نحوه ، أو على المصدر تقديره بأعبادى بؤساً لهم. و فيه وعيد عظيم لاهل القنوط من رحمتهم (و لم يراقبني) أى لم يخف عذابى أو لم يحفظ حقوقى.

٨- محمد بن يحيى ، عن محمد بن الحسن ، عن بعض أصحابنا ، عن عباد بن يعقوب الرِّوَّاجِنِي ، عن سعيد بن عبد الرَّحْمَنِ قال : كنتُ مع موسى بن عبد الله بينبع وقد نذت نفقتي في بعض الأسفار ، فقال لي بعض ولد الحسين : من تؤمِّل لما قد نزل بك ؟ فقلت : موسى بن عبد الله ، فقال : إذا لا تُقضى حاجتك ، ثم لا تنجح طلبتك ، قلت : و لم ذاك ؟ قال : لأنني قد وجدت في بعض كتب آبائي إنَّ الله عزَّ وجلَّ يقول - ثمَّ ذكر مثله - فقلت : يا ابن رسول الله أُمِّل عليَّ ، فأملأه عليَّ ، فقلت : لا والله ما سأله حاجة بعدها .

(باب الخوف والرجاء)

١- عدَّةٌ من أصحابنا ، عن أحمد بن محمد ، عن علي بن حديد ، عن منصور بن يونس ، عن الحارث بن المغيرة ، أو أبيه ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قلت له : ما كان في وصية لقمان ؟ قال : كان فيها الأعاجيب و كان أعجب ما كان فيها أن قال لابنه خف الله عزَّ وجلَّ خيفة لوجئته ببرِّ الثقلين لعذبك و ارج الله رجاءً لوجئته بذنوب الثقلين لرحمك ، ثمَّ قال أبو عبد الله عليه السلام : كان أبي يقول : إنَّه ليس من عبد مؤمن

قوله (قال كان فيها الاعاجيب) جمع الجمع ، كالانعام والعجب ما يوجب افعال النفس

لزيادة وصف في المتعجب منه والعجب چیزی که ازو بغایت شگفت گیرند .

(خف الله عز وجل خيفة لوجئته ببر الثقلين لعذبك و ارج الله رجاءً لوجئته بذنوب الثقلين لرحمك) الخوف حالة نفسانية موجبة لتألمها بسبب توقع مكروه سببه ممكن الوقوع أو توقع فوات أمر مرغوب فيه ولو كان وقوع سببه معلوماً أو مظنوناً ظناً غالباً يسمى ذلك انتظار المكروه أيضاً كما يسمى خوفاً والتألم فيه أزيد ، و أما الخوف والتألم بسبب توقع مكروه علم قطعاً عدم وقوع شيء من أسبابه فذلك وسواس وما ليخولياء والرجاء بالمدح حالة نفسانية موجبة لفرحها بسبب توقع حصول أمر مطلوب سببه متوقع أو مظنون أو معلوم و يسمى الاخير انتظار المطلوب أيضاً والفرح فيه أشد ، و أما الرجاء والفرح بسبب توقع مطلوب علم عدم وقوع سببه فذلك غرور و حماقة ، و سبب الخوف من الله معرفته ومعرفة جلاله و عظمته و كبريائه و غناؤه عن الخلق و غضبه وقهره و كمال قدرته على الخلق ، و عدم مبالاته بتعذبه و اهلاكمهم و معرفة عيوب نفسه و تقصيره في الطاعات والاخلاق والاداب مع التفكير في أمر الآخرة و شدائدها ، و كلما زادت تلك المعارف زاد الخوف و ثمرته في القلب و

الإيمان وفي قلبه نوران : نور خيفة و نور رجاء، لو وزن هذا لم يزد على هذا ولو وزن

البدن والجوارح. اذ بالخوف يميل القلب الى ترك الشهوات والندامة على الزلات، والعزم على الخيرات ويخضع ويراقب و يحاسب وينظر الى عاقبة الامور ويحترز من الرذائل كالكبر والحسد والبخل و بذبل البدن ويصفر اللون من الغم والسهر و تشتغل الجوارح بوظائفها و يحصل له بترك الشهوات العفة والزهد و بترك المحرمات التقوى، و بترك ما لا يعنى الورع والصدق والاخلاص ودوام الذكر والفكر، و يترقى منها الى مقام المحبة، ثم منه الى مقام الرضا و سبب الرجاء معرفته و معرفة سعة رحمته و فيضه و لطفه و رأفته و احسانه على العباد، و اجراء نعمه عليهم ظاهرة و باطنة، جليلة و خفية، ضرورة و غير ضرورة حين كونهم أجنة في بطون امهاتهم بلا سبق استحقاق و لا تقدم استيهال و التفكير في غناؤه عن عبادتهم و تعذيبهم مع عجزهم و مسكنتهم و فقرهم و حاجتهم اليه و ذلهم بين يديه، و من استقرت في قلبه هذه المعارف حصل له الرجاء بنيل الثواب و المغفرة و الرحمة، و ثمرته الاتيان بما يوجب الوصول اليها كما أن ثمره الخوف من العقوبة ترك ما يوجب الورد عليها. (ليس من عبد مؤمن الا وفي قلبه نوران: نور خيفة و نور رجاء) لان المؤمن لا يخلو من

تصور أسباب الخوف و الرجاء و تجويز وقوع مقتضى كل واحد منهما بدلا من الآخر و انتهاء سيره الى القرب كأهل الايمان، أو الى البعد كأهل الحرمان بحيث لا يرجح أحدهما على الآخر اذ لو رجح الرجاء لزم الامن لافي موضعه و أقاموا مكر الله فلا يأم من مكر الله الا القوم الخاسرون، و لو رجح الخوف لزم اليأس الموجب للهلاك « أنه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون، » و منه ظهر أن الخوف غير القنوط و أنه و الرجاء ينبغي أن يكونا متساويين مطلقاً و قد ذهب اليه أيضاً بعض العامة. و قال عياض عبادة الله بين أصلين الرجاء و الخوف، و يستحب أن يغلب في حال الصحة الخوف فاذا زاد في الاجل أو انقطع الاجل يستحب أن يغلب الرجاء ليلقى الله على حاله هي أحب اليه اذ هو الله سبحانه الرحمن الرحيم و يحب الرضاء و لا يغلب الخوف حينئذ خشية أن يقنط فيهلك و فيه أن الدليل لو تم لدل على رجحان الرجاء قبل الاجل أيضاً و لم يقل به، و التعليل لعدم غلبة الخوف عند الاجل دل على عدم غلبته أيضاً قبله، و قد قال بخلافه و قيل ينبغي أن يغلب الخوف ليكف عن المخالفات و يكثر من الطاعات، فاذا دنت امارات الموت ينبغي أن يغلب الرجاء لان ثمره الخوف وهي الانكفاف و الاكثار في الطاعة تعذرت حينئذ وهو قريب مما ذكر. و قال الابي في كتاب اكمال الاكمال مقامات الصالحين عند الاحتضار تختلف، فمن بعضهم أنه قال لابنه يا بني حدثني عن الرخص لعلي ألقى الله وأنا أحسن الظن به، و عن بعضهم أنه رجي حين احتضر، و قيل له تقدم على غفور رحيم فقال أفلا تقولون لسي

هذا لم يزد على هذا.

٢- محمد بن الحسن، عن سهل بن زياد، عن يحيى بن المبارك، عن عبد الله بن جبلة، عن إسحاق بن عمار قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: يا إسحاق خف الله كأنك

تقدم على شديد العقاب يعاقب على الكبيرة ويؤاخذ بالصغيرة، وهذا بحسب مقامات الخوف بقى شيء وهو أنه قال بعض الأفاضل الخوف ليس من الفضائل والكمالات العقلية في النشأة الآخرة، وإنما هو من الأمور النافعة للنفس في الهرب عن المعاصي، وفعل الطاعات ما دامت في دار العمل، وأما عند انتضاء الاجل والخروج من الدنيا التي هي دار العمل فائدة فيه، وأما الرجاء فإنه باق أبداً إلى يوم القيامة لا ينقطع لأنه كلما نال العبد من رحمة الله أكثر كان ازدياد طمعه فيما عند الله أعظم وأشد لأن خزائن جوده وخيره ورحمته غير متناهية لا تبديد ولا تنقص فثبت أن الخوف منقطع والرجاء أبداً لا ينقطع، وفيه نظر لأن الظاهر أن الخوف عن العقوبة أو عن فوات الثواب أو عن فوات التفضل أو عن فوات رفع المنزلة أو عن ظهور أساءة على رؤس الشهداء أو عن زلة القدم على الصراط باق بعد الخروج من الدنيا ثم بقاء الرجاء والطمع فيما عند الله كما حكم به يستلزم الخوف من عدم تحقق المطموع والله أعلم.

قوله (يا إسحاق خف الله كأنك تراه وإن كنت لاتراه فإنه يراك) و شبه الرؤية القلبية بالرؤية العينية قصداً للظهور والابضاح والاول اشارة الى مقام المشاهدة وهي مرتبة عين اليقين أو حق اليقين وهي أعلى مراتب السالكين، وفي تلك المرتبة يتصل الطالب بالمطلوب اتصالاً معنوياً بحيث لا يشاهد الاجماله و كماله. الثاني اشارة الى مقام المراقبة و هي ثمرة الايمان و مرتبة عظيمة من مراتب السالكين روى عن رسول الله ص أنه قال: «عبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك» و قال جل شأنه «أمن هو قائم على كل نفس بما كسبت إن الله كان عليكم رقيباً» والمراقبة مراعاة القلب للرقيب واشتغاله به والمثمر لها هو العلم بأن الله تعالى مطلع على كل نفس بما كسبت و أنه تعالى عالم بسرائر القلوب وخطراتها كما هو عالم بظواهر الأشياء وجلياتها وهذا العلم اذا استقر في القلب ولم يبق فيه شبهة يجذبه الى مراعاة الرقيب و المتصفون بها على صنفين منهم الصديقون و مراقبتهم استغراق القلب بملاحظة العظمة والجلال وانكساره تحت الهيبة واستعمال الجوارح بوظائف الطاعات بحيث لا يلتفت القلب الى الغير أصلاً والجوارح الى المباحات فضلاً عن المحظورات، ومنهم الورعون وهم قوم لم تدشهم ملاحظة العظمة والجلال بل بقيت قلوبهم على الاعتدال يتسمها التلفت الى الأقوال والأعمال و مراقبتهم أن ينظروا الى جميع حرركاتهم وسكناتهم ولحظاتهم و

تراه و إن كنت لا تراه فإنَّه يراك ، فإن كنت ترى أنَّه لا يراك فقد كفرت ،
و إن كنت تعلم أنَّه يراك ، ثمَّ برزت له بالمعصية ، فقد جعلته من أهون
الناظرين عليك .

٣- محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد بن عيسى ، عن الحسن بن محبوب ، عن
الهيثم بن واقد قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : من خاف الله أخاف الله منه كل شيء ، ومن
لم يخف الله أخافه الله من كل شيء .

٤- عدة من أصحابنا ، عن أحمد بن أبي عبد الله ، عن أبيه ، عن حمزة بن عبد الله
الجعفرى ، عن جميل بن دراج ، عن أبي حمزة قال : قال أبو عبد الله عليه السلام : من عرف الله

اختياراتهم ويرصدوا كل خاطر يسئح لهم فإن كانت الهية عملوا بمقتضاها ، و ان كانت شيطانية
رفضوها استحياء من الرقيب ، و ان كانت مبهمه توقفوا حتى يظهر لهم أمرها .
(فان كنت ترى أنه لا يراك فقد كفرت) رؤيته تعالى نوع من العلم وهو العلم بالمبصرات
ظاهرها و باطنها كماهى والمنكر له كافر بالله العظيم .

(و ان كنت تعلم أنه يراك ثم برزت له بالمعصية فقد جعلته من أهون الناظرين عليك)
حيث تترك المعصية عند مشاهدة غيره خوفاً من اللوم و حياء و لاتترك عند مشاهدتهم مع علمك
بأنه شاهد حاضر وليس ذلك الا لانه أهون عندك من ذلك الغير و هو لازم عليك ، و ان لم
تقصده و أنا أستغفر الله و أقول يا رب فعلنا كذلك لالذلك بل لاجل انا نأمن منك و نرجو
رحمتك و لانأمن غيرك .

قوله (من خاف الله أخاف الله منه كل شيء) ظاهره أن الله تعالى يلقي الخوف منه
على الاشياء مع احتمال أن يكون سر ذلك أن الخائف من الله نفسه قوية قدسية مقربة للحضرة
الالهية قادرة على التأثير فى الممكنات فلذلك يخاف منه كل شيء حتى الوحوش و السباع
و الحيات كما نقل ذلك عن كثير من المقرين و من لم يخف الله نفسه ضعيفة متصفة بالنقصان
بعيدة عن التأثير فى عالم الامكان فلذلك يخاف من كل شيء و يتأثر منه ولما كانت القوة و
الضعف و التأثير و التأثر بسبب القرب من الله و عدمه نسبت الاخافة اليه .

قوله (من عرف الله خاف الله) دل على ان الخوف من الله لازم لمعرفة فكما زادت
زاد و لذلك قال عز شأنه «انما يخشى الله من عباده العلماء» و ذلك لان من عرف عظمته و
غلبته على جميع الكاينات و قدرته على جميع الممكنات بالاعدام و الافناء من غير أن يسأله
سائل أو يمنعه مانع أو يعود اليه ضرر تهيب و خاف منه ، وأيضاً من عرفه علم احتياجه اليه
شرح الاصول الكافي - ١٣ -

خاف الله و من خاف الله سخت نفسه عن الدنيا.

٥- عنه ، عن ابن أبي نجران، عمّن ذكره ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قلت له: قومٌ يعملون بالمعاصي و يقولون نرجو، فلا يزالون كذلك حتى يأتيهم الموت فقال: هؤلاء قومٌ يترجّحون في الأمانى، كذبوا، ليسوا براجين، إن من رجا شيئاً

في وجوده و بقاءه و كمالاته في جميع حالاته و من البين أن الاحتياج اليه في مثل تلك الامور العظام يستلزم الخوف منه في سلب الفيض والاكرام.

(و من خاف الله سخت نفسه عن الدنيا) أى تركها تقول سخرى عن الشيء يسخرى من باب تعب أى ترك فمن ادعى الخوف و مال الى الدنيا غير تارك لها و ناهض للعبادة فهو كاذب لان الخوف يستلزم الاعراض عن الدنيا والتوجه الى العبادة.

قوله (و يقولون نرجو) أى نرجو رحمة الله أو مغفرته لدلالة الايات والروايات على سعة عفوه و جزيل رحمته و وفور مغفرته.

(فلا يزالون كذلك حتى يأتيهم الموت) بلاتوبة ولا تدارك بالندامة والعبادة.

(فقال هؤلاء قوم يترجحون في الامانى) الترجح ميل كردن از طرف بطرف ديگر والامانى آرزوها و دروغها و بى ترسيها جمع الامنية. و فى للسببية. أو للظرفية أو بمعنى على أى يميلون عن الحق بسبب الامانى أو فيها أو عليها باعتبار أنها يميل بهم كما تميل الارجوحة بمن فيها أو عليها وهى بضم الهمزة مثال يلعب عليه الصبيان و هو أن يوضع خشبة على تل و يقعد غلامان على طرفيها.

(كذبوا) فى دعوى الرجاء (ليسوا براجين) بل هم اتحلوا اسم الرجاء وليس لهم معناه أصلاً و علل ذلك بقوله:

(أن من رجا شيئاً طلبه) بالضرورة و أما تمسكهم بسعة الرحمة فلا يوجب صدقهم فى الرجاء فان سعة الرحمة حق ولكن لا بد لمن يرجوها من العمل الخالص المعد لحصولها و ترك الوغول فى المعاصى المفوت لهذا الاستعداد و هذا هو الرجاء الصادق الممدوح كرجاء من ألقى البذر فى الارض و أتى بأداب الزراعة رحمته فى الحاصل، و أما من توغل فى المعاصى فرجاء الرحمة غير ممدوح ولا معقول كرجاء من لم يزرع أن ينبت الله له زرعاً فان هذا حمق يندم به العقلاء ولا تتبع هؤلاء و انظر الى الانبياء (ع) فانهم مع كونهم اعلم بسعة الرحمة صرفوا أعمارهم فى الطاعة لعلمهم بأن توقع الاجر بدون الطاعة محض الغرور والقول بأننا نرجو بدون العمل قول الزور، و انظر أيضاً الى من رجا امراً من السلطان فانه

طلبه و من خاف من شيء هرب منه.

٦- ورواه علي بن محمد، رفعه قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إن قوماً من مواليك يُلمّون بالمعاصي و يقولون نرجو؟ فقال: كذبوا ليسوالنا بموال، أولئك قوم ترحّبت بهم الأماني. من رجا شيئاً عمل له و من خاف من شيء هرب منه.

٧- عدّة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد بن خالد، عن بعض أصحابه، عن صالح بن حمزة، رفعه قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: إن من العبادة شدة الخوف من الله عزّ وجلّ يقول الله: «إنما يخشى الله من عباده العلماء» وقال جلّ ثناؤه: «فلاتخشوا

لا يعصيه بل يطلب منه ذلك الامر و يخدمه خدمة بالغة طلباً للرضا و يكون خدمته بقدر قوة التوقع و الرجاء و لما كان رجاء شيء مستلزماً للخوف من فواته و بالعكس و لذلك قيل الخوف و الرجاء متلازمان كان رجاءهم رحمة مستلزماً لخوفهم من فواتها و لذلك أشار الى أن دعواهم الخوف باطل أيضاً على وجه العموم بقوله.

(و من خاف من شيء هرب منه) بالضرورة فليس لهم خوف من فوات الرحمة و الا لهربوا منه بترك المعاصي الموجبة لفواتها.

قوله (ان قوماً من مواليك) أى ناصرِكَ و تابعيك القائلين بولايتك المحبين لك، (يلمون بالمعاصي) أى ينزلون بالمعاصي و يفعلونها.

(و يقولون نرجو) الرحمة و المغفرة لانه تعالى واسع الرحمة و المغفرة (فقال كذبوا) فى دعوى الولاية و الرجاء (ليسوالنا بموال) لان الموالاة ليست بمجرد القول بل هى محبة فى الباطن و متابعة فى الظاهر لانفكاك بينهما و الحصر المفهوم من تقديم الظرف يفيد أنهم موال لغيرهم و هو الشيطان (أولئك قوم ترحّبت بهم الاماني) الباء للتعدية أى امالتهم الاماني عن طريق الرشاد الى سبيل الفساد حيث رجوا الرحمة مع انتفاء سببها و هو التمنى المستعمل فى المحال دون الرجاء.

قوله (ان من العبادة شدة الخوف من الله عزوجل) الخوف مبدؤه تصور عظمة الخالق و وعيده و أهوال الآخرة و التصديق بها و بحسب قوة ذلك التصور و التصديق يكون قوة الخوف و شدته، و هى مطلوبة مالم يبلغ حد القنوط، و ربما يشعر ذلك باعتبار زيادة الخوف على الرجاء، و يمكن أن يقال شدة الخوف تستلزم شدة الرجاء أو يقال ذكر شدة الخوف على سبيل التمثيل كما يشعر به قوله «من العبادة» فان منها شدة الرجاء.

(يقول الله عزوجل : انما يخشى الله من عباده العلماء) لابد أن نشر الى هؤلاء العلماء

الناس و اخشون» وقال تبارك وتعالى : «و من يتَّق الله يجعل له مخرجاً»، قال : و قال أبو عبد الله عليه السلام : «إنَّ حبَّ الشرف والذِّكر لا يكونان في قلب الخائف الرَّاهِب.

٨- عليُّ بن إبراهيم ، عن أحمد بن محمد بن خالد ، عن الحسن بن الحسين ، عن محمد بن سنان ، عن أبي سعيد المكلاري ، عن أبي حمزة الثمالي ، عن عليِّ بن الحسين صلوات -

والى العلم الذى يورث الخوف والخشية فانا نرى كثيراً من أهل العلوم الدينية وغيرها لا يخشون من الله و يفتنون بحب الدنيا والاستكثار منها وصحبة الامراء وسلاطين الجور للجاه والمال ويميلون معهم حيث مالوا وينالون الدنيا على أى وجه اتفق ويتبعون اهواء النفس والشيطان فنقول المراد بهذا العالم العالم الربانى وهو الذى علم عظمة الله وجلاله وعزه وقهره لاعلى وجه الاعتقاد فقط بل على وجه يحيط نور العلم ظاهر القلب وباطنه بحيث يمنعه من التوجه الى الدنيا وما فيها فضلا عن الوسائط اليها ويزجره عن متابعة النفس الامارة فى هواها ورداها فان هذا العلم هو الذى يورث الخشية وثمرته التقوى والورع وسائر الاخلاق النفسانية والعمل بعلم كتاب الله و سنة رسول الله ، والاعراض عن الدنيا وأهلها ويرشد الى ما ذكر ماروى عن النبي «ص» أنه قال «أنا أعرفكم بالله وأشدكم له خشية» فانه كالمفسر للعلم والعالم الخاشى لله والمخصص لهما (١) هذا ، وقال المحقق الطوسى فى أوصاف الاشراف أن الخوف والخشية وان كانا بمعنى واحد فى اللغة الا أن بينهما فرقا بين أرباب القلوب وهو أن الخوف تألم النفس من المكره المنتظر والعقاب المتوقع بسبب احتمال فعل المنهيات وترك الطاعات . والخشية حالة نفسانية تنشأ من الشعور بعظمة الرب وهيبته وخوف الحجب عنه بسبب الوقوف على نقصانه و تقصيره فى أداء حقه العبودية ورعاية الادب فهى خوف خاص واليه يرشد قوله تعالى «ويخشون ربهم و يخافون سوء الحساب» والرهبنة قريب من الخشية

أقول ولعل المقصود من الخشية هنا المعنى اللغوى بدليل الاستشهاد بالاية «فلا تخشوا الناس واخشون» دل على أن الخشية وهى شدة الخوف عبادة لان الله تعالى أمر بهما كالاية السابقة الا أن الامر فيها وقع ضمناً ، ثم من خشى الله يخشاه الناس فكفاه الله من خشيتهم لمامر « و من يتق الله يجعل له مخرجاً» التقوى على مراتب الاولى التبرى عن الكفر والشرك وهى تحصل بالشهادتين ، وثانيها التجنب عما يوثم ، وثالثها التنزه عما يشغل القلب عن الحق وبناء الكل على الخوف من العقوبة والبعد من الحق ، ولعل المراد هنا احدى الاخرين مسع (١) قوله «والمخصص لهما» عطف على المفسر أى هذا الحديث مفسر للعلم والعالم و

مخصص لهما بالعلم الموجب للخشية والعالم الخاشى. (ش)

الله عليهما قال: قال إن رجلاً ركب البحر بأهله فكسر بهم، فلم ينج ممتن كان في السفينة إلا امرأة الرجل، فانتهت نجت على لوح من ألواح السفينة حتى ألجأت على جزيرة من جزائر البحر وكان في تلك الجزيرة رجل يقطع الطريق ولم يدع لله حرمة إلا انتهبها فلم يعلم إلا والمرأة قائمة على رأسه، فرفع رأسه إليها فقال: إنسيّة أم جنيّة؟ فقالت: إنسيّة، فلم يكلمها كلمة حتى جلس منها مجلس الرجل من أهله، فلمّا أن همّ بها اضطربت، فقال لها: مالك تضطربين؟ فقالت: أفرق من هذا - وأومات بيدها إلى السماء - قال: فصنعت من هذا شيئاً؟ قالت: لا وعزته،

احتمال الاولى بعيدا أى ومن يتق الله خوفاً منه يجعل له مخرجاً من شدائد الدنيا والاخرة كما نقل عن ابن عباس، وأمن ضيق المعاش كما يشعر به قوله تعالى «ويرزقه من حيث لا يحتسب» وكان السر في الاول أن شدائد الدارين من الحرص على الدنيا واقتراف الذنوب والغفلة عن الحق والتمتق بمنزلة عن جميع ذلك وفي الثاني أن فيضه تعالى وجوده عام لا يخل فيه وإنما المانع من قبول فيضه هو بعد العبد عنه وعدم استعداده له بالذنوب. فاذا اتقى منها قرب منه تعالى واستحق قبول فيضه بلا تعب ولا كلفة. فيجمع بذلك خير الدنيا والاخرة. (وقال أبو عبد الله «ع» ان حب الشرف والذكر) أى حب الجاه والرياسة والعزة بين الناس وحب الذكر والمدح والثناء منهم والشهرة فيهم.

(لا يكونان في قلب الخائف الراهب) لان حب ذلك من آثار الميل الى الدنيا وأهلها وهما منزهان عنه، وأيضاً حبها من الامراض النفسانية المهلكة والخوف والرهبة يهذبان النفس منها. ومن ثم قالوا: الخوف نار تحرق الوسوس والهواجس. وذكر الراهب بعد الخائف من باب ذكر الخاص بعد العام لزيادة الاهتمام اذ الرهبة بمعنى الخشية وهى أخص من الخوف كما مر، وأيضاً الراهب هو الخائف التارك لاشغال الدنيا وملاذها حتى حلالها والمعتزل عن أهلها والمتحمل لمشاقها ومشاق التكاليف وغيرها.

قوله (ان رجلاً ركب البحر) أراد بالبحر السفينة مجازاً من باب تسمية الحبال باسم المحل بقرينة رجوع الضمير المستتر في قوله فكسر اليه والباء في بأهله بمعنى مع. (الا انتهبها) انتهاك الحرمة تناولها بما لا يحل والحرمة بالضم اسم من الاحترام مثل الفرقة من الافتراق والجمع حرمان فقال أفرق من هذا، الفرق محرّكة الخوف يقال فرق فرقاً من باب تعب أى خاف ويتعدى بالهمزة فيقال افرقته واما خافت من الله مع كونها مستكرهه لاجل التمكين فلذلك اضطربت لئلا تمكنه بقدر الامكان ويفهم منه أن المستكره على الحرام وجب عليه الدفع على قدر القدرة ليتخلص من العقوبة.

قال: فأنت تفرقين منه هذا الفرق ولم تصنعي من هذا شيئاً وإنما استكرهتك استكراهاً فأنا والله أولي بهذا الفرق والخوف وأحقُّ منك. قال: فقام ولم يحدث شيئاً ورجع إلى أهله وليست له همّة إلا التوبة والمراجعة، فبينما هو يمشي إذ صادفه راهبٌ يمشي في الطريق، فحميت عليهما الشمس فقال الراهب للشاب: ادع الله يظننا بغمامة، فقد حميت علينا الشمس، فقال الشاب: ما أعلم أن لي عند ربّي حسنة فأتجاسر على أن أسأله شيئاً، قال: فأدعوا أنا وتؤمن أنت، قال: نعم فأقبل الراهب يدعو والشاب يؤمن، فما كان بأسرع من أن أظلتها غمامة، فمشيا تحتهما ملياً من النهار ثم تفرقت الجادّة جادّتين فأخذ الشاب في واحدة وأخذ الراهب في واحدة فإذا السحابة مع الشاب فقال: الراهب أنت خيرٌ منّي، لك أستجيب ولم يستجب لي، فأخبرني ما قصتكَ؟ فأخبره بخبر المرأة فقال: غفر لك ماضى حيث دخلك الخوف، فانظر كيف تكون

(فبينما هو يمشى اذ صادفه راهب) بين ظرفية والالف للإشباع و معمولة لفاعل يفسره الفعل الواقع بعد اذ الفجائية أو خبر عن مصدره أى صادفه راهب بين أوقات مشيه، أو بين أوقات مشيه مصادفة الراهب: والمصادفة يكديكر را يافتن، والراهب عابد النصارى وهو المنتقل للعبادة. وفي بعض النسخ «إضمامه» بالضاد المعجمة، وفي بعضها «اذجاءه» والمضامة نزيدك كسى رفتن.

(و تؤمن أنت) أى تقول آمين وهو بالقصر فى الحجاز (١) والمد اشباع بدليل أنه لا يوجد فى العربية كلمة على فاعيل ومعناه «اللهم استجب» وقيل «كذلك يكون» وقيل «كذا فليكن» وعن الحسن البصرى أنه اسم من أسماء الله تعالى والموجود فى مشاهير الاصول المعتمدة أن التشديد خطأ وقال بعضهم التشديد لغة وهو وهم قديم ووجه الوهم مذكور فى المصباح. (فمشيا تحتهما ملياً من النهار) أى زماناً كثيراً وساعة طويلة.

(١) قوله « وهو بالقصر فى الحجاز» أى آمين على وزن شريف، قال الشاعر:

تباعد منى فطلح اذ رأيتَه آمين فزاد الله ما بيننا بعداً

وهى كلمة غير موضوعة فى الاصل للدعاء، بل معناه كذلك فليكن، فتسعمل بعد كل كلام يليق بأن يظهر المخاطب بعده الشوق الى وقوعه، ولذلك يبطل به الصلاة عندنا. لانه بمنزلة كلام الادميين نظير أهلا وسهلاً ومرحباً وسقياً ورعباً، والتعبير بالدعاء نظير «اللهم استجب» لتقريب المعنى. (ش)

فيما تستقبل.

٩- محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن علي بن النعمان، عن حمزة بن حمران قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إن مما حفظ من خطب النبي عليه السلام أنه قال: يا أيها الناس إن لكم معالم فانتبهوا إلى معالمكم وإن لكم نهاية فانتبهوا إلى نهايتكم، ألا إن المؤمن يعمل بين مخافتين: بين أجل قدمضى لا يدري ما الله صانع فيه وبين أجل قدبقى لا يدري ما الله قاض فيه، فليأخذ العبد المؤمن من نفسه لنفسه ومن ديناه لأخرته وفي

(فقال غفر لك ماضى حيث دخلك الخوف) دل على أن ترك كبيرة واحدة مع الاقتدار عليها خوفاً من الله وخالصاً لوجهه موجب لغفران الذنوب كلها ولو كان حق الناس على احتمال لان الرجل كان يقطع الطريق مع احتمال أن يكون المغفرة للخوف مع التوبة الى الله والمراجعة الى الناس في حقوقهم كما يفهم من قوله «وليس لهمة الا التوبة والمراجعة».

قوله (أيها الناس ان لكم معالم فانتبهوا الى معالمكم) لعل المراد بها مواضع العلوم والحقايق وهي القوانين الشرعية، أو الحجج العالمون بها.

(و ان لكم نهاية فانتبهوا الى نهايتكم) كان المراد بها الغاية المطلوبة للانسان وهي الكمالات الموجبة للقرب وحملها على الاجل الموعود بعيد.

(ألا ان المؤمن يعمل بين مخافتين بين أجل قدمضى لا يدري ما الله صانع فيه وبين أجل قدبقى لا يدري ما الله قاض فيه) دل على أن الخوف كما يكون بالنسبة الى ما يأتي يكون بالنسبة الى ماضى أيضاً وتخصيصه بما يأتي واطلاق الحزن على ماضى اصطلاح عند قوم و هذان الخوفان يوجبان تحقق كمال الانسان، لان الخوف مما مضى يوجب تصميم العزم بالتوبة و الاستغفار والتدارك والاعتراف بالتقصير واشتغال القلب بذكر الرب والخوف مما يأتي من احتمال المعصية والافتقار ونقصان الدرجة عن درجة الابرار وانقلاب القلب والغفلة وترك الطاعات يوجب الاجتهاد فى اكتساب الخيرات والمبادرة الى تحصيل الكمالات والمحافظة لاقوات العبادات، والخالى عن الخوف قاسى القلب فاسد العقل «فويل للقاسية قلوبهم اولئك فى ضلال مبين» (فليأخذ العبد المؤمن من نفسه لنفسه) بأن يأخذ فى الدنيا من نفسه فعل الطاعات والقربات وترك المنهيات والمهويات ورفض الدنيا وأهلها ورسوم العادات، لنفسه فى الآخرة (و من ديناه لآخرته) بأن ينفق متاعها على الفقراء والمساكين وذوى الحاجات من المسلمين ولا ينسى نصيبه من الدنيا وهى مزرعة الآخرة.

(و فى الشبيبة قبل الكبر) لانه قد لا يصل الى الكبر فالتأخير مفوت للمقصود وألان القدرة

الشبيبة قبل الكبر وفي الحياة قبل الممات، فوالَّذي نفسٌ مَحْدٌ بيده ما بعد الدُّنيا من مستعْتَبٍ وما بعدها من دارٍ إلَّا الجنَّةُ أو النار .

على العمل وتحمل المشق في أيام الشباب أقوى أولان القوى في أيامه قوية وكمال العمل تابع لقوتها. أولان العمل اذصار ملكة في أيامه سهل عليه في أيام الكبر أولانه ينبغى أن يكون ميول القلب في أيامه إلى الطاعة والانقياد للأوامر والنواهي ليكون ما يرد على لوح نفسه من الكمالات النافعة في الآخرة (١) على لوح صاف عن كدر الباطل ولوعكس وجعل أوائل ميوله وارادته إلى المعاصي تسود مرآة نفسه بالملكات الردية فلم يكدر يقبل بعد ذلك الاستضاءة بنور الحق فكان من الاخسرين أعمالا.

(و في الحياة قبل الممات) لان العمل بعد الموت منقطع كما أشار إليه بقوله:

(فوالَّذي نفسٌ محمد بيده ما بعد الدنيا من مستعْتَبٍ) مستعْتَبٍ مصدر على زنة المفعول طلب الرضا أو اسم فاعل على احتمال بمعنى طالبه والعتب والعتاب التوبيخ و السخط للذنب والتقصير، يقال عتب عليه عتبا من بابي ضرب وقتل، وعاتبه معاتبة وعتاباً أى وبخه ولامه وسخط عليه لذنبه وتقصيره والاعتاب الازالة لكون الهمزة للسلب فهو بمعنى الرضا ، يقال أعتبه اعتباً أى أزال عنه العتاب وعاد إلى مسرته ورضاه، و الاستعتاب طلب الاعتاب والرضا بازالة ما عوتب عليه والمعنى ليس بعد الدنيا من استرضاء واقالة ذنب وقبول عذر كما قال تعالى «و ان يستعْتَبُوا فمأهم من المعْتَبِينَ» فالمعْتَبُ بفتح التاء المرضى أى أن يطلبوا الرضا والمسرة عنه تعالى ويستقبلوه فلا يرضى عنهم ولا يسرهم ولا يقبلهم لان محل الاستعتاب والاعتاب والاستقالة والاقالة انما هو الدنيا قبل حضور الموت وأما بعده فهو دار جزاء.

(وما بعدها من دار الالجنة أو النار) فمن أطاع ربه في الدنيا فالجنة داره ومثواه ومن عصاه فالنار منزله وماواه. والمقصود من هذا الحديث حث المكلف على اغتنام الفرصة في زمن المهلة للاستعتاب والاعتذار والتوبة والاستغفار والاستيقاظ عن سنة الغفلة والاجتهاد ورأى الاعمال و الاستعداد لما بعد الموت لثلا يقع بعده فسى الحسرة والندامة فيعتذر فلا -

(١) قوله «على لوح نفسه من الكمالات النافعة في الآخرة» هذا ما جرى عليه علماء الاخلاق ويدل عليه قوله تعالى «يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم» لان بنائهم على أن المؤثر بالذات في السعادة الآخروية هو الكمالات الحاصلة للنفس الانسانية بسبب الملكات الكريمة، وأما عمل الجوارح كالصلاة والصيام والحج فانما يؤثر بالتسبب وبالعرض لانه يوجب رسوخ الملكات، و رسوخ الملكات يوجب السعادة في الآخرة . فعمل الجوارح سبب سبب السعادة ولا يفيد ان لم يكسب للنفس ملكة راسخة، أوصفة ثابتة. (ش)

١٠- عنه. عن أحمد، عن ابن محبوب، عن داود الرقي، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عز وجل: «ولمن خاف مقام ربه جنتان» قال: من علم أن الله يراه ويسمع ما يقول ويعلم ما يعمل من خير أو شر فيحجزه ذلك عن القبيح من الأعمال، فذلك الذي خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى.

١١- عنه، عن أحمد بن محمد، عن ابن سنان، عن ابن مسكان، عن الحسن بن أبي سارة قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: لا يكون المؤمن مؤمناً حتى يكون خائفاً.

يقبل معذرتة فيقول «أو لم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر» بل قد يمنع من الاعتذار فيقول «أخسوا فيها ولا تكلمون» .

قوله (و لمن خاف مقام ربه جنتان) قال الشيخ بهاء الملة والدين والمراد بمقام ربه والله أعلم موقفه الذي يوقف فيه العباد، للحساب، أو هو مصدر بمعنى قيامه على أحوالهم ومراقبتهم، أو المراد مقام الخائف عند ربه وفسر الجنتان بجنة يستحقها العبد بمقائده الحقة وأخرى بأعماله الصالحة. أو أحدهما لفعل الحسنات والأخرى لترك السيئات أو جنة يثاب بها وأخرى يتفضل بها عليه أو جنة روحانية وأخرى جسمانية، وقال صاحب الكشاف الخطاب للثقلين فكأنه قيل للخائفين منكما جنتان جنة للخائف الانسى وجنة للخائف الجنى وجوز أيضاً أرادته الثاني والثالث المذكورين.

أقول يجوز أن يراد جنة للخوف لانه عبادة كما امر وجنة للإلزام وهو فعل الطاعات وترك المنهيات ويشعر به ما بعده، وما روى عن النبي «ص» أنه قال: «من عرض له فاحشة أو شهوة فاجتنبها من مخافة الله عز وجل حرم الله عليه النار وآمنه من الفزع الأكبر وأنجز له ما وعده في كتابه في قوله تعالى «ولمن خاف مقام ربه جنتان» فان ترتب استحقات الجنتين على الخوف والاجتناب يشعر بما ذكرنا.

قوله (فذلك الذي خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى) أشار به الى أن الموصول في قوله تعالى «وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى» من علم أن الله يراه الى آخره، وأنه الذي فى مقام المراقبة، وأنه الذى له جنتان وأن نهى النفس عن الهوى تابع للخوف، وأن الخوف تابع للعلم المذكور، فلا خوف بدون كما قال عز وجل «انما يخشى الله من عباده العلماء» .

قوله (لا يكون المؤمن مؤمناً حتى يكون خائفاً راجياً) قدشاع اطلاق الايمان على

راجياً ولا يكون خائفاً راجياً حتى يكون عاملاً لما يخاف ويرجو.

١٢- علي بن إبراهيم، عن محمد بن عيسى، عن يونس، عن فضيل بن عثمان، عن أبي عبيدة الحذاء، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: المؤمن بين مخافتين: ذنبٌ قد مضى لا يدري ما صنع الله فيه وعمر قد بقي لا يدري ما يكتسب فيه من المهالك، فهو لا يصبغ إلا خائفاً ولا يصلحه إلا الخوف.

١٣- علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن بعض أصحابه، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان أبي عليه السلام يقول: إنه ليس من عبد مؤمن إلا [و] في قلبه نوران: نور خيفة ونور رجاء، لو وزن هذا لم يزد على هذا ولو وزن هذا لم يزد على هذا.

(باب)

(حسن الظن بالله عز وجل)

١ - عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد، عن ابن محبوب، عن داود بن كثير، عن أبي عبيدة الحذاء، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: قال الله تبارك وتعالى: لا يتكلم العاملون لي على أعمالهم التي يعملونها الثوابي

ما يمنع من الدخول في النار وهذا الايمان لا يكون الا مع الصفات المذكورة التي اولها الخوف من الله وأسبابه على كثرتها اما امور مكروهة لذاتها كشدائد الدنيا والاخرة كشدّة الموت و عذاب القبر وهول المطلع والموقف بين يديه عز وجل وكشف السر والمناقشة في الحساب و العبور على الصراط والدخول في النار وحرمان الجنة، والحجاب منه تعالى وخوف الحجاب أعلى رتبة وهو خوف العارفين وما قبله خوف العابدين والصالحين والزاهدين وأموار مكروهة لانها تؤدي الى ما هو مكروه لذاته ككنف التوبة والموت قبلها والتقصير في الطاعة والافراط في القوة الشهوية والغضبية وسوء الخاتمة والشقاوة في العلم الازلي، والاغلب على المتقين خوف الخاتمة والاعظم خوف السابقة لكون الخاتمة تبعاً لها.

قوله (فهو لا يصبغ الا خائفاً) أصبح دخل في الصباح وهذا تأكيد لما سبق من قوله «المؤمن بين مخافتين» والغرض منه افادة استمرار الخوف دائماً.

قوله (ولا يصلحه الا الخوف) أذبه يتلافى ما فات ويتدارك ما هوآت كما مر.

قوله (لا يتكلم العاملون لي على أعمالهم) أي لا يعتمدوا في دخول الجنة ونيل درجاتها على محض تلك الاعمال وان كان صحيحة تامة الاركان في نفسها وواقعة مع

فإنهم لواجتهدوا و أتعبوا أنفسهم - أعمارهم - في عبادتي كانوا مقصّرين غير بالغين في عبادتهم كنه عبادتي فيما يطلبون عندي من كرامتي و النعيم في جنّاتي، و رفيع -

المبالغة في الاجتهاد لانها بالنسبة الى عظمة الحق وما يستحقه من العبادة ناقصة و قد نطقت السنة الاولياء بأنهم ما عبدوه حق عبادته فكيف غيرهم و بالنظر الى نعيم الجنات و رفع الدرجات و كرامة الرب و جوار القرب قاصرة غير قابلة لاقتضاءها مع أن مفاصد الاعمال كثيرة لا تخلص منها الى آخر العمر الا نادراً و الاتكال عليها موجب للعجب المهلك غالباً، و على هذا لا ينبغي للعاملين أن يتكلموا على محض أعمالهم ولا يثقوا بمجرد أفعالهم، بل ينبغي لهم مع الاجتهاد فيها و الاتيان بها تامة الاركان و تخليصها عن طريان المفاصد و شوائب النقصان أن يثقوا برحمة ربهم في دخول الجنان و يرجوا فضله في الكرامة و الاحسان و يطمئثوا الى حسن الظن به في قبول العمل و جبر النقصان، فان رحمته عند ذلك تدرّكهم و رضوانه يبلغهم في دار السلامة، و مغفرته تلبسهم لباس العفو و الكرامة و بهذا التقرير ظهر أن طمع من ترك العمل لحسن الظن به مقطوع، و أن قول من قال في هذا الخبر دلالة على أن العمل ليس سبباً لدخول الجنة ممنوع كيف و قد قال جل شأنه «ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون»، و ملخص القول أن الاحسان بالعمل مع عمل آخر و هو الثقة بفضل الله و رحمته في قبوله سبب لدخولها و نيل درجاتها كما قال «ان رحمة الله قريب من المحسنين» هذا و قد ذهب جماعة من العامة ان العمل ليس سبباً لدخول الجنة أصلاً و استدلوا على ذلك بما رواه مسلم عن النبي «ص» أنه قال «لن يدخل أحداً منكم عمله الجنة» و هذا بناء على أصلهم من أن الله تعالى يجوز أن يعذب المؤمن المطيع و يثيب الكافر، و أوردوا على أنفسهم أن ذلك منقوض بالاية المذكورة و أن العمل اذا لم يكن سبباً أصلاً فما الفائدة فيه؟ فأجابوا عن الاول بأن معنى الاية: ادخلوها بأعمالكم رحمة من الله لاستحقاقاً عليه، و قال المازري معناها أن دخول الجنة بالعمل لكن بهدايته له و فضله فصح أنه لم يدخل الجنة بمجرد العمل. و أجاب أبو عبد الله الابي عن الثاني بأن القائمين بأن دخول الجنة انما هو بنعمة الله لا يلبغون أثر الاعمال بل يقولون انما هو في رفع الدرجات

أقول: يرد على الجواب الاول أن استفادة ذلك من الاية ممنوعة و على تقدير التسليم

لا يخلو من تناقض لان قولهم ادخلوها بأعمالكم يفيد أن الاعمال سبب للدخول في الجملة و قولهم لاستحقاقاً عليه يفيد أنها ليست سبباً له و على جواب المازري أنه لا ينافي كون الاعمال سبباً في الجملة و على جواب الابي أنه اذا جاز أن تكون الاعمال سبباً لعلو الدرجات

الدَّرَجَاتِ الْعُلَى فِي جَوَارِي وَلَكِنْ بِرَحْمَتِي فليَتَّقُوا وَفَضَلِي فليَرْجُوا ، وَ إِلَى حَسَنِ
الظَّنِّ بِي فليَطْمَئِنُّوا ، فَإِنَّ رَحْمَتِي عِنْدَ ذَلِكَ تَدْرِكُهُمْ ، وَ مِنِّي يَبْلُغُهُمْ رِضْوَانِي وَ
مَغْفِرَتِي ، تَلْبَسُهُمْ عَفْوِي فَإِنِّي أَنَا اللَّهُ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ وَ بِذَلِكَ تَسَمِّيَتْ .

٢- ابن محبوب، عن جميل بن صالح، عن يزيد بن معاوية، عن أبي جعفر عَلَيْهِ السَّلَامُ
قال: وجدنا في كتاب علي عَلَيْهِ السَّلَامُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال - وهو على منبره - **والذي**
لا إله إلا هو ما أعطي مؤمن قط خير الدنيا والآخرة إلا بحسن ظنه بالله ورجائه له

لم لا يجوز (١) أن يكون سبباً لدخول الجنة.

(والى حسن الظن بى فليطمئنوا) هذا هو المطلوب ولذا ذكره فى هذا الباب وأما ذكره
فى باب الرضا بالقضاء فمن باب التبعية وينبغى أن يعلم أن الخوف يقتضى ترك المنهيات والرجاء
يقتضى فعل الطاعات والمكلف بعد اتصافه بهما على السواء ينبغى أن لا يتكل على اعماله فان
العابد - كما مر - وان بالغ كان مقصراً بعد، بل ينبغى أن يحسن ظنه بالله فى قبول عمله و رفع
درجته ويعتمد على فضله وكرمه ولا يسوء ظنه به فان حسن الظن ينبعث منه المحبة و هى
اعلى مقامات السالكين و سوء الظن ينبعث منه النفرة و هى من أعظم خصال الشياطين ، و
مما ذكرنا يندفع توهم أن حسن الظن يوجب ترجيح الرجاء على الخوف وهذا يناهى ما مر من
اعتبار التساوى بينهما .

قوله (والذى لا اله الا هو ما أعطى مؤمن قط خيراً الدنيا والآخرة الا بحسن ظنه بالله)
قال بعض الافاضل معناه حسن ظنه بالغفران اذا ظنه حين يستغفر و بالقبول اذا ظنه حين يتوب
وبالاجابة اذا ظنه حين يدعو والكفاية حين يستكفى لان هذه صفات لا تظهر الا اذا حسن ظنه
بالله تعالى وكذلك تحسين الظن بقبول العمل عند فعله اياه . فينبغى للمستغفر و التائب و
والداعى والعامل أن يأتمروا بذلك موقنين بالاجابة بوعد الله الصادق فان الله تعالى وعد بقبول التوبة
الصادقة والاعمال الصالحة ، وأما لو فعل هذه الاشياء وهو يظن أنها لا تقبل ولا تنفعه فذلك قنوط

(١) قوله «أن تكون الاعمال سبباً لعلو الدرجات» ومبنى كلام الشارح أن عمل
الجوارح سبب لدخول الجنة. ولكن سببيتها بالواسطة لانه سبب لعلو الدرجة، و علو الدرجة
سبب لدخول الجنة ، و على هذا فلا معنى لنفى سببية العمل لدخول الجنة أصلاً .
نعم ان اراد قائله نفي السببية بالمباشرة كان له وجه لكن يأبى عنه ظاهر كلام القائلين بالغناء
أثر الاعمال. (ش)

وحسن خلقه والكف عن اغتياب المؤمنين، والذي لا إله إلا هو لا يعذب الله مؤمناً بعد التوبة والاستغفار إلا بسوء ظنه بالله وتقديره من رجائه وسوء خلقه و اغتيابه للمؤمنين. والذي لا إله إلا هو لا يحسن ظن عبده مؤمن بالله إلا كان الله عند ظن عبده المؤمن، لأن الله كريم بيده الخيرات، يستحي أن يكون عبده المؤمن قد أحسن به الظن ثم يخلف ظنه و رجاءه، فأحسنوا بالله الظن وارغبوا إليه.

٣- محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن محمد بن إسماعيل بن بزيع، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: أحسنوا الظن بالله. فإن الله عز وجل يقول: أنا عند ظن عبدي المؤمن بي، إن خيراً فخييراً وإن شراً فشرّاً.

٤- علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن القاسم بن محمد، عن المنقري، عن سفيان ابن عيينة قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: حسن الظن بالله أن لا ترجو إلا الله ولا تخاف إلا ذنبك.

من رحمة الله تعالى والقنوط كبيرة مهلكة وأما ظن المغفرة مع الاصرار و ظن الثواب مع ترك الاعمال فذلك جهل وغرور يجر الى مذهب المرجئة والظن هو ترجيح أحد الجانبين بسبب يقتضى الترجيح فاذا خلا عن سبب فانما هو غرور وتمنى للمحال.

قوله (قال أحسنوا الظن بالله فان الله عز وجل يقول أنا عند ظن عبدي المؤمن بى ان خيراً فخييراً وان شراً فشرّاً) أقول قد عرفت معناه ومثله من كتب العامة روى مسلم عن النبى «ص» قال: يقول الله عز وجل «أنا عند ظن عبدي بى» قال القاسمى يحتمل أنه تحذير للعبد مما يقع فى نفسه مثل قوله تعالى «فاحذروه» وقال الخطابى معناه أنا عند ظن عبدي بى فى حسن عمله وسوء عمله لان من حسن عمله حسن ظنه ومن ساء عمله ساء ظنه.

قوله (قال سمعت أبا عبد الله «ع» يقول حسن الظن بالله أن لا ترجوا الا الله ولا تخاف الا ذنبك) يعنى حسن الظن أن ترجو الفوز بالسعادة الدنياوية من حول الله وقوته وتترقب النعماء الاخروية من فضله ورحمته لامن محض عملك ومجرد سعيك فان العمل وان كان فى حد الكمال قاصر فى جناب عزته، ناقص فى جنب عظمته، لا يوجب الوصول الى كمال قربه ونعمته، و أن تخاف من ذنبك فانه يؤدبك الى مقام الوعيد لامن الله تعالى فانه ليس بظلام للعبيد وفيه اشارة الى أن حسن الظن مركب من الرجاء والخوف وبه يشعر لفظه أيضاً فلو تخلف أحدهما عن الاخر

(باب الاعتراف بالتقصير)

١- محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن الحسن بن محبوب، عن سعد ابن أبي خلف، عن أبي الحسن موسى عليه السلام قال: قال لبعض ولده: يا بني عليك

كان ذلك خروجاً عن التوسط بالافراط والتفريط المذمومين عقلاً ونقلاً وبشيراً إليه أيضاً قول أمير المؤمنين «ع» العبد انما يكون حسن ظنه بربه على قدر خوفه من ربه وان أحسن الناس ظناً بالله أشدهم خوفاً لله، ومراده «ع» في قوله على قدر خوفه من ربه على قدر خوفه من عذاب ربه لاجل ذنبه فلا ينافى هذا الخبر، وبالجملة المستفاد من هذين الخبرين ان حسن الظن و الخوف متلازمان لانهما معلولا علة واحدة وهى معرفة الله سبحانه الا أن كل واحد منهما يستند الى صنف من المعرفة ونوع من الاعتبار يكون هو مبدؤه، أما حسن الظن يبنى الرجاء فان العبد اذا عرف ربه ولاحظ غناه عن العالمين وعن طاعتهم بحيث لا يزيد ذلك فى ملكه مثقال ذرة واعتبر جميع أسباب نعمه عليهم ظاهرة وباطنة جليلة وخفية مما هو ضرورى لهم كالات التغذية والتنمية ونحوهما مما لا يحصى وما لهم حاجة ما كالاظفار و نحوها وما هو غير ضرورى ولكن زينة لهم كتنقوس الحاجبين واختلاف ألوان العينين وغيرهما و تفكر فى صفات رحمته ولطفه واحسانه وانعامه وفى أن العناية الالهية اذا لم ترض ان يفوتهم تلك النعماء والمزايا فى الحاجة والزينة كيف ترضى بسياقهم الى الهلاك الابدى بعد معرفته و توحيدته والاخلاص فى عبادته، يحصل له بعد تلك الاعتبارات والملاحظات حسن الظن به والرجاء الى رحمته وعفوه وأما الخوف فانه اذا عرف الله تعالى ولاحظ صفات جلاله وعظمته و تعاليه و سطوته واستغناءه عن الخلق أجمعين وأنه لو أهلك العالمين لم يبال ولم يمنعه مانع و لم يسأل له سائل وتفكر فى سخطه وغضبه وعظم رزية مخالفته ومعصية فى اخراجه آدم من الجنة بسبب المخالفة السهلة مع كمال عزته ونشوه بين الملائكة وسجوده له واخراج الشيطان من رحمته بسبب مخالفة أمر واحد من أوامره وتكبره على آدم وتفكره فى الامم الماضية وكيفية أخذهم واهلاكهم بسبب المعصية فمنهم من أهلكهم بالصيحة ومنهم من أغرقهم ومنهم من خسف بهم الارض ومنهم من مسخهم الى غير ذلك من أنواع العذاب، يحصل له بتلك الاعتبارات والملاحظات خوف و خشية و احتراق و ذبول و ذلة و انكسار. ثم ان الخوف لا يسمى خوفاً الا بعد أن يفيض أثره على الاعضاء الباطنة فيمنعها عن الرذائل كالكبر والحسد والحقد والبخل وسوء الخلق وغيرها، وعلى الاعضاء الظاهرة فيكفها عن المعاصى كما أن الرجاء لا يسمى رجاء حتى يوجب ميل الباطن الى الاخلاق الفاضلة وميل الظاهر الى الاعمال الصالحة فالجمع بينهما يوجب استقامة الظاهر والباطن والصبر عند المعصية والطاعة.

بالجد لا تخرجن نفسك من حد التقصير في عبادة الله عز وجل و طاعته، فان الله لا يعبد حق عبادته.

٢- عده من أصحابنا، عن أحمد بن أبي عبد الله، عن بعض العراقيين، عن محمد بن المثنى الحضرمي، عن أبيه، عن عثمان بن زيد، عن جابر قال: قال لي أبو جعفر عليه السلام: يا جابر لا أخرجك الله من التقصير و [لا] التقصير.

٣- عنه، عن ابن فضال، عن الحسن بن الجهم قال: سمعت أبا الحسن عليه السلام يقول: إن رجلاً في بني إسرائيل عبد الله أربعين سنة ثم قرب قرباناً فلم يقبل منه فقال لنفسه: ما أتيت إلا منك وما الذنب إلا لك، قال: فأوحى الله تبارك الله وتعالى

قوله (فان الله لا يعبد حق عبادته) أي لا يعبد حق عبادته كما وكيفاً، كيف وقد اعترف خاتم الانبياء و سيد الاوصياء بالتقصير، وفيه تنبيه على حقارة عبادة الخلق في جنب عظمتهم و احسانه و استحقيقه لما هو اهله ليدوم شكرهم و جدهم في عباداتهم و لا يستكبروا شيئاً من طاعاتهم.

قوله (يا جابر لا أخرجك الله من التقصير و لا التقصير) أي وفقك لان تعد عبادتك ناقصة و نفسك مقصرة اولان تعد نفسك ناقصة مقصرة، فبالنقص تخرج من الكبر و بالتقصير من العجب و الكسل في العبادة مع ما فيها من الاعتراف بالحاجة و الذل و العبودية لان من عرف تقصير نفسه و نقصها كان في مقام الحاجة و الذل و الانكسار و لاعبودية أشرف منها.

قوله (ثم قرب قرباناً فلم يقبل منه) القربان اسم لما يتقرب به الى الله تعالى من ذبيحة و غيرها. قيل قبوله عندهم كانت عبارة عن خروج النار و احراقه.

(فقال لنفسه ما أتيت إلا منك و ما الذنب إلا لك) هذا الاعتراف من تواضع العلم و الحكمة لان العالم الحكيم يعلم أن فيضه تعالى (١) عام لكل قابل و ان الاعمال الصالحة مقبولة قطعاً فاذا

(١) قوله «لان العالم الحكيم يعلم أن فيضه» مذهب الحكماء أن وجود الممكن عن مبدئه اما أن يتوقف على استعداد مادة لقبوله كوجود أشخاص الحيوان و النبات و حينئذ لا يوجد الا بعد حصول ذلك الاستعداد، و لا يتأخر عن الاستعداد البتة . فاذا صار البذر مستعداً لان يوجد فيه الصورة النباتية وجد من غير بطؤ و ريث لان فيضه تعالى عام لا يتأخر عن قابلية المستفيض البتة، و ان لم يكن وجود الممكن متوقفاً على الاستعداد. بل كان وجوده ممكناً دائماً لم يتأخر وجوده الا عن مشية الله تعالى لان فيضه عام لكل قابل كنور الشمس فانه يضيء

إليه ذمك لنفسك أفضل من عبادتك أربعين سنة.

وجد عمله غير مقبول علم ان ذلك لتقصير في عمله ونقص في نفسه ثم عدم تأثير عبادته مدة أربعين سنة في صفاء قلبه مع ما روى أن من عبد الله أربعين يوماً خالصاً لوجهه لا ينفجر في قلبه ينابيع الحكمة انما هو لفساد في عمله مثل الرياء والحسد أو الفخر والعجب أو غيرها، ومنه يعلم أن العمل بدون تصفية القلب غير مقبول (١) كما قال جل شأنه انما يتقبل الله من المتقين، فلا بد للعابد اذا أراد بلوغه حد الكمال من أن يظهر نفسه من الفساد وينزه ظاهره وباطنه عن العلائق و يوجه قلبه الى الله و يتفكر في معاني الكلمات التي يناجيها بها وأسرار الآيات التي يتلوها و يعترف بالعجز والتقصير . فانه اذا كان كذلك في جميع الاوقات أو في أكثرها بلغ قبول الحق وأدرك وصاله حتى تميز ارادته كرادته لا يتخلف عنها المراد ، و الله ولي التوفيق. (فاوحى الله تبارك وتعالى اليه) ظاهره بلوغ الوحي اليه و يحتمل نزوله الى

﴿ كل شيء يمر في مقابلته، ولا يتوقف اضاءته الاعلى المقابلة، وعليه هذا اذا عمل المؤمن عملاً مؤثراً في تهذيب نفسه وحصول ملكة سالحة في قلبه من غير مانع ومفسد كالعجب والرياء فلا معنى لعدم قبوله كما لا يحتمل عدم تأثير الماء في نمو النبات وعدم تأثير الغذاء في شبع الحيوان (ش). (١) قوله « بدون تصفية القلب غير مقبول » ويدل عليه أيضاً قوله تعالى « يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم » ويؤيد هذا الكلام ما ذكرناه سابقاً من أن العمل سبب بالواسطة للسعادة الاخرية لا بالمباشرة، وان السبب المباشر القريب هو الملكة السالحة الراسخة، وانما امر بهذه الاعمال الظاهرة لتحصيل تلك الملكة. والغرض الاصلى فيها تحصيل السعادة في الآخرة . و من زعم أن حكمة انزال الكتب وارسال الرسل وتشريع الشرائع حفظ نظم هذا العالم وحسن سياسة العباد فهو بمعزل عن الحق قاصر النظر على الماديات « يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون ». وقال تعالى « نفس و ما سويها فالهـمها فجورها وتقويها قد افلح من زكياها وقد خاف من دسيها » فبين أن فلاح نفس الانسان بالتزكية واستدلال عليها بأن نفسه مجردة موجودة بامر الله تعالى ويعرف الفجور والتقوى بالهامه تعالى وكل شيء كان له صفة من الصفات ايا ما كانت فانما جعلت فيه لغاية يتوخاها البتة بتلك الصفة وليس ادراك الحسن والقبح واستبشاع المنكرات وتحسين المعروفات بالهام خالقه عبثاً في وجود الانسان، بل لا بد من أن يكون لغاية هي تزكية نفسه كما أن وجود رغبة أو رهبة في كل موجود انما هو لان مسا يرغب فيه غايته و مكمل لوجوده ك رغبة الشجر الى نور الشمس وجعل ادراك الفجور والتقوى في طبيعة النفس لان فلاحها بتزكيتها وذكرنا شيئاً يتعلق بذلك في المجلد الرابع ص ٢٨٥. (ش)

٤- أبو علي الأشعري، عن عيسى بن أيوب، عن علي بن مهزيار، عن الفضل ابن يونس، عن أبي الحسن عليه السلام قال: قال: أكثر من أن تقول: اللهم لا تجعلني من المعارين ولا تخرجني من التقصير، قال: قلت: أمّا المعارون فقد عرفت أن الرجل يعار الدين ثم يخرج منه، فمامعني لا تخرجني من التقصير؟ فقال: كل عمل تريد به الله عز وجل فكن فيه مقصراً عند نفسك، فإن الناس كلهم في أعمالهم فيما بينهم وبين الله مقصرون إلا من عصمه الله عز وجل.

(باب الطاعة والتقوى)

١- علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن أحمد بن محمد بن أبي نصر، عن أخي عرام عن محمد بن مسلم، عن أبي جعفر عليه السلام قال: لا تذهب بكم المذاهب، فوالله ما شيعتنا إلا من أطاع الله عز وجل.

بنى فبلغه. قوله (فقال كل عمل تريد به وجه الله عز وجل) وهو عمل الدين والاخرة وأما عمل الدنيا فلا ينبغي أن تعد نفسك في ترك الجد فيه مقصرة .

(فان الناس كلهم في أعمالهم فيما بينهم وبين الله مقصرون) اذ ليس أحد وان اشتد في طلب رضا الله تعالى حرصه وطال في العمل اجتهاده ببالغ حقيقة ما الله سبحانه أهله من الطاعة له وكمال الاخلاص ودوام الذكر و توجه القلب اليه وأداء حق شكر نعمه. اذ هو بكل نعمة يستحق الطاعة والشكر ونعمه غير محصورة كما قال «وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها» فاذا قوبلت الطاعة بالنعمة بقي أكثر نعمه غير مشكورة لمقابل لها من الطاعة .

(الا من عصمه الله عز وجل) وهم الانبياء والاصياء لان عصمتهم و نورانية ذواتهم و صفاء صفاتهم و خلوص عقائدهم و عزيمة قلوبهم و كمال نفوسهم و دوام ذكرهم اخرجتهم عن حد التقصير، ومع ذلك اعترفوا به اظهاراً للعجز والنقصان ، وان جاؤا بما هو المطلوب من الانسان على نهاية ما يتصور من القدرة والامكان ، ويمكن أى يكون المراد بهم الملائكة المقربون الذين لا يعصون الله وهم بأمره يعملون لكن الاستثناء حينئذ منقطع الا ان يراد بالناس العابد، والله أعلم.

قوله (لا تذهب بكم المذاهب) أى لا تذهبكم المذاهب الى سبيل الضلال وتمنى المحال فالباء للتعدية واسناد الازهاب اليها مجاز عقلي لان فاعله النفس الامارة والشيطان، ولعل المراد به الاعمال القبيحة والعقائد الكاسدة والاماني الفاسدة التي من جملتها أن تفعلوا شرح الاصول الكافي - ١٤ -

٢- عدّةٌ من أصحابنا، عن أحمد بن محمد، عن ابن فضال، عن عاصم بن حميد عن أبي حمزة الثمالي، عن أبي جعفر عليه السلام قال: خطب رسول الله صلى الله عليه وآله في حجة الوداع فقال: يا أيها الناس والله ما من شيء يقرّبكم من الجنة و يباعدكم من النار إلا وقد أمرتكم به وما من شيء يقرّبكم من النار و يباعدكم من الجنة إلا وقد نهيتكم عنه، ألا وإنّ الروح الأمين نفث في روعي أنّه لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها فاتّقوا الله وأجملوا في الطلب ولا يحمل أحدكم استبطاء شيء من الرزق أن يطلبه بغير

ما تريدون و تقولوا نحن متشيعون، و نحن نحب أهل البيت، و نرجو شفاعتهم ، فان ذلك لا ينفعكم كما أشار اليه بقوله:

(فوالله ما شيعتنا الا من اطاع الله عزوجل) بالقلب و الجوارح مع محبتنا لظهور أن معنى التشيع هو المتابعة لهم قولاً و فعلاً ولا يتحقق هذا المفهوم الا لمن اطاع الله كما أطاعوه.

قوله (ما من شيء يقرّبكم من الجنة و يباعدكم من النار الا وقد أمرتكم به) المقرب من الجنة هو الاداب الكاملة والمقائد الحقة والاخلاق الفاضلة و الاعمال الصالحة والمقرب من النار أضدادها (الاولان الروح الامين) جبرئيل (ع) (نفث في روعي) النفث النفخ، و نفث الله الشيء في القلب من باب ضرب ألقاه، والروع بالضم الخاطر والقلب.

(انه لن تموت نفس) موتها مفارقتها للبدن ورفع يدها عن التصرف فيه بأمر الله تعالى (حتى تستكمل رزقها) أى تأخذ رزقها المقدر على وجه الكمال ضرورة أن بقاء تعلقها بالبدن متوقف على الرزق. فمن المحال أن يبقى التعلق وينقطع الرزق.

(فاتقوا الله) التقوى هي الاقتداء بالنبي (ص) والتمقّي من يجعل بينه وبين ما يخاف منه وقاية تقيه منه و منه اتقوا النار ولو بشق تمرّة، فأصل التقوى الخوف من الله بملاحظة جلال الله و عظّمته و قبح مخالفته و شدة عقوبته، ولما كانت التقوى هي الحاجزة عن تقحم الدنيا والوغول فيها، و طلبها من حيث لا يجوز أمر أولابها وعطف عليها ما هو من لوازمها فقال: (و أجملوا في الطلب) من الجميل أو الاجمال قال في المصباح: أجملت في الطلب رفقت أى أحسنوا في الطلب ولا يكن كدكم فيه كدافاحشاً ولا مذهب اكتسابكم مذهباً باطلاً أو ارفقوا فيه واقتصدوا، من رفق في السير اذا قصد.

(ولا يحمل أحدكم استبطاء شيء من الرزق أن يطلبه بغير حله) أى لا يبعث أحدكم ذلك على طلبه بطريق غير مشروع، فالمصدر المستفاد من أن يطلبه منصوب بنزع الخافض.

حلّه فانه لا يدرك ما عند الله إلا بطاعته.

٣- أبو علي الأشعري، عن محمد بن سالم؛ و أحمد بن أبي عبد الله، عن أبيه ، جميعاً عن أحمد بن النضر، عن عمرو بن شمر، عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام قال : قال لي: يا جابر أيمكنني من انتحل التشيع أن يقول بحبنا أهل البيت ، فوالله ما شيعتنا إلا من اتقى الله و أطاعه وما كانوا يعرفون يا جابر إلا بالتواضع والتخضع

(فانه لا يدرك ما عند الله) عن الثواب الجزيل والاجر الجميل والرزق الحلال . (الا بطاعته) في الاوامر والنواهي ، فكما أن من سلك سبيل المعصية ضل عن سبيل الجنة واستحق العقاب و حرم عن الثواب. فكذلك من طلب الرزق من غير حله حرم عما عنده تعالى من الرزق الحلال واستحق العقاب بكسب الحرام كما روى عن النبي «ص» من «أن الله تعالى قسم الارزاق بين خلقه حلالاً ولم يقسمها حراماً فمن اتقى الله و صبر أتاه رزقه من حله ، و من هتك حجاب الله عز وجل و اخذه من غير حله قص به من رزقه الحلال و حوسب عليه يوم القيامة» و اعلم أن الرزق عند المعتزلة كل ما صح الانتفاع به بالتغذي وغيره و ليس الحرام عندهم رزقاً ، وهذا الحديث يدل عليه ، وعند الاشاعرة كل ما ينتفع به ذو حياة بالتغذي وغيره و ان كان حراماً و خص بعضهم بالاغذية والاشربة و للطرفين دلائل و مؤيدات تركناها تحرزاً من الاطناب.

قوله (فوالله ما شيعتنا الا من اتقى الله و أطاعه) لعل المراد بالتقوى الامتثال بالزواجر وبالطاعة الامتثال بالاوامر و يحتمل أن يراد بالتقوى تقوى القلوب وهي تخليته عما يفسده وتحليلته بما يصلحه ، و بالطاعة طاعة الظواهر بترك المنهيات و فعل المأمورات (وما كانوا يعرفون يا جابر) في عهد الائمة الماضين عليهم السلام . (الا بالتواضع والتخضع) المراد بالتواضع التذلل لله عندأوامره و نواهيته وتقلد العبودية بمعرفة عجزه بين يديه ، وكمال افتقاره اليه ، و لعباده المؤمنين تعظيمهم واجلالهم وتكريمهم و اظهار حبههم والميل الى مجالستهم ومواكبتهم ولين القول عندهم و حسن المعاشرة معهم والابتداء بسلامهم والرفق بذوى حاجاتهم والاقدام الى قضاء حوائجهم والمبادرة الى خدمتهم و غير ذلك مما يدل على ضعفه عندهم وعدم تكبره عليهم ، والمراد بالخشوع التذلل لله مع الخوف منه كما صرح به بعض المحققين ، ثم قال وبذلك فسرفى قوله تعالى «والذين هم في صلواتهم خاشعون» وقال صاحب المصباح : خضع لغريمه خضوعاً ذل واستكان والخضوع قريب من الخشوع الا أن الخشوع أكثر ما يستعمل في الصوت والخضوع في الاعناق، أقول : ثم شاع وصف القلب والجوارح به كما روى عن النبي «ص» «أنه رأى رجلاً يعبث بلحيته في

والأمانة وكثرة ذكر الله والصوم والصلاة والبرّ بالوالدين والتعاهد للجيران من الفقراء وأهل المسكنة والغارمين والأيتام وصدق الحديث وتلاوة القرآن وكفّ الألسن عن الناس إلاّ من خير، وكانوا أمناء عشائريهم في جميع الأشياء. قال جابر: فقلت: يا ابن رسول الله ما نعرف اليوم أحداً بهذه الصفة، فقال: يا جابر لا تذهبن بك

صلاته فقال: أمانه لو خضع قلبه لخشعت جوارحه، والمراد بخشوع القلب اشتغاله بذكر الله تعالى وتوجهه إليه، وأعراضه عما سواه، وإذا حصل له هذه الفضيلة حمل الجوارح على ما هو المطلوب مع انكسار وتذلل وخوف على مخالفتها لغفلة أو سهو أو لغرض من الأغراض النفسانية، واشتغال الجوارح بذلك عبارة عن خشوعها.

(والأمانة) وهي حالة نفسانية توجب سكون القلب وطمأنينته، وعدم ميله إلى المكر والحيلة، ومنه فلان مأمون الغائلة أي ليس له مكر يخشى. ولعل المراد بها حفظ الودعة والعهد مع الله تعالى أو مع الناس، ومن طرق العامة الأمانة غنى، أي من شربها كثر معاملوه فاستغنى. (وكثرة ذكر الله) باللسان والقلب خصوصاً في مقام الأوامر والنواهي والنواب (والصوم والصلاة) على أركانها وشرائطها وفعلها كذلك دليل على كمال القوة النظرية والعملية، والواو للعطف على الكثرة أو على ذكر الله.

(والبرّ بالوالدين) بتعظيمهما واطاعتهما في كل ما جاز شرعاً وعقلاً والاحسان إليهما ودفع الأذى عنهما، وأداء ديونهما وطلب الخير لهما حين وميتين.

(والتعاهد للجيران من الفقراء وأهل المسكنة) أي حفظ حالهم ورعاية أحوالهم وإيصال الخير إليهم وترك أذاهم وتحمل الأذى منهم وعبادة مريضهم وتشجيع جنائزهم وعدم التطلع إلى عوداتهم، والفقير والمسكين من ليس له مال ولا كسب يفنى بقوت السنة له ولعِياله و اختلفوا في أن أيهما أسوء حالاً فقال الأصمعي والشافعي وابن ادريس والشيخ الطوسي في المبسوط والخلاف: أن الفقير أسوء حالاً، وقال الفراء وابن السكيت و ثعلب وأبو حنيفة، وابن الجنيّد وسار والشيخ الطوسي في النهاية: أن المسكين أسوء حالاً و للطرفين دلائل مذكورة في محلها.

(والغارمين والايّتام) بأداء ديونهم وتفقد أحوالهم ورعاية حقوقهم والرفق بهم والعطف على الفقراء أو على الجيران والآخر أنسب لأنه أعم.

(و كانوا أمناء عشائريهم في) (جميع الأشياء) العشائر جمع العشيرة وهو المعاشرة، ولما كانت الأمانة عامة مطلوبة من جميع الجوارح والشئ عاماً صادقاً على جميع أفعالها صار المقصود أنهم كانوا أمناءهم بجميع الأعضاء في جميع الأفعال.

المذاهب حسب الرجل أن يقول: أحبُّ علياً و أتولاهُ ثم لا يكون مع ذلك فعلاً
فلو قال: إنني أحبُّ رسول الله ﷺ فرسول الله خيرٌ من عليٍّ ثم لا يتبع سيرته
ولا يعمل بسنته مانعه حبّه إياه شيئاً، فاتقوا الله و اعملوا ما عند الله ليس بين الله و
بين أحد قرابة، أحبُّ العباد إلى الله عزّ وجلّ وأكرمهم عليه أتقاهم وأعملهم بطاعته
يا جابر! والله ما يتقرّب إلى الله تبارك وتعالى إلا بالطاعة وما معنا براءة من النار
ولا على الله لأحد من حجة، من كان لله مطيعاً فهو لنا وليٌ و من كان لله عاصياً فهو لنا

(حسب الرجل ان يقول احب عليا) التركيب مثل حسبك درهم أى كافيك، وهو خبر
لفظاً واستفهام معنى للانكار والتوبيخ أى لا يكتفيه ذلك ولا ينجيه من العقوبة بدون أن يكون
فعلاً مبالناً فى الفعل ظاهراً و باطناً وتابعا له عليه السلام قولوا وعلماء، والمحبة والشفاعة و ان
كاتبنا فمتين فى دفع الخلود من النار، ولكنهما لا توجبان عدم الدخول فيها كما نقل عن عليّ «ع»
فى حديثه أنه قال: «المؤمن المسرف على نفسه لا يدري (يعنى عند الموت) ما يؤل اليه حاله يأتيه
الخبر مبهماً مخوفاً لم يسويه الله بأعدائنا ويخرجه من النار بشفاعتنا فاعملوا و اطيعوا ولا
تتكلموا (يعنى على شفاعتنا) ولا تستصغروا عقوبة الله فان من المسرفين من لا تلحقه شفاعتنا الا بعد
عذاب الله بثلاثمائة سنة.

(فاتقوا الله و اعملوا لما عند الله) قد عرفت أن المؤمن لا يخلو من خوف ورجاء و أن
الخوف يقتضى ترك المنهيات و هو التقوى و أن الرجاء يقتضى فعل الطاعات و انما قدم
التقوى لان تخلية النفس عن الرذائل أقدم من تحليته بالفاضل.
(و أكرمهم عليه أتقاهم) كما قال عز وجل «ان أكرمكم عند الله أتقاكم» و المراد
بالكرامة القرب منه تعالى والاستحقاق لقبول فيضه الدنيوي و الاخرى مثل الجنة و درجاتها
و ثمراتها و قلوبها الدانية و غير ذلك مما أعد الله لاوليائه الا برار و ظاهر أن الكرامة
لا تحصل لاحد الا بالتقوى و هى ضبط النفس عما يوجب البعد عنه تعالى من الرذائل
النفسانية و الجسمانية.

(من كان لله مطيعاً فهو لنا ولي) أى من كان مطيعاً لله لا لغيره من النفس و الشيطان
فهو لنا ولي ذاتاً و فعلاً لا لغيرنا ، والولى فعيل بمعنى فاعل أى ناصر و محب ، أو
بمعنى مفعول كما فى قولهم «المؤمن ولى الله».

(و من كان لله عاصياً فهو لنا عدو) أى من حيث أنه عاص فيرجع النقص و العداوة الى
فعله: «لا الى ذاته، ولذلك تدركه الشفاعة و تنجيه من الخلود فى النار مع أعدائهم ذاتاً و
فعلاً يدل على ذلك ما روى عن أبى عبد الله «ع» قال: «ان الله خلق السعادة و الشقاء قبل أن

عدوً ، وما تنال ولا يتنا إلا بالعمل والورع.

٤- علي بن إبراهيم، عن أبيه ؛ وعبد بن إسماعيل، عن الفضل بن شاذان، جميعاً عن ابن أبي عمير، عن هشام بن الحكم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إذا كان يوم القيامة يقوم عنق من الناس فيأتون باب الجنة فيضربونه، فيقال لهم: من أنتم؟ فيقولون: نحن أهل الصبر، فيقال لهم: على ما صبرتم؟ فيقولون: كنا نصبر على طاعة الله ونصبر

يخلق خلقه فمن خلقه الله سعيدياً لم يبغضه أبداً وان عمل شراً أبغض عمله ولم يبغضه وان كان شقيماً لم يحبه أبداً وان عمل صالحاً أحب عمله و أبغضه لما يصير اليه فاذا أحب الله شيئاً لم يبغضه أبداً واذا أبغض شيئاً لم يحبه أبداً.

(وما تنال ولا يتنا الا بالعمل والورع) أى الاتيان بالطاعات والاجتناب عن المنهيات، قال بعض المحققين للورع أربع درجات الاولى: ورع النائيين وهو ما يخرج به الانسان عن الفسق وهو المصحح لقبول الشهادة، الثانية ورع الصالحين وهو الاجتناب عن الشبهات خوفاً منها من الوقوع في المحرمات. الثالثة: ورع المتقين وهو ترك الحلال خوفاً من أن ينجر الى الحرام مثل ترك التحدث بأحوال الناس لمخافة أن ينجر الى الغيبة. الرابعة: ورع السالكين وهو الاعراض عما سواه تعالى خوفاً من صرف ساعة من العمر فيما لا يفيد زيادة القرب منه تعالى وان علم أنه لا ينجر الى الحرام.

قوله (اذا كان يوم القيامة يقوم عنق من الناس) العنق الرقبة، والنون مضمومة للاتباع في لغة حجاز و ساكنة في لغة تميم، والمراد بها الجماعة من الناس.
(فيقولون كنا نصبر على طاعة الله و نصبر على معاصي الله) لاريب في أن النفوس البشرية مائلة الى اللذات، هاربة عن المشقات، وأن المعاصي لذات حاضرة و الطاعات مشقات ظاهرة فالنفس تريد المعاصي و تهرب عن الطاعة. و لذلك ورد في بعض الادعية «اللهم لا تكني الى نفسى طرفة عين فانك ان تكني الى نفسى أقرب الى الشر و أبعد من الخير» فمن حاولها بحسن تقديره و ملك زمامها بلطف تديره حتى صرفها عن مرامها و استخراجها عن مقامها و حبسها في مراتب العبادة و مرابط الطاعات و صبر على مجاهدتها ملك غنيمة عظيمة هي رأس مال الصابرين و أقوات قلوب السالكين و الزاد في السير الى رب العالمين و أسباب الدخول في الجنة التي اعدت للمتقين، و اليه أشار أمير المؤمنين «ع» «ان الله جعل الطاعة غنيمة الاكياس عند تفريط الفجرة» و انما جعل الطاعة غنيمة الاكياس وهم الذين لهم جودة القرايح لانهم يأخذونها بالمحاربة مع النفس الامارة كما يأخذ الغلمانون الغنيمة بالجهاد مع الكفار بل جهادهم أعظم من الكفار كما قال «ص» بعد رجوعه من

عن معاصي الله، فيقول الله عز وجل: صدقوا، ادخلوهم الجنة وهو قول الله عز وجل: «إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب».

٥- محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن محمد بن سنان، عن فضيل بن عثمان، عن أبي عبيدة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: كان أمير المؤمنين صلوات الله عليه يقول: لا يقل عمل مع تقوى وكيف يقل ما يتقبل.

٦- حميد بن زياد، عن الحسن بن محمد بن سماعة، عن بعض أصحابه، عن أبان عن عمرو بن خالد، عن أبي جعفر عليه السلام قال: يا معشر الشيعة، شيعة آل محمد - كونوا النمرقة الوسطى يرجع إليكم الغالي ويلحق بكم التالي، فقال له رجل من الأنصار

بعض الغزوات «رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر وهي جهاد النفس»، وإذا حصلت لهم تلك النعمة وتمكنت فيهم هذه العزيمة أمكن لهم الدخول في الجنة قبل فراغ الناس من الحساب لأن أولئك هم المتقون الذين صبروا في دار الدنيا وأدوا حسابهم فيها، وقد قال الله تعالى: «انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب» لأن الحساب إنما هو على من خلط عملاً صالحاً وأخراً سيئاً، وأما المتقون فلا حساب عليهم كما لا حساب على المشركين فانهم يدخلون النار بغير حساب

قوله (لا يقل عمل مع تقوى) كل عمل بنى على التقوى لا يقل لكونه عظيماً في ذاته وكثيراً ينمو عند الله تعالى مع توفقه على كثير من الأعمال القلبية التي لا توجد إلا بالمجاهدات النفسانية، ولا يهدم ولا يلحق بانيه الخسران كما قال عز وجل: «فمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير أمن أسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به في نار جهنم»، ثم أكد ذلك وأشار إلى أنه لا ينبغي أن يعد قليلاً بقوله:

(و كيف يقل ما يتقبل) لأن العمل مع التقوى مقبول قطعاً لقوله تعالى: «انما يتقبل الله من المتقين».

قوله (كونوا النمرقة الوسطى) النمرقة وسادة وهي بضم النون والراء وبكسرهما وبغير هاء وجمعها نمارق، ولعل المراد كونوا بين الناس كالنمرقة الوسطى بين النمارق في الشرف والحسن لأن النمرقة الوسطى أشرف النمارق وأحسنها (١) والمقصود كونوا (١) قوله «أشرف النمارق وأحسنها» لا يجب أن يكون الوسطى أشرف النمارق ولا حاجة إلى هذا أيضاً بل المراد كون النمرقة الوسطى مستندة للطرفين اذ يعتمد عليها الجلاس من جانبيها بخلاف النمرقة الموضوعة في طرف فانها يعتمد عليها الجالس في أحد جانبيها، وليس في جانبها الآخر مكان يجلس أحد فيه فيتكأ عليها وبالجملة النمرقة الوسطى وسادة موضوعة*

يقال له سعد: جعلت فداك ما الغالي؟ قال قوم يقولون فينا ما لا نقوله في أنفسنا، فليس اولئك مناّ ولسنا منهم، قال: فما التالي؟ قال: المر تاديريد الخير يبلغه الخير يوجر عليه. ثم أقبل علينا فقال: والله ما معنا من الله براءة ولا بيننا وبين الله قرابة ولا لنا على الله حجة ولا نتقرب إلى الله إلا بالطاعة، فمن كان منكم مطيعاً لله تنفعه ولا يتنا، ومن كان منكم عاصياً لله لم تنفعه ولا يتنا، ويحكم لاتغترّوا، ويحكم لاتغترّوا.

٧- عدّة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد بن خالد، عن عثمان بن عيسى،

وسطاً بين طرفي الافراط والتفريط، أو كونوا أهل النمرقة الوسطى كما هو شأن أهل الشرف والمجد. اما على حذف المضاف وهو الاهل، او على ارادتهم من النمرقة مجازاً من باب تسمية الحال باسم المحل أو تسمية أحد المتجاورين باسم صاحبه ووجه التشبيه أو الغرض منه هو قوله يرجع اليكم الغالي و يلحق بكم التالي. وقيل كونوا ذوى النمرقة الوسطى بحذف المضاف، والنمرقة العليا للرسول وعترته المعصومين عليهم السلام، والنمرقة الدنيا لبيد الدنيا وأبنائها فأمر «ع» بالوسطى، لان من استقر عليها وتمسك بها اطمأن على الحق واستقر دينه على الهدى وأمن من الضلال والردى كما أن من اتكأ على النمرقة الوسطى استقر عليها ووثق بالراحة مطمئناً آمناً من التعب.

(قال قوم يقولون فينا ما لا نقوله في أنفسنا) فسر الغالي بأخص صفاته التي بها يمتاز عن غيره وهو أنه يقول بأن واحداً من الائمة اله أو يجرى عليه ما هو من أخص صفاته تعالى من غلا في الدين غلواً من باب قعد تصلب و تشدد حتى جاوز الحد.

(قال المرتاد يريد الخير) فسر التالي بأنه المرتاد أى الطالب، من ارتاد الرجل الشيء اذا طلبه والمطلوب اعم من الخير والشر فقوله يريد الخير تخصيص و بيان للمعنى المراد هنا (يبلغه الخير يوجر عليه) من الابلاغ والتبليغ وهو الايصال، و فاعله معلوم بقرينة المقام أى من يوصله الى الخير المطلوب له يوجر عليه لهدايته وارشاده.

(و يحكم لاتغترّوا ويحكم لاتغترّوا) بالنين المعجمة فى الموضوعين من الاغترار بالولاية والشفاعة وقد ذكرنا سابقاً أن الشفاعة قد لاتنال أحداً الا بعد تلبثه فى جهنم زماً ناطويلا فلا ينبغي ترك العمل والاغترار بها أو بالفاء فهما من الفتور فى العمل والتكرير للتأكيد أو بأحدهما فى الاول وبالاخرة فى الاخر.

❖ فى مكان يمكن أن يتكئ عليها جالس من طرف و جالس آخر من طرف آخر بخلاف الوسادة الموضوعه فى الطرف اذ لا يتكئ عليها الا من جانب واحد، وكذلك اتباع الائمة عليهم السلام يجب أن يرجع كل من الطرفين اليه ويعتمد فى رأيه عليه. (ش)

عن مفضل بن عمر قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام فذكرنا الأعمال فقلت أنا: ما أضعف عملي، فقال: مه، استغفر الله، ثم قال لي: إن قليل العمل مع التقوى خير من كثير العمل بلا تقوى، قلت: كيف يكون كثير بلا تقوى؟ قال: نعم مثل الرجل يطعم طعامه ويرفق جيرانه ويوطيء رحله فإذا ارتفع له الباب من الحرام دخل فيه، فهذا العمل بلا تقوى، ويكون الآخر ليس عنده فإذا ارتفع له الباب من الحرام لم يدخل فيه.

٨- الحسين بن محمد، عن معلى بن محمد، عن أبي داود المسترق، عن محسن الميثمي عن يعقوب بن شعيب قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: ما نقل الله عز وجل عبداً من ذل المعاصي إلى عز التقوى إلا أغناه من غير مال وأعزه من غيره عشيرة و

قوله (فقلت أنا ما أضعف عملي فقال مه استغفر الله) أمره بالاستغفار عن ذلك القول لانه ظلم و جار حيث وضع الضعف في غير موضعه وفيه مدح للمفضل بأنه من أهل التقوى الا أنه هو ناقله و جماعة من أصحاب الرجال جرحوه و عد الشيوخ فانه في ارشاده ، عده من شيوخ أصحاب أبي عبد الله عليه السلام وخاصة و بطائفة وثقاته الفقهاء الصالحين فان قلت تضعيف العمل وتقليله اعتراف بالتقصير وانه مطلوب من كل أحد فكيف أمره بالسكوت ونهاه عن ذلك و أمره بالاستغفار المشعر بأنه خطيئة؟ قلت، الاقوال والافعال يختلف حكمها باختلاف النيات والقصود و هو لم يقصد بذلك القول أن عمله ضعيف قليل بالنظر الى عظمة الحق و ما يستحقه من العبادة و انما قصده ضعفه وقلته لذاته وبينهما فرق ظاهر، والاول هو الاعتراف بالتقصير دون الثاني .

(ثم قال لي ان قليل العمل مع التقوى خير من كثير العمل بلا تقوى) دل على أن العمل القليل مع التقوى كثير ، والعمل الكثير بلا تقوى قليل و به تبين خطأ المفضل حيث عد الكثير قليلا .

(قلت كيف يكون كثير بلا تقوى) كأنه ظن أن التقوى ما يقي من النار وهو يصدق على الاعمال الصالحة فحينئذ يستبعد تحقق كثير منها بلا تقوى، و حاصل الجواب أن التقوى فعل الطاعات و ترك المحرمات و هو الذي يقي من النار و حينئذ يتحقق كثير من الطاعات بدون التقوى عند فعل المحرمات.

(ويوطيء رحله) كناية عن كثرة الضيافة و قضاء حوائج المؤمنين بكثرة الواردين على منزله فذكره بعد الاطعام من باب ذكر العام بعد الخاص أو الاطعام مختص بالسائل و هذا بأهل الدعوة.

آنسه من غير بشر.

(باب الورع)

١- علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن أبي المغراء، عن زيد الشحام عن عمرو بن سعيد بن هلال الثقفي، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت له: إنني لألثاقك إلا في السنين، فأخبرني بشيء آخذ به، فقال: أوصيك بتقوى الله والورع والاجتهاد واعلم أنه لا يتفجع اجتهاد لا ورع فيه.

قوله (و آنسه من غير بشر) أشار إليه أمير المؤمنين «ع» بقوله «اللهم انك آنس الانسين بأوليائك» ولاربيب في أن المتقى من أوليائه إذ باطنه متوجه إليه و ظاهره عاكف على الامتثال بين يديه، ولما كانت أولياؤه في الدنيا غرباء في أبنائها، منفردين عنهم في سلوك سبيله، ومبتهجين بمشاهدة أنوار كبريائه كان الله تعالى هو الانيس لهم وهم برحمته يألفون و بمناجاته يبتهجون، و بفيض جوده يستفيضون و بالغفلة عنهم يضطربون و يستوحشون.

قوله (فقال اوصيك بتقوى الله والورع والاجتهاد) الوقاية الحفظ يقال وقاه الله السوء يقيه وقاية أى حفظه، و اتقيت الله اتقاء أى حفظت نفسى عن عذابه أو عن مخالفته والتقوى اسم منه والتاء مبدلة من الواو والاصل وقوى من وقيت لكنه أبدل ولزمت التاء في تصاريف الكلمة، والورع الكف عن المحارم يقال ورع عن المحارم يرع بكسرتين ورعاً بفتحين ورعة مثل عدة فهو ورع أى كثير الورع وورعته عن الامر توريعاً كفته فتورع، اذا عرفت هذا فنقول اذا نظر العبد في العظمة الالهية و تفكر في الهيبة الربوبية حصل له خوف و خشية يوجب حفظ نفسه عن المخالفة و ميلها الى الطاعة و ترك المعصية و يسمى ذلك الخوف أو الحفظ أو الميل أو الجميع بالتقوى و هى تقوى القلوب المذكورة في الايات والروايات و قد يسمى أئر ذلك و هو فعل الطاعات و ترك المنهيات بالتقوى أيضاً. والفرق بينها بالمعنى الاول و الورع وهو ترك ما ينبئى تركه ظاهر.

أما الفرق بينها بالمعنى الثانى وبينه ففيه خفاء يمكن رفعه بتخصيص التقوى بفعل الطاعات أو بتعميم الترك فى الورع بحيث يشمل ترك المباحات بل الاعم منها أو بأن ذكر الورع بعد التقوى من ذكر العام بعد الخاص أن كانت التقوى عبارة عن مجموع الفعل والترك أو بالعكس ان كان عبارة عن كل واحد منهما ثم نقول للورع خمسة أقسام ذكرها أرباب القلوب ولا بأس أن نشير اليها وان ذكرناها آنفاً لأن ذكرها هنا لا يخلو من فائدة ما، الاول ورع العادلين وهو ترك الفسوق، الثانى ورع الصالحين وهو ترك ما يحتمل التحريم ولكن

- ٢- محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن الحسن بن محبوب، عن حديد بن حكيم قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: اتقوا الله و صونوا دينكم بالورع.
- ٣- أبو علي الأشعري، عن محمد بن عبد الجبار، عن صفوان بن يحيى، عن يزيد

رخص في تناوله بناء على الظاهر كطعام الملوك وعمالهم و عطاياهم ، الثالث ورع المتقين وهو ترك ما ليس في حليته شبهة خوفاً من ان يؤدي الى المحرم أو الشبهة ، الرابع ورع الصديقين وهو ترك ما ليس في حليته شبهة ولا يخاف من أن يؤدي الى حرام أو شبهة لعدم تعلقه بالدين كالمباحات أو لاتصاله بمن يكره اتصاله به كما نقل أن ذا النون المصري لحقه جوع وهو مسجون فأرسلت اليه امرأة سالحة بطعام على يدي السجن فأبى أن يأكله واعتذر بانه وصل اليه يدي ظالم، يعني أن القوة التي اوصلت اليه الطعام لم تكن طيبة، ومن ذلك ما نقل أن بعض العرفاء كان لا يشرب الماء من الانهار التي حفرتها الامراء فالماء وان كان مباحاً في نفسه لكنها رأى أن النهر حفر بأجرة دفعت من مال حرام، الخامس ورع المقربين وهو صرف القلب عن الاشتغال بما سواه تعالى، و ينبغى أن يعلم أن الورع كما ذكره بعض أهل التحقيق قد يشبه بالسواس كمن وجد ثوبين أحدهما لم تلحقه نجاسة والاخر لحقته وغسلت فيترك الصلاة بالمفسول لانه مسته نجاسة وكمن قبل أحديده فيغسلها ويقول ان الخروج من عهدة التكليف بيمين يتوقف على غسلها لان من الجايز أن يكون بيده من مسه أوفى من قبل يده نجاسة لاسيما العوام ومن لا يتحفظ ولا يعرف أحكام الطهارة والنجاسة والظاهر أن أمثال هذه الامور من السواس الا اذا كان المس ممن لا يتحفظ ولا يعرف أحكام الطهارة والنجاسة فان الظاهر أن الاجتناب منه من الورع، وقال بعض العامة كل هذا من باب الورع وانما الوسوسة مثل ما يتفق لبعض الناس من اكثر الماء للوضوء واكثر التدلك ونحو ذلك والمراد بالاجتهاد المبالغة في طلب الدين وأحكامه والعمل بها من الجهد بالفتح وهو طلب الشيء الموجب لوصوله الى نهايته، يقال جهد في الامر جهداً من باب نفع اذا طلبه حتى يبلغ نهايته.

قوله (اتقوا الله و صونوا دينكم بالورع) أى اتقوا عذاب الله و مخالفته و صونوا دينكم عن الضياع والفساد بالورع وترك ما ينبغى الاجتناب عنه من المشبهات وان بعد احتمال الحرمة فيها قال أمير المؤمنين «ع» «الورع جنة» أى جنة من النار، اذ من ترك ملاذ الدنيا فاز بالعقبى ونجا من سهام النار، وقال بعض أهل المعرفة: رأيت في المنام كان القيامة قد قامت والخلق كلهم في الموقف فرأيت طيراً أبيض يأخذوا حذاً واحداً من الموقف ويدخله الجنة فقلت ما هذا الطير الذى من الله تعالى على عباده، فنادى مناد أن هذا الطير شيء يقال له الورع.

ابن خليفة، قال: وعظنا أبو عبد الله عليه السلام فأمر وزهد، ثم قال: عليكم بالورع، فإنه لا ينال ما عند الله إلا بالورع.

٤ - عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد بن خالد، عن ابن فضال،

قوله (فأمر وزهد، ثم قال عليكم بالورع فإنه لا ينال ما عند الله إلا بالورع) أي لا ينال ما عند الله من الاسرار الالهوتية والانوار الملكوتية واللوامع الغيبية والصور العينية والمثوبات الاخروية واللذات الروحانية والدرجات العالوية في الدار الباقية الا بالورع فان المتورع يحاسب نفسه دائماً في حركاتها و سكناتها و يتهمها في كل ما تأمر به فاذا خلس من مهلكاتها تنور قلبه (١) وانفتح له باب الملكوت وظهرت له لوامع الانوار ولاحت له لوائح الاسرار مرة بعد اخرى فيشاهد اموراً غيبية في صور مثالية (٢) وعند ذلك يرغب في العزلة والخلوة والذكر و

(١) قوله « فاذا خلس من مهلكاتها تنور قلبه » تكلم علماء هذا الشأن في الحالات التي يتبادل على الانسان من اول سلوكه الى أن يبلغ ما يمكن بلوغه اليه وقد يقدم بعض المقامات على بعض أحدهم ويؤخره آخرون لاختلاف الحالات الطارئة ونظيره رتبة الحكماء في تدرج الانسان من العقل الهولاني الى العقل بالفعل و العقل المستفاد قدم بعضهم العقل المستفاد والاخرون العقل بالفعل باعتبار وقد يكون عقل الانسان بالنسبة الى امور عقلا بالملكة وبالنسبة الى اخرى عقلا بالفعل او مستفاداً ، ولا خلاف بين أهل السلوك في أن الورع والاجتناب عن المحارم بل عن الالتفات الى حظوظ النفس يوجب توجهه الى العوالم المعنوية وانفتاح باب عالم الملكوت على قلبه وقد علم بالتجربة أن توجه النفس الى بعض شؤونها يصرفها عن غيرها و اللذات والشهوات بعض شؤون النفس و الاختلاس من عالم الملكوت أيضاً بعض شؤونها يمنع احديهما الاخرى . (ش)

(٢) قوله « في صور مثالية » اول ما يبدو للسالك في المنام فيرى رؤيا صادقة ويشاهد الغيب في صورة مثالية كالعلم في صورة اللبن والمال في صورة القاذورات ثم يراها في اليقظة اذا حصل له ملاك النوم من الاعراض عن عالم الحس ويقل ويكثر للناس بحسب اختلاف حالاتهم فقد لا يرى المنمّر في الماديات المقطوع عن عالم المجردات رؤيا اصلاً أو لا يرى رؤيا صادقة وبعده من يرى في النوم كثيراً ويشاهد ما يتفق له بعد ذلك قبل وقوعه وهذا يدل على وجود عالم مجرد وموجودات كاملة في ذلك العالم يعلمون ما يأتي قبل وقوعه ويحصل له مرتبة من عين اليقين بعالم التجرد فاذن يتوجه الى ذلك العالم و يرغب في العزلة والخلوة على ما ذكره الشارح الى آخر ما ذكره (ش) .

عن أبي جميلة ، عن ابن أبي يعفور ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : لا ينفع اجتهاد لا ورع فيه .

٥٥ عنه ، عن أبيه ، عن فضالة بن أيوب ، عن الحسن بن زياد الصيقل ، عن فضيل ابن يسار قال : قال أبو جعفر عليه السلام : إن أشد العباداة الورع .

٦- محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد بن عيسى ، عن محمد بن إسماعيل بن بزيع ، عن حنان بن سدير قال : قال أبو الصباح الكناني لأبي عبدالله عليه السلام : ما نلتقي من الناس فيك؟! فقال أبو عبدالله عليه السلام : وما الذي تلتقي من الناس في؟ فقال : لا يزال يكون بيننا وبين الرجل الكلام فيقول : جعفري خبيث ، فقال : يعبركم الناس بي ؟ فقال له أبو الصباح : نعم فقال : ما أقلّ والله من يتبع جعفرأ منكم ، إنما أصحابي من اشدّ ورعه ، وعمل لخالقه ورجا ثوابه ، فهؤلاء أصحابي .

المواظبة على الطهارة التامة والجد في العبادة والمراقبة والاعراض عن المشاغل الدنيوية الحسية بالكلية فيحصل له الوجد والشكر والشوق والمحبة فيمحوه تارة بعد اخرى ويجعله فانياً عن نفسه وهكذا حتى يتمكن ويتخلص من التلويح وينزل عليه السكينة ويصير ورود هذه الاحوال ملكة له واذا بلغ هذه المرتبة دخل في عالم الجبروت ولا يرى الا الحى الذى لا يموت وتم له نظامه ونال ما له عند الله كما له وتمامه .

قوله (لا ينفع اجتهاد لا ورع فيه) أى لا ينفع الاجتهاد فى الاعمال المطلوبة و الافعال المرغوبة بلا ورع عن المحرمات والمشتبهات وغيرها فان احداث الباعث للكرامة لا ينفع مع الاتيان بالمانع منها .

قوله (ان أشد العباداة الورع) اذ فى كل عبادة جهاد مع النفس الامارة ولا ريب فى أن تفاوت العبادات فى الشدة والفضيلة باعتبار تفاوت الجهاد مع النفس فى الشدة والضعف ولا فى أن الجهاد معها فى الورع عن المحرمات أشد فاذن الورع أشد العبادة

قوله (انما أصحابي من اشد ورعه وعمل لخالقه ورجا ثوابه) فى ذكر الرجاء بعد العمل والورع تنبيه على أنهما سبب لرجاء الثواب وللثواب و على أنه لا ينبغي لاحد أن يتسكل على عمله ، غاية ما فى الباب له أن يجعله وسيلة للرجاء وقد مر أن الرجاء بدونها غرور و حرق وفيه دلالة على أنه « د ع » كره ما قاله أبو الصباح لما فيه من الخشونة و سوء الادب .

٧- حنان بن سدير، عن أبي سارة الغزال، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال الله عز وجل: ابن آدم اجتنب ما حرمت عليك، تكن من أورع الناس.

٨- علي بن إبراهيم، عن أبيه، وعلي بن محمد، عن القاسم بن محمد، عن سليمان المنقري، عن حفص بن غياث قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الورع من الناس، فقال الذي يتورع عن محارم الله عز وجل.

٩- محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن علي بن النعمان، عن أبي أسامة قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: عليك بتقوى الله والورع والاجتهاد وصدق الحديث وأداء الأمانة وحسن الخلق وحسن الجوار وكونوا دعاة إلى أنفسكم بغير ألسنتكم وكونوا زيناً ولا تكونوا شيناً وعليكم بطول الركوع والسجود، فإن أحدكم إذا أطال الركوع والسجود هتف إبليس من خلفه وقال: يا ويله أطاع وعصيت وسجد وأبيت.

١٠- محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن علي بن أبي زيد، عن أبيه

قوله (ابن آدم اجتنب ما حرمت عليك تكن من أورع الناس) الظاهر أن الموصول عام وحينئذ معنى التفضيل واضح.

قوله (وحسن الجوار) من حسن الجوار إيصال الخير إلى الجار والتحمل لأضراره ودفع الضرر عنه وعدم الأضرار له وعدم التطلع إلى داره ونحو ذلك.

(و كونوا دعاة إلى أنفسكم بغير ألسنتكم) يعني بأعمالكم وأخلاقكم وورعكم فان الناظر إليها يطلب المتابعة لكم.

(فان أحدكم اذا أطال الركوع والسجود هتف إبليس من خلفه فقال ياويله) الهتف الصيحة والصرخ والويل الحزن والمشقة والهلاك من العذاب، وقد يراد به معنى التعجب وأضافه إلى ضمير الغائب دون ياء المتكلم كراهة أن يضيفه إلى نفسه ومعنى النداء فيه يا حزنه ويا هلاكه احضر فهذا وقتك وأوانك، فكانه نادى الويل أن يحضره لما عرض له من الأمر الفظيع وهو الندم على ترك السجود لادم، ولحوق ما لحقه من اللعن والطرود ويفهم من قوله: (أطاع وعصيت وسجد وأبيت) أن تأسفه أولاً على تركه طاعة الرب مطلقاً

و اتيان ابن آدم بها وثانياً على تركه خصوص الأمر بأصل السجود و اتيان ابن آدم به و ان كانت السجودتان متغايرتين .

قال : كنت عند أبي عبدالله عليه السلام فدخل عيسى بن عبدالله القمي فرحب به و قرَّب من مجلسه، ثم قال : يا عيسى بن عبدالله ليس منّا - ولا كرامة - من كان في مصر فيه مائة ألف أو يزيدون وكان في ذلك المصر أحدٌ أروع منه.

١١- عنه، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن ابن فضال، عن علي بن عقبة ، عن أبي كهمس ، عن عمرو بن سعيد بن هلال قال : قلت لأبي عبدالله عليه السلام أو صني ، قال : أو صيك بتقوى الله و الورع و الاجتهاد و اعلم أنه لا ينفع اجتهاد لا ورع فيه .

١٢- عنه، عن أحمد بن محمد، عن علي بن الحكم، عن سيف بن عميرة ، عن أبي الصباح الكناني، عن أبي جعفر عليه السلام قال : أعينونا بالورع، فإنه من لقي الله عزَّ و جلَّ منكم بالورع كان له عند الله فرجاً ، وإنَّ الله عزَّ و جلَّ يقول : « من يطع الله و رسوله فاولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين و الصديقين و الشهداء و الصالحين و حسن أولئك رفيقاً » فمنَّ النبي و منَّ الصديق و الشهداء و الصالحون .

١٣- علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن محبوب، عن ابن رئاب، عن أبي عبدالله عليه السلام

قوله (فرحب به) رحب بالتشديد أى قال مرحباً أى أتيت أو نزلت مكاناً واسماً من الرحب بالضم السمة وبالفتح الواسع وهذا يقال للتعظيم والتكريم .
(ليس منا ولا كرامة) أى ليس منا أهل البيت أو ليس من خالص شيعتنا و لعل المراد بالكرامة هى الكون فى دار المقامة مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين و الصديقين و الشهداء و الصالحين كما يظهر من الخبر الا ترى أو دخول الجنة و الفوز بنعيمها بغير حساب .
(و كان فى ذلك المصر أحد أروع منه) قيل أراد بالاحد غير الشيعة من أهل الخلاف ، و التعميم محتمل ، فيه حث بليغ لكل أحد على تحصيل نهاية الورع و الله ولى التوفيق .

قوله (أعينونا بالورع) الائمة عليهم السلام يتكفلون نجاه الشيعة بالشفاعة و كلما كان ذنوبهم أقل و ورعهم أشد و أكمل كانت التنجية و الشفاعة عليهم أسهل فلذلك قال « ع » أعينونا بالورع .

(كان له عند الله فرجاً) فرجاً فى النسخ التى رأيناها بالجيم و النصب و الحاء محتمل و هو خبر كان و اسمه ضمير يعود الى اللقاء أو الورع (من يطع الله و رسوله) لارىب فى أن اطاعتها لا تتحقق بدون الورع و بذلك يتم الاستشهاد .

قال: **إِنَّا لَأُنْعِدُّ الرَّجُلَ مُؤْمِنًا حَتَّى يَكُونَ بِجَمِيعِ أَمْرِنَا مُتَّبِعًا مَرِيدًا** ،
ألا وإنَّ من اتَّبَعَ أَمْرِنَا وَإِرَادَتَهُ الْوَرَعَ، فَتَزِينُوا بِهِ يَرْحَمَكُمُ اللَّهُ، وَكِيدُوا أَعْدَاءَنَا
[بِهِ] يَنْعَشِكُمْ اللَّهُ .

١٤- مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنِ الْحَجَّالِ، عَنِ الْعَلَاءِ، عَنِ ابْنِ أَبِي
يَعْفُورٍ قَالَ: قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: كُونُوا دَاعِيَةً لِلنَّاسِ بِغَيْرِ أَلْسِنَتِكُمْ، لِيَرَوَا مِنْكُمْ الْوَرَعَ
وَالاجْتِهَادَ وَالصَّلَاةَ وَالْخَيْرَ، فَإِنَّ ذَلِكَ دَاعِيَةٌ.

١٥- الْحَسَنِ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدٍ، بِنِ سَعِيدٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مُسْلِمٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ
حَمْزَةَ الْعُلُويِّ قَالَ: أَخْبَرَنِي عبيد الله بن عليّ، عَنْ أَبِي الْحَسَنِ الْأَوَّلِ عَلَيْهِ السَّلَامُ :
قال: كثيراً ما كنت أسمع أبي يقول: ليس من شيعتنا من لا تتحدث المحدثات بورعه
في خدورهنَّ و ليس من أوليائنا من هو في قرية، فيها عشرة آلاف رجل فيهم [من]
خلق [الله] أروع منه .

قوله (انا لانعد الرجل مؤمناً حتى يكون لجميع امرنا متبعا مريدا) قد ذكرنا آنفاً
أن المؤمن في عرف الأئمة عليهم السلام هو المؤمن الكامل وأن الكمال له مراتب متفاوتة و
الذي يظهر هنا أن المراد به الفرد الاكمل وهو نادر جداً كما دل عليه ما روى عن أبي عبد الله
«ع» قال «المؤمنة أعز من المؤمن والمؤمن أعز من الكبريت الاحمر فمن رأى منكم الكبريت
الاحمر» (كيدوا أعداءنا به ينعشكم الله) الكيد المكر والاحتيال والمراد هنا الحرب وسميت
كيداً لاحتتيال الناس فيها، والنعش الرفع والاقامة يقال نعشه الله وأنشه أى رفعه وأقامه كذا
في المصباح، وفيه رد على الجوهري حيث قال يقال نعشه الله ينعشه ولا يقال أنعه الله، و
المعنى حاربوا أعداءنا بالورع لتغلبوا عليهم يرفعكم الله كما يرفع درجات المجاهدين و
تلك الغلبة اما بقطع ألسنة طعنهم بنسبة الخبث الى هذه الفرقة الناجية، أو ليرجعوا
اليهم بمشاهدة حسن أفعالهم و يؤيد هذا ما مر من قوله «ع» «و كونوا دعاة الى أنفسكم بغير
ألسنتكم» والله اعلم.

قوله (فان ذلك داعية) أى داعية للناس على الاقتداء بكم اذ مشاهدة الخير فى الغير
يدعو الطالب القابل المستعد الى الاقتداء به وهو مجرب، والتناء للمبالغة كما فى كافيّة لا
للتأنيث باعتبار المذكورات لان ذلك اشارة الى المذكور .

قوله (ليس من شيعتنا من لا تتحدث المحدثات بورعه فى خدورهن فى المراد بالشيعية

(باب العفة)

- ١- علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن حماد بن عيسى، عن حريز، عن زرارة عن أبي جعفر عليه السلام قال: ما عبد الله بشيء أفضل من عفة بطن وفرج.
- ٢- محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن محمد بن إسماعيل، عن حنان بن سدير،

خلصهم الذين هم من أهل الكرامة المذكورة سابقاً، والخدر بالكسر الستر والجمع خدور، و يطلق الخدر على البيت ان كان فيه امرأة والافلا، واخدرت الجارية لزمت الخدر، واخدرها أهلها يتعدى ولا يتعدى وخدورها بالثقل أيضاً وبالتخفيف أى ستروها وصانوها عن الامتهان والخروج لقضاء حوائجها وفيه أن شهرة الصلاح بل اظهاره ليشتهر أمر مطلوب ولكن بشرط أن لا يكون الاظهار لقصد الرياء والسمعة بل لغرض صحيح مثل الاقتداء به والتحفظ عن نسبة الفسق اليه ونحوهما.

قوله (ما عبد الله بشيء أفضل من عفة بطن وفرج) لا يبعد أن يراد بالبطن ما يشمل الفم أيضاً و يؤيده ما روى من طرق العامة «أكثر ما يدخل النار الاجوفان الفم والفرج» و العفة فى اللغة الامتناع يقال عف عن الشيء يعف من باب ضرب عفة بالكسر و عفاً بالفتح اذا امتنع عنه فهو عفيف، وفى العرف حالة نفسانية تمتنع بها عن غلبة الشهوة. وتلك الحالة من الاخلاق الشريفة الحاصلة من الاعتدال فى القوة الشهوية التى هى مبدأ طلب الغذاء و شوق التذاذ بالمواكل والمشارب والمناكح واعتدالها بأن تقتصر فى هذه الامور على قانون الشرع والعقل ولا يتجاوز عن حكمهما وذلك بأن يعف البطن والفم عن الاكل والشرب من الحرام والغيبية والنميمة والقذف والكذب وشهادة الزور والبهتان واللغو والهذيان وغير ذلك من معاصى اللسان و يعف الفرج عن الزناء و ما يشبهه ويلحق به الرفث والنظر و اللمس و جميع ما حرم من مقدماته وعند ذلك يكون الشرع محفوظاً والعقل غالباً و تلك القوة مغلوطة مقهورة لامره ونهيه. واما اذا أفرطت تلك القوة فى طلب اللذات البطنية والفرجية و خرجت عن حكمهما صار الشرع متروكاً مدروساً والعقل مغلوباً مقهوراً و صار الامر مأموراً والسلطان رعية كما فى الاكثر فان عقولهم صارت خادمة لشهواتهم مشغولة بفنون التدبيرات والحيل لتحصيل اللذات المذكورة ولو كان من الحرام، و مما ذكر يظهر أن عفة البطن و الفرج عبادة أفضل العبادات لان كل ما يتصف به العبد و يوجب قرب الحق فهو عبادة و لها مراتب متفاوتة فى الفضل و أفضلها العفة بكسر القوة الشهوية و كسرها مستلزم لكسر القوة الغضبية لان القوة الغضبية معينة للقوة الشهوية فى تحصيل مقتضاها برفع الموانع على وجه شرح الاصول الكافي - ١٥ -

عن أبيه قال: قال أبو جعفر عليه السلام: إن أفضل العبادة عفة البطن والفرج.
 ٣- عدّةٌ من أصحابنا، عن سهل بن زياد، عن جعفر بن محمد الأشعري، عن
 عبد الله بن ميمون القدّاح، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان أمير المؤمنين صلوات الله عليه
 يقول: أفضل العبادة العفاف.

٤- عدّةٌ من أصحابنا، عن أحمد بن أبي عبد الله، عن أبيه، عن النضر بن سويد
 عن يحيى بن عمران الحلبي، عن معلى أبي [بن. خ] عثمان، عن أبي بصير قال: قال رجلٌ
 لأبي جعفر عليه السلام: إنني ضعيف العمل قليل الصيام ولكنني أرجو أن لا آكل إلاّ حلالاً
 قال: فقال له: أيّ الاجتهاد أفضل من عفة بطن وفرج.

٥- علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن النوفلي، عن السكوني، عن أبي عبد الله عليه السلام
 قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أكثر ما تلج به أمتي النار الأجو فان البطن والفرج.
 ٦- وبإسناده قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ثلاث أخافهنّ على أمتي من بعدي
 الضلالة بعد المعرفة، ومضلات الفتن، وشهوة البطن والفرج.

التسلط و من البين أن العقّة بكسر هاتين عبادة وأصل لسائر العبادات فهي أفضلها.
قوله (أن أفضل العبادة عفة البطن والفرج) وهي الامتناع عن المحرمات و
 المشبهات بل عن الاكثار أيضاً فان البطننة توجب خمود الفطنة و متابعة الشهوة في السفاد
 تورث الفساد الامن عصمه الله. والحاصل أن عفتها كناية عن كسر القوة الشهوية بل الغضبية
 أيضاً لمعرفت و هو أفضل العبادات اذ به يستقيم الظاهر والباطن و بدونه يقع الفساد فيهما
 وذلك لان شهوة البطن والفرج والقيام بمقتضاها لا يحصل الا بالشره بالمال والحرص في الدنيا
 و جمع زخارفها و هذا لا يحصل الا بالجاه وحب الرئاسة وهما لا يحصلان الا بالخصومة مع
 الخلق وهي تورث الحسد و التعصب و العداوة و الحقد و الكبر و ترك الفضائل الظاهرة
 و الباطنة و توجب جميع المعاصي و من ههنا علم أن عفة البطن و الفرج أصل لجميع
 العبادات و أفضلها.

قوله (و بإسناده قال قال رسول الله «ص») أي بإسناد السكوني أو علي بن إبراهيم
 عن أبي عبد الله «ع» قال : قال : وقد وقع كل ما خافه «ص» بعده من الامور الثلاثة لطغيان قوة
 الشهوية والغضبية و متابعة الاهواء النفسانية في الامة الا من شذ. قيل: هذا الحديث ليس في
 كتاب الشهيد الثاني.

٧- أبو علي الأشعري، عن محمد بن عبد الجبار، عن بعض أصحابه، عن ميمون القداح قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: ما من عبادة أفضل من عفة بطن وفرج.

٨- محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن علي بن الحكم؛ عن سيف بن عميرة عن منصور بن حازم، عن أبي جعفر عليه السلام قال: ما من عبادة أفضل عند الله من عفة بطن وفرج.

(باب اجتناب المحارم)

١- محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن الحسن بن محبوب، عن داود ابن كثير الرقي، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عز وجل: «و لمن خاف مقام ربه جنتان» قال: من علم أن الله عز وجل يراه و يسمع ما يقوله و يفعله من خير أو شر فيحجزه ذلك عن القبيح من الأعمال، فذلك الذي خاف مقام ربه و نهى النفس عن الهوى.

٢- علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن حماد بن عيسى، عن إبراهيم بن عمر اليماني عن أبي جعفر عليه السلام قال: كل عين باكية يوم القيامة غير ثلاث: عين سهرت في سبيل الله، وعين فاضت من خشية الله، وعين غضت عن محارم الله.

قوله (و لمن خاف مقام ربه جنتان) قدم تفسيره في باب الخوف.

(قال من علم ان الله عز وجل يراه و يسمع ما يقوله) هذا مقام المراقبة وهو يقتضى تجويد العمل و تحسينه لان من عمل عملا و علم أن عليه فى عمله رقيباً لا يدع شيئاً من وجوه الاجادة الاياتى به كما هو مشاهد فى أعمال الناس بعضهم لبعض، و ينبغي أن يعلم أن للعبد فى عبادته ثلاثة مقامات الاول أن يفعلها مستوفاة للاركان و الشرائط و هذا هو الذى يسقط معه التكليف و هو مقام أكثر العابدين. الثانى أن يفعلها كذلك و قد علم أن المعبود جل شأنه يراه و يشاهده و هو مستحضر القلب بذلك و هذا مقام المراقبة. الثالث أن يفعلها كذلك و قد استغرق فى بحر المكاشفة حتى كأنه يرى الله المعبود بالحق و هذا مقام المكاشفة و مقام خاص الخاص كما قال «ص» جعلت قرّة عينى فى الصلاة، و المقام الاول ادنى المقامات بحيث لو لم يكن العابد من أهل هذا المقام لم يكن عابداً بل مستهزئاً اعادنا الله من ذلك، و الثالث أشرف المقامات و فقنا الله و اياكم لما يحبه و يرضاه .

قوله (عين سهرت فى سبيل الله) سبيل الله شامل لجميع الخيرات و منها طلب العلم و هو السبيل الاعظم.

٣- عليّ، عن محمد بن عيسى، عن يونس، عن مَن ذكره، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: فيما ناجى الله عز وجلّ به موسى عليه السلام يا موسى ما تقرّب إليّ المتقرّبون بمثل الورع عن محارمي، فإني أبيحهم جنّات عدن لا أشرك معهم أحداً.

٤- عليّ [بن إبراهيم]، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن هشام بن سالم، عن أبي عبيدة، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: من أشدّ ما فرض الله على خلقه ذكر الله كثيراً،

(و عين فاضت من خشية الله) الخشية الخوف و الفرق بينهما بأن الخوف تألم النفس من العقاب المتوقع بسبب ارتكاب المنهيات و التقصير في الطاعات ، و الخشية خوف يحصل عند الشعور بعظمة الحق و هيئته و الحجب عنه اصطلاح جديد حسن عند الاجتماع دون الانفراد .

(و عين غضت عن محارم الله) كناية عن ترك النظر فيما لا يجوز .

قوله (ما تقرّب الى المتقرّبون بمثل الورع عن محارمي) هذا أول الاقسام المذكورة و هو ورع العدول فليس التفضيل بالنسبة الى الاقسام التي بعده بل بالنسبة الى فعل الطاعات فدل على أن الاجتناب عن المنهيات من العقائد و الاعمال أفضل من الاتيان بالطاعات مع اشتراكها في تعظيم الرب اما لان التخلية أفضل من التحلية كما هو المشهور، أو لان مخالفته أفخم من موافقته أو لان المعصية أكثر من الطاعة .

(فاني ابيحهم جنّات عدن) أي آذن لهم في دخولها و أنزلهم فيها وهي مقام عال من مقامات الجنة أعدها للورعين لا يدخلها غيرهم .

قوله (قال من أشد ما فرض الله على خلقه ذكر الله كثيراً) قال الله تعالى و « اذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون » وقال « الذين يذكرون الله قياماً و قعوداً و على جنوبهم » وقال و اذكر ربك في نفسك تضرعاً و خفية و دون الجهر من القول بالعدو و الاصال ، و أصل الذكر التذكر بالقلب و منه اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم، أي تذكروا . ثم يطلق على الذكر اللساني حقيقة ، أو من باب تسمية الدال باسم المدلول ثم كثر استعماله فيه لظهوره حتى صار هو السابق الى الفهم فنص «ع» على ارادة الاول دون الثاني فقط دفماً لتخصيصه بالثاني و اشارة الى أكمل أفراده مع الائمة الى أن الذكر اللساني بدون الذكر القلبي ذكر يثاب به . و قال بعض أرباب القلوب ذكر اللسان مع خلو القلب عنه لا يخلو من فائدة لانه يمنعه من التكلم باللغو و يجعل لسانه معتاداً بالخير، و قد يلتقي الشيطان اليه أن حركة اللسان بدون توجه القلب عبث ينبغي تركه؛ فاللائق بحال الذاكر أن يحضره قلبه حينئذ رغماً

ثم قال: لأعني «سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله و الله أكبر» وإن كان منه ولكن ذكر الله عند ما أحلَّ وحرَّم، فإن كان طاعة عمل بها وإن كان معصية تر كها.

للسيطان ولولم يحضره فاللائق به أن لا يترك ذكر اللسان رغماً لانفه أيضاً وأن يجيبه بأن اللسان آلة للذكر كالقلب ولا يترك أحدهما بترك الآخر فان لكل عضو عبادة ، و اعلم أن الذكر القلبى من أعظم علامات المحبة لان من أحب أحداً ذكره دائماً أو غالباً، وأن أصل الذكر عند الطاعة والمعصية سبب لفعل الطاعة و ترك المعصية وهما سببان لزيادة الذكر و رسوخه، وهكذا يتبادلان الى أن يستولى المذكور و هو الله سبحانه على القلب ويتجلى فيه . فالذاكر حينئذ يحبه حباً شديداً ويفعل عن جميع ما سواه حتى عن نفسه اذ الحب المفرط يمنع من مشاهدة غير المحبوب وهذا المقام يسمونه مقام الفناء فى الله، والواصل الى هذا المقام لا يرى فى الوجود الا هو، وهذا معنى وحدة الوجود لا بمعنى أنه تعالى متحد مع الكل لانه محال (١) و زندقة بل بمعنى أن الموجود فى نظر الفانى هو لا غيره لانه تجاوز عن عالم الكثرة وجعله وراء ظهره و غفل عنه فافهم.

(١) قوله «لا بمعنى انه تعالى متحد مع الكل لانه محال ، بل لم يقل به أحد و لا يمكن ان يتفوه به عاقل، و اعلم أن علماءنا رضى الله عنهم قديذكرون احكاماً لامور لا تنفق فى الواقع و لا يتحقق الا نادراً لمزيد التوضيح و البيان كما يذكرون أحكام الخنثى المشكل والمنجم الذى يعتقد الوهية الكواكب وتأثيرها فى الحوادث بالوهيتها ، مع انهم يعلمون انه لا يوجد بعد ظهور الاسلام فى هذه الامة منجم قائل بها وهكذا القائلون بوحدة الوجود فى الامة وفى كل امة لا يمتدون اثبات الممكنات وحلول ذات الواجب فيها بل لا يثبتون معه تعالى غيره حتى يحل الواجب فى غيره فمرجع وحدة الوجود الى انكار الممكنات و نفسى الكثرة لالى اثبات الكثرات و الممكنات و حلول الواجب فيها و معلوم ان انكار الممكنات ليس ككفر نعم ان لم يفرض له معنى صحيح كان خرافياً نظير مذهب السوفسطائية و ان أول بمعنى صحيح فهو حق و ليس كل رأى باطل خرافى ككفرأ و هذا البيت مشهور من العلاج:

بينى وبينك انيبى ينارغنى
فارفع بلطفك انيبى من البين

و هذا صريح فى ان اعتقادهم نفى شخصية الممكن عن نظره حتى لا يرى غيره تعالى لانفى حقيقة الواجب بجعله مستهلكاً فى الممكنات و بعبارة اخرى الظاهر عند غيرهم اثبات ممكن و واجب متغايرين متفاصلين مستقل أحدهما عن الآخر وأما الاتحاد وهو ارجاع الاثنين الى الواحد فلا يتعقل الا بنفى أحدهما لامحالة فان نفى احدهم استقلال الواجب و اثبت الممكن فهو كفر وان نفى الممكن و اثبت الواجب فهو ليس بكفر وهذا مراد الشارح.(ش)

٥- ابن أبي عمير، عن هشام بن سالم، عن سليمان بن خالد قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عز وجل: «و قد منا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباءً منثوراً» قال: أما والله إن كانت أعمالهم أشدّ بياضاً من القباطي ولكن كانوا إذا عرض لهم الحرام لم يدعوه.

٦- عليّ، عن أبيه، عن النوفلي، عن السكوني، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من ترك معصية لله مخافة الله تبارك و تعالى أَرْضاه الله يوم القيامة.

(باب أداء الفرائض)

١- عدّةٌ من أصحابنا، عن سهل بن زياد، و عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، جميعاً، عن ابن محبوب، عن أبي حمزة الثمالي قال: قال عليّ بن الحسين صلوات الله عليهما من عمل بما افترض الله عليه فهو خير الناس.

قوله (وقد منا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباءً منثوراً) أي عمدنا وقصدنا إلى ما عملوا من عمل كقرى الضيف وصلة الرحم وإغاثة الملهوف وإعانة المظلوم وغيرها فجعلناه هباءً منثوراً فلم يبق له أثر، والهباء غبار يرى في شعاع الشمس الطالع من الكوة من الهبو وهو الغبار و فيه دلالة على حبط الأعمال بالفسق سواء كان كفراً أم غيره، وخصه بعض المفسرين بالكفر وهو على تقدير الكفر ظاهر اذ لا عبرة بالفرع بعد فقد الاصل وهو الايمان وأما على تقدير غيره فلعل المراد به حبط ما يساويه مع بقاء الزائد، وفي هذا المقام كلام طويل (١) مذكور في موضعه، والقباطي جمع القبطية بالكسر وهي ثياب بيض رقاق تتخذ من كتان بمصر، وفي تشبيه أعمالهم بها تنبيه على أن رد أعمالهم ليس من أجل فسادها في نفسها بل لأجل ارتكابهم للحرام سواء كان حق الله تعالى أو حق الناس ولعل ذلك فيمن أخذه عادة. والله أعلم.

قوله (من ترك معصية الله) المعصية تشمل ترك الواجبات و فعل المنهيات و لم يذكر ما أرضاه الله به لان عقل البشر لا يصل إلى كنه حقيقته ورضوان من الله أكبر.

قوله (من عمل بما افترض الله عليه فهو من خير الناس) الظاهر أن لفظ دماء شامل

(١) قوله (و في هذا المقام كلام طويل، وهو الاختلاف المشهور في الاحباط بيننا و بين المعتزلة ومنهبتنا عدم الاحباط و بأول كل ما يوهوم منه خلافاً على عدم كون العمل المحبب ثوابه صحيحاً في الاصل لأنه صحيح يستحق به الثواب و يرتفع بالفسق فان عدم ايصال الثواب المستحق إلى صاحب العمل ظلم و كلام الشارح مشتبهه والحق واضح. (ش)

٢- علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن حماد بن عيسى، عن الحسين بن المختار، عن عبدالله بن أبي يعفور، عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله عز وجل: «اصبروا وصابروا ورابطوا» قال: اصبروا على الفرائض.

٣- عدة من أصحابنا، عن سهل بن زياد، عن عبدالرحمن بن أبي نجران، عن حماد بن عيسى، عن أبي السفاتج، عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله عز وجل: «اصبروا وصابروا ورابطوا» قال: اصبروا على الفرائض وصابروا على المصائب ورابطوا على الأئمة عليهم السلام.

وفي رواية ابن محبوب، عن أبي السفاتج [و زاد فيه] «فاتقوا الله ربكم فيما افترض عليكم».

٤- علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن النوفلي، عن السكوني، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إعمل بفرائض الله تكن أتقى الناس.

٥- عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد، عن ابن فضال، عن أبي جميلة، عن محمد الحلبي، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال الله تبارك وتعالى: ما تحبب إليّ عبدي بأحب مما افترضت عليه.

للأعمال القلبية والبدنية والمالية، والخيرية تتفاوت (١) بحسب تفاوت مراتب هذه الأعمال كما و كفاً، والخير المطلق من وصل الى مرتبة العليانها.

قوله (قال اصبروا على الفرائض) لم يرد قصر الصبر عليها بل ذكرها لان الصبر عليها أعظم والظاهر أن ترك الحرام داخل فيها لانه أيضاً فرض.

(و رابطوا على الأئمة عليهم السلام) بالنفس و المال و الخدمة والانتقاد لهم والانتظار لفرجهم. قوله (وفي رواية ابن محبوب عن أبي السفاتج وزاد فيه واتقوا الله ربكم فيما افترض عليكم) ليس في بعض النسخ قوله (وزاد فيه) ولعل التقوى فيما افترض وهو الاتيان بالواجبات والاجتناب عن المنهيات تفسير للصبر.

قوله (قال الله تعالى ما تحبب الي عبدي باحب مما افترضت عليه) مثله ما روى عنه (ص)

(١) قوله «الخيرية تتفاوت» الخير يستعمل بمعنى التفضيل وهو المراد بقرينة المقام ولاتتفاوت مراتبه والاولى أن يقال التفضيل بالنسبة الى من يعمل بالمستحبات ويترك الفرائض فمن عكس وعمل بالفرائض وترك النوافل خير منه وهو تفسير المجلسي رحمه الله تعالى (ش).

(باب)

(استواء العمل والمداومة عليه)

١- علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن حماد، عن الحلبي قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: إذا كان الرجل على عمل فليدم عليه سنة، ثم يتحوّل عنه إن شاء إلى غيره و ذلك أن ليلة القدر يكون فيها في عامه ذلك، ما شاء الله أن يكون.

٢- علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن حماد بن عيسى، عن حريز، عن زرارة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال: أحب الأعمال إلى الله عزّ وجلّ ما [و]م عليه

أنه يقول الله عز وجل ما تقرب عبدى الى بشيء أحب الى من أداء ما افترضت عليه و لعل السبب فيه أنه تعالى عالم بالاسباب التي تقرب الى محبته و كرامته من بعد عنه بنفسه و هواه و عادته فجعل أكبرها فرائض لعظم حرمانه وأوعد بالنار من ضيعه وفرط فيه فيجب على العبد تعظيمه والمبادرة اليه والمبالغة في أحكامه و تفرغ القلب عما يشغله عنه وجعل أصغرها نوافل وجعل قبول النوافل موقوفاً على أداء الفرائض و متمملاً لها ولزيادة التقرب بها و مانعاً من التعرض لزهرات الدنيا ومباحاتها بعد الفرائض فينبغي للعبد أن لا يتهاون بها بالا شتغال بالنوافل فيترك الاصل و يتمسك بالفرع فيفوته الفرع أيضاً ولا يقبل منه، بل ينبغى أن يهتم بالفرائض ثم بالنوافل لتكامل فرائضه وتزداد محبته.

قوله (إذا كان الرجل على عمل فليدم عليه سنة) لعل المراد بال عمل المنسوب كالدعاء وسائر المرغبات بقريئة جواز التحول وأما الفرائض فيجب دوامها على الوجه المقدر ولا يجوز تركها وفي الدوام منافع جلييلة هي ارتياض النفس في العبادة و اعتيادها عليها وثبات القدم فيها وضبطها عن التقلب والاعتیاد به ورجاء القبول وان لم تكن ابتداء من أهله كما روى عن النبي «س» ان العبد ليقول اللهم اغفر لي وهو معرض عنه، ثم يقول اللهم اغفر لي وهو معرض عنه، ثم يقول اللهم اغفر لي فيقول سبحانه للملائكة ألا ترون الى عبدى سألتنى المغفرة وأنا معرض عنه، ثم سألتنى المغفرة و أنا معرض عنه، ثم سألتنى المغفرة و علم عبدى أنه لا يفر الذنوب الا أنا أشهدكم أنى قد غفرت له، و توقع مضاعفة الاجر بوقوعها في الاوقات الشريفة التي تكون في السنة مثل ليلة القدر وهي خير من ألف شهر و العبادة فيها كذلك. وفي قوله «ثم يتحوّل عنه ان شاء الى غيره» اشارة الى أن له تركه مع بدل امالامعه فلا ينبغى لانه تعطيل في العبودية ولا يليق ذلك بحال العابد العامل لله.

العبد وإن قلَّ .

٣- أبو علي الأشعري، عن عيسى بن أيوب، عن علي بن مهزيار، عن فضالة بن أيوب، عن معاوية بن عمّار، عن نجبة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: ما من شيء أحبُّ إلى الله عزَّ وجلَّ من عمل يداوم عليه وإن قلَّ .

٤- عنه، عن فضالة بن أيوب، عن معاوية بن عمّار، عن أبي عبد الله عليه السلام قال كان عليُّ بن الحسين صلوات الله عليهما يقول: إنِّي لأحبُّ أن أداوم على العمل وإن قلَّ .

٤- عنه، عن فضالة بن أيوب، عن العلاء، عن محمد بن مسلم، عن أبي جعفر عليه السلام قال: كان عليُّ بن الحسين صلوات الله عليهما يقول: إنِّي لأحبُّ أن أقدم على ربِّي وعملي مستو.

قوله (أحب الأعمال إلى الله عز وجل ما داوم عليه العبد (١) وإن قل) و إنما كان أحب لان بدوام القليل تدوم الطاعة والعبادة والعبودية وهو أحسن من العبادة في زمان وتركها بعده بالكلية ولانه يربو ثواب القليل مع المداومة على ثواب الكثير المنقطع كما يدل عليه قول أمير المؤمنين «ع» «قليل يدوم عليه أرجا من كثير مملول» وقوله «قليل يدوم عليه خير من كثير مملول» أى الذى يمل فيه فان البركة فيه أكثر والثواب فيه أزيد والعبودية فيه أدام وتأثيره فى تنوير القلب بتكراره أشد ، واحتمال كون رضاه سبحانه فيه أعظم كما رواه الصدوق باسناده عن أمير المؤمنين «ع» قال «ان الله أخفى رضاه فى طاعة فلا تستصغروا شيئاً من طاعته فربما وافق رضاه وأنت لاتعلم» .

قوله (انى لأحب أن أقدم على ربى وعملى مستو) استوى الاعمال اعتدلت وتساوت ولم يفضل بعضها على بعض ولعل المراد به تساوى أفراد كل نوع منه فى الكم والكيف بحيث لا يكون بعضها اضعف من بعض وما روى من «أن من ساوى يوماء فهو مغبون» ولعل المراد به الحث على الاكثار فى الخير نظراً الى اليوم السابق لان الاعمال كالفسوق يجر بعضها الى بعض، أو المراد به التساوى فى القرب والمنزلة لان اضافة عمل الى عمل قبله وان تساوى لا بد أن تكون موجبة لزيادة القرب والمنزلة والا فتكون فى العمل خلل وفى النية نقص وهو غيب فاحش فلا ينافى المساواة بالمعنى المذكور.

(١) قوله «ما داوم عليه العبد» يدل على مامر من أن تأثير العمل فى الجزاء بتأثير فى النفوس وتجسم ما أثر فيها. (ش)

٦- عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد، عن محمد بن إسماعيل، عن جعفر بن بشير، عن عبد الكريم بن عمرو، عن سليمان بن خالد قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: إياك أن تفرض على نفسك فريضة فتفارقها اثني عشر هلالاً.

(باب العبادة)

١- عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد، عن ابن محبوب، عن عمر بن يزيد. عن أبي عبد الله عليه السلام قال: في التوراة مكتوب: يا ابن آدم تفرغ لعبادتي أماً قلبك غنى ولا أكلك إلى طلبك و علي أن أسد فافتك ، و اماً قلبك خوفاً مني و إن لا تفرغ لعبادتي أماً قلبك شغلاً بالدنيا ، ثم لا أسد فافتك ، و أكلك إلى طلبك.

٢- علي بن إبراهيم ، عن محمد بن عيسى ، عن أبي جميلة قال : قال أبو عبد الله عليه السلام: قال الله تبارك وتعالى: يا عبادي الصديقين تنعموا بعبادتي في الدنيا، فإنكم تنعمون بها في الآخرة.

٣- علي بن إبراهيم ، عن محمد بن عيسى ، عن يونس ، عن عمرو بن جميع ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أفضل الناس من عشق العبادة، فعانقها وأحبها بقلبه و باسرها بجسده و تفرغ لها، فهو لا يبالي على ما أصبح من الدنيا ،

قوله (يا ابن آدم تفرغ لعبادتي أماً قلبك غنى) التفرغ للعبادة والجد فيها وعدم ثقلها على النفس لا يحصل إلا بنزع القلب عن شهوات الدنيا ، و قطع التعلق بعلايقها ، و التحرز عن المعاصي و كسر القوة الشهوية والغضبية، فإذا حصل ذلك حصل الشوق الى الله والمحبة له واللذة بعبادته و مشاهدة الاسرار اللاهوتية والانوار الربوبية و رسوخ القلب في الصرف عن الدنيا بحيث لا يوازن بواحد منها الدنيا وما فيها و غنى القلب عبارة عن حصول هذه الامور له و من ثمة قيل سعادة المرء معرفة الرب و دوام ذكره و خلوص العبادة له فان التمرن عليها يوصله الى مقام القرب والمحبة والاعراض عن غيره.

قوله (يا عبادي الصديقين تنعموا بعبادتي في الدنيا) الباء اماصلة أو سببية لان العبادة غذاء روحاني بها يربو الروح و تزداد قوته و سبب للرزق و سعته كما قال «من يتق الله يجعل له مخرجاً و يرزقه من حيث لا يحتسب».

قوله (أفضل الناس من عشق العبادة فعانقها) عشق يعشق عشقاً من باب تعب والاسم

على عسر أم على يسر .

٤- محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن شاذان بن الخليل قال: - و كتبت من كتابه بإسناد له، يرفعه إلى عيسى بن عبدالله قال: - قال عيسى بن عبدالله لأبي عبدالله عليه السلام: جعلت فداك ما العباد؟ قال: حسن النية بالطاعة من الوجوه التي يطاع الله منها، أما إنك يا عيسى لا تكون مؤمناً حتى تعرف الناسخ من المنسوخ، قال: قلت جعلت فداك و ما معرفة الناسخ من المنسوخ؟ قال: فقال: أليس تكون مع الإمام موطئاً نفسك على حسن النية في طاعته، فيمضي ذلك الإمام و يأتي إمام

العشق بالكسر وهو الإفراط في المحبة أي أحبها حباً مفرطاً من حيث أنها وسيلة إلى المحبوب الحقيقي وذريعة للوصول إليه والقرب منه فحبها تابع لحبه و في قوله «أم على يسر» دلالة على أن اليسر لا ينافي حبها و تفرغ القلب من غيرها لاجلها وانما المنافي له تعلق القلب به. قيل ذكرت الحكماء في كتبهم الطبية ان العشق ضرب من المال يخوليا الجنون و الامراض السوداء و قرروا في كتبهم الالهية أنه من أعظم الكمالات وأنم السعادات وربما يظن أن بين الكلامين تخالفاً وهو من واهي الظنون فان المذموم هو العشق الجسماني الحيواني الشهواني والممدوح هو الروحاني الانساني النفساني والاول يزول ويفنى بمجرد الوصال والاتصال والثاني يبقى ويسمو أبداً بالاداء على كل حال.

قوله (قال حسن النية بالطاعة من الوجوه التي يطاع الله منها) لعل المراد بهذه الوجوه الائمة عليهم السلام واحد بعد واحد لانهم الوجوه التي يطاع الله تعالى منها لارشادهم و هدايتهم و بالطاعة الطاعة المعلومه بتعليمهم أو اطاعتهم والانقياد لهم وبحسن النية تعلق القلب بها من صميمه بلا منازعة ولا مخاطرة كما قال جل شأنه « فلا وربك لا يؤمنون - السى قوله و يسلموا تسليماً » و يحتمل ان يراد بالوجوه وجوه العبادات وأنواعها وبحسن النية تخليصها عن شوائب النقص.

قوله (أما انك يا عيسى لا تكون مؤمناً حتى تعرف الناسخ من المنسوخ قال قلت جعلت فداك و ما معرفة الناسخ من المنسوخ) دل على جواز الخطاب بالمجمل و هو ما لم يتضح دلالته أو بالعام المراد به بعض أفراده أو بالمتحمل وقد بينا جوازه في اصول الفقه و قالت المعتزلة لا يجوز لانه تجهيل للمخاطب وهو قبيح من الحكيم ولا نسلم أنه تجهيل بل هو تقرير للحكم و تثبيت له في ذهن السامع حيث يطلبه والمفهوم بعد الطلب اعز من المنساق بالطلب و باعث للشواب له لقصده الامثال بعد البيان غايته لا يجوز تأخير البيان عن وقت الحاجة .

آخر فتوطن نفسك على حسن النيّة في طاعته: قال: قلت: نعم، قال: هذا معرفة الناسخ من المنسوخ.

٥ - عليُّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن محبوب، عن جميل، عن هارون بن خارجة، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: [إنَّ] العبادة ثلاثة. قوم عبدوا الله عزَّ وجلَّ خوفاً، فتلك عبادة العبيد، و قوم عبدوا الله تبارك وتعالى طلب الثواب، فتلك عبادة الأجراء، و قوم عبدوا الله عزَّ وجلَّ حباً له، فتلك عبادة الأحرار وهي أفضل العبادة.

٦- عليُّ، عن أبيه، عن النوفلي، عن السكوني، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ما أقبح الفقر بعد الغنى وأقبح الخطيئة بعد المسكنة وأقبح من ذلك العابد لله ثمَّ يدع عبادته.

٧- الحسين بن محمد، عن معلى بن محمد، عن الوشاء. عن عاصم بن حميد، عن

قوله (قال ان العبادة ثلاثة) أى العبادة المترتب عليها الثواب والكرامة فى الجملة ثلاثة اقسام وغيرها مثل عبادة المرأى ونحوها ليس بعبادة فليس بداخل فى المقسم.

(قوم عبدوا الله) أى عبادة قوم عبدوا الله عز وجل خوفا من ناره حتى لولم تكن النار لم يعبدوه فتلك عبادة العبيد اذ العابد فيها شبيه بالعبد فى فعله خوفا من السيد وتحزراً من عقوبته و عبادة قوم عبدوه طلباً لثوابه ونعيم الجنة فتلك عبادة الاجراء اذ حالهم فى العبادة مثل حال الاجراء فى المعاملة لولم يكن الاجر لم يعملوا و عبادة قوم عبدوه لحبهم له و استغراق قلوبهم فى ذكره و اعتقادهم بانه أهل للعبادة و غاية الخشوع له فتلك عبادة الاحرار الذين لا ينظرون الا اليه ولا يكفون الا عليه و يغفل قلوبهم بالكلمة عن الاغيار فضلاً عن الجنة والنار و هى أفضل العبادة لخلوصها من جميع الجهات. و فى صيغة التفضيل دلالة على ان العبادة على الوجهين السابقين أيضاً عبادة صحيحة لها فضل فى الجملة فيكون حجة على من قال ببطلان عبادة من قصد التحرز عن العقاب أو الفوز بالثواب.

قوله (ما أقبح الفقر بعد الغنى) أى وجود الفقر بعد الغنى و تعيش الغنى يعيش الفقير. (و أقبح الخطيئة بعد المسكنة) لضغف آلتها و قلة أسبابها.

(و أقبح من ذلك العابد لله ثم يدع عبادته) و كان السرفيه ان كل واحد منهم انتقل من المقام الاعلى الى المقام الادنى. ومن البين ان مقام الطاعة ارفع من مقام الغنى والمسكنة فترك الطاعة أقبح.

أبي حمزة ، عن علي بن الحسين عليهما السلام قال : من عمل بما افترض الله عليه فهو من أعبد الناس .

((باب النية))

١- علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن ابن محبوب ، عن مالك بن عطية ، عن أبي حمزة ، عن علي بن الحسين صلوات الله عليهما قال : لا عمل إلا بنية .

قوله (من عمل بما افترض الله عليه فهو أعبد الناس) كان الموصول عام و حينئذ وجه التفضيل ظاهر .

قوله (لا عمل إلا بنية) قال المحقق الطوسي في بعض رسائله النية هي القصد الى الفعل وهي واسطة بين العلم والعمل اذ ما لم يعلم الشيء لم يمكن قصده وما لم يقصده لم يصدر منه ، ثم لما كان غرض السالك العامل هو الوصول الى مقصدين كامل على الاطلاق وهو الله تعالى لا بد من اشتغالها على قصد التقرب به وعرفها العلامة في القواعد بأنها ارادة ايجاد الفعل على الوجه المأمور به شرعاً . وأراد بالارادة ارادة الفاعل فخرجت ارادة الله تعالى لافعالنا و بالفعل ما يعم توطين النفس على الترك فدخلت الصوم والاحرام وأمثالهما ، و بالمأمور به ما يرجح فعله شرعاً فدخل المندوب وخرج المباح ، اذ عرفت هذا فنقول استدلال اصحاب بمثل هذا الخبر بقوله تعالى « وما امر الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين » على أنه لا بد في العبادات من النية حتى قال بعضهم النية بمنزلة الروح والعبادة بمثابة البدن وقال بعضهم النية بذر والعبادة زرع والاخلاص ماء . ومثل هذا الخبر رواه مسلم باسناده عن رسول الله « ص » قال « انما الاعمال بالنية وانما لامرء ما نوى » قال القرطبي ذكر الائمة أن هذا ثلث الايمان وقيل ربه و أن أصول الدين ثلاثة أحاديث أو أربعة هذا أحدها ، وقال المازري : قال الشافعي هو ثلث الاسلام وفيه سبعون باباً من الفقه وأجمع المسلمون على صحته ، وقالت الائمة ولكنه لم يتواتر ، و قال الابي تأمل فيه فان ابن الصلاح قال لم يتواتر الاحديثان حديث « انما الاعمال بالنيات » و حديث « من كذب على متعمداً » و حكى الخطابي عن ائمتهم أنه ينبغي لمن صنف كتاباً ان يبدأ بهذا الحديث ليعتد الطالبين على تصحيح النية ، ثم نقول النفي والاستثناء للحصر قد يكون مطلقاً وقد يكون باعتبار أمر خاص مثل ما زيد الا قايماً فان الحصر فيه بالنسبة الى العقود مثلاً دون ساير الصفات والضابط في ذلك انه ان دلت قرينة على تخصيص الحصر باعتبار أمر معين فهو للحصر باعتبار ذلك الامر والا فهو للحصر المطلق و انظر الحصر في الحديث من أي النوعين هو وتعرف ذلك بعد أن تعرف أنه لا بد من تقدير محذوف يتم به المعنى و يحتمل

٢- عليّ، عن أبيه، عن النوفلي، عن السكوني، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: نية المؤمن خير من عمله ونية الكافر شر من عمله، وكل عامل يعمل على نيته.

أن يكون التقدير لاعمل على وجه الكمال الابالنية، و يحتمل أن يكون لاعمل على وجه الصحة الابها، وهذا هو الأرجح لان الصحة أكثر لزوماً للحقيقة من الكمال والحمل على الأكثر أولى ولان نفي الصحة أقرب الى نفي الحقيقة، وإذا تعذر حمل اللفظ على الحقيقة وجب حمله على أقرب المجازات كما بيناه في أصول الفقه، وعلى هذا يفهم منه اشتراط النية في الاعمال كما ذهب اليه الاصحاب. ثم الظاهر أن لفظ العمل يشمل عمل الجوارح والقلب و تخصيصه بالاول لوجه له ولا بد من تخصيص عمل الجوارح باخراج ما لا يحتاج الى النية كغسل الثوب و البدن والظروف من النجاسات و تخصيص عمل القلب باخراج النية لثلاث تسلسل و فيه دلالة على أن المعتبر في ألفاظ الايمان والنكاح وغيرها من العقود والاقاعات النية دون الالفاظ وحدها الا ما خرج بالدليل مثل ما ثبت من أن في الحلف تعتبر نية المدعى وفي الاقرار يحكم على الظاهر ولا يسمع دعوى عدم القصد.

قوله (قال رسول الله ص) نية المؤمن خير من عمله و نية الكافر شر من عمله) الحديث متفق عليه بين العامة والخاصة وله وجوه: الاول أن نية المؤمن اعتقاد الحق و اطاعة الرب لو خلد في الدنيا وهي خير من عمله اذ ثمرتها الخلود في الجنة بخلاف عمله فانه لا يوجب الخلود فيها و نية الكافر اعتقاد الباطل و معصية الرب لو خلد فيها وهي شر من عمله اذ ثمرتها الخلود في النار بخلاف عمله يدل على هذا الوجه حديث آخر هذا الباب . و اضافة الى المؤمن والكافر فان الوصف مشعر بالعلية. الثاني أن المؤمن ينوي خيرات كثيرة خارجة عن قدرته وهو يثاب بها بدون عمل فنيته بهذا الاعتبار خير من عمله لان ثوابها أكثر من ثوابه كما يدل عليه الخبر الاتي والكافر ينوي شروراً كثيرة لا يقدر على العمل بها فنيته شر من عمله ولا ينا في ذلك ما روى من «أن العبد اذا هم بشر لم يكتب عليه شيء حتى يعمل» لان كون النية شرّاً لا ينافيه عدم كتب المنوى وعدم العقوبة به على سبيل التفضيل على أن أكثر العامة والمتكلمين والمحدثين ومنهم القاضى البيضاوى ذهبوا الى أنه يؤاخذ بهم سيئة اذا بلغ مرتبة العزم والتصميم وتوطين النفس على الفعل لكن بسيئة العزم والتوطين لانها معصية لا بسيئة المعزوم عليه لانه لم يفعله فان فعله كتبته سيئة ثانية، الثالث أن النية روح العمل والعمل بمثابة البدن لها فخيرية العمل و شريته تابعان لخيرية النية و شريتها كما أن شرافة البدن و خباثته تابعان لشرافة الروح و خباثته فبهذا الاعتبار نية المؤمن خير من عمله و نية الكافر شر من عمله ، الرابع أن نية المؤمن و

٣- عدّة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد، عن ابن محبوب، عن هشام بن سالم، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : إن العبد المؤمن الفقير ليقول : يا ربّ ارزقني حتى أفعل كذا وكذا من البرّ ووجوه الخير ، فإذا علم الله عزّ وجلّ ذلك منه بصدق نيّة كتب الله له من الأجر مثل ما يكتب له لو عمله، إن الله واسع كريم .

قصده أولا هو الله وثانياً العمل لانه يوصل اليه ونية الكافر وقصده غيره تعالى وعمله يوصله اليه وبهذا الاعتبار صح ما ذكر، و هذان الوجهان استفدناهما من كلام المحقق الطوسي في بعض رسائله وان لم يكن صريحاً فيهما، الخامس أن «خيراً» ليس للتفضيل و«من» تبعيضية صفة له يعني أن نية المؤمن عمل خير من جملة أعماله ونية الكافر عمل شر من جملة أعماله وهو متقول عن السيد المرتضى وبه يندفع التناقض بين هذا الحديث و بين ما روى عنه «ص» أفضل الاعمال أحمرها، وأما الوجوه السابقة فيرد على ظاهرها أن العمل أشق من النية فيكون خيراً منها بحكم هذا المروي فكيف تكون النية خيراً منه والجواب أن العمل ليس أشق من النية بل الامر بالمعكس لان النية ليست مجرد التلفظ بلفظ مخصوص وحصول معناه في القلب بل حصولها متوقف على تنزيه الظاهر والباطن عن الرذائل كلها و توجه القلب الى المولى بالكلية و اعراضه عن جميع ما سواه وتطهير العمل عن جميع ما يوجب نقصه وفساده ولا ريب في أن النية على هذا الوجه أشق من العمل كما يدل عليه ما روى عن أمير المؤمنين «ع» «أن تصفية العمل أشد من العمل و تخليص النية من الفساد أشد على العاملين من طول الجهاد» الحديث طويل مذكور في كتاب الروضة أخذنا منه موضع الحاجة ، ثم أشار الى أن قبول العمل ورده وخيره و شره تابعة للنية بقوله «وكل عامل يعمل على نيته ان خيراً فخير وان شراً فشر» و من طرق العامة «ان الله لا ينظر الى صوركم وانما ينظر الى قلوبكم» يعني الى نياتكم من باب اطلاق المحل على الحال.

قوله (كتب الله له من الاجر مثل ما يكتب له لو عمله) يمكن ان يجعل تفسيراً لما مر من ان نية المؤمن خير من عمله لان المؤمن ينوي خيرات كثيرة لا يساعده القدرة أو الزمان على فعلها فيثاب بها فيكون الثواب على النية أكثر من الثواب على العمل فتكون النية خيراً منه وهذا الوجه ينسب الى ابن دريد اللغوي كما صرح به الشيخ في الاربعين، و لعل المراد أنه يكتب له أجره مضاعفاً كما يقتضيه لفظ المثل و أن أجر النية من حيث هي مثل أجر العمل من حيث هو ، لا أنه مثل أجره مع النية فلا يلزم زيادة الشيء على نفسه أو الفاء العمل و اثابة المؤمن بنيته امر متفق عليه بين الامة روى مسلم بإسناده عن رسول الله «ص» قال

٤- عِدَّةٌ من أصحابنا، عن أحمد بن محمد بن خالد، عن علي بن أسباط، عن محمد بن إسحاق بن الحسين، عن عمرو، عن حسن بن أبان، عن أبي بصير قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن حدِّ العبادة التي إذا فعلها فاعلمها كان مؤدياً؟ فقال: حسن النية بالطاعة.

٥- علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن القاسم بن محمد، عن المنقري، عن أحمد بن يونس، عن أبي هاشم قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: إنما خُلد أهل النار في النار لأن نياتهم كانت في الدنيا أن لو خُلدوا فيها أن يعصوا الله أبداً، و إنما خُلد أهل الجنة في الجنة لأن نياتهم كانت في الدنيا أن لو بقوا فيها أن يطيعوا الله أبداً، فبالنيات خُلد هؤلاء وهؤلاء، ثم تلا قوله تعالى: «قل كلُّ يعمل على شاكلته» قال: على نيته.

(باب)

١- محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن ابن محبوب، عن الأ حول، عن سلام بن المستنير، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «الإن لكل»

« من طلب الشهادة صادقاً أعطيتها ولو لم تصبه» و باسناد آخر عنه «ص» قال « من سأل الله الشهادة بصدق بلغه الله منازل الشهداء وان مات على فراشه» قال المازري وفيهما دلالة على أن من نوى شيئاً من أفعال البر ولم يفعله لعذر كان بمنزلة من عمله، وعلى استحباب طلب الشهادة ونية الخير وقد صرح بذلك جماعة من علمائهم حتى قال الأبي لولم ينوه كان حاله حال المنافق لا يفعل الخير ولا ينويه، و قيل «مر رجل من بني إسرائيل سنة الفتح على جبل من الرمل فقال: لو كان حنطة لانفتحه على الفقراء فأوحى الله الى رسول ذلك العصر أن يقول له ان الله قبل صدقتك وأعطاك أجر انفاقه لو كان حنطة».

قوله (فقال حسن النية بالطاعة) لعل المراد به حسن النية بطاعة الامام و الاقبال عليها من صميم القلب أو المراد به تزكية نية العبادة عن جميع النقائص و تصفيتها عن غير وجه الله تعالى، وجعله حد العبادة لان العبادة به عبادة فيهم أن شرط لقبولها.

قوله (قل كل يعمل على شاكلته قال علي نيته) كان المراد نظراً الى ظاهر الاستهاد أن كل أحد بمنزلة من يعمل على نيته فان كانت نيته الطاعة أبداً فهو مطيع أبداً فيستحق الخلود في الجنة و ان كانت نيته المعصية أبداً فهو عاص أبداً فيستحق الخلود في النار.

قوله (ألا ان لكل عبادة شرة ثم تصير الى فترة فمن صارت شرة عبادته الى سنتي فقد

عبادة شرقة ثم تصير إلى فترة ، فمن صارت شرقة عبادته إلى سنتي فقد اهتدى ومن خالف سنتي فقد ضلّ و كان عمله في تباب أما إنني أصلي وأنام وأصوم وأفطر وأضحك وأبكي فمن رغب عن مناهجي وسنتي فليس مني . وقال: كفى بالموت موعظة، وكفى باليقين غنى ، وكفى بالعبادة شغلا .

٢- عدة من أصحابنا ، عن سهل بن زياد ، عن الحجّال ، عن ثعلبة ، قال:

اهتدى) الشرة وزان الشدة: الحدة والرغبة والنشاط في العمل والفترة بفتح الفاء الضعف و الكسل فيه وأصلها الانكسار ، يقال فتر عن العمل فترة وقتورا اذا انكسر حدته ، و لعل المراد أن للمبتدى في العبادة نشاطاً تاماً و ارادة حادة و رغبة كاملة تبعث النفس على الجهد فيها وتحمل مشاقها فاذا دام ذلك يعتري النفس فتور وضعف عن العبادة اما الملل الطبع و سآمته او لمنع من جهة الحق عزوجل يمتحن به العابد ليبره عجزه فلا يعجب بعمل نفسه بل يرى تمكنه من العمل بحسن توفيقه أو ليختبر ما عنده من الصدق فان هوسكن ولم يتألم لذلك فلا يردها عليه فانه لا يعرف قدرها و ان هو توجع وتضرع وجزع فردها اليه وزاده ثم بين حال الشرة بقوله «فمن صارت شرقة عبادته الى سنتي» أي طريقتي وهي طريقة العدل والاقتصاد ولم تتجاوز عنها فقداهتدى لان طريق الاقتصاد قلما يعتريه الفتور وأما المتجاوز عنه فانه في معرض الفتور لسأمة النفس وملاها غالباً كما يظهر من الباب الاتي. هذا الذي ذكرنا على سبيل الاحتمال والله أعلم بحقيقة الحال قال(كفى بالموت موعظة) الموعظة هي الزاجرة عن الدنيا و الركون اليها والداعية الى الاخرة و قرب الحق و أعظمها هو الموت اذا العاقل اذا تفكر فيه وفي غمراته وما يعقبه من أحوال البرزخ والقيامة وأهوالها والحساب والعقاب و ما فعله بأهل الدنيا من قطع أيديهم عنها واخراجهم منها طوعاً أو كرهاً هانت عنده الدنيا وما فيها واجتهد في الطاعة وتحرز عن المعصية(وكفى باليقين غنى)الغنى ما يغنى عن غير الله تعالى و يرفع الحاجة اليه واليقين بالله وباليوم الآخر وبحصول ما وعده الله من الجزاء والارزاق أقوى ما يغنى عن غير الله سبحانه لانه نور موجب لوصل السالك الى الحق واتصاله به اتصالاً معنوياً بحيث لا يشاهد غيره فضلاً عن الاحتياج اليه (وكفى بالعبادة شغلا) لان كل شغل غير العبادة فهو لهو ولعب يوجب البعد عنه تعالى وتنقطع ثمرته بخلاف العبادة فانها توجب قربه تعالى وتدوم ثمرته و فيه ترغيب في العبادة و هي مرتبة عظيمة لا يعطيها الله تعالى الا من يحبه الا ترى أن الله تعالى حين أراد أن يلبس نبيه «ص» حلة الشرف و الكرامة نسب العبودية اليه فقال «أنزل على عبده الكتاب» .

قال أبو عبد الله عليه السلام: لكلُّ أحدٍ شرّةٌ و لكلِّ شرّةٌ فترةٌ ، فطوبى لمن كانت
فترته إلى خير .

(باب الاقتصاد في العبادة)

- ١- محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن محمد بن سنان، عن أبي الجارود،
عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنَّ هذا الدِّينَ متينٌ فأوغلوا فيه
برفق ولا تكررْهُوا عبادةَ الله إلى عبادةِ الله، فتكونوا كالرَّكابِ المنبِتِ الَّذِي لاسفراً
قطع ولا ظهرأً أبقي. محمد بن سنان، عن مقرن، عن محمد بن سوقة، عن أبي جعفر عليه السلام مثله .
- ٢- عليُّ بن إبراهيم، عن أبيه، و محمد بن إسماعيل، عن الفضل بن شاذان،

(لكل أحد شرّة و لكل شرّة فترة فطوبى لمن كانت فترته الى خير) لعل المراد أن
الشرّة قد تفضى الى التجاوز عن حد الاقتصاد و توجب الكلال و الفتور في الاعمال فطوبى لمن كانت
فترته الى الخير وهو القصد لالى الاعراض فالاقتصاد أمر مطلوب قد وقع الحث على التمسك
به حيث مدح في الاول من انتهت شرته اليه، وفي هذا الحديث من رجح عن شرته عند التجاوز
وقام عليه. وللحديث احتمالات اخر ذكرناها في آخر كتاب العلم.

قوله (ان هذا الدين متين فأوغلوا فيه برفق) اسم الدين يقع على جميع ما تعبد الله به
خلقه من توحيدهِ وطاعته والانقياد لحكمه وهو جملة الاسلام كما قال تعالى «ان الدين عند الله
الاسلام» ووصفه بأنه متين أى قوى شديد من متن الشيء - بالضم - متانة اشدت و قوى فهو متين
للتنبيه على أنه لا يقدر على تحمله الا المؤمنون وذلك كما قال الله تعالى في وصف الصلاة « و
انها لكبيرة الاعلى الخاشعين» وهم المؤمنون العارفون، والايغال السير الشديد، يقال أوغل
القوم وتوغلوا اذا أمعنوا في سيرهم، والمنبت الرجل الذى انقطع به في سفره وعطبت راحلته
وهو مطاوع بته بتأ من باب ضرب وقتل أى قطعه يعنى سيرا فيه سيراً سريعاً وبلغوا الغاية
القوى منه بالرفق ولا تحملوا على أنفسهم من العمل ما لا تطيق فينقطع كالذى لا يقطع طريقه
ويهلك راحلته. والمراد بالرفق الاقتصاد في العبادة و ترك التعمق فيها لان التعمق فيها يوجب
غالباً كراهة النفس لها و بغضا اياها والاعراض عنها وهو مذموم قطعاً و لقد أحسن فى
ايضاح المقصود بالاتبان بالتمثيل البديع لانه شبه النفس الناطقة فى السير الى الله بالمسافر .
وشبه البدن و قواه بالمركوب لان النفس فى سيرها تحتاج اليهما كما أن المسافر فى سيره
يحتاج الى المركوب و كما أن المسافر اذا جد فى السير جداً و حمل على مركوبه
أثقالا كثيرة يهلك دابته قبل أن يقطع سبيله و يبلغ مقصده فيبقى متحيراً كذلك النفس اذا

جميعاً، عن ابن أبي عمير، عن حفص بن البختري، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لا تكثرهوا إلى أنفسكم العبادة.

٣- محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن محمد بن إسماعيل، عن حنان بن سدير قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إن الله عز وجل إذا أحب عبداً فعمل [عملاً] قليلاً جزاه بالقليل الكثير ولم يتعاضمه أن يجزي بالقليل الكثير له.

٤- عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد، عن ابن فضال، عن الحسن بن الجهم عن منصور، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: مر بي أبي وأنا بالطواف وأنا

جئت في طرق الاعمال وحملت على مر كوبها أعمال كثيرة شاقة تمل البدن و تكل قواه وذلك يضعفها ويهلكها فنتقى متحيرة قبل الوصول الى المطلوب فلا بد لها من ترك الافراط و التفریط و اختيار التوسط كما أنه لا بد من ذلك لذلك المسافر . وبالجملة العبادة خلاف مقتضى الطبع فلا بد من أن يسلك فيها سبيل التدريج و المداراة ليكون له نشاط في الاعمال و الافعال و هذا في المرغبات و أما المفروضات فلا بد من أدائها و تعاهدها في محلها و ان كانت ثقيلة.

قوله (قال لا تكثرهوا الى أنفسكم العبادة) زجر بهذا الكلام المبالغين في الجدو الاجتهاد و تحمل مشاق العبادات فربما كرهت النفس العبادة وذهب أجرها و نديهم الى أخف العبادات على النفوس و أسهلها ليعملها بخفة و نشاط و طوعية لا بعسر و كراهية، فيكون ذلك أنشط لها في عبادة الله و أبلغ في حضور القلب مع الله و اجتماع الهم بين يديه فيقبل الله عليه و يوصله اليه ، وبالجملة أحاديث الباب ظاهرة في الامر بالرفق في العبادة و ترك طلب النهاية فيها اذ خير الامور أوساطها، فلا يستحسن قيام جميع الليالي و صيام جميع الايام فان لنفسك عليك حقاً و لعينك عليك حقاً و لان العمل اذا قل دام و اجتمع فقليله لطول الزمان كثير و خف على النفس تهده بخلاف ما اذا كثر ولم تضبطه عادة، فانه قد يؤدي الى الترك فيحرم عن العبادة وهو مع ذلك مكروه لها و هذا مذموم جداً، الم تسمع ان اشرف العابدين و سيد المرسلين كان ينام و يأكل و يشرب و ينكح و يصاحب الناس و يصوم و يفطر ومع ذلك كان قادراً على أكثر من ذلك ، كل ذلك تعليم للامة و ترحم لهم و تعطف عليهم و لذلك لم يكلفهم الله الامادون الطاقة بكثير، نعم من استيقن أنه لا يفتر بكثرة العبادة ولا يبغضها بطول مداومتها لا يبعد أن يكون ذلك راجحاً بالنظر اليه كماورد الامر بعبادات كثيرة المشاق مثل صيام الدهر و بعض الصلوات و نحوهما.

حدث وقد اجتهدت في العبادة، فرآني وأنا أتصابُ عرقاً، فقال لي: يا جعفر يا بني إن الله إذا أحبَّ عبداً أدخله الجنة ورضي عنه باليسير.

٥- عليُّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن حفص بن البختري و غيره عن أبي عبد الله عليه السلام قال: اجتهدت في العبادة وأنا شابٌ، فقال لي أبي: يا بني دون ما أراك تصنع، فإن الله عزَّ وجلَّ إذا أحبَّ عبداً رضي عنه باليسير.

٦- حميدُ بن زياد، عن الخشَّاب، عن ابن بقَّاح، عن معاذ بن ثابت، عن عمرو بن جميع، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا عليُّ إن هذا الدِّينَ متينٌ، فأوغل فيه برفق ولا تبغض إلى نفسك عبادة ربِّك [ف] إنَّ المنيبَ يعني المفرط لاظهوراً أبقي ولا أرضاً قطع، فاعمل عمل من يرجو أن يموت هرماً و احذر حذر من يتخوَّف أن يموت غداً.

(باب)

(من بلغه ثواب من الله على عمل)

١- عليُّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن هشام بن سالم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: من سمع شيئاً من الثواب على شيء فصنعه، كان له، وإن لم يكن على ما بلغه.

٢- محمد بن يحيى، عن محمد بن الحسين، عن محمد بن سنان، عن عمران الزعفراني

قوله (فاعمل عمل من يرجو أن يموت هرماً واحذر حذر من يتخوف أن يموت غداً) أي اعمل في الطاعات والخيرات برفق وتأن وأخذ حظ من جميع أنواعها كعمل من يرجو أن يكون أجله ممتداً إلى الهرم واحذر عن المنهيات كحذر من يخاف أن يموت غداً ولعل السر فيه أن العبادات أعمال وفيها تعب الاركان وشغل عما سواها فأمر فيها بالرفق والاقتصاد كيلا تكل بها الجوارح ولا تبغضها النفس ولا تفوت بسببها حق من الحقوق فاما الحذر من المعاصي والمنهيات فهو ترك واطراح ليس فيه كثير كد ولا ملالة ولا شغل عن شيء فبترك ترك من يخاف أن يموت غداً على معصية الله تعالى ولهذا قال «ع» «إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم وإذا نهيتكم عن شيء فانتهوا» وقيل الفرق أن فعل الطاعات نفل وفضل و ترك المخالفات حتم وفرض.

قوله (من سمع شيئاً من الثواب على شيء فصنعه) الحديث حسن الطريق مضمونه مؤيد

عن محمد بن مروان قال : سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول : من بلغه ثواب من الله على

بالخبر الذي بعده (١) وان كان ضعيفاً وبما رواه الصدوق في كتاب ثواب الاعمال عن أبيه علي بن بابويه عن علي بن موسى عن أحمد بن محمد عن علي بن الحكم عن هشام بن صفوان عن أبي عبد الله «ع» قال «من بلغه شيء من الثواب على شيء من الخير فعمله كان له أجر ذلك وان كان رسول الله «ص» لم يقله» كان المراد أن من سمع رواية صادقة بحسب ظنه دالة على الثواب المترتب على فعل شيء أو تركه ففعل ذلك الشيء وأتى به طلباً لذلك الثواب كان له أجر ذلك الشيء وان لم يكن المسموع على ما بلغه. وقال الشيخ في الاربعين يحتمل أن يراد بسماع الثواب مطلق بلوغه اليه سواء كان على سبيل الرواية أو الفتوى أو المذاكرة أو نحو ذلك كما رآه في شيء من كتب الحديث أو الفقه مثلاً ويؤيد هذا التعميم أنه ورد في حديث آخر عن الصادق «ع» «من بلغه شيء من الثواب» ويمكن أن يراد السماع من لفظ الراوي أو المفتي خاصة فإنه هو الشائع الغالب في الزمن السالف، وأما الحمل على التحمل بأحد الوجوه الستة المشهورة فلا

(١) قوله «مضمونه مؤيد بالخبر الذي بعده» وهو من فروع حسن الظن بالله المرغوب اليه فيما سبق من الاحاديث ومن الصفات التي تبقى مع النفس بعد مفارقة البدن وتنفع الانسان بنفسها مباشرة في الآخرة لامن الصفات المقدماتية التي لا تنفع الا بالواسطة والعرض فان الملكات الحسنة على قسمين قسم منها كالعفة والشجاعة والسخاء يختص بهذه الحياة الدنيا ما دامت النفس في البدن و ممنوعة بالشهوات والاهام والصفات البدنية وفائدة هذه الملكات حفظ النفس عن غوائل الشهوات وأمثالها فلولم يكن في الانسان شهوة لم يكن عفة ولو لم يكن خوف لم تحسن الشجاعة والسخاء وبعد فراق النفس عن البدن لم تكن فيه شهوة القبائح فلا معنى لوجود العفة ولم يتحقق فيه خوف الموت فلا معنى لتحسين صفة الشجاعة له . واما معرفة الله تعالى وصفاته الكمالية وحسن الظن به والاعتماد عليه والتلذذ بقربه فهي مما يعقل وجودها للنفس الانسانية بعد الموت وقد تكون الملكة غير الباقية مستلزمة لصفة يمكن ان تبقى مع النفس كنية فعل الخير فانها تستلزم حب الخير والصبر فانه يتضمن الرضا بحكم الله تعالى، و لمثل تلك الصفات حكم في الآخرة و يناب عليها وقد مر في سر خلود المؤمنين في النعيم و خلود الكفار في الجحيم بقاء نية الخير أو الشر في قلوبهم فهم يعدبون بسبب النية كشجرة تثمر ثمراً ردياً لم يبطري على أصله و بالجملة فحسن الظن بالله ملكة فاضلة اذا رسخت في النفس كمثل ايمانها بالله ورجاء الثواب من عمل لا يحتمل كونه مبعوضاً تقرب اليه و ذكر لائمه و لطفه و هو حسن عقلا يستحق به الثواب والطريق الذي ذكرناه في التسامح في أدلة السنن أنسب وألصق بعلم الاخلاق والكلام مما ذكره الشارح فانه أنسب بالفقه (ش)

يخلو من بعد وظاهر الاطلاق أن ظن صدق الناقل غير شرط في ترتب الثواب فلو تساوى صدقه و كذبه في نظر السامع وعمل بقوله فاز بالاجر نعم بشرط عدم ظن كذبه بقيام بعض القرائن والظاهر أن تصريح الراوى بترتب الثواب غير شرط بل قوله ان العمل الفلانى مستحب أو مكروه كاف في ترتب الثواب على فعله أو تركه انتهى، وأنت خير بأن هذا الحديث على الاحتمال الاول يدل على أنه يجوز العمل باخبار الاحاد المعتمد وعلى الاحتمال الذى ذكره الشيخ يدل عليه وعلى جواز العمل بالاخبار الضعيفة الدالة على استحباب فعل عمل أو تركه وهو الموافق لمذهب الاصحاب. ويرد عليهم اشكال وهو أن الاستحباب حكم شرعى وقد اتفقوا بأن الحكم الشرعى لا يثبت بالحديث الضعيف فكيف يصح قولهم باستحباب الاعمال التى ورد بها أخبار ضعيفة و حكمهم بترتب الثواب عليها ولهم فى التفسى عنه أقوال فقال الشيخ. رحمه الله - حكمهم باستحباب تلك الاعمال و ترتب الثواب عليها ليس مستنداً فى الحقيقة الى الاحاديث الضعيفة بل الى هذا الحديث الحسن المشتهر المعتمد بغيره من الاحاديث، ووجه عدم استنادهم الى هذا الحديث فى وجوب ما تضمنه الخبر الضعيف وجوبه كاستنادهم اليه فى استحباب ما تضمنه استحبابه، ظاهر فإن هذا الخبر لم يتضمن الا ترتب الثواب على العمل وهو يقتضى الامر بالعمل، وقيل اذا وجد حديث ضعيف فى فضيلة عمل ولم يكن هذا العمل ما يحتمل الحرمة والكرهه فإنه يجوز العمل به ويستحب لانه مأمون الخطر ومرجو النفع اذ هو دائر بين الاباحة والاستحباب فالاحتياط العمل لرجاء الثواب وأما اذا دار بين الاستحباب والحرمة فلا وجه لاستحباب العمل به و كذا اذا دار بينه وبين الكراهة الشديدة اذ فى العمل به دغدغة الوقوع فيها وأما اذا كانت الكراهة أضعف من الاستحباب فالاحتياط العمل وكذا اذا تساوى، وقيل: معنى قولهم يجوز العمل بالحديث الضعيف فى فضائل الاعمال دون مسائل الحلال والحرام أنه اذا ورد حديث صحيح أو حسن فى استحباب عمل وورد حديث ضعيف فى أن ثوابه كذا وكذا جاز العمل بهذا الحديث الضعيف والحكم بترتب الثواب على ذلك الفعل وليس هذا الحكم أحد الاحكام الخمسة التى لا تثبت بالاحادىث الضعيفة، وقيل: معنى قولهم الاحكام لا تثبت بالاحادىث الضعيفة أنها لا تستقل بأبوابها لأنها لا تصير مقوية ومؤكدة لما تثبت تلك الاحكام به ومعنى تجوزهم العمل بالحديث الضعيف فى فضائل الاعمال انه اذا دل على استحباب عمل حديثان صحيح وضعيف مثلاً جاز للمكلف حال العمل ملاحظة دلالة الضعيف أيضاً عليه فيكون عاملاً به فى الجملة و الشيخ (ره) رد هذه الاقوال الثلاثة أما أولها فبان خطر الحرمة فى هذا الفعل الذى تضمن الحديث استحبابه

عمل فعمل ذلك العمل ، التماس ذلك الثواب ، اوتيه ، وإن لم يكن الحديث كما بلغه .

(باب الصبر)

١- عدّةٌ من أصحابنا ، عن سهل بن زياد ، عن الحسن بن محبوب ، عن عليّ بن ابن رئاب ، عن ابن أبي يعفور ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: الصبر رأس الايمان .

حاصل اذ لا يعتمد شرعاً بما فعله المكلف لرجاء الثواب ولا يصبر منشأ لاستحقاق الثواب الا اذا فعله بقصد القرية ولاحظ رجحان فعله شرعاً ، فان الاعمال بالنيات وفعله على هذا الوجه مردد بين كونه سنة ورد الحديث بها في الجملة وبين كونه تشريعاً وادخالا لماليس من الدين فيه ولا ريب ان ترك السنة اولى من الوقوع في البدعة فليس الفعل المذكور دائراً في وقت من الاوقات بين الاباحة والاستحباب ولا بين الكراهة والاستحباب بل هو دائماً بين الحرمة والاستحباب فتاركه متيقن للسلامة وفاعله متعرض للندامة ، وأما ثنائها فبأنه مخالف منطوق عبارات القوم فانها صريحة في استحباب الاتيان بالفعل اذا ورد في استحبابه حديث ضعيف غير قابلة لهذا التأويل السخيف ، وأما ثالثها فبأنه مع بعده وسماجه يقتضى عدم صحة التخصيص بفضائل الاعمال دون مسايل الحلال و الحرام فان العمل بالحديث الضعيف بهذا المعنى لانزاع بين أهل الاسلام في جوازه في جميع الاحكام .

قوله (الصبر رأس الايمان) في الخبر الا ترى «الصبر من الايمان بمنزلة الرأس من الجسد» وفيه تشبيه المعقول بالمحسوس للايضاح والوجه ما أشار اليه بقوله «فاذا ذهب الرأس ذهب الجسد كذلك اذا ذهب الصبر ذهب الايمان» وذلك لما ذكرنا سابقاً من أن الانسان مادام في هذه النشأة كان مورداً للمصائب والافات ومجلاً للنوائب والمعاتات ، و متوجهاً اليه الاذى من بني نوعه في المعاملات ومكلفاً بفعل الطاعات وترك المنهيات والمشتهيات و كل ذلك ثقل على النفس بشع في مذاقتها وهي تنفر منه نفاراً وتتباعده منه فراراً فلا بد من أن يكون فيه قوة ثابتة و ملكة راسخة بها يقتدر على حبس النفس على هذه الامور الشاقة والوقوف معها بحسن الادب و عدم الاعتراض على المقدر باظهار الشكوى وعدم مؤاخذة من أذاه والالتقام منه وتلك القوة أو ما يترتب عليها أعنى حبس النفس على تلك الامور ومقاومتها لهواها هي المسماة بالصبر و من اليبين أن الايمان الكامل بل نفس التصديق أيضاً يبقى ببقائه و يفنى ببقائه فلذلك هو من الايمان بمنزلة الرأس من الجسد، وفي طرق العامة «الصبر نصف الايمان» قال ابن الاثير اراد بالصبر الورع لان العبادة قسمان نسك وورع فالنسك ما أمرت به الشريعة والورع ما نهت عنه وانما ينتهي بالصبر فكان الصبر نصف الايمان ، أقول الايمان الكامل نصفه متعلق بالباطن ونصفه متعلق بالظاهر وقوام الظاهر بالصبر فالصبر نصف الايمان .

٢- أبو علي الأشعري ، عن أحمد بن محمد بن عيسى ، عن محمد بن سنان ، عن العلاء بن الفضيل ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد ، فإذا ذهب الرأس ذهب الجسد ، كذلك إذا ذهب الصبر ذهب الإيمان .
 ٣- علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، وعلي بن محمد القاساني ، جميعاً ، عن القاسم ابن محمد الإصبهاني ، عن سليمان بن داود المنقري ، عن حفص بن غياث قال : قال أبو عبد الله عليه السلام : يا حفص إن من صبر صبر قليلاً وإن من جزع جزع قليلاً ، ثم قال : عليك بالصبر في جميع أمورك ، فإن الله عز وجل بعث محمد عليه السلام فأمره بالصبر والرفق ، فقال : « و اصبر على ما يقولون و اهجرهم هجراً جميلاً و ذرني و المكذبين أولي النعمة » و قال تبارك و تعالی : « ادفع بالتي هي أحسن (السيئة) »

قوله (عن القاسم بن محمد الإصبهاني) قال عياض أصبهان سمعناه بفتح الهمزة وحكاة البكري بالكسر لا غير (ان من صبر صبر قليلا و من جزع جزع قليلا) نصب قليلا اماعلى المصدرية او على الظرفية أى صبر صبراً قليلا أو صبر زماناً قليلا و هو زمان العمر أو زمان البلية فيه وفيه حث على الصبر لانه يوجب مع قلته راحة طويلة .
 (ثم قال عليك بالصبر في جميع امورك) الجمع المضاف يفيد العموم خصوصاً مع لفظ الجميع فيدل على ان الانسان في كل ما يصدر منه من الفعل والتترك والعقد و كل ما يرد عليه من المصائب و النوائب من قبله تعالى أو من قبل غيره يحتاج الى الصبر اذ لا يمكنه تحمل ذلك بدون جهاده مع النفس والشيطان و ثباته في مقام المجاهدة بالصبر و حبس النفس عليه قال أمير المؤمنين «ع» الصبر شجاعة .

(و اصبر على ما يقولون و اهجرهم هجراً جميلاً) أمره بالصبر على تكذيبهم و بالهجر عن ذواتهم او عن مخالصتهم ، وفيه ترغيب في حمل النفس على الصبر و المجاهدة لتخلص من عداوة الخلق و الغضب عليهم و شهوة الدنيا و الاشتغال بغيره تعالى ، و الهجر الجميل هو ان يجانبهم و يدارهم و لا يكافهم و يكل امرهم الى الله كما قال :

(و ذرني و المكذبين اولي النعمة) أى دعنى و اياهم فانى اجازهم فى الدنيا و الاخرة و اولي النعمة صناديد قریش و غيرهم .

(و قال تبارك تعالى ادفع بالتي هي احسن) قال عز وجل « ولا تستوى الحسنة و لا السيئة ادفع بالتي هي احسن قال بعض المفسرين صبر الله تعالى بهذه الاية رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم » على سفاهة الكفار و علمه الادب الجميل فى باب الدعاء الى الدين بل فى مطلق امور -

فاذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم وما يلقبها إلا الذين صبروا وما يلقبها إلا ذوحظ عظيم ، فصر رسول الله ﷺ حتى نالوه بالعظائم ورموه بها ، فضاقت صدره فأنزل الله عز وجل « ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين » ثم كذبوه ورموه ، فحزن لذلك ، فأنزل الله عز وجل « قد نعلم أنه ليحزنك الذي يقولون فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين

التمدن ، ولاء زائدة لتأكيد نفي الاستواء والمعنى لامتساواة بين الحسنه و السيئه بدأ يعنى يكسان نيست نيكي و بدى هر گز كلايمان والكفر والحلم والغضب والطاعة والمعصية واللفظ والمنف والعمو والاذخولما كان هناك ظنة سؤال وهو أنه كيف يصنع بالخبيث المودى قال وادفع بالتي هي أحسن السيئه أى ادفع السيئه بالخصلة التي هي احسن منها وهي العفو واسم التفضيل مجرد عن معناه أو أصل الفعل معتبر في المفضل عليه على سبيل الفرض أو المعنى ادفع السيئه بالحسنه التي هي احسن من العفو والمكافاة و تلك الحسنه و هي الاحسان في مقابل الاساءة و معنى التفضيل حينئذ بحاله لان كل واحد من العفو والمكافاة أيضاً حسنة الا أن الاحسان أحسن منهما و هذا قريب مما ذكره صاحب الكشاف من أن « لاء غير مزيدة والمعنى أن الحسنه و السيئه متفاوتان في أنفسهما فخذ بالحسنه التي هي أحسن اذا اعترضك حسنتان فادفع بها السيئه ، مثاله رجل أساء إليك فالحسنه أن تعفوه عنه والتي هي أحسن أن تحسن إليه مكان اساءته .

(فاذا الذى بينك و بينه عداوة كانه ولي حميم) أى اذا فعلت ذلك صار عدوك مثل الولي الشفيق ، ثم مدح هذه الحضلة الكريمة و صاحب هذه السيرة الشريفة بقوله :
(وما يلقبها الا الذين صبروا) أى لا يعمل بهذه السجية العظيمة و هي العفو عن الاساءة أو مقابلتها بالاحسان الاكل صبار على تجرع المكاره .

(وما يلقبها الا ذوحظ عظيم) من قوة جوهر النفس الناطقة بحيث لاتتأثر من الواردات الخارجة وقيل الحظ العظيم وقيل الثواب الجزيل .

(و لقد نعلم انك يضيق صدرك) كناية عن الغم (بما يقولون) من الشرك والظعن فيك وفي القرآن والاستهزاء بك وبه .

(فسبح بحمد ربك) أى فنزهه ربك عما يقولون مما لا يليق به متلبساً بحمده في توفيقك له أو فافزع الى الله فيما نابك من الغم بالتسبيح والتحميد فانهما يكشفان الغم عنك .
(و كن من الساجدين) للشكر في توفيقك أو رفع غمك أو كن من المصلين فان في الصلاة قطع العلائق عن الغير .

(قد نعلم أنه ليحزنك الذى يقولون) قد للتحقيق و ضمير أنه للشأن (فانهم لا

بآيات الله يجحدون. ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا و أودوا حتى أتتهم نصرنا» فالزم النبي ﷺ نفسه الصبر، فتعدوا فذكروا الله تبارك و تعالی و كذبوه ، فقال : قدصبرت في نفسي و أهلي و عرضي و لاصبر لي على ذكر إلهي ، فأنزل الله عز و جل « ولقد خلقنا السموات و الأرض و ما بينهما في ستة أيام و ما مسنا من لغوب ، فاصبر على ما يقولون » فصبر النبي ﷺ في جميع أحواله ثم بشر في عترته بالأئمة و وصفوا بالصبر، فقال: جل ثناؤه: « وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا و كانوا بآيتنا يوقنون » فعند ذلك قال ﷺ: الصبر من الايمان كالرأس من الجسد، فشكر الله عز و جل ذلك له ، فأنزل الله عز و جل « و تمت كلمة ربك الحسنی على بني إسرائيل بما صبروا و دمرنا ما كان يصنع فرعون

يكذبونك) في الحقيقة. (ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون) قيل يجحدون مكذبين بآيات الله في الحقيقة ، فالباء لتضمين الجحد معنى التكذيب و وضع الظالمين موضع الضمير للدلالة على أن ظلمهم بسبب الجحد. (ولقد كذبت رسل) عظام أو كثير.

(من قبلك فصبروا على ما كذبوا و اودوا) أي على تكذبيهم و ايذائهم ، فما مصدرية و فيه تسلية له «ص» و ترغيب في الصبر كما قال «فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل» . (حتى اتتهم نصرنا) بشارة بالنصر للصابرين كما قيل الصبر مفتاح الفرج (ولقد خلقنا السموات و الارض و ما بينهما في ستة ايام) فيه أيضاً ترغيب للخلق بالصبر في جميع الامور (و ما مسنا من لغوب) أي تعب و أعياء.

(فاصبر على ما يقولون) أي على ما تقوله اليهود من الكفر و التشبيه أو على ما يقوله المشركون من انكارهم البعث فان من خلق العالم بلا أعياء يقدر على حشر الخلائق و الانتقام منهم . (و جعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا) دل على أن الصبر للجعل المذكور و اليه أشار أرسطو طاليس بقوله بالصبر على مضض السياسة ينال شرف الرئاسة (فشكر الله عز و جل ذلك له) شكر الله تعالى لعباده عبارة عن قبول العمل و مقابلته بالاحسان و الانعام في الدنيا و الآخرة . (و تمت كلمة ربك الحسنی على بني إسرائيل بما صبروا) أي مضت عليهم و اتصلت بالانجاز عدته اياهم بالنصر و التمكين بسبب صبرهم على الشدائد و هي قوله « و نريد أن نمن على الذين استضعفوا في الارض و نجعلهم أئمة و نجعلهم الوارثين و نمكن لهم في الارض و نرى فرعون و هامان و جنودهما منهم ما كانوا يحذرون» .

(و دمرنا) أي أهلكنا دمره تدميراً ، و دمر عليه بمعنى (ما كان يصنع فرعون و قومه)

وقومه وما كان يعرشون» فقال ﷺ إِنَّهُ بَشْرِي وَانْتِقَامٌ ، فَأَبَاحَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ قِتَالَ الْمُشْرِكِينَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ «اقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخَذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ» وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ» فَقَتَلَهُمُ اللَّهُ عَلَى يَدَيْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَحْبَبَّاهُ وَجَعَلَ لَهُ ثَوَابَ صَبْرِهِ مَعَ مَا ادْخَرَلَهُ فِي الْآخِرَةِ ، فَمَنْ صَبَرَ وَاحْتَسَبَ لَمْ يَخْرُجْ مِنَ الدُّنْيَا حَتَّى يَقْرَأَ [اللَّهُ] لَهُ عَيْنُهُ فِي أَعْدَائِهِ ، مَعَ مَا يَدْخُرُ لَهُ فِي الْآخِرَةِ .

٤- مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدَ بْنِ عِيسَى ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحَكَمِ ، عَنْ أَبِي مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ السَّرَّاجِ ، رَفَعَهُ إِلَى عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ قَالَ : الصَّبْرُ مِنَ الْإِيمَانِ بِمَنْزِلَةِ الرَّأْسِ مِنَ الْجَسَدِ ، وَلَا إِيْمَانُ لِمَنْ لَا صَبْرَ لَهُ .

٥- عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ حَمَّادِ بْنِ عِيسَى ، عَنْ رَبِيعِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، عَنْ فَضِيلِ بْنِ يَسَارٍ ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ : الصَّبْرُ مِنَ الْإِيمَانِ بِمَنْزِلَةِ الرَّأْسِ مِنَ الْجَسَدِ ، فَإِذَا ذَهَبَ الرَّأْسُ ذَهَبَ الْجَسَدُ ، كَذَلِكَ إِذَا ذَهَبَ الصَّبْرُ ذَهَبَ الْإِيمَانُ .

٦- عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدَ بْنِ خَالِدٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ

قِيلَ هُوَ الْقَصُورُ وَالْعِمَارَاتُ وَيَحْتَمِلُ الْأَعْمَ (وَمَا كَانُوا يَعْرُشُونَ) قَبْلَ هُوَ مَا كَانُوا يَرْفَعُونَ مِنَ الْبِنْيَانِ كَصِرْحِ هَامَانَ أَوْ مَا كَانُوا يَعْرُشُونَ مِنَ الْجَنَاتِ وَيَحْتَمِلُ الْأَعْمَ ، يُقَالُ عَرَّشَ يَعْرُشُ أَيْ بَنَى بِنَاءً مِنْ خَشَبٍ (وَاحْصُرُوهُمْ) مِنَ الدَّخُولِ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَوِ الْأَعْمِ مِنْهُ وَعَنِ السَّبْرِ فِي الْبِلْدَانِ (وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ) أَيْ كُلِّ مَرٍّ وَطَرِيقٍ لِثَلَاثِينَ سَطْوًا فِي الْبِلَادِ نَصَبَهُ عَلَى الظَّرْفِ مِنْ رَصْدٍ رَصْدًا وَرَصْدًا أَرْقَبَهُ ، وَالْمَرْصَادُ الطَّرِيقُ وَالْمَكَانُ يَوْجَدُ فِيهِ الْعَدُو .

(وَجَعَلَ لَهُ ثَوَابَ صَبْرِهِ مَعَ مَا ادْخَرَلَهُ فِي الْآخِرَةِ) أَيْ جَعَلَ لَهُ ثَوَابَ صَبْرِهِ فِي الدُّنْيَا بِنَصْرِهِ وَقَتْلَ عَدُوِّهِ وَفِي الْآخِرَةِ بِمَزِيدِ الزَّلْفَى وَالْكَرَامَةِ وَرَفْعِ الدَّرَجَاتِ ، وَهَذَا مَعْنَى شُكْرِهِ لِلصَّابِرِينَ ، وَ مِنْ ثَمَّ رَوَى وَالتَّصَرُّعَ مَعَ الصَّبْرِ ، وَقِيلَ : لِلصَّبْرِ عَاقِبَةٌ مَحْمُودَةٌ الْاَثَرُ .

(فَمَنْ صَبَرَ وَاحْتَسَبَ) أَيْ احْتَسَبَ صَبْرَهُ عَلَى أَدَى الْأَعْدَاءِ وَاعْتَدَهُ فِيمَا يَدْخُرُ عِنْدَ اللَّهِ وَ يَثَابُ عَلَيْهِ وَنَوَى بِهِ وَجْهَ اللَّهِ تَعَالَى لِأُخْرَى ، وَالْاِحْتِسَابُ بِالْعَمَلِ الْاِعْتِدَادُ بِهِ وَارْتِقَابُ الْاَجْرِ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى (لَمْ يَخْرُجْ مِنَ الدُّنْيَا حَتَّى يَقْرَأَ لَهُ عَيْنُهُ فِي أَعْدَائِهِ) أَيْ يَجْعَلُ اللَّهُ عَيْنَهُ قَارَةَ بَارِدَةٍ فِي قَتْلِ أَعْدَائِهِ وَخَذْلَانِهِمْ ، وَهَذَا كُنَايَةٌ عَنِ السَّرُورِ لِأَنَّ دَمْعَةَ السَّرُورِ بَارِدَةٌ (مَعَ مَا يَدْخُرُ لَهُ فِي الْآخِرَةِ) مِنَ الْاَجْرِ الْجَمِيلِ وَالثَّوَابِ الْجَزِيلِ كَمَا فَعَلَ ذَلِكَ لِرَسُولِهِ «س» .

النعمان، عن عبد الله بن مسكان، عن أبي بصير قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إن الحرَّ حرٌّ على جميع أحواله، إن نابتة نائبة صبر لها، وإن تداكت عليه المصائب لم تكسره وإن أُسرو قهراً واستبدل باليسر عسراً كما كان يوسف الصديق الأمين صلوات الله عليه لم يضر حرَّيته إن استعبد وقهر وأسر ولم تضره ظلمة الجبِّ ووحشته وما ناله إن منَّ الله عليه فجعل الجبار العاتي له عبداً بعد إذ كان [له]

قوله (قال سمعت أبا عبد الله عليه السلام دع) يقول إن الحر حر على جميع أحواله) الحر تقيض العبد والمراد به هنا من نجى عن رق الشهوات النفسانية واللذات الجسمانية و عن سلاسل الزهرات الدنياوية و توجهت نفسه القدسية الى مشاهدة الانوار الالهية والاسرار الربوبية وهم الذين يذكرون الله قياماً و قعوداً وعلى جنوبهم الاية. ويتحملون في نيران الصبر على فقدان المألوف والمرغوب ويصبرون على أذى القوم و عدم وجدان المطلوب، وحوالاتهم متفاوتة و يعود حال أعلاهم الى أن لو صار البحر مداداً و الأشجار أقلاماً و عاش الخلائق مخلدين يكتبون أشواقهم الى يوم التناد لا يستطيعون احصاء ما بهم من الاشواق المبرحة في فؤادهم ومن ثم قيل: من صبر صبر الاحرار نال من فيض الجبار ما لعين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر. وقال الله سبحانه «انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب». (ان نابتة نائبة) نابه أمر يتوبه نوبة أصابه والنائبة النازلة والجمع نواب (صبر لها) لتوجه قلبه اللطيف الى جمال الله تعالى و جلاله ولا يخطر غير الحق بباله فضلا عن أن يكون مخالفاً لطبعه ولو خطر وقتاً و ذاق مرارته تحمل طلباً لرضاه.

(و ان تداكت) الدك الدق و في التفاعل مبالغة في الشدة والصلوة (و استبدل بالسر يسرا) الظاهر أنه عطف على قهر ولا يتم الابتكاف لان ظاهره أن العسر مدفوع و اليسر مأخوذ فلا يناسب الوصل و يمكن أن يكون عطفاً على قوله : « و ان تداكت» فيكون غاية للصبر و اشارة الى ما يترتب عليه. وفي بعض النسخ «واستبدل باليسر عسراً» وهو واضح (لم يضر حرَّيته ان استعبد وقهر واسر) يعني هذه الصفات الشاقة الكريهة على النفوس البشرية لم تدفع حرَّيته أى توجه قلبه الى الله و صبره في الله على تحمل ثقلها.

(ولم تضره ظلمة الجب و وحشته و ما ناله أن من الله عليه) الظاهر أن قوله « و ما ناله» عطف على ظلمة الجب و لعل المراد به نواب الزمان وجور الاخوان و أن قوله «ان من الله عليه» بتقدير اللام أى لان من الله عليه فيكون تعليلاً لقوله لم يضر في الموضعين و انما قلنا الظاهر ذلك لاحتمال أن يكون مبتدأ وخبراً ، والجملة عطف على لم يضر أو يكون قوله «وما ناله» عطفاً عليه وما بعده بياناً لما بتقدير من أو يكون الواو بمعنى مع و

مالكا، فأرسله ورحمه بأمة، وكذلك الصبر يعقب خيراً، فاصبروا ووطنوا أنفسكم على الصبر توجروا.

٧- محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن علي بن الحكم، عن عبد الله ابن بكير، عن حمزة بن حمران، عن أبي جعفر عليه السلام قال: الجنة محفوفة بالمكاره والصبر، فمن صبر على المكاره في الدنيا دخل الجنة، و جهنم محفوفة باللذات والشهوات فمن أعطى نفسه لذتها وشهوتها دخل النار.

٨- علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن محبوب، عن عبد الله بن مرحوم، عن أبي سيار، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إذا دخل المؤمن في قبره، كانت الصلاة عن يمينه

فاعل نال حينئذ يوسف «ع». والعاتى من العتو وهو التجبر والتكبر والتجاوز عن الحد والمراد بارساله ارساله الى الخلق نبياً و برحم الامة به نجاتهم عن العقوبة الابدية بايمانهم به او عن القحط والجوع لحفظه ما زرعوا السنة القحط وادخاره لهم والله أعلم .

(و كذلك الصبر يعقب خيراً) أى كما ان صبر يوسف «ع» اعقب خيراً عظيماً له كذلك

صبر كل احد يعقب خيراً له و من ثم قيل اصبر تطفر و قيل

انى رأيت وللایام تجربة
وقل من جد فى امر يطالبه
للصبر عاقبة محمودة الاثر
فاستصحب الصبر الافاز بالظفر

(فاصبروا و وطنوا أنفسكم على الصبر توجروا) توطئ النفس على الصبر.

كناية عن لزومه فان لزومه توجب الاجر التام فى الآخرة و دفع المكروهات و اعقاب الخيرات فى الدنيا.

قوله (قال الجنة محفوفة بالمكاره والصبر - الخ) الحديث متفق عليه بين الخاصة و العامة روى مسلم عن أنس بن مالك قال قال رسول الله «ص» « حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات » وهذا من بديع الكلام وجوامعه و من التمثيل الحسن و أحفاف الشئء جوانبه والمقصود انه لا يوصل الى الجنة الا بتخطى المكاره و الصبر عليها ولا يوصل الى جهنم الا بتخطى الشهوات والمرور عليها والاطمينان بها و يدخل فى المكاره الجد فى العبادة والصبر على مشاقها و كظم النيظ والصبر على الشهوات ويدخل فى الشهوات جميع المحرمات كالزنا و شرب الخمر والغيبة و أمثالها، و أما المباحات فلا يدخل فيها ولكن يكره الاكثار منها لانها قد تقسى القلب و تجر الى الرغبة فى الدنيا بل قد تجر الى المحرمات.

قوله (اذا دخل المؤمن فى قبره كانت الصلاة عن يمينه - الخ) دل ظاهره على تجسم

والزكاة عن يساره والبرُّ مظلُّ عليه و يتنحى الصبر ناحية، فأدخلك عليه الملكان اللذان يليان مسألته قال الصبر للصلاة والزكاة والبرُّ: دونكم صاحبكم، فإن عجزتم عنه فأنا دونه.

٩- عليٌّ، عن أبيه، عن جعفر بن محمد الأشعري، عن عبد الله بن ميمون، عن أبي عبد الله عليه السلام قال دخل أمير المؤمنين صلوات الله عليه المسجد، فإذا هو برجل على باب المسجد، كئيب حزين، فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: مالك؟ قال: يا أمير المؤمنين أُصبت بأبي [وأُمِّي] وأخي وأخشي أن أكون قد وجلت، فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: عليك بتقوى الله والصبر تقدم عليه غداً، والصبر في الأمور بمنزلة الرأس من الجسد

الاعمال و الاخلاق و الروايات الدالة عليه و على تجسم الاعتقادات أيضاً كثيرة فلا ينبغي انكاره و حمله على التمثيل (١) و لسان الحال وان أمكن .

(فان عجزتم عنه فأنا دونه) فالصبر كصاحبه صابر و كل شيء من الحسن حسن .

قوله (و أخشى أن أكون) قد وجلت الخشية الخوف والوجل الفزع و خلاف

الصبر (عليك بتقوى الله والصبر) أمره بالصبر عند المصيبة والاجتناب عن الشكاية وغيرها مما يوجب نقص الايمان أو زواله وهما من أعظم الخصال و لذلك جمعهما الله تعالى في قوله « و ان تصبروا و تتقوا فان ذلك من عزم الامور » .

(١) قوله «فلا ينبغي انكاره وحمله على التمثيل» يعني انكار أصل ورود الخبر لان

الروايات الدالة عليه فوق حد الاحصاء و لعله متواتر معنى. و أما حمله على التمثيل و لسان الحال فمجاز بعيد لا يذهب اليه بغير قرينة ولو بنينا على التأويل لهدم أكثر الاصول والعجب ان المجلسي الثاني- رحمه الله- انكر تجسم الاعمال مطلقاً في بعض كتبه مثل حق اليقين ولكن والده -رحمه الله- في شرح من لا يحضره الفقيه أثبته وحقه ولا استبعاد في أن يكون لكل مهية في كل عالم صورة كالعلم في صورة اللبن على ما ثبت في موضعه، فان قيل ألا تحمل قوله تعالى «ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر» على التمثيل لان الصلاة لا تتكلم الا بلسان الحال وقوله «أن من الحجارة لما يتفجر منه الانهار وان منها لما يشقق فيخرج منها الماء وان منها لما يهبط من خشية الله» و قوله « يتغيروا ظلاله عن اليمين والشمال سجداً لله» كذلك تحملها على التمثيل لان الحجارة لا تتأثر بالوعظ وظل الاشياء لا يسجد الا ان حالتها تشبه السجدة والتأثر قلنا بينهما فرق لان الايات بيان حال الاجسام في هذا العالم المحسوس وأما تجسم الاعمال ففي عالم آخر واختلاف الصور في العوالم المختلفة غير بعيد نعم يتوقف ذلك على اثبات تجرد الخيال وهي حافظة الحس المشترك للنفس وبقائها بعد فساد البدن ولعلنا نبين ذلك ان شاء الله تعالى (ش)

فاذا فارق الرأس الجسد فسد الجسد و إذا فارق الصبر الأمور فسدت الأمور.

١٠- محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن علي بن الحكم، عن سماعة ابن مهران، عن أبي الحسن عليه السلام قال: قال لي: ما حبسك عن الحج؟ قال قلت: جعلت فداك وقع علي دين كثير وذهب مالي، و ديني الذي قد لزمني هو أعظم من ذهاب مالي، فلولا أن رجلاً من أصحابنا أخرجني ما قدرت أن أخرج، فقال لي: إن تصبر تغتبط وإلا تصبر ينفذ الله مقاديره، راضياً كنت أم كارهاً.

١١- محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن ابن سنان، عن أبي الجارود، عن الأصبع قال: قال أمير المؤمنين صلوات الله عليه: الصبر صبران: صبر عند المصيبة،

(تقدم عليه غداً) بعد الموت أو القيامة (والصبر في الأمور بمنزلة الرأس من الجسد) المراد بالأمور المطبوعة شرعاً سواء كانت أفعالاً أو تروكاً أو عقايد أو أخلاقاً و لو فارقها الصبر لفسدت بغلبة الشيطان على العقل اذ لو لم يكن للعقل صبر في محاربتة لانهزم في أول صولته و اذا انهزم فسدت تلك الأمور كلها.

قوله (ان تصبر تغتبط و ان لا تصبر ينفذ الله مقاديره راضياً كنت أم كارهاً) الاغتباط مطاوع غبط تقول غبطته ما نال أغبطه غبطاً و غبطة فأغبط هو كقولك منعمته فامتنع و الغبطة أن تتمنى حال المنبوط لكونها في غاية الحسن و الكمال من غير أن تريد زوالها عنه و ليس بحسد و حال الصابر في غاية الكمال كما نقل عن بعض الاكابر قال «يقول الله تعالى «لو أن ابن آدم قسدني في أول المصائب لرأى مني العجايب و لو انقطع الي في أول النوائب لشاهد مني الغرائب و لكنه انصرف الي أشكاله فرد في أشغاله» ثم الغبطة اما في الآخرة بجزيل الاجر أو في الدنيا بتبديل الضراء بالسراء و ذلك لان شدة المصائب و تداخل بعضها في بعض دليل على قرب الفرج كما قال أمير المؤمنين «ع» «أضيق ما يكون الحرج أقرب ما يكون الفرج» ثم ان الله تعالى ينفذ مقاديره على نحو ما أراد فان كنت راضياً صابراً كان لك أجر الراضى الشاكر، و ان كنت كارهاً ازدادت مصيبتك فان فوات الاجر مصيبة أخرى و الكراهة الموجبة لحزن القلب و تألمه مصيبة عظيمة و من ثم قيل المصيبة للمصابر واحدة و للمجازع اثنتان. أقول بل له مصيبات أربع الثلاثة المذكورة و شماتة الاعداء، و من ثم قيل الصبر عند المصيبة مصيبة على الشامت.

قوله (قال أمير المؤمنين «ع» الصبر صبران صبر عند المصيبة حسن جميل وأحسن من ذلك الصبر عند ما حرم الله عزوجل عليك) سواء كان فعل القلب كالعجب و التكبر و

حسنٌ جميلٌ ، وأحسن من ذلك الصبر عند ما حرّم الله عزّ وجلّ عليك ، والذّكر ذكران: ذكر الله عزّ وجلّ عند المصيبة وأفضل من ذلك ذكر الله عند ما حرّم عليك ، فيكون حاجزاً.

١٢- أبو عليّ الأشعريّ ، عن الحسن بن عليّ الكوفيّ ، عن العباس بن عامر ، عن العزمي ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: سيأتي على الناس زمان لا ينال الملك فيه إلاّ بالقتل والتجبرّ ولا الغنى إلاّ بالغصب والبخل ولا المحبّة إلاّ باستخراج الدّين واتباع الهوى ، فمن أدرك ذلك الزّمان فصبر على الفقر و هو يقدر على الغنى و صبر على البغضة و هو يقدر على المحبّة و صبر على الذلّ و هو يقدر على العزّ آتاه الله ثواب خمسين صدقاً ممّن صدّق بي .

١٣- عدّةٌ من أصحابنا ، عن أحمد بن أبي عبد الله ، عن إسماعيل بن مهران ، عن درست بن أبي منصور ، عن عيسى بن بشير ، عن أبي حمزة قال: قال أبو جعفر عليه السلام: لما حضرت أبي عليّ بن الحسين عليه السلام الوفاة ضمّني إلى صدره وقال: يا بنيّ أوصيك

غيرهما من الاخلاق الذميمة أو فعل الجوارح كالزنا والنبيّة وأمثالهما والصبر باعتبار المتعلق أقسام متكثرة متفاوتة ، منها الصبر على الفقر بان يربط نفسه على رضا تعالى و يرضى به ولا يقول ما يسخطه ، ومنها الصبر على الغنى بأن يصير على أداء الحقوق المالية و يترك البطر والفرح على انفاق الأزواج والاولاد والخدم من غير اقتار ولا اسراف ، و منها الصبر على ما يأتي به باختياره من فعل الطاعات و ترك المنهيات بأن يذكر الله تعالى عند كل أمر و نهى فيأتي بما فيه رضاه . و منها الصبر على ما يرد عليه من غير اختياره أصلاً كالمصائب والنوائب النازلة عليه من قبله تعالى بان يحبس نفسه عليه من غير اضطراب ولا شكاية و منها الصبر على ما يرد عليه من غير اختياره وله اختيار في الاتيان بمثله مثل ضرب الغير و ظلمه عليه فان الاولى أن يصبر أو يعفوعنه ولا يعامله بمثله كما قال تعالى مخاطباً لنبيه «ص» و اصبر على ما يقولون و اهجرهم هجرأ جميلاً .

قوله (ولا الغنى الا بالغصب والبخل) كان ذكر الغصب على سبيل التمثيل أو اريد به الاكتساب من غير حل فيشمل الطرق الغير المشروعة كلها و في ذكر البخل معه إشارة الى أن أكثر الغنى محفوف بالرديلتين الجلب بالغصب و نحوه والحفظ بالبخل .

(و صبر على الذلّ و هو يقدر على العزّ) بنيل الملك بسبب القتل و التجبر فهو ناظر الى قوله «لا ينال الملك» .

بما أوصاني به أبي حين حضرته الوفاة و بما ذكر أن أباه أوصاه به يا بني إصبر على الحق وإن كان مرأاً.

١٤- عنه عن أبيه [عن يونس بن عبدالرحمن] رفعه ، عن أبي جعفر عليه السلام

قال : الصبر صبران صبر على البلاء، حسن جميل، وأفضل الصبرين الورع عن المحارم .

١٥- محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى قال : أخبرني يحيى بن سليم

الطائفي قال: أخبرني عمرو بن شمر اليماني، يرفع الحديث إلى علي عليه السلام قال: قال

رسول الله صلى الله عليه وآله: الصبر ثلاثة صبر عند المصيبة و صبر على الطاعة و صبر عن المعصية،

فمن صبر على المصيبة حتى يردّها بحسن عزائها كتب الله له ثلاثمائة درجة ما بين

الدَّرَجَة إلى الدَّرَجَة كما بين السماء إلى الأرض ، ومن صبر على الطاعة كتب الله

له ستمائة درجة ما بين الدَّرَجَة إلى الدَّرَجَة كما بين تخوم الأرض إلى العرش، ومن صبر عن

المعصية كتب الله له تسعمائة درجة ما بين الدَّرَجَة إلى الدَّرَجَة كما بين تخوم الأرض

إلى منتهى العرش.

قوله (اصبر على الحق و ان كان مرأاً) و قد اشتهر أن الحق مر لكونه ممسا

بستكرهه الطبع و يثقل عليه كالشئ المر، و سر ذلك أن الحق و كل ما هو من أعمال الجنة

شاقة على النفوس و مرة في مذاقها لما فيها من مخالفة أهوائها و كسر أغراضها و منع لذاتها

و من ثم روى و أفضل الاعمال ما أكرهت عليه النفس ، و اشتهر تجرع مرارة الدنيا لحلاوة

الآخرة بخلاف أعمال النار فانها سهلة على النفوس غير شاقة عليها لموافقة أهوائها و بلوغ

مرادها و لذاتها من التمتع بأسباب الدنيا و استعمال الدعة و الرفاهية.

قوله (الصبر صبران صبر على البلاء حسن جميل و أفضل الصبرين الورع عن المحارم)

كان الصبر على الطاعة داخل في الصبر على البلاء لان الطاعات ابتلاء و يمكن ادراجها في

الورع عن المحارم لان ترك الطاعة حرام في الجملة و المراد بالصبر على البلاء ترك الشكاية

الى الناس و رفض الجزع و ضرب اليد على الفخذ و امثال ذلك.

قوله (كما بين السماء الى الأرض) التشبيه لبيان المقدار في نفس الامر أو لمجرد

اظهار العلو و الرفة (كما بين تخوم الأرض الى منتهى العرش) التخوم جمع التخم كالفلوس

جمع فلس و هو منتهى الأرض و في المصباح، قال ابن الاعرابي: الواحد تخوم و الجمع تخم

مثل رسول و رسل ، و لعل المراد بالعرش الفلك الاعظم،

١٦- عنه، عن علي بن الحكم، عن يونس بن يعقوب قال: أمرني أبو عبد الله عليه السلام أن آتي المفضل وأُعزِّيَه باسماعيل وقال: اقرأ المفضل السلام وقل له: إننا قد أصبنا باسماعيل فصبِرنا، فاصبر كما صبرنا، إننا أردنا أمراً أو أراد الله عزَّ وجلَّ أمراً، فسَلَّمنا لأمر الله عزَّ وجلَّ.

١٧- علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن سيف بن عميرة، عن أبي حمزة الثمالي قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: من ابتلى من المؤمنين ببلاء فصبِر عليه كان له مثل أجر ألف شهيد.

١٨- محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن محمد بن سنان، عن عمار بن مروان، عن سماعة، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن الله عزَّ وجلَّ أنعم على قوم، فلم يشكروا، فصارت عليهم وبالاً، وابتلى قوماً بالمصائب فصبِروا، فصارت عليهم نعمة.

١٩- علي بن إبراهيم، عن أبيه، ومحمد بن إسماعيل، عن الفضل بن شاذان، جميعاً عن ابن أبي عمير، عن إبراهيم بن عبد الحميد، عن أبان بن أبي مسافر، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عزَّ وجلَّ: «يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا» قال: اصبروا على المصائب.

و في رواية ابن أبي يعفور، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: صابروا على المصائب.

٢٠- عدَّةٌ من أصحابنا، عن أحمد بن محمد بن خالد، عن محمد بن عيسى، عن

قوله (قال أمرني أبو عبد الله «ع» أن آتي المفضل وأُعزِّيَه باسماعيل) قيل الحاصل ان اسماعيل بن أبي عبد الله «ع» مات والمفضل كان يحبه كثيراً و يقر بامامته بعد أبيه فأرسل «ع» يونس بن يعقوب اليه بأن يصبره ويعزِّيه على موته كما أنه «ع» صبر على موته فيندفع اعتقاده ويعتقد بامامة ابنه موسى «ع».

قوله (من ابتلى من المؤمنين ببلاء فصبِر عليه كان له مثل اجر الف شهيد) البلاء مطلق و كأنه اريد به الفرد العظيم بقرينة عظمة الاجر مع احتمال حمله على الاطلاق.

قوله (يا أيها الذين آمنوا اصبروا و صابروا) قد مر تفسيره في باب أداء الفرائض حيث قال «اصبروا على الفرائض و صابروا على المصائب و رابطوا على الائمة عليهم السلام» والكل صحيح.

علي بن محمد بن أبي جميلة، عن جدّه أبي جميلة، عن بعض أصحابه قال: لولا أن الصبر خلق قبل البلاء لنتظر المؤمن كما تنظر البيضة على الصفا.

٢١- أبو علي الأشعري، عن محمد بن عبد الجبار، عن صفوان، عن إسحاق بن عمار وعبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: قال الله عز وجل: «إني جعلت الدنيا بين عبادي قرصاً، فمن أقرضني منها قرصاً أعطيته بكل واحد عشرة إلى سبعمائة ضعف وما شئت من ذلك، ومن لم يقرضني منها قرصاً فأخذت منه شيئاً قسراً [فصبر] أعطيته ثلاث خصال لو أعطيت واحدة منهن ملائكتي لرضوا بها مني. قال: ثم تلا أبو عبد الله عليه السلام قول الله عز وجل: «الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون أولئك عليهم صلوات من ربهم (فهذه واحدة من ثلاث خصال) ورحمة (اثنان) وأولئك هم المهتدون» ثلاث، ثم قال أبو عبد الله عليه السلام: هذا لمن أخذ الله منه شيئاً قسراً.

٢٢- علي بن إبراهيم، عن أبيه، وعلي بن محمد القاساني، عن القاسم بن محمد، عن سليمان بن داود، عن يحيى بن آدم، عن شريك، عن جابر بن يزيد، عن أبي -

قوله (لولا أن الصبر خلق قبل البلاء لنتظر المؤمن كما تنظر البيضة على الصفا) التفتت التشقق من الفطر وهو الشق ومن لطف الله على المؤمن نزول البلاء عليه حين اتصافه بالصبر ليثاب بالثواب الجزيل والاجر الجميل ولو نزل عليه وهو عار عن الصبر لانكسر وفسد وفيه ايماء الى أن المؤمن هو الصابر وغير الصابر ليس بمؤمن لان الصبر رأس الايمان، فاذا ذهب الصبر ذهب الايمان و يتحقق الصبر بمنع النفس عن الجزع عند ورود المكروه، ومنع الباطن من الاضطراب ومنع اللسان من الشكاية ومنع الجوارح عن الحركات الغير المعنادة ولو تحقق مع هذه الامور الالتذاذ بالمكروه لكونه تحفة من الحبيب كان أفضل أفراده وأكملها في الجزاء، ويمكن حمل قوله تعالى «ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الاموال والانفس والثمرات» وبشر الصابرين الذين اذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وانا اليه راجعون اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة و اولئك هم المهتدون» على هذه المرتبة الشريفة لانه أقرب بالاسترجاع انه ملك له تعالى ونشأ منه وانه يهلك ويعود اليه، فالظاهر أنه رضى بتصرفاته في نفسه أشد رضاء والتذأكمل التذاذ، وجعل الرحمة خصلة ثانية، وعطفها على الصلوات يدلان على أنها غير الصلوة مع أن المشهور أن صلواته تعالى عبارة عن الرحمة ويمكن حملها على نوعين من جنس الرحمة، والله أعلم.

جعفر عليه السلام قال: مروءة الصبر في حال الحاجة و الفاقة و التعفف و الغنى أكثر من مروءة الإعطاء.

٢٣- أبو علي الأشعري، عن محمد بن عبد الجبار، عن أحمد بن النضر، عن عمرو بن شمر، عن جابر قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: يرحمك الله ما الصبر الجميل؟ قال: ذلك صبرٌ ليس فيه شكوى إلى الناس.

٢٤- حميد بن زياد، عن الحسن بن محمد بن سماعة، عن بعض أصحابه، عن أبان، عن عبد الرحمن بن سيابة، عن أبي نعمان، عن أبي عبد الله أو أبي جعفر عليه السلام قال: من لا يُعِدُّ الصبر لنوائب الدهر يعجز.

قوله (مروءة الصبر في حال الحاجة و الفاقة و التعفف و الغنى أكثر من مروءة الإعطاء) المروءة كمال الرجولية و الفاقة الحاجة و التعفف ترك السؤال عن الناس، والمراد بالغنى الغنى عنهم، و في بعض النسخ «مرارة» بدل «مروءة» في الموضعين، و نقل عن بعض الافاضل أنه حك نقطة الغنى و هو المضبوط في جميع النسخ و جعله العناء بالعين المهملة، و انما كانت مروءة الصبر أو مرارته في الحالات المذكورة أكثر و أزيد من مروءة الإعطاء أو مرارته لانها على النفس أشق و أيضاً فيها انتظار الفرج منه تعالى، و فيه وجوه من العبادات الاول عبودية الرب بالاعراض عن الدنيا و زهرااتها، الثاني صدق التوحيد حيث يرى أنه لا يفرج ما به من ضلاله، الثالث تعلق أمله به لا يغيره، فانزل كشف ضره اليه لا السى غيره، الرابع عدم الشكاية منه الى أحد، و بالجملة أشرف الطاعات أن يوجه القلب همومه الى مولاه و لا يتعلق بأحد سواه لعلمه بأنه لا يقدر على العطاء و المنع و الضر و النفع الا هو.

قوله (ذلك صبر ليس فيه شكوى الى الناس) ظاهره عموم الناس و هو الاولى و الافضل، و يمكن أن يراد بهم أعداء الله تعالى لان الشكاية الى المؤمن جائز كما دل عليه قول أمير المؤمنين «ع»: «من شكى الحاجة الى المؤمن فكانما شكاه الى الله و من شكاه الى كافر فكانما شكاه الى الله»، و ذلك لان المؤمن حزب الله فالشكاية اليه شكاية الى الله و الكافر عدو الله فالشكاية اليه شكاية عن الله و الاول محمود و الثاني مذموم عقلا و نقلا.

قوله (من لا يعد الصبر لنوائب الدهر يعجز) لان النائية داء بدني و مرض روحاني و داؤها الصبر فمن لم يهيا الصبر لها يعجز طبيعه عن دفعها و عن حملها فيهلك بالجزع و الهم و من ثم قيل اذا وقع الانسان في البلية و داؤها الصبر فان لم يصبر و جزع هلك.

٢٥- أبو علي الأشعري ، عن معلى بن محمد ، عن الوشاء ، عن بعض أصحابه ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : إنا صبرٌ وشيعتنا أصبر منا ، قلت : جعلت فداك كيف صار شيعتكم أصبر منكم ؟ قال : لأننا نصبر على ما نعلم وشيعتنا يصبرون على ما لا يعلمون .

(باب الشكر)

١- علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن النوفلي ، عن السكوني ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قال رسول الله صلوات الله عليه وآله : الطاعم الشاكر له من الأجر كأجر الصائم المحتسب ،

قوله (أبو علي الأشعري) الظاهر أنه أحمد بن إدريس القمي الثقة ، وفي بعض النسخ أبو عبد الله الأشعري وهو حسين بن محمد بن عمران بن أبي بكر الأشعري القمي الثقة .

قوله (أنا صبر وشيعتنا أصبر منا) صبر - بالضم والتشديد - جمع صابر كطلب جمع طالب وفيه دلالة على أن الصبر على شيء لا يعلم الصابر حقيقة ما يصل إليه من تحمله أعظم من الصبر عليه مع العلم بحقيقته الأبرى أن صبر من التقى إلى الجب على ما لقيه من ظلمته ووحشته وغيرهما مع عدم علمه بما يؤول إليه حاله أعظم من صبر من ألقى فيه مع علمه بسبب اخبار مخبر صادق كجبرئيل «ع» أو غيره بأنه سيخرج ويملك سلطنة العباد كيوسف الصديق «ع» وهذا مما لا ينهني انكاره ولكن كون الثواب المترتب على ذلك الصبر أعظم محل تأمل .

قوله (الطاعم الشاكر له من الأجر كأجر الصائم المحتسب) في المصباح طعمته أطعمه طعماً بفتح الطاء ويقع على كل ما يساغ حتى الماء وذوق الشيء ، وفي التنزيل «و من لم يطعمه فإنه مني» . وعلى هذا فالطاعم يصدق على الأكل والشارب ، والاحتساب الاعتداد وفلان احتسب عمله إذا نوى به وجه الله لان له حينئذ أن يمتده ، وفيه دلالة على أن الشكر على الأكل والشرب مثل الصوم في الأجر ، وقال المحقق الطوسي الشكر أشرف الأعمال وأفضلها ، و أعلم أن الشكر مقابلة النعمة بالقول والفعل والنية وله أركان ثلاثة الأولى معرفة المنعم وصفاته اللابئة به ومعرفة النعمة من حيث أنها نعمة ولا تتم تلك المعرفة إلا بان يعرف أن النعم كلها جليها وخفيها من الله تعالى وأنه المنعم الحقيقي وأن الأوساط كلها منقادون لحكمه مسخرون لامره . الثاني الحال التي هي ثمرة تلك المعرفة وهي الخضوع والتواضع والسرور بالنعم لامن حيث أنها موافقة لغرض النفس فان في ذلك متابعة لهواها واقتصار همه في رضاها ، بل من حيث أنها هدية دالة على عناية المنعم بك وعلامة ذلك أن لا تفرح من الدنيا إلا بما يوجب القرب منه ، الثالث العمل الذي هو ثمرة تلك الحال فان تلك الحال

والمعافي الشاكر له من الأجر كأجر المبتلى الصابر، و المعطي الشاكر له من الأجر كأجر المحروم القانع.

٢- وبهذا الإسناد قال: قال رسول الله ﷺ: ما فتح الله على عبد باب شكر فحزن عنه باب الزيادة.

٣- محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد بن عيسى ، عن جعفر بن محمد البغدادي ، عن عبد الله بن إسحاق الجعفري، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: مكتوب في التوراة أشكر من أنعم عليك وأنعم على من شكرك، فإنه لازوال للنعماء إذا شكرت ولا بقاء لها

إذا حصلت في القلب حصل فيه نشاط للعمل الموجب للقرب منه، وهذا العمل يتعلق بالقلب و اللسان والجوارح أما عمل القلب فالقصد الى تعظيمه وتحميده وتمجيده و التفكير في صنائعه وأعماله وآثار لطفه والعزم على ايصال الخير والاحسان الى كافة خلقه، وأما عمل اللسان فإظهار ذلك المقصود بالتحميد والتمجيد والتسبيح والتهليل والامر بالمعروف والنهي عن المنكر الى غير ذلك، وأما عمل الجوارح فاستعمال نعمه الظاهرة والباطنة في طاعته وعبادته والتوقى من الاستعانة بها في معصيته ومخالفته كاستعمال العين في مطالعة مصنوعاته ومشاهدة كتابه و علاماته واستعمال الاذن في سماع براهينه وآياته وقس عليهما سائر الجوارح و من ههنا ظهر أن الشكر من أشرف معارج السالكين و أعلى مدارج العارفين ولا يبلغ اليها الا من ترك الدنيا وراء ظهره وهم قليلون ولذلك قال الله سبحانه ووقليل من عبادى الشكور.

(والمعافي الشاكر له - الخ) المعافي اسم المفعول من عافاه الله اذا سلمه من الاسقام والبلايا والعافية اسم منه وهي أيضاً مصدر على فاعلة.

(والمعطي الشاكر له من الاجر كاجر المحروم القانع) المعطي أيضاً اسم مفعول وضمير له، راجع الى الاعطاء سواء كان من الله تعالى أو من غيره والقانع من القناعة وهي الرضا بما آتاه الله تعالى لا من القنوع و هو السؤال قال في المصباح قنع يقنع قنوعاً سأل و فى التنزيل «و أطعموا القانع والمعتر» والقانع السائل الذى يطيف ولا يسأل. و قنعت به قنعاً من باب تعب و قناعة رضيت به.

قوله (ما فتح الله على عبد باب شكر فحزن عنه باب الزيادة) مثله فى نهج البلاغة «ما كان الله ليفتح على عبد باب الشكر و يغلق عليه باب الزيادة» ودل عليه أيضاً الآية الكريمة «ولئن شكرتم لازيدنكم» وقال بعض الاكابر من شكر القليل استحق الجزيل.

قوله (اشكر من انعم عليك) اما المقابلة بالمثل أو الثناء باللسان أو غير ذلك من أنواع التعظيم قال بعض الاكابر أن قصرت يدك عن المكافاة فليطل لسانك بالشكر.

إذا كفرت، الشكر زيادة في النعم وأمان من الغير.

٤- عدّةٌ من أصحابنا، عن أحمد بن أبي عبدالله، عن محمد بن عليّ، عن عليّ بن أسباط، عن يعقوب بن سالم، عن رجل، عن [أبي جعفر أو] أبي عبدالله عليه السلام قال: المعافي الشاكر له من الأجر ما للمبتلى الصّابر، والمعطي الشاكر له من الأجر كالمحروم القانع.

٥- عنه، عن أحمد بن محمد بن أبي نصر و عن داود بن الحصين، عن فضل بن البقباق قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ: « وأما بنعمة ربّك فحدث » قال: الذي أنعم عليك بما فضلك وأعطاك وأحسن إليك؛ ثمّ قال: فحدث بدينه وما أعطاه

(فانه لازوال للنعماء اذا شكرت) بالاعطاء أو الاعتراف بها و معرفة قدرها أو المدح والثناء للمنعم أو الايتان بالافعال والامتناع من الاعمال الموافقة لاوامره و نواهيه و من ثم قال صاحب بن عباد: الشكر قيد النعمة ومفتاح الزيادة.

(ولا بقاء لها اذا كفرت) بانكارها أو استحقاقها أو بترك الامور المذكورة، يدل على ذلك قوله تعالى «ولئن كفرتم ان عذابي لشديد» و زوال النعمة منه.

(الشكر زيادة في النعم) لان الشكر مع كونه نعمة اخرى سبب لتواتر النعم على الشاكر، و من ثم قال أمير المؤمنين «ع» «اذا وصلت اليكم أطراف النعم فلا تنفروا أقصاها بقلة الشكر». (و أمان من الغير) أي من تبديل النعمة بالنقمة و تزيورها، وفي طرق العامة «من يكفر بالله يلقى الغير» و هو بكسر الغين المعجمة و فتح الياء اسم من غير الشئ عفتير أي يلقى تغير الحال و انتقالها عن الصلاح الى الفساد و غير الدهر أحداثه المغيرة و هذا لفظه خبر ومعناه نهى عن ارتكاب ما يزيل النعمة و يضادها من كفر انها و مقابلتها بسائر المعاصي الموجبة لتبديل النعمة وانكسار الحال.

قوله (قال الذي أنعم عليك بما فضلك) الظاهر أنه تفسير للنعمة للاشعار بأن المراد بها جميع ما أنعم الله على عبده من الدين والعلم والمال وغيرها والتحدث بها و افضائها شكر والمظهر لها شاكر كما أنه تعالى شاكر باعتبار أنه يظهر ما أودعه العبد من العبادة والاعمال الصالحة على الملائكة وخلص خلقه. والتحدث بها مع كونه عبادة مطلوبة قديورث اقتداء الغير به واذاعة الشكر بين الخلق، وهذا انما هو مع الامن و أمانع الخوف فالاعتصار على الشكر القلبي متعين.

(ثم قال فحدث بدينه وما أعطاه الله وما أنعم به عليه) الظاهر أن فاعل حدث رسول الله «ص» يعني أنه حدث الناس بآثار الرسالة من الاحكام الدينية والاخلاق النفسية وغير ذلك مما

الله و ما أنعم به عليه .

٦- حميد بن زياد، عن الحسن بن محمد بن سماعة، عن وهيب بن حفص، عن أبي بصير، عن أبي جعفر عليه السلام قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله عند عائشة ليلتها، فقالت: يا رسول الله لم تتعب نفسك وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فقال: يا عائشة ألا أكون عبداً شكوراً، قال: و كان رسول الله صلى الله عليه وآله يقوم على أطراف أصابع رجله فأنزل الله سبحانه وتعالى «طه . ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى» .

٧ - عدّة من أصحابنا ، عن أحمد بن محمد ، عن ابن فضال ، عن حسن بن جهم ، عن أبي اليقظان ، عن عبيد الله بن الوليد قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام

أعطاء الله من نعم الدنيا والاخرة .

قوله (قال كان رسول الله «ص» عند عائشة ليلتها فقالت يا رسول الله لم تتعب نفسك) كان عائشه (توهمت أن ارتكاب الاشق انما يكون لدفع المولم وطلب المغفرة من الذنوب فأجابها «ص» بقوله يا عائشه الا اكون عبداً شكوراً) يعني أن ارتكاب الاعمال الشاقة لا يتعين أن يكون لذلك بل قد يكون من باب الشكر في مقابلة النعمة الغير المحصورة والاعتراف بالاحسان واستحقاق التنظيم وابرام العتيد وطلب المزيدي وطلب الخيرات ورفع الدرجات واستحلاء العبادات فان ما يجد قائم الليل من اللذة في العبادة لا يوازنه بالدنيا وما فيها، وقال بعض أهل العرفان انا في لذة لو علمها الملوك لجادلونا عليها بالسيوف ، و كأنه وجه ما يحكى عن كثير من السلف من الجد والاكتثار في العمل مع أن ظاهر كثير من الاخبار أن الراجح هو التوسط .

قوله (وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر) اشارة الى قوله تعالى «انا فتحنا لك فتحاً مبيناً ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر» توجيهه على ما استفدناه من كلام أبي الحسن الرضا «ع» وكلام الشيخ في الاربعين أنه «ص» كان أعظم ذنباً من كل أحد عند مشركي مكة باعتبار أنه كان يدعوهم الى اله واحد وهم كانوا يعبدون من دون الله ثلثمائة وستين صنماً وكانوا يقولون ان مكنته الله من بيته و حكمه من حرمه بينا انه نبي حق فلما فتح الله له مكة دخلوا في دين الله أفواجاً وأذعنوا بنبوته وتركوا عبادة الاصنام فنزلت الاية ومعناها انا فتحنا لك مكة ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك قبل الهجرة و ما تأخر بعدها الى أو ان الفتح بزعم مشركي مكة، و هذا الجواب بالنظر الى الاية أحسن مما قيل من أن المراد ما تقدم من ذنب أبويك آدم وحواء ما تأخر من ذنب أمك أو ما تقدم من ذنب أمك وما تأخر منه أيضاً لانه لا يصح تعليل الفتح بغفران الذنب الا بتكف بعيد كان يقال لما كان الفتح متضمناً لجهاد صح بهذا الاعتبار جعله سبباً لغفران الذنب المتقدم والمتأخر ، ولا يخفى بعده ، و أما الجواب

يقول : ثلاث لا يضرُ معهنَّ شيءٌ : الدُّعاء عند الكرب و الاستغفار عند الذَّنْب و
الشكر عند النعمة .

٨- عدَّةٌ* من أصحابنا ، عن سهل بن زياد ، عن يحيى بن المبارك ، عن عبد الله بن
جبلة ، عن معاوية بن وهب ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : من أعطى الشكر أعطى
الزَّيادة ، يقول الله عزَّ وجلَّ : «لئن شكرتم لأزيدنكم» .

٩ - أبو علي الأشعري ، عن محمد بن عبد الجبار ، عن صفوان ، عن
إسحاق بن عمار ، عن رجلين من أصحابنا ، سمعا ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : ما
أنعم الله على عبد من نعمة فعرَّفها بقلبه و حمد الله ظاهراً بلسانه فتمَّ كلامه حتَّى
يأمر له بالمزيد .

١٠ - عدَّةٌ* من أصحابنا ، عن أحمد بن محمد بن خالد ، عن بعض أصحابنا ، عن
محمد بن هشام ، عن ميسر ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : شكر النعمة اجتناب المحارم و تمام
الشكر قول الرَّجُل : الحمد لله ربَّ العالمين .

١١ - عليُّ بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن ابن أبي عمير ، عن عليِّ بن عيينة ، عن
عمر بن يزيد قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : شكر كلِّ نعمة وإن عظمت أن تحمد
الله عزَّ وجلَّ عليها .

المذكور فاستقامة التعليل مما لا ريب فيه (طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى) أى لتتعب ،
والشقاء شايع بمعنى التعب والشدة والعسر .

قوله (ثلاث لا يضر معهن شيء الدعاء عند الكرب) لان الدعاء يدفع الكرب و يوجب
زواله و الاستغفار يوجب محو الذنوب و السيئات و تبدلها بالحسنات . و الشكر على النعم
يوجب عدم الاستدراج بها و عدم زوالها و تبدلها بالنعم بخلاف كفرانها و مقابلتها بالمعاصي
فانه يوجب زوالها و النعمة تقع على ما يتمتع به فى الدنيا و على العلم و العمل و الاخلاص و المجاهدات
النفسانية و كسر القوة الشهوية و الغضبية و غيرها .

قوله (فعرَّفها بقلبه و حمد الله ظاهراً بلسانه) أى تصورها و صدق بأنها من الله و
فيه اشعار بان الزيادة و فوريتها تترتب على الشكر القلبي و اللساني معاً .

قوله (قال شكر النعمة اجتناب المحارم و تمام الشكر - الخ) دل على أن اجتناب المحارم
شكر لنعمائه تعالى و أن الحمد لله رب العالمين فرد كامل من الشكر لانه شكر الله على جميع

١٢- عده من أصحابنا، عن أحمد بن محمد بن خالد، عن إسماعيل بن مهران عن سيف بن عميرة، عن أبي بصير قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: هل للشكر حدٌ إذا فعله العبد كان شاكرًا؟ قال: نعم قلت: ماهو؟ قال: يحمد الله على كلِّ نعمة عليه في أهل ومال وإن كان فيما أنعم عليه في ماله حقُّ أداه، ومنه قوله جلَّ وعزَّ: «سبحان الذي سخَّر لنا هذا وما كنا له مقرنين» ومنه قوله تعالى: «ربِّ أنزلني منزلاً مباركاً وأنت خير المنزلين» وقوله: «ربِّ أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطاناً نصيراً».

١٣- محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن معمر بن خلاد قال: سمعت أبا الحسن صلوات الله عليه يقول: من حمد الله على النعمة فقد شكره و كان الحمد أفضل [من] تلك النعمة.

١٤- محمد بن يحيى، عن أحمد، عن علي بن الحكم، عن صفوان الجمال، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال لي: ما أنعم الله على عبد بنعمة صغرت أو كبرت، فقال: الحمد لله إلا أدت شكرها.

١٥- أبو علي الأشعري، عن عيسى بن أيوب، عن علي مهزيار، عن القاسم بن-

كمالاته الذاتية والفعلية مثل التربية والاحسان والانعام وغيرها.

قوله (يحمد الله على كل نعمة عليه في أهل و مال) يحتمل الاجمال والتفصيل وقوله «في ماله» بدل عن قوله «فيما أنعم الله عليه» وهو يدل على أن أداء الواجبات المالية شكر لنعمة المال (ومنه) أي من الشكر.

(قوله تعالى «سبحان الذي سخَّر لنا هذا وما كنا له مقرنين») أي مطيقين يقال أقرنت الشيء قرناً أطقته وقويت عليه ويقال هذا عند الاستواء على الدابة (و قوله «رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق») أي أدخلني في القبر أو في مكان أو أمر أو الأعم ادخالا مرضياً و أخرجني منه عند البعث أو الأعم منه و مما ذكر اخراجاً مقروناً بالكرامة.

(واجعل لي من لدنك سلطاناً نصيراً) أي حجة تنصرتني على مخالفتي أو ملكاً ينصر الاسلام على الكفر. **قوله** (و كان الحمد أفضل من تلك النعمة) لعل المراد أن الحمد نعمة أفضل من تلك النعمة . ففيه تنبيه على أن العبد لا يقدر على شكر النعمة حق الشكر، أو المراد أن الحمد باعتبار أنه يوجب القرب منه تعالى و الوصول الى محل كرامته أفضل من تلك النعمة لنقصان أثرها بالنسبة الى أثر الحمد .

عنه، عن إسماعيل بن أبي الحسن، عن رجل، عن أبي عبد الله عليه السلام : قال: من أنعم الله عليه بنعمة فعرّفها بقلبه، فقد أدّى شكرها.

١٦- علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن منصور بن يونس، عن أبي بصير قال: قال أبو عبد الله عليه السلام : إن الرجل منكم ليشرب الشربة من الماء فيوجب الله له بها الجنة، ثم قال: إنه ليأخذ الإناء فيضعه على فيه فيسمى ثم يشرب فينحّيه وهو يشتهي فيحمد الله، ثم يعود فيشرب، ثم ينحّيه فيحمد الله، ثم يعود فيشرب، ثم ينحّيه فيحمد الله، فيوجب الله عز وجلّ بها له الجنة.

١٧- ابن أبي عمير، عن الحسن بن عطية، عن عمر بن يزيد قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام : إنني سألت الله عز وجلّ أن يرزقني مالاً فرزقني وإنني سألت الله أن يرزقني ولداً فرزقني ولداً، وسألته أن يرزقني داراً فرزقني، وقد خفت أن يكون ذلك استدراجاً. فقال: أما والله - مع الحمد فلا.

١٨- الحسين بن محمد، عن معلى بن محمد، عن الوشاء، عن حماد بن عثمان قال: خرج أبو عبد الله عليه السلام من المسجد، وقد ضاعت دابته، فقال: لئن ردّها الله عليّ لأشكرنّ الله حقّ شكره، قال: فما لبث أن أتى بها، فقال: الحمد لله، فقال له قائل:

قوله (من أنعم الله عليه بنعمة فعرّفها بقلبه فقد أدى شكرها) المراد بمعرفتها معرفتها مضافة إلى المنعم ومن عرفها كذلك وإن كانت صغيرة وعرف قدرها فقد أدى شكرها، هذا شكر قلبي وهو فرد من الشكر، وقيل نظر العبد إلى من دونه لآلى من فوقه شكر لما أنعم الله عليه وبالعكس كفران، وذلك لأن الإنسان إذا نظر إلى من دونه عرف قدر نعمته عليه وهذا شكر لها مع أنه يفضى إلى الشكر أيضاً وإذا نظر إلى من فوقه طلب اللحاق به فازدري ما انعم عليه واحتقرها وهو كفران.

قوله (انه ليأخذ الإناء فيضعه على فيه فيسمى) دل على أن الشرب ينبغي أن يكون ثلاث مرات وأن يكون التسمية في أول مرة والحمد بعد كل مرة وبعض الروايات دل على أن التسمية في أول كل مرة.

قوله (وقد خفت أن يكون ذلك استدراجاً) في المصباح استدرجته أخذته قليلاً قليلاً وفي الصحاح استدرجه خدعه، واستدراج الله تعالى العبد أنه كلما جدد خطيئة جدد له نعمته وأنساء الاستغفار أو أن يأخذ قليلاً قليلاً ولا يباغته.

جعلت فداك أليس قلت: لأشكرن الله حق شكره؟ فقال أبو عبد الله عليه السلام: ألم تسمعي قلت: الحمد لله؟

١٩- محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن القاسم بن يحيى، عن جده الحسن بن راشد، عن المثنى الحنط، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله إذا ورد عليه أمرٌ يسرُّه قال: الحمد لله على هذه النعمة، وإذا ورد عليه أمرٌ يغمُّ به قال: الحمد لله على كلِّ حال.

٢٠- علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن أبي أيوب الخزاز، عن أبي بصير، عن أبي جعفر عليه السلام قال: تقول ثلاث مرات إذا نظرت إلى المبتلى من غير أن تسمعه: الحمد لله الذي عافاني مما ابتلاك به، ولو شاء فعل، قال: من قال ذلك

قوله (كان رسول الله ص) إذا ورد عليه أمر يسره قال الحمد لله على هذه النعمة و إذا ورد عليه أمر يغم به قال الحمد لله على كل حال (أى على حال الصحة والبليّة و النعمة لان كل ذلك مصلحة ينبنى الحمد عليها وفيه مع ذلك اشارة الى أنه لكونه كاملاً في ذاته و صفاته مستحق للحمد أحسن أولم يحسن، والى أن نظر الحامد ينبنى أن يكون اليه لا الى منافع نفسه فينبغي الشكر على البلاء كما ينبنى الشكر على النعماء لان كل بلاء غير الكفر والمعصية خير للعبد. قال الغزالي في كل بلاء خمسة أنواع من الشكر الاول يمكن أن يكون دافعاً أشد منه كما أن موت دابته دافع لموت نفسه، فينبغي الشكر على عدم ابتلائه بالأشد، الثاني البلاء اما كفارة للذنوب أو سبب لرفع الدرجة فينبغي الشكر على ازالة تلك الذنوب ورفع الدرجة، الثالث أن البلاء مصيبة دنيوية فينبغي الشكر على أنه ليس مصيبة دينية، وقد نقل أن عيسى ع مر على رجل أعمى مجذوم مبروص مفلوج فسمع منه يشكر ربه ويقول الحمد لله الذي عافاني من بلاء ابتلى به أكثر الخلق، فقال ع ما بقي من بلاء لم يصبك. قال عافاني من بلاء هو أعظم البلاء وهو الكفر فمسه ع فشفاه الله من تلك الامراض، وحسن وجهه فصاحبه وهو يعبد معه، الرابع أن البلاء كان مكتوباً في اللوح المحفوظ وكان في طريقه لامحالة فينبغي الشكر على أنه مضى ووقع خلف ظهره. الخامس أن بلاء الدنيا سبب لثواب الآخرة وزوال حب الدنيا عن القلب فينبغي الشكر عليها.

قوله (إذا نظرت الى المبتلى من غير أن تسمعه) لئلا يكسر قلبه ولا يحزنه والظاهر من المبتلى المبتلى بالبلاء المعروف ويمكن حمله على الاعم منه فيشمل المبتلى بالمعصية لان

لم يصبه ذلك البلاء أبداً.

٢١- حميد بن زياد، عن الحسن بن محمد بن سماعة، عن غير واحد، عن أبان بن عثمان، عن حفص الكناسي، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ما من عبد يرى مبتلى فيقول: «الحمد لله الذي عدل عني ما ابتلاك به وفضلني عليك بالعافية، اللهم عافني مما بتلته به» إلا لم يتل بذلك البلاء.

٢٢- عدة من أصحابنا، عن أحمد بن أبي عبد الله، عن عثمان بن عيسى، عن خالد بن نجیح، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إذا رأيت الرجل وقد ابتلى و أنعم الله عليك فقل: اللهم إني لأسخر ولا أفخر ولكن أحمدك على عظيم نعمائك عليّ.

٢٣- عنه، عن أبيه، عن هارون بن الجهم، عن حفص بن عمر، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إذا رأيتم أهل البلاء فاحمدوا الله ولا تسمعوهم، فإن ذلك يحزنهم.

٢٤- عنه، عن عثمان بن عيسى، عن عبد الله بن مسكان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن رسول الله صلى الله عليه وآله كان في سفر يسير على ناقه له، إذ نزل فسجد خمس سجود فلما أن ركب قالوا: يا رسول الله إننا رأيناك صنعت شيئاً لم تصنعه؟ فقال: نعم استقبلني جبرئيل عليه السلام فبشّرني ببشارات من الله عز وجل، فسجدت لله شكراً لكل بشري سجدة.

٢٥- عنه، عن عثمان بن عيسى، عن يونس بن عمار، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إذا ذكر أحدكم نعمة الله عز وجل فليضع خده على التراب، شكراً لله، فإن كان راكباً فلينزل فليضع خده على التراب وإن لم يكن يقدر على النزول للشهرة، فليضع خده على قربوسه وإن لم يقدر فليضع خده على كفه، ثم ليحمد الله على ما أنعم الله عليه.

٢٦- علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن علي بن عطية، عن هشام ابن أحمر قال: كنت أسير مع أبي الحسن عليه السلام في بعض أطراف المدينة إذ نسي رجله

المعصية بلاء عظيم الآن قوله «من غير أن تسمعه» لا يلائمه.

قوله (إذا رأيت الرجل وقد ابتلى) أي قد ابتلى بالفقر أو السقم أو غيرها اللهم اني لأسخر أي لاستهزئ، سخر منه وبه كفرح هزىء.

عن دابته ، فخرت ساجداً ، فأطال وأطال ، ثم رفع رأسه وركب دابته ، فقلت : جعلت فداك قد أطلت السجود ؟ فقال: إنني ذكرت نعمة أنعم الله بها عليّ ، فأحببت أن أشكر ربّي .

٢٧- عليّ ، عن أبيه ، عن ابن أبي عمير ، عن أبي عبدالله صاحب السابري فيما أعلم أو غيره ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : فيما أوحى الله عز وجل إلى موسى عليه السلام يا موسى أشكرني حق شكري ، فقال: يا رب وكيف أشكرك حق شكرك و ليس من شكر أشكرك به إلاّ وأنت أنعمت به عليّ ؟ قال: يا موسى الآن شكرتني حين علمت أن ذلك منّي .

٢٨- ابن أبي عمير ، عن ابن رئاب ، عن إسماعيل بن الفضل قال: قال أبو عبدالله عليه السلام : إذا أصبحت وأمست فقل عشر مرات: «اللهم ما أصبحت بي من نعمة أو عافية من دين أو دنيا فمك وحدك ، لا شريك لك ، لك الحمد ولك الشكر بها عليّ يا رب»

(يا موسى اشكرني حق شكرى فقال يا رب) تقول أدبت حق فلان اذا قابلت احسانه باحسان مثله ، والمراد هنا طلب أداء شكر نعمته على وجه التفصيل وهو لا يمكن من وجوه الاول أن نعمه غير متناهية لا يمكن احصائها تفصيلا فلا يمكن مقابلتها بالشكر ، الثاني أن كل ما تتعاطاه مستنداً الى جوارحنا و قدرتنا من الافعال فهي فى الحقيقة فيه نعمة و موهبة من الله تعالى وكذلك الطاعات و غيرها نعمة منه فتقابل نعمته بنعمته ، الثالث أن الشكر أيضاً نعمة منه فمقابلة كل نعمته بالشكر يوجب العجز والتسلسل و هو غير مقدور للعبد وقول موسى «ع» يا رب كيف أشكرك حق شكرك الى آخره ، يحتمل الوجهين الاخيرين وروى ان هذا الخاطر خطر لداودوع ، أيضاً فقال يا رب كيف أشكرك وانا لا استطيع ان اشكرك الا بنعمة ثانية من نعمك فاوحى الله تعالى اليه اذا عرفت هذا فقد شكرتني . واما ما يقال فى العرف من ان فلانا مؤد لحق الله فمبنى على ان التكليف تسمى حقوقاً له و ذلك الاداء فى الحقيقة من أعظم نعم الله تعالى على عبده قال الله عز وجل «ويمنون عليك ان اسلموا قل لا تمنوا على اسلامكم بل الله يمن عليكم ان هديكم للايمان ان كنتم صادقين » .

قوله (اللهم ما أصبحت بي من نعمة) الاصبح الدخول فى الصبح وقد يراد به الدخول فى الاوقات مطلقاً وما الموصولة مبتدأ والعائد اليه مستتر فى الظرف والظرف و هو «بى» مستقر حال عن الموصول أى متلبساً بى و «من نعمة» بيان له و«منك» خبر له والفاء لتضمن

حتى ترضى وبعد الرضا فانك اذا قلت ذلك كنت قد اديت شكر ما انعم الله به عليك في ذلك اليوم وفي تلك الليلة .

٢٩- ابن أبي عمير، عن حفص بن البخري، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : كان

نوح عليه السلام يقول ذلك إذا أصبح، فسمي بذلك عبداً شكوراً ، و قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : من صدق الله نجا .

٣٠- علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن القاسم بن محمد ، عن المنقري، عن سفيان

ابن عيينة، عن عمار الدهني قال : سمعت علي بن الحسين عليهما السلام يقول : إن الله يحب كل قلب حزين ويحب كل عبد شكور، يقول الله تبارك و تعالى لعبد من عبده يوم القيامة: أشكرت فلاناً؟ فيقول: بل شكرتك يارب، فيقول: لم تشكرني إذ لم تشكره ، ثم قال: أشكركم الله أشكركم للناس .

الموصول معنى الشرط بمعنى أن ما به من نعمة سبب للحكم بكونه منه تعالى. وفيه دلالة على أن الشكر الاجمالي يقوم مقام الشكر التفصيلي.

قوله (من صدق الله نجا) تصديقه في تكليفه عبارة عن الاقرار بها والاتبان بمقتضاها و

في نعمائه عبارة عن معرفتها بالقلب ومقابلتها بالشكر والثناء.

قوله (أشكرت فلاناً فيقول بل شكرتك يارب فيقول لم تشكرني اذ لم تشكره) لعل

معناه أن الله تعالى لا يقبل شكر العبد على احسانه اليه اذا كان العبد لا يشكر احسان الناس اليه ويكفر معرفتهم لاتصال أحد الامرين بالآخر، والحاصل أن من لم يشكر الناس كان كمن

لم يشكر الله وان شكره، وقيل معناه ان من كان في طبعه وعادته كفران نعمة الناس وترك الشكر لهم كان

من عادته كفران نعمة الله وترك الشكر له ولا ينافي هذا الخبر ما روى عن أمير المؤمنين عليه السلام قال

«ولا يحمد حامد الاربه» حيث قصر الحمد والثناء على الله لان المراد أنه مبدء كل نعمة يستحق بها الحمد و

ان كل حمد يرجع اليه في الحقيقة كما صرح به جماعة من المحققين وقد يجاب بأن الغير يتحمل المشنة

بجمل رزق الله اليك فالنهي عن الحمد لغير الله على أصل الرزق لان الرزق هو الله والترغيب في الحمد

له على تكلف من حمل الرزق وكلفه ايصاله باذن الله ليعطيه أجر مشقة الحمل والايصال، وبالجملة هناك

شكران شكر للرزق وهو الله وشكر للحمل وهو للغير ويؤيده ما روى في طرق العامة ولا تحمدن أحداً

على رزق الله ، وقيل النهي مختص بالخواص من أهل اليقين الذين شاهدوه رازقاً وشغلوا عن

رؤية الوسائط فنهاهم عن الاقبال عليها لانه تعالى يتولى جزاء الوسائط عنهم بنفسه و الامر

(باب حسن الخلق)

١- محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن الحسن بن محبوب، عن جميل ابن صالح، عن محمد بن مسلم، عن أبي جعفر عليه السلام قال : إن أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً.

٢- الحسين بن محمد، عن معلى بن محمد، عن الوشاء، عن عبد الله بن سنان، عن رجل من أهل المدينة، عن علي بن الحسين عليهما السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : ما يوضع في ميزان امرئ يوم القيامة أفضل من حسن الخلق.

بالشكر مختص بغيرهم ممن لاحظ الاسباب والوسائط كالاكثر لان فيه قضاء حق السبب أيضاً والتعميم أولى لان الوساطة في الخير أيضاً عزيز كصاحبه ومستحق للشكر مثله وقد شكر الله عبده مع كمال غناه عنه فقال «نعم العبد انه أواب» و قال «انه كان صديقاً نبياً».

قوله (ان أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً) فان الايمان الكامل لا يتحقق الا بتحقق شروق الباطن بالمعارف الالهية والعلوم الربانية والفضائل النفسانية واشتغال الظواهر بالاعمال الحسنة المرضية، و ذلك يتفاوت بحسب تفاوت الجذبات الربوبية فمن كان ذلك الشروق والعلوم والاشتغال والفضائل فيه أتم كان ايمانه أكمل وظاهر أن جملة تلك الفضائل هي حسن الخلق و هو انما يحصل من الاعتدال بين الافراط و التفريط في القوة العقلية و الشهوية و القوة الغضبية و يعرف ذلك بمخالطة الناس بالجميل و التودد و الصلة و الصدق و اللطف و المبرة و حسن الصحبة و العشرة و المراعاة و المواساة و الرفق و الحلم و الصبر و الاحتمال لهم و الاشفاق عليهم ، و بالجملة حسن الخلق تابع لاستقامة جميع الاعضاء الظاهرة و الباطنة و حالة نفسانية يتوقف حصولها على اشتباك الاخلاق النفسانية و اشتباك بعضها ببعض ، و من ثم قيل هو حسن الصورة الباطنة التي هي صورة الناطقة كما أن حسن الخلق حسن الصورة الظاهرة و تناسب الاجزاء من الانف و العين و الحاجب و الفم و غيرها الا أن حسن هذه الصورة الظاهرة ليس بقدرتنا و اختيارنا بخلاف حسن الصورة الباطنة فانه من فيض الحق و قديكون مكتسباً ولهذا تكررت الاحاديث على الحث به و بتحصيله في مواضع عديدة.

قوله (ما يوضع في ميزان امرئ يوم القيامة أفضل من حسن الخلق) دل على أن الثواب و العقاب يتعلقان به كما يتعلقان بالاعمال الظاهرة بل قيل تعلقهما به أكثر من تعلقهما بهما و على أن الاخلاق توزن يوم القيامة، و لعل المراد انها توزن بعد تجسيمها في تلك النشأة و هو المشهور بين أهل الاسلام و عليه الروايات المتكثرة و قيل وزنها كناية عن التسوية و العدل لان الاعراض لا يعقل وزنها ، و قال الشيخ : العرض في هذه النشأة قد يتجسم في

٣- محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن ابن محبوب، عن أبي ولاء الحنط ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : أربع من كنَّ فيه كمل إيمانه وإن كان من قرنه إلى قدمه ذنوباً لم ينقصه ذلك، [قال] وهو الصدق و أداء الأمانة والحياء و حسن الخلق ،
٤- عدّةٌ من أصحابنا، عن أحمد بن محمد بن خالد ، عن ابن محبوب، عن عنبسة العابد قال : قال لي أبو عبد الله عليه السلام : ما يقدم المؤمن على الله عزّ وجلّ بعمل بعد الفرائض أحبُّ إلى الله تعالى من أن يسع الناس بخلقه.

٥- أبو علي الأشعري، عن محمد بن عبد الجبار ، عن صفوان، عن ذريح ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : إنَّ صاحب الخلق الحسن له مثل أجر الصائم القائم .

٦- عليُّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن النوفلي ، عن السكوني ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : أكثر ما تلج به أمّتي الجنة تقوى الله وحسن الخلق .
٧- عليُّ بن إبراهيم ، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن حسين الأحمسي وعبد الله ابن سنان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : إنَّ الخلق الحسن يميث الخطيئة كما تميث

الآخرة و بسط الكلام في توجيهه في الأربعين .

قوله (أربع من كن فيه) أى خصال أربع فأربع خلف من موصوف وهو المصحح للإبتداء بها وجملة الشرط بعده خبره (وان كان من قرنه إلى قدمه ذنوباً) مبالغة في كثرة ذنوبه أو كناية عن تجسّمه منها أو عن صدورهما من كل جارية من جوارحها وحملها على الصغائر محتمل كحملها مطلقاً .

قوله (وهو الصدق و أداء الامانة) هذه الاربعة أعنى صدق اللسان أو جميع الاعضاء و أداء أمانة الخالق و الخلق و الحياء المانع مما يذم و حسن الخلق معهم مانعة من ارتكاب الذنوب و ماحية لما سبق منها كبيرة كانت أو صغيرة و احتمال تخصيصها بالصغيرة بعيد .

قوله (من أن يسع الناس بخلقه) و ان كان الناس يسيئون ، قيل لبعض الكرام قد اجترأ عليك خدمتك حتى أنهم ما يجيبون نداءك فقال : انى مثلت بين أن يفسدوا أو يفسد خلقى فوجدت فسادهم أهون على من فسادى .

قوله (أكثر ما تلج به امّتي الجنة تقوى الله و حسن الخلق) لان بالنقوى يستقيم الامر مع الله و بحسن الخلق يستقيم النظام مع الناس وهما من أعظم الاسباب للدخول في الجنة لان صاحبهما طيب و الجنة للطيبين .

قوله (ان الخلق الحسن يميث الخطيئة كما تميث الشمس الجليد) الميث و الموت

شرح الاصول الكافي - ١٨ -

الشمس الجليلد.

٨- عنه ، عن أبيه ، عن ابن أبي عمير ، عن عبدالله بن سنان . عن أبي عبدالله عليه السلام قال : البرُّ و حسن الخلق يعمران الدِّيَّار و يزيدان في الأعمار.

الاذابة. مثل الشيء أهيبه و اموته - من بابي باع و قال - فانما اذا ذقته و خلطته بالماء و أذبتة و الجليد هو الماء الجامد من البرد ، و ذلك لان الحسن الخلق لكونه مستلزماً لكثير من الفضائل الظاهرة و الباطنة يظهر الظاهر و الباطن من الاعمال القبيحة ، فانه يمنع اليد من الضرب و اللسان من الشتم و الفحش و القلب من الحقد و الحسد و الكبر و قس على ذلك (١).

قوله (البر و حسن الخلق يعمران الديار و يزيدان في الاعمار) لانهما من أعظم

(١) قوله في ص ٢٨٧ « بحسب تفاوت الجذبات الربوبية » الانسان لا يجد بالادلة العقلية و البراهين العلمية أكثر من علم اجمالي بوجود الواجب تعالى و عرفان غيبي تعارضه الاوهام الكثيرة بخلاف ما اذا وجدته بالكشف و الشهود نظير ما يجد في نفسه من عشقه و شوقه و خوفه و رغبتة و تقواه و فجوره و لذته و ألمه الى غير ذلك من ملكاته و حالاته بحيث لا يشك في هذه الحالات من نفسه و لا يعارضه معارض من أوهامه كذلك يمكن أن يجد في نفسه ارتباطه مع مبدء قادر قيوم حكيم و تعلقه به و يعرف في هذا التعلق صفاته تعالى و أسمائه و سائر ما يمكن له معرفته من المبدء عزوجل و به يتم ايمانه و يكمل و يصير بمنزلة من رآه بعينه و يكلمه في خلواته و يونسه في وحشته و لا يشك فيه كما لا يشك في جوعه و شبهه و لا يعارضه و همه و لا يمكن الاتصال بالمبدء الا برفض الرغبة الى الدنيا فيترتب عليه ترك الحسد و البخل و الحرص و السرقة و الكذب و الخيانة فان ارتكاب هذه و أمثالها ليس الا للدنيا و تحصيل المال أو الجاه و ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه حتى يحب باحدهما الدنيا و بالآخر الله تعالى ، كما أن المستغرق في الدنيا يترك الله لامحالة و المستغرق في حبه تعالى يترك الدنيا اذا تعارض. (ش)

قوله أيضاً في ص ٢٨٧ « بل قيل تعلقها به أكثر » هو الظاهر من أحاديث هذا الباب و العجب ان الناس تركوا علم الاخلاق و العمل بما يقتضيه هذا العلم و اقتصروا على الاعمال الظاهرة و ظنوا انحصار السعادة الاخرية فيها و لا يهتمون بتزكية النفوس من مهلكاتها عشر ما يهتمون بازالة النجاسات عن أنوثابهم و هو من مضلات الفتن و قال الله تعالى « يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم » و قال « لن ينال الله لحومها و لادمائها و لكن يناله التقوى منكم » و قال تعالى « و نفس ماسويها فالهمها فجورها و تقويها قدأفلح من زكياها و قدخاب من دسيها » و لكن اقبالهم على الفقه انما هو لتقرب مسائله من المحسوسات و كونها أقرب الى الفهم و العمل ، و يظهر العدالة و الفسق بالاعمال الظاهرة دون الملكات. و الحقوق المالية يحفظ بالفقه و يطلب باحكامه و لذلك ظنوا احتياجهم الى الفقه أشد من علم الاخلاق. (ش)

٩- عدّة من أصحابنا، عن سهل بن زياد، عن محمد بن عبد الحميد قال: حدّثني يحيى بن عمرو، عن عبد الله بن سنان قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: أوحى الله تبارك وتعالى إلى بعض أنبيائه عليه السلام الخلق الحسن يميث الخطيئة، كما تميث الشمس الجليد.

١٠- محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن الحسن بن عليّ الوشاء عن عبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: هلك رجل على عهد النبي صلى الله عليه وآله فأُتِيَ الحفّارين فاذا بهم لم يحفروا شيئاً و شكوا ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقالوا: يا رسول الله ما يعمل حديدنا في الأرض، فكأنّما نضرب به في الصفا، فقال: ولم إن كان صاحبكم لحسن الخلق، إيتوني بقدر من ماء، فأتوه به، فأدخل يده فيه، ثمّ رشّه على الأرض رشّاً ثمّ قال: احفروا، قال: حفر الحفّارون، فكأنّما كان رملاً يتهايل عليهم.

١١- عنه، عن محمد بن سنان، عن إسحاق بن عمّار، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ الخلق منيحة يمنحها الله عزّ وجلّ خلقه، فمنه سجيّة ومنه نيّة، فأيّتمها

أسباب العشرة والخلطة والتعاون وذلك يوجب تعمير الديار والبلاد، وأما أنهما يزيدان الاعمار فبالخاصية أو باعتبار (١) دعاء كل لكل أو باعتبار أنهما يوجبان رفع العداوة الموجبة للقتل والفساد.

قوله (ان كان صاحبكم لحسن الخلق) ان مخففة بدليل اللام في خبر كان وليس للشرط ودايتوني، جزاء بل هو ابتداء كلام. فكانما كان رملاً يتهايل عليهم أي يصب عليهم من هلت الدقيق في الجراب هيلاً من باب ضرب صبيته. وقال أبو يزيد هلت من التراب صبيبة بلارفع اليدين. و يقرب منه قول الازهرى هلت التراب الرمل وغير ذلك اذا أرسلته فجرى، وبعضهم يقول هلت الرمل حركت أسفله فسال من أعلاه.

قوله (ان الخلق منيحة يمنحها الله عزّ وجلّ خلقه) المنيحة والمنحة العطية والمنح

(١) قوله وبقابلخاصية او باعتبار، والظاهر أن طول العمر بسبب أن شراسة الطبع وسوء الخلق يوجبان هيجان الروح وقلق النفس واضطراب القلب وامراض الاعصاب والدماغ وربما يوجب شدة الغضب فجأة أو سكتة. (ش)

أفضل؟ فقال: صاحب السجية، هو مجبول لا يستطيع غيره وصاحب النية يصبر على الطاعة تصبراً، فهو أفضلهما.

١٢- و عنه ، عن بكر بن صالح، عن الحسن بن علي* ، عن عبد الله بن إبراهيم عن علي بن أبي علي* اللببي ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : إن الله تبارك وتعالى يعطي العبد من الثواب على حسن الخلق كما يعطي المجاهد في سبيل الله، يغدو عليه ويروح.

الاعطاء فمنه سجية ومنه نية، السجية الخلق والطبيعة والنية المكتسبة بقرينة المقابلة يقال نويته أنويه أى قصدته ، والاسم النية مثقلة والتخفيف لنة. وهذا صريح فى أن الخلق منه طبيعى عزيزى خلقه الله فى بدء الفطرة ومنه مكتسب بأن يتمرن عليه حتى يصير كالغريزة فبطل قول من قال أنه غريزة لمدخل للاكتساب فيه (١) وصاحب النية تصبر على الطاعة تصبراً فهو أفضلهما يشير إليه قول أمير المؤمنين «ع» و «و عود نفسك الصبر على المكروه فنعم الخلق التصبر» وفيه إشارة الى الصبر المكتسب والترغيب فيه ؛ والمراد بالتصبر مشقته بتكلف تحمل الصبر لكونه غير خلقى وهو محمود عند الخالق و مشكور لدى الخلائق و ليس المراد به اظهار الصبر مع عدم اتصافه به اذ لا محصل له.

قوله (قال ان الله تبارك وتعالى يعطي العبد من الثواب على حسن الخلق كما يعطي المجاهد فى سبيل الله) لا شراكهما فى حفظ نظام الخلق و رعاية حقوق أهل الايمان وأصل الجهاد مع النفس والعدو.

(يغدو عليه و يروح) حال عن المجاهد أى يغدو المجاهد على سبيل الله أى يذهب فيه أول النهار أو مطلقاً و يروح و يرجع أو يذهب فى آخره أو مطلقاً ، و المقصود أن ثواب العبد فى حسن خلقه مثل ثواب هذا المجاهد الساعى فى الجهاد المستمر فيه، وفى المصباح غدا غدواً من باب قعد ذهب غدوة و هى ما بين صلاة الصبح و طلوع الشمس ثم كثر حتى استعمل فى الذهاب والانطلاق أى وقت كان وراح يروح رواحاً أى رجع كما فى قوله تعالى « غدوها شهر و رواحها شهر» أى ذهابها شهر و رجوعها شهر وقد يتوهم بعض الناس أن الرواح لا يكون الا فى آخر النهار و ليس كذلك بل الرواح والندو عند العرب يستعملان فى المسير أى وقت كان من ليل أو نهار قاله الازهرى وغيره، وعليه قوله «ع» «من راح الى الجمعة فى أول النهار فله كذا» أى ذهب .

(١) قوله «لامدخل للاكتساب فيه» والالزم الجبر والتكليف بما لا يطاق اذ أمر بتحصيل

الحسن والفضائل و اوعد على القبايح. (ش)

١٣ - عنه ، عن عبد الله الحجال ، عن أبي عثمان القابوسي ، عمّن ذكره ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : إن الله تبارك و تعالی أعار أعداءه أخلاقاً من أخلاق أوليائه ليعيش أولياؤه مع أعدائه في دولاتهم .
وفي رواية أخرى : لولا ذلك لماتركوا ولياً لله إلا قتلوه .

١٤ - علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن حماد بن عيسى ، عن الحسين بن المختار ، عن العلاء بن كامل قال : قال أبو عبد الله عليه السلام : إذا خالطت الناس فإن استطعت أن لا تخالط أحداً من الناس إلا كانت يدك العليا عليه فافعل ، فإن العبد يكون فيه بعض التقصير من العبادة ويكون له حسن خلق ، فيبلغه الله بـ [حسن] خلقه درجة الصائم القائم .
١٥ - عدة من أصحابنا ، عن أحمد بن أبي عبد الله ، عن أبيه ، عن حماد بن

قوله (ان الله تبارك و تعالی أعار أعداءه أخلاقاً) أشار بالاعارة الى أن أخلاقهم (١) الحسنة لا تبقى بعد موتهم ولا تنفعهم فيما بعد . وانما هي كالعارية فيهم لمصالح المؤمنين و حفظهم عن غايلتهم .

قوله (فان استطعت أن لا تخالط أحداً من الناس الا كانت يدك العليا عليه فافعل) كأنه اريد باليد العليا المنفقة أو المعطية فان اليد العليا منفقة معطية واليد السفلى سائلة آخذة ، أو اريد بها اليد اليمنى فان اليمنى أعلى من اليسرى في القوة ، وهي على التقديرين كناية عن حسن الخلق كما يشعر به التعليل .

(١) قوله وأشار بالاعارة الى أن أخلاقهم ، انما يبقى الملكات الحسنة مع النفوس بعد الموت اذا كانت راسخة فمن عمل حسناً أو أظهر فضيلة من الفضائل وقتاً و اعرض عنها في سائر أوقاته لم ينفعه شيء ، و اعلم أن الله تعالى هدى عقولنا الى أن سعادة الانسان في تحصيل الملكات الفاضلة لانه تعالى لم يجعل شوقاً في قلوب الانسان ولا رغبة في أوهام الحيوان ولا صفة من الصفات في شيء الا لمصلحة فيها فجعل المحبة في قلوب الامهات لحفظ الاولاد ، والنفرة من العفونات للنجب من الامراض و استحسان الماء والخضر لتعمير البلاد وازدياد الارزاق ، و الشهوة لبقاء النسل وكذلك الهمة الانسان استحسان الفضائل و تقبيح الرذائل فكل واحد يميز بعقله العملي بين الحسن والقبح ويلوم الظالم والقاتل والسارق والزاني و يمدح المحسن السخي العفيف العادل وليس ذلك الخلق في الانسان عبثاً بل لابد أن يكون هذا يفيد فائدة كسائر غرائزه و ملكاته قال تعالى « و نفس ماسويها فالهمهما فجورهما و تقويها » أي اعطاها معرفة الحسن والقبح بعقله ولذلك مصلحة البتة وهي ما ذكره تعالى بقوله « قد أفلح من زكياها وقد خاب من دسيها » . (ش)

عيسى، عن حريز بن عبد الله، عن بحر السقا قال : قال لي أبو عبد الله عليه السلام : يا بحر حسن الخلق يسر، ثم قال : ألا أخبرك بحديث ما هو في يدي أحد من أهل المدينة ؟ قلت: بلى ، قال: بينما رسول الله صلى الله عليه وآله ذات يوم جالس في المسجد إذ جاءت جارية لبعض الأ نصار و هو قائم، فأخذت بطرف ثوبه، فقام لها النبي صلى الله عليه وآله فلم تقل شيئاً ولم يقل لها النبي صلى الله عليه وآله شيئاً حتى فعلت ذلك ثلاث مرّات ، فقام لها النبي صلى الله عليه وآله في الرابعة وهي خلفه، فأخذت هُدبة من ثوبه ثم رجعت فقال لها الناس: فعل الله بك و فعل حبست رسول الله صلى الله عليه وآله ثلاث مرّات ، لاتقولين له شيئاً ولا هو يقول لك شيئاً، ما كانت حاجتك إليه ؟ قالت: إن لنا مريضاً فارسلي أهلي لاخذ هُدبة من ثوبه، [ل] يستشفى بها ، فلما أردت أخذها رأني فقام فاستحييت منه أن آخذها و هو يراني و أكره أن أستأمره في أخذها، فأخذتها.

١٦- علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير ، عن حبيب الخثعمي ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : أفاضلكم أحسنكم أخلاقاً الموطؤون

قوله (حسن الخلق يسر) أى سبب اللبس لان الناس محبوبون بحب من يلاقيهم بحسن الخلق و رعايته. (ألا أخبرك بحديث ما هو في يدي أحد من أهل المدينة) الجملة صفة الحديث و دما نافية.

قوله (فقام لها النبي «ص») حسن الخلق من صفات الانبياء والاولياء و افضلهم و اكملهم فى هذه الفضيلة هو نبينا «ص» ولذلك وصفه الله تعالى بقوله «انك لعلى خلق عظيم» فان تنكره مع وصفه بالعظيم يدل على أنه فى علو قدره بحيث لاتصل اليه عقول البشر ولا يحوم حوله طائر الفكر والنظر .
(فأخذت هُدبة من ثوبه) هُدبة الثوب مما يلى طرته و القطعة منه مثال غرفة و ضم الدال للاتباع لغة.

قوله (الموطؤون أكنافاً) هذا مثل لمن لان طبيعه و حسن خلقه و حقيقته من التوطية و التمهد و التذليل، و فراش و طيء أى مذلل ناعم لا يؤذى جنب النائم . و الاكناف جمع الكنف بالتحريك و هو الجانب و الناحية ، أراد الذين جوانبهم و نواحيهم و طئة يتمكن منها من يصاحبهم و لا يتأذى بخلاف سيء الخلق و المتكبر .

(الذين يألفون و يؤلفون) أى يأنون بالناس و يحبونهم و يجتمعون معهم ، فى

أكتافاً للذين يألفون ويؤلفون وتوطأ رحالهم.

- ١٧- عدةٌ من أصحابنا، عن سهل بن زياد، عن جعفر بن محمد الأشعري، عن عبد الله ابن ميمون القداح، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قال أمير المؤمنين عليه السلام : المؤمن مألوف ولاخير فيمن لا يألف ولايؤلف.
- ١٨- علي بن إبراهيم، عن أبيه ، عن ابن أبي عمير، عن عبد الله بن سنان ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : إنَّ حسن الخلق يبلغ بصاحبه درجة الصائم القائم.

(باب حسن البشر)

- ١- عدةٌ من أصحابنا، عن أحمد بن محمد، عن علي بن الحكم، عن الحسن بن الحسين قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : يا بني عبد المطلب إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم فالقوهم بطلاقة الوجه و حسن البشر.
- ورواه عن القاسم بن يحيى، عن جدّه الحسن بن راشد، عن أبي عبد الله عليه السلام إلا أنه قال: يا بني هاشم.

المصباح ألفته ألقاً من باب علم آنست به وأحببته والاسم الالفة بالعم والالفة أيضاً اسم من الالاف وهو الالتيام والالتماع واسم الفاعل آلف مثل عالم والجمع الالف مثل كفار، وتوطأ رحالهم للزيارة أو الضيافة أو لقضاء الحاجة، ورحل الرجل منزله وماواه وأثاث بيته وفيه ترغيب في حسن الخلق لانه موجب لذلك كما في قول أمير المؤمنين « ع » « أكرم الحسب حسن الخلق، و انما كان أكرم لانه أكثر فائدة وأوفر عائدة .

قوله (ولاخير فيمن لا يألف ولايؤلف) لان عدم الالفة في أهل الدين يوجب أذاهم و تبدهم و تقاطعهم و تفرقهم فيه و تدابرهم و عداوتهم و كل ذلك يوجب زوال الخير عنهم كما هو المعلوم بين المتقاطعين.

قوله (يا بني عبدالمطلب انكم لن تسعوا الناس بأموالكم) الوسع والسعة والجدة الطاقة أى لا يتسع أموالكم لعطائهم ورفع احتياجهم. فوسعوا أخلاقكم لصحبتهم كما أشار إليه بقوله (فالقوهم بطلاقة الوجه و حسن البشر) أى فالقوهم باستبشار الوجه و بشاشته و انبساطه و هو من لوازم التواضع و حسن الخلق .

- ٢- عنه ، عن عثمان بن عيسى ، عن سماعة بن مهران ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال :
ثلاث من أتى الله بواحدة منهن أوجب الله له الجنة : الإِنْفَاقُ من اقتار والبشر لجميع
العالم والانصاف من نفسه .
- ٣- علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن ابن محبوب ، عن هشام بن سالم ، عن أبي
بصير ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : أتى رسول الله صلى الله عليه وآله رجل فقال : يا رسول الله أوصني
فكان فيما أوصاه أن قال : ألق أخاك بوجه منبسط .
- ٤- عنه ، عن ابن محبوب ، عن بعض أصحابه ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال :
قلت له : ما حدُّ حسن الخلق ؟ قال : تلين جناحك و تطيب كلامك و تلقى أخاك
ببشر حسن .
- ٥ - عنه ، عن أبيه ، عن حماد ، عن ربعي ، عن فضيل قال : صنایع المعروف و
حسن البشر يكسبان المحبة و يدخلان الجنة و البخل و عبوس الوجه يبعدان من الله
و يدخلان النار .

قوله (الانفاق من اقتار) الاقتار والتقتير التضييق في الرزق يقال اقتار الله رزقه و
قتره ضيقه و قلله و ذلك بان ينقص من كفايه شيئاً و يعطيه من هو أحوج منه أو من لاشيء
له أو بأن ينفق مع ضيقه فيكون ترغيباً في الايثار كالاية ، (والبشر لجميع العالم) البشر بالكسر طلاقة
الوجه و بشاشته و هو مطلوب اما للمؤمنين فلعلامة الايمان و لزومه و اما لغيرهم فلحفظ
النفوس و دفع الضرر عنها وعن المؤمنين كما قيل و دارهم مادمت في دارهم ، (والانصاف من
نفسه) أنصفت الرجل انصافاً عاملته بالعدل والقسط والاسم النصفة بفتح الحاء لانك أعطيته من
الحق ما تستحقه لنفسك فالمراد به التسوية بين نفسه وبين غيره و عدم رجحان نفسه عليه في شيء
مأخوذ من النصف .

قوله (تلين جناحك) أي تواضع لخلق الله و قد امر الله به سيد المرسلين فقال دو
اخض جناحك للمؤمنين ، و فيه استعارة تمثيلية (و تطيب كلامك) و منه أن تسمى أخاك
بأحسن أسمائه و لاتغلظ في نصحه .

قوله (يكسبان المحبة) أي محبته تعالى بمعنى افاضة الرحمة والاحسان أو محبة
الخلق له و يؤيد الاول قوله « دو يبعد ان من الله » لان الظاهر أن يترتب على أحد الضدين
نقيض ما يترتب على الضد الاخر .

٦- عدّةٌ من أصحابنا، عن أحمد بن محمد، عن عثمان بن عيسى، عن سماعة عن أبي الحسن موسى عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: حسن البشر يذهب بالسخيمة.

(باب الصدق وأداء الأمانة)

١- محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن علي بن الحكم، عن الحسين ابن أبي العلاء، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن الله عز وجل لم يبعث نبياً إلا بصدق الحديث وأداء الأمانة إلى البر والفاجر.

٢- عنه، عن عثمان بن عيسى، عن إسحاق بن عمار وغيره، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لا تغترُّوا بصلاتهم ولا بصيامهم، فإن الرجل ربما لهج بالصلاة والصوم حتى لو تركه استوحش ولكن اختبروهم عند صدق الحديث وأداء الأمانة.

٣- عدّةٌ من أصحابنا، عن سهل بن زياد، عن ابن أبي نجران، عن مثنى الحنّاط عن محمد بن مسلم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: من صدق لسانه زكى عمله.

قوله (حسن البشر يذهب بالسخيمة) أى بالضئيلة والموجدة والحقد قال أمير المؤمنين (ع) «البشاشة حباله المودة» أراد أن طلاقة الوجه و حسن البشر تصطاد القلوب بها ولاحظ مشابهة الطلاقة بالحبال و مشابهة القلوب بالصيد.

قوله (ان الله عزوجل لم يبعث نبياً الا بصدق الحديث) صدق الحديث دائماً تابع لمملكة استقامة اللسان التابعة لاستقامة القلب ومن ثم قيل: اذا استقام القلب استقام اللسان. واستقامة القلب تابعة لاستقامة الحقيقة الانسانية و تمام صورته المعنوية و هذا مستلزم لفيضان النفس القدسية على تفاوت مراتبها و أعلى مراتبها للانبياء و المرسلين و ما دونه لخواص المؤمنين و من هذا يتحقق التناسب بينهما .

(و أداء الامانة الى البر والفاجر) كما قال تعالى « ان الله يأمركم أن تؤدوا أمانات الى أهلها» وقد ابتلى به جم غفير من السالكين وليس لاختبار الناس أعظم منه.

قوله (من صدق لسانه زكى عمله) لان صدق اللسان تابع لطهارة القلب و هى مستلزمة لزكاة عمله و طهارته و نموه و بر كته و المدح عليه و أيضاً اللسان مورد لجميع الاعضاء الظاهرة و الباطنة و متناول لمدركات جميعها فصحته و هى صدقه فى الحديث توجب صحة جميع الاعضاء و صدور أعمال الاصحاء منها فلذلك يزكو عمله على الاطلاق كما أن مرضه و هو الكذب يوجب مرض جميع الاعضاء و صدور أفعال المرضى منها، فلذلك لا يزكو شئ من أعماله. و أيضاً علة

٤ - محمد بن يحيى ، عن محمد بن الحسين ، عن موسى بن سعدان ، عن عبد الله بن القاسم ، عن عمرو بن أبي المقدم قال : قال لي أبو جعفر عليه السلام في أوّل دخلة دخلت عليه : تعلموا الصدق قبل الحديث .

٥ - محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد بن عيسى ، عن الحسن بن محبوب ، عن أبي كهس قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام : عبد الله بن أبي يعفور يقرئك السلام ، قال عليك وعليه السلام إذا أتيت عبد الله فاقراءه السلام وقل له : إن جعفر بن محمد يقول لك : انظر ما بلغ به علي عليه السلام عند رسول الله صلى الله عليه وآله فألزمه ، فإن علياً عليه السلام إنما بلغ ما بلغ به عند رسول الله صلى الله عليه وآله بصدق الحديث وأداء الأمانة .

٦ - علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن ابن أبي عمير ، عن أبي إسماعيل البصري ، عن الفضيل بن يسار قال : قال أبو عبد الله عليه السلام : يا فضيل إن الصادق أوّل من صدّقه الله عزّ وجلّ ، يعلم أنّه صادق وتصدّقه نفسه تعلم أنّه صادق .

٧ - ابن أبي عمير ، عن منصور بن حازم ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : إنّما سمّي إسماعيل صادق الوعد لأنّه وعد رجلاً في مكان فانتظره في ذلك المكان سنة ، فسمّاه الله عزّ وجلّ صادق الوعد ، ثمّ [قال] إنّ الرّجل أتاه بعد ذلك فقال له إسماعيل :

صدقه وهى الخوف من الله والفرار من اللوم فى وقت ما وهو وقت أن يسأل عن أعماله الصالحة واضطراره الى الجواب عنها يبعثه على تزكية الاعمال .

قوله (قال قال لي أبو جعفر «ع» فى أوّل دخلة دخلت عليه تعلموا الصدق قبل الحديث) الظاهر أن القبل متعلق بتعلموا وفيه ترغيب فى التفكير فى الكلام لتعرف الصدق ، ثم التكلّم بهو مثله قول أمير المؤمنين «ع» «لسان العاقل وراء قلبه ، و قلب الاحمق وراء لسانه» يعنى أن العاقل يعلم الصدق والكذب أولاً ويتفكر فيما يقول ثم يقول ما هو الحق والصدق والاحمق يتكلّم و يقول من غير تأمل و تفكر فيتكلّم بالكذب والباطل كثيراً و انما قلنا الظاهر لا احتمال أن يكون بدلا عن قوله «فى أوّل دخلة» أو متعلقاً بقال ، يعنى قال «ع» ابتداء قبل التكلّم بكلام آخر تعلموا الصدق ولكنه بعيد لفظاً ومعنى .

قوله (ان الصادق أول من يصدقه الله) فالكاذب أول من يكذبه الله ثم نفسه وفيه ترغيب فى الصدق وتنفير عن الكذب لان العاقل يتنفر عن تكذيب المخاطب ويستنكف منه كما قال موسى «ع» «رب انى أخاف أن يكذبون» فكيف اذا كان المخاطب هو الله عز وجل .

مازلت منتظراً لك.

٨- أبو علي الأشعري عن محمد بن سالم، عن أحمد بن النضر الخزاز، عن جدّه الربيع بن سعد قال: قال لي أبو جعفر عليه السلام يا ربيع إن الرجل ليصدق حتى يكتبه الله صديقاً.

٩- عدّة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد، عن الوشاء، عن علي بن أبي حمزة عن أبي بصير قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إن العبد ليصدق حتى يكتبه عند الله من الصادقين ويكذب حتى يكتبه عند الله من الكاذبين، فإذا صدق قال الله عز وجل صدق وبر؛ وإذا كذب قال الله عز وجل: كذب وفجر.

١٠- عنه، عن ابن محبوب، عن العلاء بن رزين، عن عبد الله بن أبي يعفور، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كونوا دعاة للناس بالخير بغير ألسنتكم، ليروامنكم الاجتهاد والصدق والورع.

١١- محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن علي بن الحكم قال: قال أبو الوليد حسن بن زياد الصيقل: قال أبو عبد الله عليه السلام: من صدق لسانه زكى عمله من حسنت نيته زيد في رزقه، ومن حسن برّه بأهل بيته مدّ له في عمره.

١٢- عنه، عن أبي طالب، رفعه قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: لا تنظروا إلى طول

قوله (ان الرجل ليصدق حتى يكتبه الله صديقاً) الصديق فيل للمبالغة في الصدق وهو

يطلق على فعل اللسان اذا طابق الواقع فلو قال ضرب زيد و هو لم يضرب أو قال وجهه وجهي للذي فطر السموات والارض، و كان وجهه قلبه الى غيره تعالى مثل الدنيا وغيرها فهو كاذب وعلى فعل القلب مثل النية وصدقها تجرّدها عن غير وجهه تعالى و هو الاخلاص والعزم على الخيرات مع عقد القلب عليها ووجد ما لفلوكان بدون العقدان كاذباً و على التوافق بين الظاهر والباطن فلو كان لظاهره وقار فصدق به بأن يكون لباطنه أيضاً وقار و على كل مقام من مقامات الدين اذا حصلت حقيقته مثل الصوم والصلاة والحج والزهد والمحبة و التوكل والخوف والرجاء والرضا والشوق وغيرها فان هذه الامور صادقة اذا حصلت حقيقتها للمتصف بها وكاذبة اذا لم تحصل. وعلى الوعد اذا وفى بها كما قال سبحانه و رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه، و من بلغ في هذه الامور وغيرها حد الكمال أو قريباً منه فهو صديق.

ركوع الرجل وسجوده ، فإن ذلك شيء اعتاده ، فلو تركه استوحش لذلك ولكن انظروا إلى صدق حديثه وأداء أمانته .

(باب الحياء)

١- عدّةٌ من أصحابنا ، عن سهل بن زياد ، عن ابن محبوب ، عن علي بن رئاب ، عن أبي عبيدة الحذاء ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : الحياء من الإيمان والإيمان في الجنة .

٢- محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد ، عن محمد بن سنان ، عن ابن مسكان ، عن الحسن الصيقل قال : قال أبو عبد الله عليه السلام : الحياء والعفاف والعي - أعني عي اللسان لاعي القلب - من الإيمان .

قوله (لانتظروا إلى طول ركوع الرجل وسجوده) يريد بطولهما الحقيقة أو كثرة الصلاة وتخصيصهما بالذكر من بين الأعمال البدنية على سبيل التمثيل أو للتنبيه على أنهما مع زيادة الفضيلة إذا لم يمتدافيرهما أولى بعدم الاعتداد .

قوله (الحياء من الإيمان) الحياء وصف للنفس يوجب انقباضها عن القبيح وانزجارها عن خلاف الآداب خوفاً من اللوم وإنما جعل كالبعض من الإيمان لمناسبة له في أنه يمنع من المعاصي كالإيمان أولان المراد بالإيمان الكامل المعتبر فيه الأعمال والحياء لكونه داعياً إلى فعل المأمورات وترك المنهيات جزء منه ، وبعبارة أخرى الإيمان تصديق و اقرار و ائتمار بالمأمور به وانتهاء عن المنهى عنه فإذا حصل الائتمار والانتهاج بالحياء كان الحياء بعض الإيمان و جزءاً منه أو المراد أن الحياء من شيم أهل الإيمان ومكارم أخلاقه ومحاسنه التي ينبغي التخلق بها .

قوله (أعني عي اللسان لاعي القلب) العي بالكسر يطلق على معنيين أحدهما داء في اللسان وهو لكثرة وفهاة توجب العجز عن البيان والافصاح بمراد الانسان ، وثانيهما داء في القلب يوجب العجز عن ادراك الحق و ابطار المعقولات فأشار دع ، الى أنه ليس المراد به المعنى الثاني الذي ينقص الإيمان به نقصاناً فاحشاً بل المراد به المعنى الاول الذي يوجب نقصان الدنيا و زيادة الآخرة والإيمان والمعنى أن الحياء الذي يوجب مراقبته تعالى و مراعاة أوامره ونواهيه وادابه والعفاف عن كثير الدنيا أو عن المعاصي أو عن السؤال و عي اللسان وهو قصوره عن البيان أو حفظه عن التكثير فيه والتناول للأقوال الباطلة والمباحة ، من الإيمان أي من قبله في المنع عن القبايح أو من أفراده أو من أجزائه أو من شيم أهلها و محاسنه التي ينبغي التخلق بها .

- ٣- الحسين بن محمد، عن محمد بن أحمد النهدي، عن مصعب بن يزيد، عن العوام ابن الزبير، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: من رقَّ وجهه رقَّ علمه.
- ٤- علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن عبدالله بن المغيرة، عن يحيى أخي دارم، عن معاذ بن كثير، عن أحدهما عليهما السلام قال الحياء والايان مقرونان في قرن فاذا ذهب أحدهما تبعه صاحبه .
- ٥- عدّةٌ من أصحابنا، عن سهل بن زياد ، عن محمد بن عيسى، عن الحسن بن علي بن يقطين، عن الفضل بن كثير ، عمّن ذكره، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: لا إيمان لمن لا حياء له.
- ٦- عدّةٌ من أصحابنا، عن أحمد بن أبي عبدالله، عن بعض أصحابنا، رفعه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: الحياء حياءان : حياء عقل وحياء حمق، فحياء العقل هو العلم وحياء الحمق هو الجهل.

قوله (من رق وجهه رق علمه) لعل المراد أن من ضعف حياؤه ضعف علمه لتوغلّه في القبايح وهو يوجب نقصان العلم أو المراد أن من ضعف وجهه من السؤال في العلم لحياء الحمق المانع منه ضعف علمه و في هذا المعنى ما نقل من أنه قيل لبعض الحكماء : بم بلغت ما بلغت؟ قال بعدم الاستحياء من السؤال في استكشاف الامور وحل الاشكال.

قوله (الحياء و الايمان مقرونان في قرن) القرن بالتحريك الحبل الذي يشد الاسيران به والمعنى أن الحياء و الايمان مجموعان في حبل واحد فاذا ذهب أحدهما ذهب الاخر وتبعه و فيه اشارة الى أن بينهما تلازماً و الى ان الحياء ليس جزء من الايمان ولا فرداً منه فلا بد من القول به أو بحمل الايمان هنا على التصديق و القول بأنّه لا يستقر في القلب بدون الحياء.

قوله (لا ايمان لمن لا حياء له) لما عرفت من انها مقرونان في حبل واحد اذا ذهب أحدهما تبعه الاخر، وان اريد بالايمان الايمان الكامل وجعل الحياء جزءاً منه فالوجه ظاهر.

قوله (الحياء حياءان- الخ) قد ذكرنا في أول الكتاب أن انقباض النفس عن فعل الخير حياء مجازاً كاستحياء المرأة عن تعلم مسائل الحيض و أحكام غسل الجنابة مثلا و ان تقسيم الحياء اليه و هو حياء الحمق و الى حياء العقل الموجب للانقباض عن القبيح لا يدل على أنه حقيقة في كلا القسمين.

٧- محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن بكر بن صالح، عن الحسن بن علي، عن عبد الله بن إبراهيم، عن علي بن أبي علي اللّهي، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: أربع من كنّ فيه وكان من قرنه إلى قدمه ذنوباً بآبء لها الله حسنات: الصدق و الحياء و حسن الخلق و الشكر.

(باب العفو)

١- علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن عبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ في خطبته: ألا أخبركم بخير خلائق الدنيا والآخرة؟: العفو عمّن ظلمك، و تصل من قطعك، و الإحسان إلى من أساء إليك، و إعطاء من حرمك.

٢- عدّة من أصحابنا، عن سهل بن زياد، عن محمد بن عبد الحميد، عن يونس ابن يعقوب، عن غرّة بن دينار الرقي، عن أبي إسحاق السبيعي، رفعه قال: قال رسول الله ﷺ: ألا أدلكم على خير أخلاق الدنيا والآخرة؟: تصل من قطعك و تعطي من حرمك و تعفو عمّن ظلمك.

٣- علي بن إبراهيم، عن محمد بن عيسى بن عبيد، عن يونس بن عبد الرحمن عى أبي عبد الله نشيب اللّغائي؛ عن حمران بن أعين قال: قال: أبو عبد الله عليه السلام: ثلاث من مكارم الدنيا والآخرة: تعفو عمّن ظلمك، و تصل من قطعك، و تحلم إذا جهل عليك.

قوله (العفو عمّن ظلمك) من صفات الكرام العفو عن الظالم و التجاوز عن المسيء و من صفات اللّثام الانتقام و طلب التشفى و المعاوية لدفع الغيظ و هو آفة نفسانية تغير الجهال و الناقصين من أجل تأثر نفوسهم عن كل ما يخالف هواها.

قوله (و تصل من قطعك) باليد و اللسان و مراقبة أحواله في كل زمان و الإحسان إلى من أساء إليك و هو الإحسان من الإحسان إلى من أحسن إليك.

(و إعطاء من حرمك) فإذا أحسنت إلى أحد ولم يقابل إحسانك بإحسان أولم يشكرك أو أساء إليك لا ترغب عن الإحسان إليه و الذي غيره بسبب الكفران فانه إذا لم يشكرك فقد يشكرك غيره و لو لم يشكرك أحد فان الله يحب المحسنين كما نطق به القرآن المبين و كفى به شرفاً و فضلاً.

- ٤- عليّ، عن أبيه، و محمد بن إسماعيل، عن الفضل بن شاذان، جميعاً عن ابن أبي عمير، عن إبراهيم بن عبد الحميد، عن أبي حمزة الثمالي، عن عليّ بن الحسين عليه السلام قال: سمعته يقول: إذا كان يوم القيامة جمع الله تبارك و تعالي الأولين و الآخرين في صعيد واحد، ثم ينادي مناد: أين أهل الفضل؟ قال: فيقوم عنق من الناس فنلقاهم الملائكة فيقولون: و ما كان فضلكم؟ فيقولون: كنا نصل من قطعنا و نعطي من حرمانا و نغفو عن من ظلمنا، قال: فقال لهم: صدقتم أدخلوا الجنة،
- ٥- عدّة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد بن خالد، عن جهم بن الحكم المدائني، عن إسماعيل بن أبي زياد السكوني، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه و آله: عليكم بالغفو، فإن الغفو لا يزيد العبد إلا عزاً، فتعافوا يعزكم الله.
- ٦- محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن محمد بن سنان، عن أبي خالد القمّاط، عن حمران، عن أبي جعفر عليه السلام قال: الندامة على الغفو أفضل وأيسر من الندامة على العقوبة.

قوله (فان الغفو لا يزيد العبد الا عزاً في الدنيا) لان من عرف بالغفو ساد و عظم فسى القلوب فيزيده عزّة، أو في الآخرة لانه يوجب زيادة الاجر و رفع الدرجة .

قوله (الندامة على الغفو أفضل و أيسر من الندامة على العقوبة) أما انها أيسر فلان الفعل الواقع اذا ندم عليه لا يمكن عدم ايقاعه قطعاً بخلاف غير الواقع اذا ندم على عدم ايقاعه فانه يمكن ايقاعه غالباً فالتدارك في الاول متعذر و في الثاني ممكن، و قد تنبه بهذا بعض الملوك فقال ينبغي أن يكون عفو الملك أكثر من عقوبته لانه ان عفى في مقام يقتضى العقوبة و أخطأ فندم عليه أمكنه أن يتدارك و يعاقب و ان عاقب في مقام يقتضى الغفو و أخطأ فندم عليها لا يمكنه التدارك. و أما انها أفضل مع أن النفس في الندامة على الغفو راجعة الى هواها و مقتضاها في القوة الشهوية والغضبية و في الندامة على العقوبة راجعة الى الله و الى خلاف مقتضاها المطلوب شرعاً و عقلاً، فأما لانها تابعة للغفو الذي هو أفضل و تابع الافضل أفضل ولا ينافيه أفضلية الندامة على العقوبة نظراً الى ذاتها ففيه ترغيب في الغفو و تنفير عن العقوبة أو لان الغفو اذا ندم دل ذلك على كمال استحقاق العقوبة بخلاف المعاقب اذا ندم فانه لا يدل ذلك على كمال استحقاق الغفو فللندامة على

٧- عدّةٌ من أصحابنا، عن أحمد بن أبي عبدالله، عن سعدان، عن معتب قال: كان أبو الحسن موسى عليه السلام في حائط له يصرم فنظرت إلى غلام له قد أخذ كارة من تمر فرمى بها وراء الحائط، فأتيته وأخذته وذهبت به إليه، فقلت: جعلت فداك إنني وجدت هذا وهذه الكارة، فقال للغلام: فلان! قال: لييك، قال: أتجوع؟ قال: لا يا سيدي، قال: فتعري؟ قال: لا يا سيدي، قال: فلائي شيء أخذت هذه؟ قال: اشتبهت ذلك، قال: اذهب فبهي لك، وقال: خلّوا عنه.

٨- عنه، عن ابن فضال قال: سمعت أبا الحسن عليه السلام يقول: ما التقت فئتان قط إلا نصر أعظمهما عفواً.

٩- محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن ابن فضال، عن ابن بكير، عن زرارة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: إن رسول الله صلى الله عليه وآله أتني باليهودية التي سميت الشاة للنبي صلى الله عليه وآله فقال لها: ما حملك على ما صنعت؟ فقالت: قلت: إن كان نبياً لم يضره وإن كان ملكاً أرحت الناس منه، قال: فعفا رسول الله صلى الله عليه وآله عنها.

١٠- علي بن إبراهيم، عن محمد بن عيسى، عن يونس، عن عمرو بن شمر، عن

العفو زيادة فضل و رجحان و هذا الوجه في غاية البعد، أو لانها أيسر و هذا أقرب الوجوه **قوله** (قد اخذ كارة) هي مقدار معلوم من الطعام وقدر ما يحمل على الظهر .

قوله (اذهب فبهى لك) دل على ان العفو عن السارق و اعطاء المسروق اياه أفضل و هذا من صفات الكرام .

قوله (أتى باليهودية التي سميت الشاة) العفو عنها في هذه الصنعة العظيمة الشديدة على النفوس دل على عظمة قدر العفو و علومنزلته، و مثله رواه مسلم عن أنس د ان امرأة يهودية أتت رسول الله صلى الله عليه وآله «ص» بشاة مسمومة فأكل منها فحجى بها الى رسول الله صلى الله عليه وآله «ص» فسألها عن ذلك فقالت أردت أن أقتلك فقال ما كان الله ليسطك على ذلك أو قال على، قالوا الا تقتلها قال لا ، و روى غير مسلم د انها لما اعترفت قالت انما فعلت ذلك لانك ان كنت نبياً لم يضرك و ان كنت كاذباً أرحت الناس منك ، قيل انه تعالى شفاه في ذلك الوقت و لكن بقي فيه أثر ما فقتله بعد حين. و لذلك قال العلماء ان الله سبحانه قد جمع له بذلك بين كرم

جابر، عن أبي جعفر عليه السلام قال: ثلاث لا يزيد الله بهنَّ المرء المسلم إلا عزاً: الصفح
عمن ظلمه وإعطاء من حرمه والصلة لمن قطعه.

(باب كظم الغيظ)

١- عليُّ بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن ابن أبي عمير ، عن هشام بن الحكم ،
عن أبي عبد الله عليه السلام قال : كان عليُّ بن الحسين عليه السلام يقول : ما أحبُّ أن لي
بذئلاً نفسي حمر النعم ، و ما تجرعت جرعة أحبُّ إليَّ من جرعة غيظ لا أكفيها
بها صاحبها.

النبوة و فضل الشهادة ولا ينافي ذلك قوله «ص» « ما كان الله ليسطك على ذلك » لان المعنى
ما كان الله ليسطك على قتلى الان و قال : و في كفاية الله له «ص» أمر السم المهلك لنفسيه
معجزة ، و قال محي الدين اختلف الرواية هل قتلها ففي هذه أنه لم يقتلها ، وفي رواية سلمة أنه
قتلها وفي رواية ابن عباس انه دفعها الى أولياء بشر وقد كان أكل من الشاة فمات فقتلوا ، و
قال ابن سحنون : أجمع المحدثون على أنه قتلها ، وقال عياض : وجه الجمع أنه لم يقتلها
أولا حين أطلع على ما فعلت من السم فلما مات بشر دفعها الى أوليائه فلم يقتلها فسي حين
قتلها في آخر ، و قال أبو عبد الله الابي هذا الجمع يشكك بأن يقال كيف لم يقتلها أولا
و قد نقضت العهد و آذت ، و قال الداودي : انما لم يقتلها لثلاث ينقص من عذابها و
ليبقى أجره موفراً.

قوله (الصفح عن ظلمه) أى العفو عن ذنوبه و الاعراض عن عقوبته ، و أصله
الاعراض بصفحة وجهه.

قوله (ما أحب ان لي بذئ نفسي حمر النعم) ذل النفس بالكسر سهولتها و انقيادها و
هى ذلول ، وبالضم مذلتها وضعفها وهى ذليل ، والنعم المال الراعى و هو جمع لا واحد له من
لغظه ، واكثر ما يقع على الابل قال أبو عبيد : النعم الجمال فقط ويؤنث ويذكر وجمعه نعمان
مثل حمل وحملان وانعام أيضاً ، وقيل النعم الابل خاصة ، والانعام ذوات الخف والظلف وهى
الابل والبقر والغنم ، وقيل تطلق الانعام على هذه الثلاثة فاذا انفردت الابل فهى نعم وان
انفردت البقر والغنم لم تسم نعماً ، والمعنى ان ذل نفسى و انقيادها أو مذلتها بكظم الغيظ أو
مطلقاً أحب الى من حمر النعم أملكها أو تصدق بها والاخير أظهر لان شأنه «دع» ارفع من أن
يحب الدنيا وما فيها ، وفيه حض بليغ على كظم الغيظ ، و حمر النعم خيارها .

قوله (وما تجرعت جرعة أحب الى من جرعة غيظ لا أكفي بها صاحبها) الجرعة من

٢ - محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد بن عيسى ، عن محمد بن سنان ، وعلي بن النعمان ، عن عمارة بن مروان ، عن زيد الشحام ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : نعم الجرعة الغيظ لمن صبر عليها ، فإن عظيم الأجر لمن عظيم البلاء وما أحب الله قوماً إلا ابتلاهم .

٣ - عنه ، عن علي بن النعمان ، ومحمد بن سنان ، عن عمارة بن مروان ، عن أبي الحسن الأول عليه السلام قال : إصبر على أعداء النعم ، فإنك لن تكافي من عصا الله فيك بأفضل من أن تطيع الله فيه .

٤ - عنه ، عن محمد بن سنان ، عن ثابت مولى آل حريز ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : كظم الغيظ عن العدو في دولاتهم تقيّة حزم لمن أخذ به وتحرّز

الماء كاللقمة من الطعام وهو ما يجرع مرة واحدة والجمع جرع مثل غرفة وغرف ، وتجرع النقص مستعار منه وأصله الشرب من عجلة ، وقيل الشرب قليلاً قليلاً وإضافة الجرعة إلى الغيظ من باب لجين الماء ، والغيظ صفة للنفس عند احتدادها موجبة لتحركها نحو الانتقام ، والكلام تمثيل . لا يقال الغيظ امر جبلي لا اختيار للعبد في حصوله فكيف يكلف برفعه لاناقول هو مكلف بتصفية النفس على وجه لا يحركها أسباب الغيظ بسهولة و ان اثرت تلك الاسباب فيها و حصل الغيظ له فهو مكلف بتأديب الغيظ بحيث لا يغلب على العقل والشرع و كلا الامرين مقدور له .

قوله (ما أحب الله قوماً الا ابتلاهم) من ذلك ابتلاؤهم باذى الناس لهم وامرهم بكظم الغيظ والصبر عليه ليزيد بذلك أجرهم .

قوله (اصبر على اعداء النعم) و هم الظلمة الذين يفترون الناس لانهم اعداء نعم الله تعالى التي أفضلها وأشرفها الايمان ومقتضاه من الاخلاق الفاضلة والاعمال الصالحة فانك (لن تكافي من عصا الله فيك) بالاذى والاضرار والطغيان .
(بأفضل من ان تطيع الله فيه) بكظم الغيظ والعتو عنه كما قال عز وجل والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس ، وفي صفة أفضل دلالة على جواز المكافاة بشرط أن لا يتعدى كما دلت عليه الآية الكريمة ولكن العفو أفضل .

قوله (كظم الغيظ عن العدو في دولاتهم تقيّة حزم لمن أخذ به) الحزم ضبط الامر و اتقانه والحذر من فواته و اختلاله وذلك برعاية شرائط نظامه ورفع موانع دوامه ، و من جملة ذلك كظم الغيظ من العدو و عدم ارادة الانتقام منهم في حال ظهور دولتهم لان مكافاتهم يوجب التعرض للبلاء و ايقاع النفس في الهلكة والمعناء .

من التعرض للبلاء في الدنيا ومعاندة الأعداء في دولاتهم ومماظمتهم في غير تقيّة ترك أمر الله ، فجاملوا الناس يسمن ذلك لكم عندهم ولا تعادوهم فتحملوهم على رقابكم فتذلّوا .

٥- عليُّ بن إبراهيم، عن بعض أصحابه، عن مالك بن حصين السكوني قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: ما من عبد كظم غيظاً إلا زاد الله عزّ وجلّ عزّاً في الدنيا والاخرة وقد قال الله عزّ وجلّ: « والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين » وأثابه الله مكان غيظه ذلك.

٦- عدّةٌ من أصحابنا، عن أحمد بن محمد بن خالد، عن إسماعيل بن مهران ، عن سيف بن عميرة قال: حدثني من سمع أبا عبد الله عليه السلام يقول: من كظم غيظاً و لو شاء أن يمضيه أمضاه، أملاً الله قلبه يوم القيامة رضاه .

(ومماظمتهم في غير تقيّة ترك أمر الله) أي مشاردتهم و منازعتهم تقول ما ظظت الرجل مذاكرة و مذاكرة إذا شارده و نازعته .

(فجاملوا الناس يسمن ذلك لكم عندهم) المجاملة بكظم الغيظ و اظهار الوداد والبشاشة ونحو ذلك. والسمن كثرة اللحم والشحم سمن فلان يسمن من باب تعب وفي لغة من باب قرب اذاكثر لحمه وشحمه، ولعل المراد به هنا الشرافة والعظمة وفي بعض النسخ «يسمن الله ذلك - الى آخره» ويسمن حينئذ من باب الافعال او التفعيل أي يجعل الله ذلك عندهم شريفاً عظيماً تورث المحبة لكم (ولا تعادوهم فتحملوهم على رقابكم فتذلّوا) لان اظهار المعاداة و اجراء أحكام النيظ والغضب مع العجز عن المقاومة والانتقام يورث ضرراً عظيماً ومذلة فاحشة وأما مع القدرة على الانتقام فالغفواً حسن لانه من صفات الكرام.

قوله (أملاً الله قلبه يوم القيامة رضاه) كناية عن كثرة افضاله واحسانه اليه في ذلك اليوم فلا يرهقه قتر ولا ذلة (١) .

(١) قوله «فلا يرهقه قتر ولا ذلة» أرى ان ما ذكره الامام «ع» يفيد معنى أدق وأعلى مما فسره به الشارح وبيان ذلك ان ملكات النفس و عقايدها و قواها تنقسم الى ما يبقى بعد الموت لعدم تعلقها بالبدن بوجه، والى ما يبقى لتوقفها على الاعضاء الظاهرة فالاول كالإيمان بالله العظيم و اصول الدين و المعارف اذ ليس حاملها الحواس و الجوارح و كملكة التقوى أو الفجور و أمثال ذلك، وأما الثاني فكالعلوم الجزئية من حيث هي جزئية و المعاني المدركة بالواهمة و أمثالها فلا يبقى للنفس ما تدركه بهذا البصر من حيث هو مدرك بهذا البصر ولا المحبة والعداوة*

٧- أبو علي الأشعري، عن محمد بن عبد الجبار، عن ابن فضال، عن غالب بن عثمان، عن عبد الله بن منذر، عن الوصافي، عن أبي جعفر عليه السلام قال: من كظم غيظاً وهو يقدر على إمضائه حشا الله قلبه أمناً وإيماناً يوم القيامة.

٨- الحسين بن محمد، عن معلى بن محمد، عن الحسن بن علي الوشاء، عن عبد الكريم بن عمرو، عن أبي أسامة زيد الشحام، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال لي: يا زيد اصبر على أعداء النعم، فانك لن تكافي من عصا الله فيك بأفضل من أن تطيع الله فيه، يا زيد إن الله اصطفى الإسلام واختاره، فأحسنوا صحبته بالسخاء وحسن الخلق.

٩- علي بن إبراهيم، عن محمد بن عيسى، عن يونس، عن حفص بن يسع السابري

قوله (حشا الله قلبه أمناً وإيماناً يوم القيمة) أى إيماناً بالله وأمناً من سخطه ويمكن أن يراد بالإيمان النور الفاضل بالتجليات الربانية الذى لا يحتمله الاقلوب المقربين -
(فأحسنوا صحبته بالسخاء وحسن الخلق) السخاء هو بذل المقتنيات وسرفها في أهل الحاجة وحسن الخلق مع خلق الله من أعظم أسباب كظم الغيظ فهما مجازان أو كنيانان عنه ولا يبعد أن يكون السخاء شاملاً لكظم الغيظ أيضاً لانه من جملة أفراده بوجه.

* والخوف الحاصلة بعد رؤية الولد والعدو كالأنثى اذا شاهدت أولادها عرضت لها حالة تبعثها على العطف والتربية والارضاع ولا يعرف الحيوان لها اسماً ولا يتعقل مفهوماً وانما يحصل له مصداق المحبة فقط. وكذلك الغنم اذا شاهدت ذنباً عرضت لها حالة تقتضى الفرار والنفرة و نسميها نحن معاشر البشر خوفاً ولا يتصور الحيوان له مفهوماً بل له المصداق وهو حالة بدنية متعلقة بالاعصاب والدماغ يفقدها كل موجود ليس له عصب ودماغ وكذلك يعرض للانسان نظير هذه الحالات بقوته الموسومة بالواهمة هي مصاديق مفاهيم كالحسد والغيظ والغضب وهى أى مصاديقها متعلقة بالبدن واعضائه وعصبه ودماغه ولكن للانسان عقلاً يستطيع أن يعارض بهذه الحالة ويمنعها عن التأثير والحيوان مقهور بالجري على مقتضاها ولا مبدء منع فيه عن ذلك و لذلك كلف الانسان ولم يكلف سائر الحيوانات والعقل مبدء غير جسمانى قاهر على مقتضيات القوة الواهمة ولما كان مجرداً غير متعلق بالبدن بقى في البرزخ وعاد في الآخرة والغيظ مقتضى الواهمة وكظمه مقتضى العقل ويبعث يوم القيامة مع العقل ولو ازمه من الرضا والامن والايمان دون الغيظ. واذالم يكظم غيظه وجرى على مقتضاه كالحيوان أوجب ذلك له معاصى كثيرة اعقبت في قلبه نفاقاً وقسوة وملكات يتأذى بها في الآخرة و يتألم بها العقل المقهور في الدنيا بلوازم الجهل والهوى . (ش)

عن أبي حمزة ، عن علي بن الحسين عليهما السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : من أحب السبيل إلى الله عز وجل جرعتان : جرعة غيظ تردّها بحلم و جرعة مصيبة تردّها بصبر .

١٠- علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن حماد ، عن ربي ، عن حدثة ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : قال لي أبي : يا بني ما من شيء أقر لعين أبيك من جرعة غيظ عاقبتها صبر ، وما من شيء يسرني أن لي بذل نفسي حمر النعم .

١١- علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن ابن أبي عمير ، عن معاوية بن وهب ، عن معاذ بن مسلم ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : إصبروا على أعداء النعم فانك لن تكافي من عصا الله فيك بأفضل من أن تطيع الله فيه .

١٢- عنه ، عن أبيه ، عن ابن أبي عمير ، عن خلاد ، عن الثمالي ، عن علي بن الحسين صلوات الله عليهم ما قال : قال : ما أحب أن لي بذل نفسي حمر النعم و ما تجرعت من جرعة أحب إلي من جرعة غيظ لأكافي بها صاحبها .

١٣- عدّة من أصحابنا ، عن أحمد بن محمد ، عن الوشاء ، عن مثنى الحنّاط ، عن أبي حمزة قال : قال أبو عبد الله عليه السلام : ما من جرعة يتجرعها العبد أحب إلى الله عز وجل من جرعة غيظ يتجرعها عند ترددها في قلبه ، إمّا بصبر وإمّا بحلم .

(باب الحلم)

١- محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد بن عيسى ، عن أحمد بن محمد بن أبي نصر ،

قوله (من أحب السبيل إلى الله جرعتان) أشار جل شأنه إلى الجرعة الأولى بقوله « و الكاظمين الغيظ والمافين عن الناس » وإلى الجرعة الثانية بقوله « و بشر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وانا إليه راجعون » .

قوله (ما من جرعة يتجرعها العبد أحب إلى الله عز وجل من جرعة غيظ يتجرعها عند ترددها في قلبه إمّا بصبر وإمّا بحلم) المراد بتردها في قلبه أقدام القلب تارة إلى تجرّعها لمافيه من الاجر الجزيل والثواب الجميل واصلاح النفس و تارة إلى ترك تجرّعها وامضائه لما فيه من البشاعة والمرارة . والباء في بصبر للصببية وهو الحلم متقاربان الا أن الصابر يصبر مع المشقة والحليم لا يرى في نفسه مشقة و من ثم قيل العادى لا يأمن من الصابر كما يأمن من الحليم .

عن محمد بن عبيد الله قال: سمعت الرضا عليه السلام يقول: لا يكون الرجل عابداً حتى يكون حليماً، وإن الرجل كان إذا تعبد في بني إسرائيل لم يعد عابداً حتى يصمت قبل ذلك عشر سنين.

٢- محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن علي بن النعمان، عن ابن مسكان، عن أبي حمزة قال: المؤمن خلط عمله بالحلم، يجلس ليعلم، و ينطق ليفهم، لا يحدث أمانته الاصدقاء ولا يكتفم شهادته الأعداء ولا يفعل شيئاً من الحق رياء ولا يتركه حياء، إن زكى خاف مما يقولون واستغفر الله مما لا يعلمون، لا يغرّه (١) قول من جهله

قوله (لا يكون الرجل عابداً حتى يكون حليماً) الحلم الاناة والثبوت فى الامور وهو يحصل من الاعتدال فى القوة الغضبية ويمنع النفس من الانفعال عن الواردات المكروهة المودية، ومن آثاره عدم جزع النفس عند الامور الهائلة و عدم طيشها فى المؤاخذه وعدم صدور حركات غير منتظمة منها و عدم اظهار المزية على الغير و عدم التهاون فى حفظ ما يجب حفظه شرعا و عقلا وهو من علو الهمة، والعبادة نفسانية كانت أو بدنية لا عبرة بها ولا تكمل ولا يترتب عليها الاجر الكامل بدون وقوله وان الرجل كان اذا تعبد فى بني اسرائيل لم يعد عابدا حتى يصمت قبل ذلك عشر سنين ، السكوت عما لا يعنى باب من أبواب الحكمة وله مدخل عظيم فى اكتساب الحلم و لذلك قال النبى «ص» «تحملوا تسروا و اذا غضب أحدكم: فيسكت ثلاث مرات»، **قوله** (لا يحدث امانته الاصدقاء) كتمان السر والامانة ووضعها فى صندوق الجنان وعدم فتحه بمفتاح اللسان و عدم افشائهما لاوثق الاخوان من صفات المؤمن العاقل الكامل فى الايمان فانه يعلم بنور البصيرة أنه اذا لم يحفظ الامانة لم يأمن غيره الخيانة وان كان صديقا له لان للصديق صديقا ومن ثم قال أمير المؤمنين «ع» «حفظ ما فى الوعاء بسد الوعاء ، ومعناه أن حفظ ما فى الجنان اذا اريد أن لا يطلع غيره انما هو بحفظ اللسان فانه آلة تلف الانسان . ومفاسد الافشاء بعيدة عن الخفاء.

قوله (ولا يتركه حياء) قد عرفت ان انقباض النفس عن الحق و تركه لرقعة الوجه يسمى حياء مجازاً (ان زكى خاف مما يقولون) اما لعدم وجوده فيه أو لعدم علمه بكونه مقبولا له تعالى او لا يمكن حصول العجب اولان الانسان و ان بالغ فهو فى حد النقص او لان التزكية تزكيتها تعالى لا تزكية البشر «لا تزكوا أنفسكم ولكن الله يزكى من يشاء».

قوله (واستغفر الله مما لا يعلمون) قال أمير المؤمنين «ع» « اذا زكى أحد منهم خاف مما يقال فيه فيقول أنا أعلم بنفسى من غيرى و ربى أعلم منى بنفسى، اللهم لا تؤاخذنى بما يقولون ، و اجعلنى أفضل مما يظنون ، و اغفر لى ما لا يعلمون ».

ويخشى إحصاء ما قد عمله.

٣- محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن ابن فضال، عن ابن بكير، عن زرارة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: كان علي بن الحسين عليهما السلام يقول: إنه ليعجبني الرجل أن يدركه حلمه عند غضبه.

٤- عدّة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد بن خالد، عن علي بن الحكم، عن أبي جميلة، عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام: قال: إن الله عزّ وجلّ يحبّ الحيّ الحليم.

٥- عنه، عن علي بن حفص العوسي الكوفي، رفعه إلى أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ما أعزّ الله بجهل قطّ ولا أذلّ بحلم قطّ.

(لا يغيره قول من جهله) فلا يزعجه قول الزور والافتراء والبهتان والغيبة والنميمة ولا يضطربه ولا يحرّكه الى الانتقام والمكافاة بالمثل بل يتمسك بالصبر والحلم كما هو شأن أرباب الايمان وأصحاب الايقان.

قوله (انه ليعجبني الرجل ان يدركه حلمه عند غضبه) فيمنع نفسه من التشفى و الانتقام والاقدام على العقوبة و يحملها على العفو مع القدرة على ذلك والعفو من صفات الله و صفات أوليائه و من شق عليه فليتكفر في أمر الخالق جل شأنه فانه يشرك به و يجعل له ولد و يعتد له صفات لا تليق به و هو منزّه عنها ثم هو يعافهم و يرزقهم ويعطيهم و يقضى حوائجهم .

قوله (ما اعز الله بجهل قط ولا اذل بحلم قط) لان الجهل صفة توجب الذل فى الدنيا والاخرة و منه السفه والاذى والمعالجة فى العقوبة والحلم صفة توجب العزة فيهما أما فى الاخرة فظاهر لانه من جلايل الصفات الموجبة لرفع الدرجات، و أما فى الدنيا فظاهر أيضاً لان الحليم عزيز عند الخلاق كلهم ولذلك قال أمير المؤمنين «ع» «الحلم عشرة» (١) يعنى كما ان الرجل يتمتع بالعشرة يتمتع بالحلم و يتوقر لاجله .

(١) قوله «الحلم عشرة» يرى الجهلاء أن الحلم من الضعف والرجل القوى الغيور لا يتحمل اذاء الناس وقبول الظلم أفحش من الظلم وربما يتمسك بقول الله تعالى «من اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم» وقال تعالى «ولكم فى القصاص حياة يا اولى الاباب» وقال تعالى «ومن قتل مظلوماً فقد جعلنا لوليه سلطاناً» وأيضاً السكوت على الظلم والرضا به يوجب تجرى الظالم فاذا علم ان الناس مأورون بالسكوت زادوا فى الظلم والجواب ان للحلم مقاماً ولطلب الحقوق مقاماً آخر والقدرا المسلم ان الانسان لا يجوز ان ينقاد لمواظفه المترتبة*

٦- عنه، عن بعض أصحابه، رفعه قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: كفى بالحلم ناصراً، وقال: إذالم تكن حليماً فتحلّم.

٧- محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن عبد الله الحجاج، عن حفص

قوله (كفى بالحلم ناصراً) المراد ان الحلم ناصر كاف للحليم لان الناس يحبونه و يميلون اليه و يعينونه في المكاره و قال (اذالم تكن حليماً فتحلّم) (٢) أى اذالم تكن حليماً فى اصل الخلقة فاكتسب الحلم لان الحلم كساير الاخلاق قديكون خلقياً وقد يكون كسبياً و المراد فتكف الحلم و أظهره فان ذلك قديجر الى اكتساب الحلم و الاتصاف به و يؤيده قول أمير المؤمنين عليه السلام «وان لم تكن حليماً فتحلّم فانه قل من تشبه يقوم الا أو شك أن يكون منهم» أراد عليه السلام ان الحلم أحسن وان لم يكن فالتشبه بالحليم حسن.

*على شهوته و غضبه بحيث يسلب عنه الاختيار و يجرى على ما يقتضيه قوته الواهمة بل يجب أن يكون مالكا لنفسه و لا يكون قاصده و اتقاه و قيامه على من اعتدى عليه الا بمقتضى عقله لا لارضاء عواطفه و متابعة هواه و شهواته فانه بهذا يمتاز عن الحيوان و تربية الحلم هي من وظائف الانسان لا تربية الهوى فان الحلم هو الذى يبقى له فى الآخرة و هو مقتضى العقل و العقل يبقى بجميع ما يقتضيه. (ش)

(١) قوله واذالم يكن حليماً فتحلّم، استدل جماعة من الفلاسفة بوجود الاختيار للانسان على تجرده ذاتاً و بقاءه بعد الموت قالوا كل حالة جسمانية لا بد ان تحصل جبراً قسراً و لا يستطيع احد ان يمتنع عنها و يدفعها عن نفسه بل هي أثر حاصل بتأثير مؤثر خارجي أو داخل في بعض الاعضاء و نحن مجبورون مهورون في قبوله كالرؤية بالعين فانها بتأثير النور فى الجليدية و لا نستطيع أن لانرى مع هذا التأثير أيضاً و ننض الابصار و نطبق الاجفان قهراً عند تحريك أحد اصبعه اليها و يحصل المحبة و الخوف عند حصول أسبابها الدنيا قهراً و يضطرب القلب عند الحزن و يجرى الدمع و يعرضنا العطاس عند البرد و هكذا كل حالة تكون آلتها بعض أعضاء البدن فهي قهرية و لو كان النفس من عوارض البدن مطلقاً و كان جميع حالاتها و عوارضها ناشئة من مزاجات فى البدن و تأثيرات خاصة لخصوص مواد و تراكيب فى خلاياها و أذراتها لزم كون جميعها قهرية و لا يكون للنفس اختيار فى أى أمر من أمورها و لكن ليس كذلك فان معارضة الحلم مثلا للنضب و اختيار الانسان أن يكظم غيظه و قدرته على ذلك تدل على وجود مبدع مستقل له غير متوقف على آلية البدن و لا يجوز أن يفتربما يتوقف على الآلة كالسمع و البصر و غيرهما من القوى الجسمانية فان لنا حالات غير متوقفة على الآلات كادراك الكلى و الاختيار. (ش)

ابن أبي عائشة قال : بعث أبو عبد الله عليه السلام غلاماً له في حاجة فأبطأ ، فخرج أبو عبد الله عليه السلام على أثره لمّا أبطأ ، فوجده نائماً ، فجلس عند رأسه يروّح حتى انتبه ، فلمّا تنبّه قال له أبو عبد الله عليه السلام : يا فلان ! والله ما ذلك لك ، تنام الليل والنهار ، لك الليل ولنا منك النهار .

٨- محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد ، عن عليّ بن النعمان ، عن عمرو بن شعمر عن جابر ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : إن الله يحبّ الحليم العفيف المتعقّف .

٩- أبو عليّ الأشعري ، عن محمد بن عليّ بن محبوب ، عن أيّوب بن نوح ، عن عباس بن عامر ، عن ربيع بن محمد المسلي ، عن أبي محمد ، عن عمران ، عن سعيد بن يسار ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : إذا وقع بين رجلين منازعة نزل ملكان فيقولان للسّقيه منهما : قلت وقلت وأنت أهل لما قلت ، ستجزي بما قلت : ويقولان للحليم منهما : صبرت وحلمت سيغفر الله لك إن أتممت ذلك ، قال : فإن ردّ الحليم عليه ارتفع الملكان .

قوله (ان الله يحب الحليم العفيف المتعقّف) يعنى أن الله يحب من كان فيه حياء يمنعه عن القبايح وخلاف الاداب وحلم يمنعه من الاضطراب عن توارد المكروهات و ايداء الخلق والاقدام على الانتقام وعفة في دينه و نفسه تبعثه على تحصيل الكفاف من المآكل والمشارب والمناكح والمسكن والملابس وغيرها على الوجه المشروع وتعفف ببعثه على الاكتفاء بحرفته وصنعتة وحفظ فقره وعدم السؤال من غيره من بنى نوعه كما روى عن النبي ص أنه قال «من طلب الدنيا استعفاً عن المسئلة وسعيّاً على عياله وتعففاً على جاره لقي الله تعالى يوم القيامة ووجهه كالقمر ليلة البدر» .

يحمل أن يراد بالتعفف التأكيد والمبالغة في العفة وتحمل النفس على ذلك بنوع كلفة، وثمرة محبته تعالى آجاله الكرامة الابدية وعاجلا هي اعانتة على تلك الفضائل و امداده وتوفيقه على زيادتها ودوامها كما روى عن النبي ص «من يستعفف يعفه الله الحديث» .

قوله (قلت وقلت) بالقاف فيهما وبعض النسخ بالفاء في الثاني يقال قال الرجل في رأيه وفيل اذا لم يصب فيه و رجل فايل الرأي . (فان رد الحليم عليه ارتفع الملكان) الحليم قد لا يخلو عن عثرة وخفة في وقت ما يسوم الطبع لعدم عصمته الا أنه بهذا النادر لا يزول عنه اسم الحليم ولا يسلب عنه مدحة الحلم .

(باب الصمت و حفظ اللسان)

- ١- محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن أحمد بن محمد بن أبي نصر قال قال أبو الحسن الرضا عليه السلام : من علامات الفقه الحلم والعلم والصمت، إن الصمت باب من أبواب الحكمة، إن الصمت يكسب المحبة إنه دليل على كل خير.
- ٢- عنه، عن الحسن بن محبوب، عن عبدالله بن سنان، عن أبي حمزة قال : سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول : إننا شيعتنا الخرس.

قوله (من علامات الفقه الحلم والعلم والصمت) الفقه العلم بالمنافع والمضار أو البصيرة في أمور الدين، وكون الصمت أى السكوت عماليعنى من علاماته ظاهر لانه دال عليه كدلالة الاثر على المؤثر ، و كذلك الحلم أى التثبت فى الامور. وأما العلم فلعل المراد به آثاره أعنى اثبات الحق و ابطال الباطل و ترويح الدين و حل المشكلات ، وهو بهذا الاعتبار من آثار الفقه و علاماته الدالة عليه . فلا يرد أن العلم هو الفقه ولا يصح ان يكون الشيء علامة لنفسه.

قوله (ان الصمت باب من أبواب الحكمة) لان الحكمة و هى معرفة الاحكام و أحوال الموجودات و الانقياد لله و فعل الخيرات لا تحصل الا بالتفكر و التفكير لا يحصل او لا يتم الا بالصمت عن اللغو.

قوله (ان الصمت يكسب المحبة) أى محبة الله تعالى أو محبة الخلق وذلك لان أكثر أسباب الكلام و أعظم مقامات المجاورة هو المجادلة والمنازعة والمخاصمة والجرح والغيبة و التهمة و الفضول و التكذيب و المضحكة و الكذب و المزاح الكثير و ما لايعنى و كل ذلك يوجب البغض و العداوة و يبعد عن الخير فالصمت عن ذلك يورث المحبة و يقرب من الخير (انه دليل على كل خير) لان السكوت عن الشر لكونه شراً دليل على الخير الذى هو ضده و أيضاً السكوت عنه لانه سهو ولاغفلة بل عن صفا فكرة فى عظمة الحق وآلآئه وتواتر أياديه ونعمائه يوجب الارتقاء الى مقام العبودية و تحقيق ولاءه حتى يصير الغيب به كالمعاني و يبلغ العبد لاجله الى ذروة الاحسان و يتصف بالاخلاق الفاضلة و الاعمال الصالحة، و اليه أشار أمير المؤمنين بقوله: « اذا كان فى الرجل خلة رابعة فانظر أخواتها » الخلة الخصلة و الراية المعجبة من راعنى الشيء أعجبني حسنه ، يعنى اذا كان فى الرجل خصلة معجبة حسنة فانظر أمثالها من الخصال الحسنة فان بعضها يجذب بعضاً ولا يبعد أن يكون الصمت من هذا القبيل .

٣- عنه، عن الحسن بن محبوب، عن أبي علي الجواني، قال : شهدت أبا عبد الله عليه السلام وهو يقول لمولى له [يقال له] سالم- ووضع يده على شفتيه- وقال : يا سالم إحفظ لسانك تسلم، ولا تحمل الناس على رقابنا.

٤- عنه، عن عثمان بن عيسى قال : حضرت أبا الحسن صلوات الله عليه وقال له رجل : أوصني، فقال له : إحفظ لسالك تعز، ولا تمكّن الناس من قيادك فتذلّ رقبتك.

٥- عنه عن الهيثم بن أبي مسروق، عن هشام بن سالم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله لرجل أتاه : الأذلك على أمر يدخلك الله به الجنة ؟ قال: بلى يا رسول الله، قال: أنل ممّا أنالك الله، قال : فإن كنت أحوج ممّن أنيله؟

قوله (انما شيعتنا الخرس) لعلمهم بمفاسد اللسان فيجتنبون عنها و أيضاً لا يتكلمون في امور الدين الا ماسمعه من أهله بخلاف العامة فانهم يتكلمون فيها بالقياس والاستحسان والوجوه العقلية فلهم طرق واسعة .

قوله (يا سالم احفظ لسانك تسلم) أى تسلم من آفات الدنيا والاخرة و معاصي اللسان و ذل النفس فان من ارخى عنان اللسان جرى في ميدان الطغيان ويتكلم كثيرأبما لايعنيه و ما يضره و يضر غيره و يذله و يدل على سفهه .

قوله (و قال له رجل اوصني) الايضاء طلب شيء من غيره ليفعله على غيب منه فقال (احفظ لسانك تعز) اذ بالصمت تكون الهيبة والعزة لان من رآه يخيل اليه ان له شأناً فيهب منه ويعزه بخلاف ارخاء اللسان فانه يشين القائل و يبدي مساوى الجاهل ويصغره في أعين الناس ويذهب بعزه وبهائه. والقياد ككتاب جبل تقادبه الدابة و هو كناية عن التسلط و الاضرار والاذلال. **قوله** (انل مما انالك الله) أى اعط المحتاجين ما أعطاك الله (فاصنع للاخرق) الاخرق الجاهل من الخرق بالضم وهو الجهل يعنى اشر عليه بما ينفعه وفيه حث على ارشاد كل من لم يعلم امرامن مصالح الدين والدنيا (فاصمت لسانك الامن خير) الظاهر ان المراد بالخير ما يورث ثوابا في الاخرة، أو نفعاً في الدنيا (بلامضرة أحد فيكون المباح مما ينبئ السكوت عنه ويكون الامر لمطلق الطلب الشامل للوجوب والرحجان، و بالجملة ينظر من يريد الكلام فان لم يضررا تكلم وان رآه أو شك فيه سكت و اختلف في المباح هل يكتبام لانقل عن ابن عباس انه لا يكتب اذلايجازى عليه والحق انه يكتب لقوله تعالى « ما يلفظ من قول الاية»

قال: فانصر المظلوم، قال: وإن كنت أضعف ممن أنصره؟ قال: فاصنع للاخرق يعني أشرعليه، قال: فان كنت أخرق ممن أصنع له؟ قال: فاصمت لسانك إلا من خير، أما يسرك أن تكون فيك خصلة من هذه الخصال تجرُّك إلى الجنة.

٦- عدّة من أصحابنا، عن سهل بن زياد، عن جعفر بن محمد الأشعري، عن ابن القدّاح، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال لقمان لابنه: يا بني إن كنت زعمت أن الكلام من فضة، فإنّ السكوت من ذهب.

٧- علي بن إبراهيم، عن محمد بن عيسى، عن يونس، عن الحلبي، رفعه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أمسك لسانك، فإنّها صدقة تصدق بها على نفسك، ثم قال: ولا يعرف عبدٌ حقيقة الايمان حتّى يخزن من لسانه.

«وكل صغير وكبير مستطر» و لدلالة بعض الروايات عليه أيضاً وعدم المجازات لا يدل على عدم الكتابة اذ لعل الكتابة لغرض آخر مثل التحسر والتأسف في تضييع العمر فيما لا ينفع ولا يضر مع القدرة على فعل ما يوجب الثواب بدلالة (اما يسرك أن تكون فيك خصلة من هذه الخصال تجرُّك الى الجنة) دل على ان خصلة واحدة اذا استحكمت في مؤمن توجب الدخول في الجنة و يمكن أن يراد أن الخصلة الواحدة تجر الى أسباب الدخول في الجنة و هي الخصال الاخر فان الخير بعضه يقضى الى بعض كما مر.

قوله (يا بني ان كنت زعمت أن الكلام من فضة فان السكوت من ذهب) دل على ان السكوت أفضل من النطق وهو كذلك لان مفاصد النطق كثيرة لا يمكن التحرز عنها الا بالسكوت و فيه ترغيب في السكوت وان زعم أن كلامه حسن، و من ثم قال بعض الاكابر من نطق فاحسن قادر على ان يصمت فيحسن و ليس من صمت فاحسن قادر على ان ينطق فيحسن و هو أيضاً يدل على ان السكوت أفضل من النطق.

قوله (امسك لسانك فانها صدقة) الضمير راجع الى الامساك والتأنيث باعتبار الخبر و تشبيه الامساك بالصدقة باعتبار أنه ينفع صاحبه في الدنيا والاخرة و يدفع عنه البلايا و يوجب قربه من الحق كالصدقة (ثم قال ولا يعرف عبد حقيقة الايمان حتى يخزن من لسانه) أشار بذلك الى ان الايمان لا يتم الا باستقامة اللسان على الحق و خزنه عن الباطل مثل النبية و النميمة والغف والكذب والزور و نحوها من الامور المضرة و ذلك لان الايمان عبارة عن التصديق بالله و رسوله والاعتقاد بحقبة ما وردت به الشريعة من المأمورات و المنهيات و غيرها وهو يستلزم استقامة اللسان وهي اقراره بالشهادتين ولوازمها و امساكه عما لا ينبغي. و من البين ان الملزوم لا يستقيم بدون استقامة اللازم، وقد أشار اليه النبي ص،

٨- علي بن ابراهيم، عن أبيه، ومحمد بن إسماعيل، عن الفضل بن شاذان، جميعاً عن ابن أبي عمير، عن ابراهيم بن عبد الحميد، عن عبيد الله بن علي الحلبي، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عز وجل: «ألم تر إلى الذين قيل لهم كفوا أيديكم» قال يعني كفوا ألسنتكم.

٩- علي بن ابراهيم، عن محمد بن عيسى، عن يونس، عن الحلبي، رفعه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : نجاته المؤمن [في] حفظ لسانه.

١٠- يونس، عن مثنى، عن أبي بصير قال : سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: كان أبوذر رحمته الله يقول: يا مبتغي العلم إن هذا اللسان مفتاح خير ومفتاح شر، فاختم على لسانك كما تختم على ذهبك وورقك.

بقوله لا يستقيم ايمان عبد حتى يستقيم قلبه ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه ، و أيضاً كل ما يتناوله اللسان من الاباطيل والاكاذيب تدخل مفهوماتها في القلب وهو ينا في دخول حقيقة الايمان فيه فلا يعرف حقيقته.

قوله (الم تر إلى الذين قيل لهم كفوا أيديكم قال يعني كفوا ألسنتكم) ظاهره أن المراد بالأيدي اللسان للتشابه بينهما في القوة أو في كونهما آلة مجادلة و يحتمل أن يكون كف الأيدي مجازاً مرسل في كف اللسان لان كف الالسنه سبب لكف الأيدي من الضرب والقتل و نحوهما قوله (نجاته المؤمن حفظ لسانه) أي نجاته في الدنيا و الآخرة لان في كثرة الكلام و افشاء ما ينبغي اخفاؤه وبال الدنيا ونكال الآخرة.

قوله (يا مبتغي العلم ان هذا اللسان مفتاح خير و مفتاح شر) فيه ترغيب في التكلم بالخير و تنفير عن التكلم بالشر ولا يتحقق ذلك الا بالتأمل والتفكير أو لا فيما يقول كما هو شأن المؤمن العارف فانه يتأمل و يفكر فيما يريد النطق به فان رآه خيراً أبدأه وان رآه شراً وأراه بخلاف الجاهل فانه يتكلم بما جرى على لسانه لا يدرى ما ذلله وما ذاعليه ثم حث على كتمان ما ينبغي كتماناً بقوله (فاختم على لسانك كما تختم على ذهبك وورقك) الورق بكسر الراء والاسكان للتخفيف النقرة المضروبة وممنهم من يقول للنقرة مضروبة كانت او غير مضروبة، وقال الفارابي الورق المال من الدراهم و يجمع على أوراق، وروى مثل ذلك عن أمير المؤمنين «ع» قال «الكلام في وثاقتك مالم تتكلم به فاذا تكلمت به صرت في وثاقتك فاخزن لسانك كما تخزن ذهبك وورقك فرب كلمة سلبت نعمته» وقال بعض الاكابر لا تتكلم بلسانك ما تكسر به أسنانك.

١١- حميد بن زياد، عن الخشاب، عن ابن بقّاح، عن معاذ بن ثابت، عن عمرو بن جميع، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان المسيح عليه السلام يقول: لا تكثروا الكلام في غير ذكر الله، فإنّ الذين يكثرون الكلام في غير ذكر الله قاسية قلوبهم و لكن لا يعلمون.

١٢- عدّة من أصحابنا، عن سهل بن زياد، عن ابن أبي نجران، عن أبي جميلة عمّن ذكره، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ما من يوم إلاّ و كلّ عضو من أعضاء الجسد يكفّر اللسان يقول: نشدتك الله أن نعذب فيك.

١٣- محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن عليّ بن الحكم، عن إبراهيم بن مهزم الأسيدي، عن أبي حمزة، عن عليّ بن الحسين عليه السلام قال: إنّ لسان ابن آدم يشرف على جميع جوارحه كلّ صباح فيقول: كيف أصبحتم؟ فيقولون: بخير إن تر كمتنا، ويقولون: الله الله فينا و يناشدونه و يقولون: إنّما: ثاب و نعاقب بك.

قوله (فان الذين يكثرون الكلام في غير ذكر الله قاسية قلوبهم و لكن لا يعلمون) قساوة القلب شدته وصلابته بحيث يتأبى عن قبول الحق كالحجر الصلب يمر عليه الماء ولا يقف فيه، وفيه دلالة على أن كثرة الكلام في الامور المباحة يوجب قساوة القلب، واما الكلام في الامور الباطلة فقليله كالكثير في النهي عنه و ايجاب القساوة.

قوله (ما من يوم الا و كل عضو من اعضاء الجسد يكفّر اللسان) أى يذل و يخضع له و التكفير هو أن ينحني، الانسان و طأطأ رأسه قريباً من الركوع كما يفعل من يريد تعظيم صاحبه، ثم قال من باب الاستيناف يقول (نشدتك الله أن نعذب فيك) نشد من باب نصر أى سألتك بالله و احلفك به كان هذا القول بلسان المقال و يحتمل أن يكون بلسان الحال .
قوله (ان لسان ابن آدم يشرف على جميع جوارحه) أشرفت عليه اطلمت عليه (فيقول كيف أصبحتم فيقولون بخير ان تر كمتنا)

زبان گفت با سر که چونی خوشی بگفتا خوشم گرتو دم در کشی

(ويقولون الله الله فينا) أى أحذر الله أو أثق الله أو خفا الله في حقنا وأمرنا، و يناشدونه أى يخلفونه بالله، و المناشدة قسم دادن و يقولون (انما ثاب و نعاقب بك) الحصر اما حقيقي ادعائى أو اضافى بالنسبة الى بواقى الجوارح فكان كل جارحة تخص هذا باللسان بالنسبة الى جوارح آخر فلا يردان كل جارحة ثاب و نعاقب بعملها أيضاً.

١٤ - علي بن إبراهيم، عن أبيه، ومحمد بن إسماعيل، عن الفضل بن شاذان، جميعاً، عن ابن أبي عمير، عن إبراهيم بن عبد الحميد، عن قيس أبي إسماعيل - وذكر أنه لأبأس به من أصحابنا - رفعه قال: جاء رجلٌ إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله أوصني، فقال: إحفظ لسانك، قال: يا رسول الله أوصني قال: إحفظ لسانك، قال: يا رسول الله أوصني، قال: إحفظ لسانك، ويحك وهل يكبُّ الناس على مناخرهم في النار إلا حصائد ألسنتهم.

١٥ - أبو علي الأشعري، عن محمد بن عبد الجبار، عن ابن فضال، عمّن رواه، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: من لم يحسب كلامه من عمله كثرت خطاياهُ وحضر عذابه.

١٦ - علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن النوفلي، عن السكوني، عن أبي عبد الله عليه السلام

قوله (قال جاء رجل الى النبي ورس) كان الرجل كان معاذ بن جبل لتصريح العامة به في روايتهم مثل هذا الحديث (و هل يكب الناس على مناخرهم في النار الا حصائد ألسنتهم) الحصاد بالفتح والكسر قطع الزرع والحصائد جمع الحصيد وهي ما يحصد من الزرع شبه اللسان وما يقطع به من الاقوال الباطلة بحد المنجل وما يقطع به من النبات.

قوله (من لم يحسب كلامه من عمله كثرت خطاياهُ وحضر عذابه) لعل ذلك لان اللسان له تصرف في كل موجود وموهوم ومعدوم وله يد في العقليات والخياليات والمسموعات والمشمومات والمبصرات والمذوقات والملموسات، فمن حسب أن الكلام ليس من عمله المترتب عليه الثواب والعقاب لم يبال بالكلام في أباطيل هذه الامور وأكاذيبها، فيجتمع عليه من كل وجه خطيئة فتكثر خطاياهُ. وأما غير اللسان فخطاياهُ قليلة فان خطيئة السمع ليست الا المسموعات وخطيئة البصر ليست الا المبصرات وقس عليهما سائر الجوارح و يقرب منه قول أمير المؤمنين «ع» من كثرت كلامه كثرت خطاؤه، ومن كثرت خطاؤه قل حياؤه، ومن قل حياؤه قل ورعه، ومن قل ورعه مات قلبه، ومن مات قلبه دخل النار» وهذا من باب القياس المفصول النتائج ينتج من كثير كلامه دخل النار، وروى في هذا المعنى من طرق العامة أيضاً «من كثرت كلامه كثرت سقطه، ومن كثرت سقطه كثرت ذنوبه، ومن كثرت ذنوبه فالنار أولى به» و لعل المراد بحضور العذاب حضور أسبابه أو حضور نفسه لان حضور أسباب الشيء دليل على حضور ذلك الشيء، وقد صرح بعض أصحابنا بأن عذاب المستحق له واقع بالفعل وان جهنم لمحيطه به وأنه داخل فيها ولكن الحجاب مانع من رؤيتها الحكمة تقتضيه .

قال: قال رسول الله ﷺ: يعذب الله اللسان بعذاب لا يعذب به شيئاً من الجوارح فيقول: أي ربّ عذّبتني بعذاب لم تعذب به شيئاً، فيقال له: خرجت منك كلمة فبلغت مشارق الأرض و مغاربها، فسفك بها الدّم الحرام و انتهب بها المال الحرام و انتهك بها الفرج الحرام، و عزّتي [و جلالتي] لا عذّبت بك بعذاب لا عذّب به شيئاً من جوارحك.

١٧- و بهذا الإسناد قال: قال رسول الله ﷺ: إن كان في شيء شؤم ففي اللسان.

١٨- عدّةٌ من أصحابنا، عن سهل بن زياد، والحسين بن محمد، عن معلى بن محمد، جميعاً، عن الوشاء قال: سمعت الرضا عليه السلام يقول: كان الرجل من بني إسرائيل إذا أراد العبادة صمت قبل ذلك عشرين.

١٩- محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن بكر بن صالح، عن الغفاري، عن جعفر بن إبراهيم قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: قال رسول الله ﷺ: من رأى موضع كلامه من عمله قلّ كلامه إلا فيما يعنيه.

قوله (فيقول أي ربّ عذبتني بعذاب لم تعذب به شيئاً) من الجوارح أي فيقول اللسان ذلك ولعل الإضافة في قوله (من جوارحك) للمجاورة والملابسة أو للإشارة إلى أن سائر الجوارح تابعة له وهو رئيسها (فيقال له خرجت منك كلمة) سواء كانت تلك الكلمة من باب الفتيا أو غيرها. **قوله** (ان كان في شيء شؤم ففي اللسان) الشوم الشر وشيء مشوم أي غير مبارك، وفيه تنبيه على كثرة شومها له تعلقاً بكل خير وشر فميدان شره أوسع من ميدان شر جميع الجوارح، فمن أطلق عنانه في ميدانه أوردته في مهاوى الهلاك، ولا شوم أعظم من ذلك **قوله** (صمت قبل ذلك عشرين) أي صمت عمالاً ينبغي في تلك المدة ليصير الصمت ملكة له ثم كان يشتغل بالعبادة والاجتهاد فيها لتنع العبادة صافية خالية عن المفساد وفيه تنبيه على ان الصمت اصل عظيم في العبادة و خلوصها وبقائها ومعرفة أحكامها و صيرورتها مرعاة للعابد في الترقيات إلى المقامات العالية.

قوله (من رأى موضع كلامه من عمله قلّ كلامه إلا فيما يعنيه) أي يهمله أو يقصده من عنيت به أي أهتممت واشتغلت به أو من عنيت فلاناً أي قصدته، وفيه تنبيه على أن المتكلم ينبغي أن يعد كلامه من عمله ويتدبر في صحته وفساده وضره ونفعه، فان رآه صحيحاً لا يترتب عليه شيء من المفساد آجلاً وعاجلاً تكلم به وان رأى خلاف ذلك أمسك عنه.

٢٠- أبو علي الأشعري، عن الحسن بن علي الكوفي، عن عثمان بن عيسى، عن سعيد بن يسار، عن منصور بن يونس، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: في حكمة آل داود على العاقل أن يكون عارفاً بزمانه، مقبلاً على شأنه، حافظاً للسانه .

قوله (على العاقل أن يكون عارفاً بزمانه مقبلاً على شأنه حافظاً للسانه) على الماقل أن يعرف حال أهل زمانه من الخير والشر والصالح والفساد والباطل ويميز بينهم ليصفوله معنى الصحة والعشرة ويبدو له محل الفرقة والعزلة ويتمكن من اجراء السياسة المدنية على القوانين النبوية، ويحب الله ويبغض في الله ويراعى الحزم والتقية في موضعها وان يقبل على شأنه فيصالح حاله ظاهراً وباطناً بالسياسة البدنية ليتمكن من العروج في المعارج الروحانية وان يحفظ لسانه عن اللغو والمزخرفات الشيطانية قال أمير المؤمنين عليه السلام «ع» اذا تم العقل نقص الكلام» (١) وذلك لان تفكره في الله يمنعه من الاشتغال بما لا يعنيه.

(١) «قوله «ع» اذا تم العقل نقص الكلام» ان للانسان قوة تسمى بالمتخيلة او المتصرفه او المتفكرة أو المتذكرة باعتبارات مختلفة وهي عند الحكماء قوة جسمانية يعنون ان النفس يحتاج في استخدامها الى آلة جسمانية هي الروح المصبوب في التجويف الاوسط من تجاويف الدماغ وعملها التركيب والتفصيل في مخزونات الذهن أى في القوة الحافظة ومن يستعمل القوة المتخيلة كثيراً الشعراء اذ يتفحصون عن كل شى وما يناسبه ويشابهه ويتبعون صفاته ومحاسنه ومقابحه واما يؤثر في نفوس السامعين من الشوق والنفرة وأمثال ذلك وهذا البحث البالغ عن مكنونات الخواطر لقوة من قوى الانسان يختلف فيها أفراد البشر ضعفاً و شدة . ويستعملها أيضاً المخترعون والمهندسون بجمع الاشكال وتفريقها ويستعملها العلماء والحكماء عند الاستدلال والتفكر في تهية المقدمات وتركيبها واستنباط المجهولات من المعلومات بتفحص ما في حافظتهم ليجدوا ما ينفع في مقصودهم ويستعملها الناس جميعاً لتذكر ما غاب عن ذهنهم بتتبع ما ارتكز في خاطرهم حتى يتذكروا ما لم ينسوه وقد يتسلسل بسببها مكنوناتهم باختيارهم أو بغير اختيارهم خدمة لقوتهم المسماة بالواهمة وقد اشرنا الى الواهمة . وعلى كل حال المتخيلة قوة جسمانية اذ يعرض بكثرة أعمالها الكلال والاعياء بل العجز وهذه من صفات الاجسام بخلاف العقل فانه لا يكل بتكثر المعقولات ولا يعجز عن حملها والعقل اذا تم وكمل منع بقاها ريته جميع القوى عن الاسترسال فيما لا يفيد و أجبرها على خدمته فلامجال للمتخيلة العاقل الا في التفكير الصحيح ولذلك قد تسمى متفكرة ولا يبقى لها فرصة لتركيب الفضول والهذرو خدمة الواهمة في ما لا يعنيه ونعلم أن التكلم غير ممكن الا باعمال المتخيلة من تركيب المفاهيم * شرح الاصول الكافي - ٢٠ -

٢١- محمد بن يحيى، عن محمد بن الحسين، عن علي بن الحسن بن رباط، عن بعض رجاله، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لا يزال العبد المؤمن يكتب محسناً مادام ساكناً، فإذا تكلم كتب محسناً أو مسيئاً.

(باب المداراة)

١- علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن النوفلي، عن السكوني، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ثلاث من لم يكن فيه لم يتم له عمل: ورع يحجزه عن معاصي الله وخلق يدارى به الناس وحلم يرد به جهل الجاهل.

٢- محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن علي بن الحكم، عن الحسين ابن الحسن قال: سمعت جعفرأ عليه السلام يقول: جاء جبرئيل عليه السلام إلى النبي صلى الله عليه وآله فقال

قوله (لا يزال العبد المؤمن يكتب محسناً مادام ساكناً) لان سكوت المؤمن عمالاً يعنى احسان عظيم على نفسه بل على غيره.

قوله (ثلاث من لم يكن فيه لم يتم له عمل) العمل التام هو العمل الخالص الغير المشوب بشئ يوجب فسادة أو نقصانه وهذه الثلاث أولها ورع يحجزه عن معاصي الله اذ من لم يكن له ورع يصدر منه المعاصى كثيراً فلا يكون عمله تاماً بل مختلطاً وثانيها خلق يدارى به الناس أى يلاطفهم و يلاينهم و يحسن صحبتهم و يحتمل منهم كيلاً يتنفروا عنه، ومن لم يكن له هذا الخلق لم يتم له عمل اذ كثيراً ما يصدر منها المكاشفة والخشونة والمناقشة والمجادلة والمقاولة و هذه الامور توجب فساد عمله أو نقصانه، و ثالثها حلم يرد به جهل الجاهل أى ملكة لاتنفعل بها النفس عما صدر من الجاهل من السفاهة و الايذاء و الاستخفاف و الاضرار بل ترد بها جميع ذلك بالعفو عنه قال بعض الحكماء : موضعان لا اعتذر من العي فيهما اذا خاطبت جاهلاً و اذا سألت حاجة و من لم يكن له حلم يصدر منه مثل ما صدر من الجاهل فلا يكون عمله تاماً أيضاً.

* والمعاني واحضار مكنونات الخواطر مما لا يفيد فائدة أو يفيد ولو صرف النظر عن هذه النقضية والعيب فالكلام بنفسه دليل على العقل وأن صاحبه مدرك للكليات لان الالفاظ غالباً كليات ولذلك سمى ادراك الكليات نطقاً ولا يتكلم الحيوان اذ لا يدرك الكلى بل انما يتأثر حاسته من الموجودات الخارجية فقط و من الله تعالى على الانسان بتعليم البيان فمقصود الامام ع، نقص الكلام فى الفضول و ما لا يعنى ولا ينفع أو يضر، وخلق الكلام ليكون معيناً للعقل لا يمينه عن وظائفه. (ش)

يا محمد ربك يقرئك السلام ويقول لك دار خلقتي .

٣- عنه ، عن أحمد بن محمد بن عيسى ، عن ابن محبوب ، عن هشام بن سالم ، عن حبيب السجستاني ، عن أبي جعفر عليه السلام قال في التوراة مكتوب- فيما ناجى الله عز وجل به موسى بن عمران عليه السلام : يا موسى اكنم مكتوم سرّي في سريرتك و أظهر في علانيتك المدارة عنّي لعدوّي و عدوّك من خلقتي ولا تستسب لي عندهم باظهار مكتوم سرّي ، فتشرك عدوّك وعدوّي في سبّي .

٤- أبو علي الأشعري ، عن محمد بن عبد الجبار ، عن محمد بن إسماعيل بن بزيع ، عن حمزة بن بزيع ، عن عبد الله بن سنان ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : أمرني ربّي بمدارة الناس كما أمرني بأداء الفرائض .

قوله (دار خلقتي) و ان كانوا كفارا كما دل عليه قوله تعالى « و قولا له قولا لينا » و من جملة المدارة و الملاطفة استجلاب طبائعهم الى الحق و تأنيبهم به بالحكمة و الموعدة الحسنة قليلا قليلا على سبيل التلطف لادفاعة لثلاث شتمت عن قلوبهم و لا يتنزه عنه طباعهم و لو لم يمكن تأنيبهم به اما لعموضه بالنسبة الى أفهامهم أو لقوة اعتقادهم الباطل ينبغى أن يحملهم عليه بالحيل و التدبير و المقدمات الخطابية حتى يرجعوا من الجهل المركب الى الجهل البسيط ثم يداويه .

قوله (اكنم مكتوم سرّي في سريرتك) لعل المراد بالسريرة القلب و السر واحد الاسرار و هو ما يكتنم ، و اسرار الحديث اخفاء و الاضافة من باب جرد قطيفة للمبالغة ثم أشار الى بعض فوائد الكتمان و ضرر نقضه للترغيب فيه بقوله :

(ولا تستسب لي عندهم باظهار مكتوم سرّي فتشرك عدوّك وعدوّي في سبّي) قال الله تعالى « ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم » وفيه ترغيب في المدارة مع الاعداء و الملاطفة و الملاينة معهم سواء كانت العداوة في الدين أو الدنيا مثل الحقد و الحسد و غيرها لان المدارة من جملة التدبيرات في دفع العداوة ، و من ثم قيل قمع الشر بالخير و بالشر شر و نهى عن المكاشفة بالسب و المخاصمة و المجادلة معهم فان ذلك كثيرا ما يفضى الى المعاملة بالمثل و سبهم الله تعالى أي لاوليائه كما دل عليه بعض الروايات و ضياع الاموال و هلاك النفوس الى غير ذلك من المفاصد الكلية و الجزئية فيتبدد به نظام العالم و صلاح بنى آدم خصوصا صلاح اولياء الله تعالى . هذا بحسب الظاهر ، و أما بحسب الباطن فينبغى أن يتفكر فيما يدفع به عداوته و كيدته بقدر الامكان على ما تقتضيه الحكمة بحيث لا يكون مهيجا للشر و العداوة ، وفيه دلالة على ان السبب للفعل كالفاعل له .

٥- علي بن إبراهيم، عن هارون بن مسلم، عن مسعدة بن صدقة، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: مداراة الناس نصف الإيمان والرِّفق بهم نصف العيش ثم قال أبو عبد الله عليه السلام: خالطوا الأبرار سرّاً وخالطوا الفجار جهاراً ولا تميلوا عليهم فيظلموكم، فإنّه سيأتي عليكم زمان لا ينجو فيه من ذوي الدين إلا من ظنّوا أنّه أبله وصبر نفسه على أن يقال [له]: إنّهُ أبله لاعتقل له.

٦- علي بن إبراهيم، عن بعض أصحابه، ذكره، عن محمد بن سنان، عن حذيفة بن منصور قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إن قوماً من الناس قلت مداراتهم للناس فأنفوا (١) من قريش و أيم الله ما كان بأحسابهم بأسٌ وإن قوماً من غير قريش حسنت مداراتهم

قوله (مداراة الناس نصف الإيمان والرفق بهم نصف العيش) لعل الوجه أن الإيمان عبارة عن توجه القلب الى الله تعالى وترك التعرض لما عداه فإذا تحقق الاول تحقق نصف الإيمان وإذا تحقق الثاني بالمداراة تحقق نصفه الآخر اذ لولا المداراة لاشتغل القلب بوجود مجادلتهم ومناقشتهم و أيضاً الإيمان هو العقد والعمل، والعمل يتم بالمداراة والعيش يتحقق بوجود أسبابه ورفع موانعه ورفع الموانع يتحقق بالرفق ولين الجانب ورفض العنف اذ لولا الرفق لتحقق موانع العيش من وجوه متكررة وفسد نظامه فالرفق نصفه.

قوله (لا ينجو من ذوي الدين الا من ظنوا انه ابله) لكون رسومه وعاداته خلاف رسومهم وعاداتهم من العنف والخشونة والمكر والغدر لزر نفسه بالاداب الشرعية والاخلاق العقلية فظنوا انه أبله لاعتقل له ولا يفهم شيئاً ومن عقله ودينه أيضاً انه صبر نفسه ان يقال له ابله لاعتقل له ولا يزعجه هذا القول عن شيمته ولا يخرجه عن سجيته، وصبر امام مجرد أو مزيد بالثقل، قال في المصباح صبرت صبراً من باب ضرب حبست النفس عن الجزع و صبرت زبداً يستعمل لازماً ومتعدياً و صبرته بالثقل حملته على الصبر بوعده الاجرا و قلت له اصبر به .

قوله (ان قوما من الناس قلت مداراتهم للناس فالقوا (١) من قريش) أى اخرجوا و اطرحوا منهم و لعل المراد بالناس قريش ويحتمل الاعم ثم أشار مؤكداً بالقسم الى ان ذلك الالقاء باعتبار فوات حسب انفسهم و مآثرها الا باعتبار فوات حسب آباءهم و مآثر أسلافهم بقوله (و أيم الله ما كان بأحسابهم بأس) الحسب بفتح تين ما يعده من مآثره و مآثر آباءه والمراد به هنا مآثر الآباء وفيه تنبيه على ان المعتبر في شرف كل رجل انما هو مآثر نفسه، ومن ثم قال الحكماء من فاته مآثر نفسه لم ينتفع بمآثر أبيه، و ايمن اسم استعمل في القسم والتزم رفعه كما التزم رفع لعمر والله وهمزته عند البصريين وصل واشتقاقه من اليمن وهو البركة و عند

فألحقوا بالبيت الرفيع ، قال: ثم قال: من كفَّ يده عن الناس فإنما يكفُّ عنهم يداً واحدة ويكفون عنه أيدي كثيرة .

(باب الرفق)

١- عدَّةٌ من أصحابنا، عن أحمد بن محمد بن خالد، عن أبيه، عمَّن ذكره، عن

الكوفيين قطع لانه جمع يمين عندهم وقد يختصر منه فيقال و ايم الله بحذف النون وفيها لغات كثيرة وتفتح همزتها وتكسر ثم اختصرتانياً فقليل م الله بضم الميم وكسرها وقيل ايم الله اسم برأسه موضوع للقسيم . ولما ذكر حال هؤلاء اثار الى حال من اتصف بالمداواة بقوله (وان قوماً من قریش حسنت مداراتهم فالحقوا بالبيت الرفيع) وهو بيت الشرف والمجد والطاعة والتقوى ومته قوله «ص» «سلمان من أهل البيت» ومحال ان يريد به بيت النسب لانه منزله عن الكذب، و قوله اتبعوني تكونوا بيوتاً أي تشرفوا وذلك لان البيت في عرف اللغنة يعبر به عن الشرف و المجد كما يقال البيت في بنى فلان أي الشرف والمجد فيهم، والى جميع ما ذكر أشار أمير المؤمنين «ع» بقوله «رب بعيداً قرب من قريب وقريب أبعد من بعيد» ثم قال (من كف يده عن الناس فانما يكف عنهم يداً واحدة ويكفون عنه ايدي كثيرة) هذا مثل ما قال أمير المؤمنين «ع» «ومن يقبض يده عن عشرته فانما يقبض منه عنهم يداً واحدة ويقبض منهم عنه ايدي كثيرة ومن تلمن حاشيته (يعنى جانبه) يستدم من قومه المودة» قال السيد رضى الدين رضى الله عنه وما أحسن هذا المعنى الذى اراده «ع» بقوله: «يقبض يده عن عشرته» الى تمام الكلام - فان الممسك خير من عشرته انما يمسك نفع يداً واحدة فاذا احتاج الى نصرتهم واضطر الى مرافقتهم ومعاونتهم قعدوا عن نصره و تناقلوا عن صوته واستنائه فمنع ترافداً ايدي كثيرة وتناهض الاقدام الجمعة. وقال بعض الافاضل تقريره ان الانسان لما كان انتفاعه بالايدي الكثيرة أتم وأولى بصلاح حاله من النفع الحاصل له بقبض يده عن النفع بها ووجب عليه أن يستجلب بمديده بالنفع مداً ايدي الكثيرة الى نفعه و الا لكان بسبب طلبه لنفع ما من امساك يده الواحدة عنهم المستلزم لامساك ايديهم الكثيرة عنه مضياً على نفسه منافع عظيمة فيكون بحسب قصده لنفع ما مضياً لما هو أعظم فيكون مناقضاً لغرضه، وذلك جهل وسفه، وقوله «ومن تلمن» من تمام تأديب الاغنياء بما يعود اليهم نفعه من التواضع ولين الجانب للخلق فاستدرجهم الى التواضع بذكر ثمرته اللازمة عنه التى هي مطلوبة لكل عاقل وهي استدامة مودة الناس المستلزمة لنفعهم ولعدم مضرتهم المستلزمين لصلاح المتواضع فيما يقصده و بمثل ذلك أدب الله تعالى نبيه «ص» حيث قال: «و اخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين» و ظاهر أن غايته المذكورة و ثمرته المطلوبة لا تحصل عند جفاوة الخلق والتكبر كما أشار اليه تعالى بقوله «ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك».

محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى، عن أبيه، عن أبي جعفر عليه السلام قال: إن لكل شيء عقلاً وقفل الإيمان الرُّفْق.

٢ - و بإسناده قال : قال أبو جعفر عليه السلام : من قُسم له الرُّفْق قسم له الإيمان .

٣ - عليُّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن صفوان بن يحيى، عن يحيى الأزرق، عن حماد بن بشير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن الله تبارك و تعالی رقيق يحب الرُّفْق فمن رفق به عباده تسليله أضعافهم ومضادتهم لهواهم و قلوبهم، و من رفق بهم أنه

قوله (ان لكل شيء قفلا) أى حافظاً له مانعاً من ورود أمر فاسد عليه و خروج أمر صالح عنه من باب الاستعارة و تشبيه المعقول بالمحسوس لقصد الايضاح.

(و قفل الإيمان الرفق) وهو لين الجانب والرأفة وترك العنف والجفاوة فى الافعال والاقوال على الخلق فى جميع الاحوال سواء صدر منهم بالنسبة اليه خلاف الاداب اولم يصدر و فيه تشبيه الإيمان بالجوهر والقلب بخزائنه والرفق بالقفل لانه يحفظه عن زواله منه وخروجه عنه و طريان مفاسده عليه.

قوله (ان الله تعالى رقيق يحب الرفق) (١) ثبت اطلاق الرقيق على الله تعالى من طرق العامة أيضاً روى مسلم عن النبى «ص» أنه قال «الله رقيق يحب الرفق، ويعطى على الرفق ما لا يعطى على العنف» قال القرطبى: الرقيق هو الكثير الرفق والرفق يعجى بمعنى التسهيل وهو ضد العنف والتشديد والتعصيب وبمعنى الارفاق وهو اعطاء ما يرتفق به وبمعنى التأني وعدم العجلة وصحت نسبة هذه المعانى الى الله سبحانه لانه المسهل والمعطى وغير المعجل فى عقوبة العاصاة . اقول للرفق معنى آخر يصح له تعالى أيضاً وهو احكام العمل، قال فى المصباح رقت العمل من باب قتل أحكمته ومعنى يحب الرفق انه يأمر به ويحض عليه ويريد صدوره منهم ويثيبهم له ولما أشار اجمالاً الى أنه تعالى رقيق أشار الى بعض جزئيات رفقته.

(فقال فمن رفق به عباده تسليله اضعافهم) السل والتسليل اخراج الشيء برفق تقول

(١) قوله «ان الله تعالى رقيق يحب الرفق» يدل على أن ملاك حسن الاخلاق و فضاء الملوكات وجود مثلها أو ما يناسبها فى صفات الله تعالى مثلاً الله كريم يحب الكرم فالكرم من الملوكات الفاضلة وحليم يحب اللحم، والجود وحسن لان الله جواد، والسخاء حسنة وان لم يوصف الله تعالى بالسخاء لكن وصف بما يناسبها والشجاعة حسنة ولا يقال له تعالى شجاع لكن يتصف بعدم الخوف وهذا معنى ما قيل تخلقوا باخلاق الله تعالى وبالجملة هو الموجود الكامل الجامع لجميع الكمالات المنزه من جميع النقائص، وتحصيل كل كمال تشبه بالخالق تعالى وما يسلب عنه كالجسمية والمحسوسية والمكان والزمان والتركيب و أمثال ذلك من صفات النقص ويجب الترفع عنها على الانسان بقدر استطاعته وهو معنى التقرب الى الله وجعله غاية للعبادات، (ش)

يدعهم على الأمر يريد إزالتهم عنه رفقاً بهم لكيلا يلقي عليهم عرى الايمان و مناقلته جملة واحدة فيضعفوا فاذا أراد ذلك نسخ الأمر بالأخر فصار منسوخاً.

سللت السيف اذا أخرجته من غمده، والضغن الحقد والعداوة والبغضاء، تقول ضغن صدره ضغناً من باب تعب أى حقد، والاسم الضغن والجمع الاضغان مثل حمل وأحمال، ولعل المراد بتسليها اخراجها بالرفق والتدرج عن قلوبهم و توفيقهم على دفعها باستعمال أسبابه و عدم تكليفهم به دفعة فان دفعها دفعة صعب عليهم.

(و مضادتهم لهواعم و قلوبهم) (١) بين الاهواء النفسانية والاخلاق الرذيلة مثل الطمع و الحرص والاسف على فوات الدنيا والغضب والغليظ والغرة وغيرها و بين القلوب العاقلة المقتضية للاخلاق الفاضلة مضادة تريد كل واحدة الغلبة على الاخرى و الله سبحانه لرفقه بهم أمرهم برفعها و اخراجها على سبيل التدرج لادفعة لثلا يصعب ذلك عليهم.

(و من رفته بهم انه يدعهم على الامر يريد ازالتهم عنه رفقاً بهم لكيلا يلقي عليهم عرى الايمان و مناقلته جملة واحدة فيضعفوا فاذا اراد ذلك نسخ امر بالآخر فصار منسوخاً) عروة الكوز اذنه والجمع عرى مثل مدية و مدى و عروة الايمان أحكامه وآثاره و خواصه على التشبيه بالعروة التى يتمسك بها ويستوثق فان العبد باحكام الايمان يحمله كما أن شارب الماء يحمل الكوز بعروته. ولعل المراد انه تعالى يعلم ان صلاح العباد فى أمرين و انه لو كلفهم بهما دفعة وفى زمان واحد ثقل ذلك عليهم وضعفوا عن تحملها فمن رفته بهم أن يأمرهم بأحدهما و يدعهم عليه حيناً، ثم اذا أراد ازالتهم عنه نسخ الامر الاول بالامر الاخر ليفوزوا بالمصلحتين و هذا وجه آخر للنسخ غير ما هو المعروف من اختصاص كل أمر بوقت دون آخر والله اعلم .

(١) قوله «ومضادتهم لهواعم و قلوبهم» الهوى هو القوة الواهمة وما يتفرع عليهما كالشهوة والغضب والطيش، والقلب القوة العاقلة وما ينشعب منها كالحلم والرفق والتثبت و التؤدة ولم يجعل الواهمة فى الانسان الالمصلحته ولو لم يكن الشهوة و حب المنافع لم يطلب الانسان الطعام والنكاح ولم يتحمل مشقة المكاسب وفسد العالم و خربت البلاد و زال العمران ولو لم يكن الغضب والتنفير عن المضار لم يدفع أحد عن عرضه وماله ونفسه وفسد العالم أيضاً ولو لم يكن العقل واسترسل الناس فى طلب شهواتهم واتبعوا عواطفهم مطلقاً لم يترتب الغرض المقصود من خلقه الانسان بل كانوا كسائر الحيوانات ونوعاً من أنواعها فرفق الله بهم وجعل فيهم الهوى والقلب و سلط القلب أى العقل والقوة الناطقة على الهوى أى الوهم ليصلحه بالرفق والمدارة ولم ينزع العقل والواهم عنهم حتى يتهرم على الخير والشر رفقاً بهم. (ش)

٤- محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن ابن محبوب، عن معاوية بن وهب عن معاذ بن مسلم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: الرفق يمن والخرق شوم.

٥ - عنه، عن ابن محبوب، عن عمر بن شمر، عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام قال: إن الله عز وجل رفيق يحب الرفق ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف.

٦- علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن عمر بن أذينة، عن زرارة عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إن الرفق لم يوضع على شيء إلا زانه

قوله (الرفق يمن والخرق شوم) (١) اليمن البركة يقال يمن الرجل على قومه و لقومه بالبناء للمفعول فهو يمومون و يمنه الله يمينه يمناً من باب قتل اذا جعله مباركا، والخرق بالضم والسكون، اسم ضد الرفق يقال خرق خرقاً اذا عمل شيئاً فلم يرفق فيه فهو أخرق و الاثنى خرقاء مثل أحمر و حمراء وقد يفسر الخرق بالجهل لانه ينشأ منه والشوم ضد اليمن ورجل مشوم أى شريف غير مبارك، وانما كان الرفق يمناً لانه منشأ لصحة النظام وسبب للخيرات وكل ذلك مبارك والخرق عكس ذلك فهو غير مبارك.

قوله (و يعطى على الرفق ما لا يعطى على العنف) أى يعطى على الرفق فى الدنيا من الثناء الجميل وفى الآخرة من الثواب الجزيل (٢) ما لا يعطى على العنف الجايز فاذا كان أمر يسوغ الشرع أن يوصل اليه بالرفق والعنف فسلوك طريق الرفق أولى لما يحصل من الثناء على صاحبه وغير ذلك من منافعه التى لا تحصى.

قوله (أن الرفق لم يوضع على شيء الا زانه ولا نزع من شيء الا شانه) زانه من باب

(١) «والخرق شوم» الخرق أيضاً طيش و غضب و تسرع الى الشر وهى من لوازم القوة الواهمة و ادراك مصاديق المعانى الجزئية وهى جسمانية بدليل أن غير العاقل يسترسل فيما يقتضيه هذه الحالات قهراً جبراً وقلنا أن الجسمانيات تترتب على أسبابها قهراً و لو كان العقل أيضاً جسمانياً كان تترتب مقتضاه أيضاً قهراً. (ش)

(٢) قوله «وفى الآخرة من الثواب الجزيل» أصل الرفق ملكة تبقى مع بقاء النفس وهكذا كل ملكة لا يتوقف على آلة جسمانية مثلاً ملكة الكتابة والنطق باليد واللسان لا تبقى عند زوال اليد واللسان وأما ملكة الايمان والتقوى من صفات النفس لا باعتبار تعلقها فتبقى معها لعدم توقفها على الالات البدنية وسيجىء ان شاء الله اثبات بقاء النفس المجردة بملكاتها فى موضع أليق. (ش)

ولانزع من شيء إلا شأنه.

٧ - عليؑ، عن أبيه، عن عبدالله بن المغيرة، عن عمرو بن أبي المقدام، رفعه إلى النبي ﷺ قال: إنَّ في الرفق الزيادة والبركة و من يحرم الرفق يحرم الخير.

٨ - عنه، عن عبدالله بن المغيرة، عمَّن ذكره، عن أبي عبدالله ﷺ قال: ما زوي الرفق عن أهل بيت إلا زوي عنهم الخير.

٩ - عدَّةٌ من أصحابنا، عن أحمد بن أبي عبدالله، عن إبراهيم بن محمد الثقفي، عن علي بن المعلّى، عن إسماعيل بن يسار، عن أحمد بن زياد بن أرقم الكوفي، عن رجل، عن أبي عبدالله ﷺ قال: أيُّما أهل بيت أعطوا حظَّهم من الرفق فقد وسَّع الله عليهم في الرزق، والرفق في تقدير المعيشة خير من السَّعة في المال، و الرفق لا يعجز عنه شيء و التبذير لا يبقى معه شيء، إنَّ الله عزَّ وجلَّ رفيقٌ يحبُّ الرفق.

١٠ - علي بن إبراهيم رفعه، عن صالح بن عقبة، عن هشام بن أحمر، عن أبي -

سار وزينه بمعنى والاسم الزينة والزين نقيض الشين وشانه من باب باع شيئاً عابه، و هذا الحديث رواه مسلم بعينه عنه «ص» فهو متفق عليه بين الامة.

قوله (أن في الرفق الزيادة والبركة) أي زيادة الرزق والبركة فيه أو زيادة الخير لكونه ذريعة الى منافع الدنيا والاخرة ومستلزماً للخصال المرضية والكمالات السنية بخلاف الخرق فانه مع كونه نقصاً في ذاته وتاباً للجهالات جالب للشور ومانع من الخيرات.

قوله (أيما أهل بيت أعطوا حظهم من الرفق) أي رفق بعضهم ببعض أو رفقهم بخلق الله (فقد وسع الله عليهم في الرزق) لان الرفق أشد جاذب له وسبب لرفقه تعالى بهم في ايصاله و تسهيل طريقه. وفيه ترغيب في اكتساب الرفق كما أن قوله (والرفق في تقدير المعيشة) أي التوسط بين التقدير والتبذير (خير من السعة في المال) بلا تقدير المعيشة ترغيب في اختيار التوسط في المعيشة وهي مكسب الانسان الذي يعيش به وأشار الى وجه ذلك بقوله (والرفق لا يعجز عنه شيء) أي الرفق في تقدير المعيشة لا يضعف ولا يقصر عنه شيء من المال لان القليل من المال يكفي مع التقدير والقدر الضروري قد ضمنه العدل الحكيم ولا بد من حصوله (والتبذير لا يبقى معه شيء) من المال كما هو المشاهد المجرب، ثم حث على الرفق مطلقاً أو على الرفق في تقدير المعيشة بقوله (ان الله عز وجل رفيق يحب الرفق) لانه أقوى سبب لبقاء نظام الكل والجزء المطلوب عقلاً و شرعاً .

- الحسن عليه السلام قال : قال لي - و جرى بيني وبين رجل من القوم كلامٌ فقال لي - :
ارفق بهم فإن كفر أحدهم في غضبه ولاخير فيمن كان كفره في غضبه.
- ١١- عدّةٌ من أصحابنا، عن سهل بن زياد، عن علي بن حسان، عن موسى بن بكر، عن أبي الحسن موسى عليه السلام قال: الرفق نصف العيش.
- ١٢- علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن النوفلي، عن السكوني، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إن الله يحب الرفق ويعين عليه، فإذا ركبت الدواب العجف فأنزلوها منازلها، فإن كانت الأرض مجدبة فأنجوا عنها وإن كانت مخصبة فأنزلوها منازلها.
- ١٣- عدّةٌ من أصحابنا، عن أحمد بن أبي عبد الله، عن عثمان بن عيسى، عن عمرو بن شمر، عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لو كان الرفق خلقاً يرى ما كان ممّا خلق الله شيءٌ أحسن منه.
- ١٤- أبو علي الأشعري، عن محمد بن عبد الجبار، عن ابن فضال، عن ثعلبة بن -

قوله (فان كفر أحدهم في غضبه) الغضب كثيراً ما يفضي الى الكفر بمعنى الارتداد و الجحود وأما الكفر بمعنى ترك الأمور به فهو لازم له قطعاً .

قوله (الرفق نصف العيش) العيش الطيب يحصل بالكفاف والرفق الموجب للتودد و التآلف فالرفق نصف العيش خصوصاً مع الخدمة والعبيد والاهل، ومن الرفق بهم أن يصفح عن زلاتهم وأن يكلفهم دون طاقتهم وان يطعمهم ويلبسهم ما يطعمه ويلبسه .

قوله (فاذا ركبت الدواب العجف) الفرس العجف الضعيف المهزول والاشئى العجفاء وتجمع على عجف كصماء على صم وعلى عجاف بالكسر على غير قياس لان أفعل فعلاء لا يجمع على فعال، وانما خص العجف بالذكر لان رعاية حالها أهم والا فالحكيم - وهو قوله (فانزلوها منازلها) أى منازلها اللاتمة بحالها من حيث الماء والكلاء - غير مختص بالجربان في غير المهزولة أيضاً (فان كانت الارض مجدبة فأنجوا عنها) أجذب الارض وجدها مجدبة لاعشب فيها ولاكلاء من الجذب وهو القحط، ونجا ينجو بالجم اذا أسرع في السير ونجا من الامر اذا خلص وأنجاه غيره . وفي طرق العامة عنه «ص» «اذا سافرتم في الجذب فاستنجوا أى أسرعوا في السير لتخلصوا منه» . وفي رواية اخرى لهم «فانجوا» كما فيما نحن فيه (وان كانت مخصبة فانزلوها منازلها) الخصب بالكسر النماء والبركة خلاف الجذب وهو اسم من أخصب المكان بالالف فهو مخصب وأخصب الله الموضوع اذا انبت فيه العشب والكلاء .

ميمون، عن حدّثه، عن أحدهما عليهما السلام قال: إن الله رفيق يحب الرّفق ومن رفقه بكم تسليلاً أضغانكم ومضادّة قلوبكم وإنه يريد تحويل العبد عن الأمر فيتركه عليه حتى يحوّل له بالناسخ كراهية تتأقل الحقّ عليه.

١٥- عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن النوفليّ، عن السكونيّ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ما اصطحب اثنان إلا كان أعظمهما أجراً وأحبّهما إلى الله عزّ وجلّ أرفقهما بصاحبه.

١٦- أبو عليّ الأشعريّ. عن محمد بن حسنّ، عن الحسن بن الحسين، عن الفضيل ابن عثمان قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: من كان رفيقاً في أمره نال ما يريد من الناس.

(باب التواضع)

١- عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن هارون بن مسلم، عن مسعدة بن صدقة، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: أرسل النجاشيّ إلى جعفر بن أبي طالب وأصحابه فدخلوا عليه وهو في بيت له جالس على التراب وعليه خلقان الثياب قال عليه السلام: فقال جعفر فأشفقنا منه حين رأيناه على تلك الحال، فلمّا رأى ما بنا وتغيّر وجوهنا قال: الحمد

قوله (و من رفقه تسليلاً أضغانكم و مضادّة قلوبكم) لعل المراد بمضادّة القلوب ما يضاد الحكمة و الاخلاق الفاضلة. و بالرفق في تسليطها الامر بازالتها تدريجاً بالحكمة العملية و الاداب الشرعية لادفعة فان ازالتها دفعة صعب و الله سبحانه لرفقه بعباده لم يكلفهم بها. **قوله** (و انه ليريد تحويل العبد عن الامر فيتركه عليه حتى يحوّل له بالناسخ كراهية تتأقل الحقّ عليه) لعل الكراهية علة لتحويله بالناسخ و الحق الامر المنسوخ و وجه التناقل ان النفس يتأقل عليها الامر المكرر و تنشط بالامر الجديد، او علة لتحويله بالناسخ دون جمعه معه مع ان في كلا الامرين صلاح العبد الا ان الرفق يقتضى النسخ لثلاث يتناقل الحقّ عليه. و الله اعلم .

قوله (من كان رفيقاً في أمره نال ما يريد من الناس) لان رفقه بهم يوجب ميل القلوب اليه و التألف و التودد بينهم وله مدخل عظيم لنيل المقصود منهم.

قوله (قال ارسل النجاشيّ) النجاشيّ ملك الحبشة مخفف عند الاكثر (و عليه الخلقان الثوب) خلق الثوب بالضم اذا بلى و هو خلق بفتحين و الجمع خلقان و في بعض النسخ «الثياب» و الاضافة من باب جرد قطيفة (فأشفقنا منه) أى خفنا يقال اشفق منه اذا خاف و اشفق عليه اذا

لله الذي نصر محمدًا وأقرَّ عينه ، ألا أُبشِّرُكم ؟ فقلت : بلى أيُّها الملك ، فقال : إنَّه جاءني الساعة من نحو أرضكم عينٌ من عيوني هناك فأخبرني أن الله عزَّ وجلَّ قد نصر نبيَّه محمدًا ﷺ وأهلك عدوه وأسرَّ فلانٌ وفلانٌ التقوا بوادي يقال له بدرٌ كثير الأراك لكأنِّي أنظر إليه حيث كنت أرى لسيدي هناك وهو رجل من بني ضمرة فقال له جعفر : أيُّها الملك فمالي أراك جالساً على التراب و عليك هذه الخلقان ؟ فقال له : يا جعفر إنَّما نجد فيما أنزل الله على عيسى ﷺ أن من حقَّ الله على عباده أن يحدثوا له تواضعاً عند ما يحدث لهم من نعمة فلما أحدث الله عزَّ وجلَّ لي نعمة بمحمدٍ ﷺ أحدثت الله هذا التواضع فلما بلغ النبي ﷺ قال لأصحابه : إنَّ الصدقة تزيد صاحبها كثرة فتصدَّقوا يرحمكم الله ، وإنَّ التواضع يزيد صاحبه رفعة ، فتواضعوا يرفعكم الله ، وإنَّ العفو يزيد صاحبه عزاً ، فاعفوا يعزِّكم الله .

عطف عليه (عين من عيوني) العين الديدبان والجاسوس (التقوا بوادي يقال له بدر كثير الأراك) بدر موضع بين مكة والمدينة وهو إلى المدينة أقرب ، ويقال هو منها على ثمانية وعشرين فرسخاً ، وعن الشعبي انه اسم بئر هناك قال وسميت بدرأ لان الماء كان لرجل من جهينة اسمه بدر . و الأراك شجر يستاك بقصبانه ، الواحدة الأراكة و يقال هي شجرة طويلة ناعمة كثيرة الورق والأغصان خوارة العود ولها ثمر في عناقيد يسمى البربر يملأه العنقود الكف (لكأنِّي أنظر إليه حيث كنت أرى لسيدي هناك) أي لكأنِّي حاضر هناك أنظر إليه و حيث تعليل لكأنِّي أنظر إليه (أن من حقَّ الله على عباده أن يحدثوا له تواضعاً عند ما يحدث لهم من نعمة) كما ينبغي التواضع لله وهو اظهار الخشوع والخضوع والذل والافتقار عند ملاحظة عظمتة وجلاله كذلك ينبغي التواضع له عند التشرف بنعمة من نعمه الدنيوية والاخرية جسمانية كانت أوروحانية والاول أفضل من الثاني لانه تعالى استحق الاول بالذات والثاني بالغير . ان الصدقة تزيد صاحبها كثرة) أي كثرة أموال وأعوان في الدنيا وكثرة الاجر في الآخرة ، و من ثم قيل الصدقة ثمن نعيم الجنان واجر خدم الخلد من الولدان (وان التواضع يزيد صاحبه رفعة) أي التواضع لله وللمؤمنين يوجب رفع قدر صاحبه في الدنيا لميل القلوب الي محبته وتعظيمه وتوقيره وشغل اللسنة بحسن ذكره و ثنائه وتشهيره في الآخرة بعلو المرتبة و الاجر الجميل و سمو المنزلة و الثواب الجزيل (و ان العفو يزيد صاحبه عزاً) لان من عرف بالعفو ساد و

٢- علي بن إبراهيم. عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن معاوية بن عمار، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: سمعته يقول: إن في السماء ملكين موكلين بالعباد، فمن تواضع لله رفعاه ومن تكبر وضعاه.

٣ - ابن أبي عمير، عن عبدالرحمن بن الحججاج، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: أفطر رسول الله صلى الله عليه وآله عشية خميس في مسجد قبا، فقال: هل من شراب؟ فأتاه أوس بن خولي الأنصاري بعس مخيض بعسل فلما وضعه علي فيه نحتاه، ثم قال: شرابان يكتفي بأحدهما من صاحبه، لأشربه ولا أحرّمه ولكن أتواضع لله، فإن من تواضع لله رفعه الله ومن تكبر خفضه الله ومن اقتصد في معيشته رزقه الله ومن بذّر حرمه الله ومن أكثر ذكر الموت أحبّه الله.

٤ - الحسين بن محمد، عن معلى بن محمد، عن الحسن بن علي الوشاء، عن داود الحمّار، عن أبي عبدالله عليه السلام، مثله. و قال: من أكثر ذكر الله أظله الله في جنّته.

عظم و عز في الدنيا والاخرة. وقد روى نظيره من طرق العامة عن النبي صلى الله عليه و آله أنه قال: ما نقصت صدقة من مال، وما زاد الله عبداً بغفواً لغزاً، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله.

قوله (فمن تواضع لله رفعاه ومن تكبر وضعاه) دخل في التواضع الله الامتثال بأوامره ونواهيه وآدابه وأخلاقه والخشوع له عند ملاحظة عظمتها وظهار ذل النفس والعجز عند مشاهدة نعمته، ولعل المراد برفعها ووضعها الدعاء بالرفع والوضع أو اعلام سائر الملائكة بأن فلاناً رفيع القدر وفلاناً ضيع القدر. أو رفع روح المتواضع ووضع روح المتكبر عند الموت.

قوله (بعس مخيض بعسل) أي ممزوج بعسل والضم القدر الكبير والجمع عاس ككتاب، والمخيض فعيل بمعنى مفعول من مخضت اللبن مخضاً من باب قتل وفي لغة من يابى ضرب ونفع اذا استخراجت زبده بوضع الماء فيه وتحريكه (لاشربه ولا حرّمه) دل على أن الاكتفاء بطعام واحد أولى من تناول الاطعمة الكثيرة الممزوجة وغيرها (ومن أكثر ذكر الموت أحبّه الله) لان ذكر الموت يوجب ترك الدنيا والميل الى الاخرة والقيام بوظائف الطاعات وتطهير الظاهر والباطن عن الاعمال والاخلاق الرذيلة و كل ذلك يثمر محبته تعالى.

قوله (من أكثر ذكر الله أظله الله في جنّته) أي من أكثر ذكر الله باللسان والجنان

٥ - عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدَ بْنِ خَالِدٍ ، عَنْ ابْنِ فَضَّالٍ ، عَنْ
 الْعَلَاءِ بْنِ زَرِينٍ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مُسْلِمٍ قَالَ : سَمِعْتُ أَبَا جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَذْكُرُ أَنَّهُ أَتَى رَسُولَ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَلِكًا فَقَالَ : إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَخِيرُكَ أَنْ تَكُونَ عَبْدًا رَسُولًا مُتَوَاضِعًا أَوْ مَلِكًا
 رَسُولًا ، قَالَ : فَظَنَرْتُ إِلَى جِبْرِئِيلَ وَأَوْمَأَ بِيَدِهِ أَنْ تَوَاضِعَ . فَقَالَ : عَبْدًا مُتَوَاضِعًا ، رَسُولًا
 فَقَالَ الرَّسُولُ : مَعَ أَنَّهُ لَا يَنْقُصُكَ مِمَّا عِنْدَ رَبِّكَ شَيْئًا ، قَالَ وَمَعَهُ مَفَاتِيحُ خَزَائِنِ الْأَرْضِ .
 ٦ - عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنِ النُّوفَلِيِّ ، عَنِ السَّكُونِيِّ ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ
عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ : مِنَ التَّوَاضِعِ أَنْ تَرْضَى بِالْمَجْلِسِ دُونَ الْمَجْلِسِ وَأَنْ تَسَلَّمَ عَلَيَّ مِنْ تَلْقَى وَ
 أَنْ تَتْرَكَ الْمِرَاءَ وَإِنْ كُنْتَ مُحَقِّقًا وَأَنْ لَا تَحِبَّ أَنْ تَحْمَدَ عَلَيَّ التَّقْوَى .

عند الطاعة والمعصية والبلية أدخله الله في جنته وأظله بأشجارها أو أوقع عليه ظل رحمته في
 جنته أو أدخله في كنفه وحمايته فان الظل قد يكتفى به عن الكنف والحماية كما يقال فلان
 في ظل فلان أو أقبل الله عليه حتى كأنه ألقى ظله عليه على سبيل التمثيل والظل يطلق على الاقبال
 كما يقال أظلك شهر رمضان .

قوله (قال ومعهُ مفاتيح خزائن الارض) ضمير قال راجع الى أبي جعفر «ع» وضمير
 معه الى الملك الرسول، و المفتاح الذي يفتح به المغلاق و المفتاح مثله و جمع الاول
 مفاتيح، و جمع الثاني مفاتيح بغير ياء، ويمكن حمل مفاتيح خزائن الارض على الحقيقة و
 على استعارة لطيفة وذلك أن العجز وعدم التمكن والقدرة على استيلاء أهل الارض بخزائنها
 لما كان مانعاً من ذلك شبهه بقلق المانع من الدخول في الدار بتناول ما فيها والقدرة والتمكن
 لما كان رافعاً لذلك المانع شبهه بالمفتاح .

قوله (من التواضع أن ترضى بالمجلس دون المجلس) و ان اقتضى شرفك صدره كما
 روى ذلك في وصف النبي «ص» (وان تسلم على من تلقى) أي على كل من تلقى وان لم يكن من
 معارفك الا ما استثنى مثل الكتابي والشابة الا ان تأمن من نفسك أن يدخل فيها شيء ومع ذلك
 فترك السلام عليها راجح لما يأتي في باب التسليم على النساء (وان تترك المراء وان كنت
 محققاً) أي وان تترك المجادلة والمنازعة مع الخلق والظعن في قولهم ولو كانت في الدرس و
 المسائل العلمية وان كنت محققاً الا ان تريد الهداية والارشاد مع لين القول فانه أقوى في
 التأثير، وفي المصباح ماريته اماريه مماراة و مراء جادلته و يقال ماريته أيضا اذا طعنت في
 قوله تزييفا للقول وتصغيراً للقايل ولا يكون المراء الا اعتراضاً بخلاف الجدل فانه يكون
 ابتداءً واعتراضاً (وان لا تحب ان تحمد على التقوى) لان حب ذلك من آثار العجب والادلال والاعتقاد
 بخروج النفس عن حد التقصير، وكل ذلك مذموم مهلك وقد ذكر أمير المؤمنين «ع» في وصف المتقين

٧- علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن علي بن يقطين، عن عمّن رواه عن أبي عبد الله عليه السلام قال: أوحى الله عز وجل إلى موسى عليه السلام أن ياموسى تدري لم اصطفيتك بكلامي دون خلقي؟ قال: يا رب ولم ذاك؟ قال: فأوحى الله تبارك وتعالى إليه ياموسى إنني قلبت عبادي ظهراً لبطن، فلم أجديهم أحداً أذلّ لي نفساً منك، يا موسى إنك إذا صليت وضعت خدك على التراب - أو قال: على الأرض - .

٨- علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن هشام بن سالم، عن أبي عبد الله عليه السلام: قال: مرّ علي بن الحسين صلوات الله عليهما على المجذمين وهوراكب حماره وهم يتغدّون فدعوه إلى الغداء، فقال: أما إنني لولا أنني صائم لفعلت، فلما صار إلى منزله أمر بطعام فصنع، وأمر أن يتنوّقوا فيه، ثم دعاهم فتغدّوا عنده

المتواضعين أنهم لا يرضون من أعمالهم القليل ولا يستكثرون الكثير فهم لانفسهم متهمون و من أعمالهم مشفقون، اذا زكى أحد منهم خاف مما يقال له فيقول أنا أعلم بنفسى من غيرى وربى أعلم منى بنفسى اللهم لا تؤاخذنى بما يقولون واجعلنى أفضل مما يظنون اغفر لى ما لا يعلمون» **قوله** (انى قلبت عبادى ظهراً لبطن) فى المصباح قلبته قلباً من باب ضرب حولته عن وجهه و قلبت الرداء حولته و جعلت أعلاه أسفله و قلبت الشىء للاتباع قلباً أيضاً تصفحته فرأيت داخله و باطنه و قلبت الامر ظهر البطن اختبرته.

قوله (مر علي بن الحسين عليهما السلام على المجذمين) وفى بعض النسخ والمجذومين» يقال رجل أجدم ومجذوم و مجذم اذا تهافتت أطرافه بالجذام و هو داء يحدث من غلبة السوداء فيفسد مزاج الاعضاء و ربما انتهى الى ان يأكلها ويأكل ما يوضع فيها والمرض من هذا الحديث هو اظهار تواضعه «ع» لله تعالى كما يفهم من قوله (وهو راكب حماره) أو للخلق المجذومين فكيف غيرهم كما يفهم من قوله فى الآخر (وتغدّى معهم) والتنوق نيك درنگريستن دركارى و نيكوساختن، أو يقال شىء انيق أى حسن معجب والظاهر انه «ع» أكمل معهم فى اناء واحد و فيه دلالة على جواز مصاحبة المجذوم و معاشرته ومواكلته و يؤيدهما ما رواه المصنف فى كتاب الروضة عن أبي عبد الله «ع» قال «ان اعرابياً اتى رسول الله «ص» فقال يا رسول الله انى اصيب الشاة والبقرة والناقة بالثمن اليسير وبها جرب فاكره شراءها مخافة ان يعدى ذلك الجرب ابلى و غنمى، فقال له رسول الله «ص» يا اعرابى فمن أعدى الاول ثم قال رسول الله «ص» لاعدوى ولا طيرة - الحديث « يعنى لا تجاوز العلة صاحبها الى غيره

تعدّي معهم.

٩- عدّةٌ من أصحابنا ، عن أحمد بن أبي عبدالله ، عن عثمان بن عيسى ،

ومثل هذه الرواية بعينها موجود من طرق العامة أيضاً وهو لا ينافي الرواية المشهورة عندنا و عندهم وهي « فر من المجذوم فرارك من الاسد» فليل للجمع بينهما أن حديث الفرار ليس للوجوب بل للجواز أو الندب احتياطاً خوف ما يقع في النفس من أمر العدو و السراية و حديث الاكل و المجالسة للدلالة على الجواز سيما اذا لم يوجس في النفس خوف العدو. ومما يؤيد ذلك ما روى من طرق العامة عن جابر أنه (ص) أكل مع المجذوم فقال «أكل ثقة بالله و توكل عليه» و من طرقهم أيضاً أن امرأة سألت بعض أزواجه «ص» عن الفرار من المجذوم فقال كلا والله وقد قال رسول الله «ص» لا عدوى، وقد كان لنا مولى اصابه ذلك فكان يأكل في صحافي و يشرب من قداحي و ينام على فراشي . و قال بعض العامة حديث الاكل ناسخ لحديث الفرار، ورده بعضهم بأن الاصل عدم النسخ على أن الحكم بالنسخ يتوقف على العلم بتأخر حديث الاكل و هو غير معلوم و قال بعضهم للجمع ان حديث الفرار على تقدير وجوبه انما كان لخوف أن يقع في العلة بمشية الله فيعتقد ان العدوى حق. أقول بقي احتمال آخر لم يذكره أحد و هو تخصيص حديث لا عدوى بحديث الفرار مع حمل الفرار على الوجوب و أكل المعصوم معه لا يدل على جواز ذلك لغيره لعلمه بأن الله تعالى يحفظه عن تعدى العلة اليه، ثم لو قيل بوجوب الفرار فمنعه من المسجد والاختلاط بالناس والدخول على الحمامات غير بعيد ، و قال عياض : اذا كثر المجذومون فقال الاكثر يؤمرون ان ينفردوا في موضع (١) عن الناس ولا يمتنعون من التصرف في حوائجهم، و قيل لا يلزمهم الانفراد و لم يختلف في القليل أنهم لا يمتنعون ولا يمتنعون من صلوة الجمعة مع الناس

(١) قوله «يؤمرون ان ينفردوا في موضع» هذا طريقة يسلكها أهل هذا الزمان و الجذام مرض لم يهتد الاطباء بعد الى علاجه و ينسبه اطباء عصرنا الى جرثومة يسمونها «دهانسن» و لها قرابة مع جرثومة السل أعادنا الله منها و من غيرها ولما أثبت التجربة سراية كثير من الامراض ووردت أحاديث تدل على السراية تكلفوا لتأويل ماورد في نفيها مثل قوله «ص» «لا عدوى» بان ليس المراد من العدوى السراية مطلقاً بل نحو منها كان يعتقد ان الناس في الجاهلية، أو انها العلة التامة لايجاد المرض بحيث لو تجنب المرضى كان مصوناً ولو لاقاهم ابتلى حتماً و كان هذا سبباً لاهمال المرضى و ترك تمريضهم و رعايتهم و عيادتهم و أما ان اعتقد السراية بمشية الله وتأثيرها في الجملة أن أراد الله فلا محذور فيه ولا يوجب ترك المرضى و اهمالهم، لان احتمال النضر بنجاة الواقع في المهلكة لا يحمل النفوس الخيرة على أن يدعوا المرضى بل يخطرون بنفسهم لنجاتهم و اعانتهم. (ش)

عن هارون بن خارجة ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : إن من التواضع أن يجلس الرجل دون شرفه .

١٠- عنه ، عن ابن فضال ومحسن بن أحمد ، عن يونس بن يعقوب قال : نظر أبو عبد الله عليه السلام إلى رجل من أهل المدينة قد اشترى لعياله شيئاً وهو يحمله ، فلما رآه الرجل استحى منه ، فقال أبو عبد الله عليه السلام : اشتريت لعيالك وحملته إليهم أما والله لولا أهل المدينة لأحببت أن أشترى لعيالي الشيء ثم أحمله إليهم .

١١- عنه ، عن أبيه ، عن عبد الله بن القاسم ، عن عمرو بن أبي المقدام ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : فيما أوحى الله عز وجل إلي داود عليه السلام يا داود كما أن أقرب الناس من الله المتواضعون كذلك أبعدهم الناس من الله المتكبرون .

١٢- عنه ، عن أبيه ، عن علي بن الحكم رفعه إلى أبي بصير قال : دخلت على أبي الحسن موسى عليه السلام في السنة التي قبض فيها أبو عبد الله عليه السلام فقلت : جعلت فداك مالك ذبحت كبشاً ونحر فلان بدنة ؟ فقال : يا أبا محمد إن نوحاً عليه السلام كان في السفينة

و يمنعون من غيرها ، ولو تضرر أهل قرية من جذماء يشاركونهم في الماء فان قدروا على أن يستنبطوا ماء لانفسهم فعلوا والاستنبط لهم الآخرون أو يقيمون من يسقى لهم والافهم أحق بنصيبهم .
قوله (اما والله لولا أهل المدينة لأحببت) دل على أن من التواضع قيام الرجل بنفسه على حوائج الأهل والعيال و ان أمكن بغيره وانه اذا لاهم أهل المدينة بذلك كان الأولى تركه والحوالة على غيره مع الامكان .

قوله (كما ان اقرب الناس من الله المتواضعون) أى المتواضعون لله ولرسوله ولأولى الامر وللمؤمنين الصالحين ولمن لا يعلم فسقه الموجب لاهانة الدين مع قصد وجه الله تعالى فلو تواضع أحد لغرض اشتهاره بهذه الفضيلة أو لامر دنيوى كان يتواضع أبناء الدنيا لدنياهم و ان لم يكونوا ظالمين فهو من المرائين ، ومن ثم قال بعض الأكابر من التواضع أن يرى الرجل نفسه أدنى ممن دنياه أقل ليظهر أن الدنيا لا قدر لها عنده وأرفع ممن دنياه أكثر ليظهر أن لا قدر له عنده بسبب كثرة الدنيا والمراد بقوله ارفع ترك التواضع دون التكبر لان التكبر مذموم مطلقاً ثم الفرق بين المتواضع والمتكبر ظاهراً لان المتواضع في مقام الذل والخشوع و العبودية والتكبر في مقام العلو والعتو والمضادة ومن البين أن قرب أحد المتقابلين بشيء يستلزم بعد الآخر عنه .

و كان فيها ماشاء الله و كانت السفينة مأمورة فطافت بالبيت و هو طواف النساء و خلى سبيلها نوح عليه السلام، فأوحى الله عز وجل إلى الجبال أني واضع سفينة نوح عبدي على جبل منكن، فتناولت و شمخت و تواضع الجودي و هو جبل عندكم فضربت

قوله (فطافت بالبيت وهو طواف النساء) ذكر أولاً طواف البيت وذكر آخره الجزء الأخير منه للدلالة على أنها أتت بجميع الأفعال حتى الجزء الأخير. (فتناولت و شمخت) تناولت غلبه كردن بر يكديگر بدرازی، والشموخ بلند كردن و تكبر كردن و فعله من باب منع و الجبل الشامخ المرتفع، ومنه قيل شمع بأفنه اذا تكبر و تعظم و ذلك لظن كل واحد من تلك الجبال نظراً إلى عظمتة حجمه و زيادة عرضه و طول مقداره أنه ذلك الجبل الموعود.

(و تواضع الجودي) نظراً إلى صغر حجمه و قلة عرضه و قصر مقداره و قطع الطمع من أن يكون هو ذلك الجبل الموعود مع وجود الجبال الشامخات. قيل هو جبل صغير كان في نجف أمير المؤمنين «ع» وقال صاحب القاموس هو جبل بالجزيرة استوت عليه سفينة نوح «ع» وفيه دلالة على ان للجبال نفوساً (١) والحمل على نحو من التخيل و نوع من التمثيل، أو على أنه

(١) قوله «على ان للجبال نفوساً» الذي هدى الناس إلى وجود النفوس ودعاهم إلى القول به في النبات والحيوان مشاهدة أمور فيها لا يمكن أن ينسب إلى الطبيعة أي الصورة النوعية التي وجدوا مثلها في الجمادات لعدم كونها على نهج واحد فالشجر ينمو ويتفرع من أصله الاغصان والاوراق وفي كل واحد عروق كثيرة دقيقة و غليظة وله خشب و جلد و أزهار و ثمار وبالجملة له آلات مختلفة متشعبة لاعلى نهج واحد لافعال و وظائف مختلفة متجهة إلى مقصد واحد و مصلحة الجملة والجمادات يترتب عليها آثار على نهج واحد ولوضم جماد إلى جماد لم يتوجها إلى مقصد واحد في آثارها ولم يعمل كل لمصلحة الآخر كما نرى في أعضاء النبات وآلاتها، بل يعمل كل لمصلحة أفراد آخر كالات التناسل في الزهر والبذر لحفظ النوع قالوا فيوجد في النبات شيء هو مبدء لامور لا يوجد مثلها في الجماد وسموه نفساً وكذلك الحيوان والانسان، وأما الافلاك فأرأوا فيها حركة مستديرة وان لم يروا فيها ما في النبات والحيوان من الآلات المختلفة فأثبتوا لها أيضاً نفوساً اذ لا يمكن نسبة حركة مستديرة إلى طبيعة جمادية مثل من يرى رحي يدور بنفسه من غير أن يرى له مديراً من ماء وهواء وغيرهما ينسب دورانه قهراً إلى جن أو ملك أي إلى موجود حتى غائب له ارادة، وأما الجبال فلم يروا فيها ما يستدل به على وجود النفس اذا رآوها كساير الجمادات. ولكن عدم الآثار والشواهد لا يدل على عدم النفس. وانما الدلالة في الوجود فقط، مثلاً وجود الدخان دليل وجود النار أما عدم الدخان فلا يدل*

السفينة بجؤ جوها الجبل ، قال : فقال نوح عليه السلام عند ذلك : يا ماري اتقن ، وهو بالسريانية [يا] رب أصلح ، قال : فظننت أن أبا الحسن عليه السلام عرض بنفسه .
 ١٣ - عنه ، عن عدة من أصحابه ، عن علي بن أسباط ، عن الحسن بن الجهم ، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال : قال : التواضع أن تعطي الناس ما تحب أن تعطاه .

وفي حديث آخر قال : قلت : ما حدث التواضع الذي إذا فعله العبد كان متواضعاً؟ فقال : التواضع درجات منها أن يعرف المرء قدر نفسه فينزلها منزلتها بقلب سليم . لا

تعالى أوجد فيها نفوساً مدركة حين الخطاب بعيد على ان الثاني لا ينافي القول بوجود النفوس لها والله اعلم ، (فضربت السفينة بجؤ جوها الجبل) «اللام» في الجبل للهدى اشارة الى الجبل الذي هو الجودي . والجؤ جو كهدهد الصدر (قال فظننت أن أبا الحسن «ع» عرض بنفسه) التعريض توجيه كلام الى جانب و ارادة جانب آخر تقول عرضت له وبه اذا قلت قولاً و أنت تمنيه فكأنك أشرت به الى جانب و تريد جانباً آخر لم تذكره فالتعريض خلاف التصريح وهو «ع» أشار الى تواضع الجودي ، وما بلغه من تواضعه و أراد به تواضع نفسه المقدسة باحتقارها في ذبح الشاة فان في ذبحها من اظهار العجز والافتقار ما ليس في ذبح البدنة .
قوله (قال التواضع أن تعطي الناس ما تحب أن تعطاه) أي تحب لهم ما تحب لنفسك و تكره لهم ما تكره لنفسك وتجعل نفسك ميزاناً بينك وبين غيرك فتريد لغيرك كل ما تريد لنفسك من الخيرات الدنيوية والاخرية ولا تريد لغيرك كل ما لا تريد لنفسك من القبائح والشرو و ذلك من أعظم أفراد التواضع وذل النفس و صرفها عن هواها .

قوله (فقال التواضع درجات) التواضع لله و للخلق درجات باعتبار كمال النفس و نقصها و توسطها فمنها أن يعرف المرء قدر نفسه بالنسبة الى ربه وخالقه و رازقه و مدبره

﴿على عدم النار، وعدم مشاهدة آثار النفس في الجبال لا يدل على عدم وجود موجود حي مدبر للجبال نظير تدبير نفس الشجر للشجر. نعم يمكن ان يضيق في اطلاق اسم النفس عليه ولكنه أمر اصلاحي أولغوى يمكن أن يتخلص عنه بان يسمى شيئاً آخر حتى لا يكون غلطاً لغوياً و العمدة اثبات وجود مدبر قاهر حي مرید لتدبير كل شيء، واصطلاح الحكماء على أن يسموا مثله عقلاً ولعل الملائكة الموكلين بالجبال والرياح والامطار والرعد والبرق وغيرها على ما أشير اليه في قوله تعالى «و المدبرات أمراً» هذه الموجودات الحية العاقلة المدبرة المسماة بالعقول والله اعلم بالحقيقة والغرض رفع الاستبعاد عن كلام الشارح واثباته النفس للجبال. (ش)

يحب أن يأتي إلى أحد إلا مثل ما يؤتى إليه، إن رأى سيئة درأها بالحسنة، كاظم الغيظ عاف عن الناس، والله يحب المحسنين.

(باب)

(الحب في الله والبغض في الله)

١- عدّة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد بن عيسى، و أحمد بن محمد بن خالد، و علي بن إبراهيم، عن أبيه، و سهل بن زياد جميعاً، عن ابن محبوب، عن علي بن رئاب، عن أبي عبيدة الحذاء، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: من أحب الله و أبغض الله و أعطى الله فهو ممن كمل إيمانه.

٢- ابن محبوب، عن مالك بن عطية، عن سعيد الأعرج، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: من أوثق عرى الإيمان أن تحب في الله و تبغض في الله و تعطي في الله و تمنع في الله.

فيقيمها في مقام طاعته و يبعدها عن مقام معصيته و يذكره في جميع الحالات بقلب سليم ذليل نقي منقاد، راضياً بجميع ما فعله فيه من البلاء و الآلاء و بالنسبة إلى الخلق يجعلها ميزاناً بينه و بينهم فلا يحب أن يأتي إلى أحد إلا ما يؤتى إليه فإن رأى سيئة منهم بالنسبة إليه دفعها بالحسنة و هي العفو أو الاحسان و بالنسبة إلى الرب بالموعظة البالغة و الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر على الوجه المقرر.

قوله (من أحب الله و أبغض الله و أعطى الله فهو ممن كمل إيمانه) حث على محبة الاخيار و بغض الاشرار و اعطاء المستحق من المال المكتسب من طريق الحلال، و الاخيار منهم من تقدست أنفسهم بالطهارة الاصلية و النزاهة الخلقية عن الملكات الردية و هم الانبياء و الاوصياء عليهم السلام و منهم من يظهر نفوسهم عنها بالعلم بقبحها و الوعيدات الالهية و هم التابعون لهم بالعلم و العمل و محبة هؤلاء من توابع العلم و المعرفة و محبته تعالى و كمال الإيمان و المحب من اولياء الله و من ادعى المحبة بدون علم و معرفة فهو جاهل منور و يكذبه ما روى «ما اتخذ الله ولياً جاهلاً» و ينبغي لمن أبغض في الله أن يجتنب عن الغيبة كما صرح به الشهيد الثاني رحمه الله حيث قال ان البغض في الله قديودى إلى الغيبة وهو حرام و ذلك بأن يبغض على منكر قارفه انسان فيظهر بغضه و يذكر اسمه على غير وجه النهي و كان الواجب أن يظهر بغضه عليه على ذلك الوجه و هذا مما يقع فيه الخواص أيضاً فانهم يظنون أن البغض اذا كان لله كان حسناً كيف كان ، و ليس كذلك.

٣- ابن محبوب، عن أبي جعفر محمد بن النعمان الأحول صاحب الطاق ، عن سلام بن المستنير، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ودُّ المؤمن للمؤمن في الله من أعظم شعب الايمان، ألا ومن أحب في الله وأبغض في الله وأعطى في الله و منع في الله فهو من أصفياء الله.

٤ - الحسين بن محمد ، عن معلى بن محمد ، عن الحسن بن علي الوشاء ، عن علي بن أبي حمزة ، عن أبي بصير ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : سمعته يقول:

قوله (قال من اوثق عرى الايمان) العروة عروة الكوز ونحوه و المراد بها هنا الاحكام والاخلاق والاداب اللازمة للايمان على سبيل المكنية والتخييلية أى كل عروة يتمسك بها متمسك رجاء نجاة من مهلكة أو ظفر بنغيمة ونعمة ومنزلة فأوثقها الحب في الله والبغض في الله والاعطاء في الله والمنع في الله لان من تمسك بها تكامل ايمانه واستقام لسانه و استقر جنانه وبه يتحقق التوحد والتآلف بين المؤمنين ويتم ويكمل نظام الدنيا والدين، وأما الحب لاجل المنفعة والاحسان فهو وان كان في غاية النقصان لتعلقه بالاخيار والاشرار و لكونه سريع الزوال و سقوط رتبته عن الحب في الله بهذا الاعتبار لكنه مستحسن عقلا ومطلوب شرعاً لان له مدخلا أيضاً في تحقق التآلف والتمدن.

قوله (ود المؤمن للمؤمن في الله من أعظم شعب الايمان) و دته اوده من باب تعب وداً بفتح الواو وضمها أحببته والاسم المودة. فسرت الشعبة بالخصلة وأصلها الطائفة والقطعة من الشيء وفي المصباح انشعبت أغصان الشجرة تفرعت عن أصلها و تفرقت ويقال هذه المسئلة كثيرة الشعب أى التفاريع، والشعبة من الشجرة الغصن المتفرع منها والجمع الشعب مثل غرف والشعبة من الشيء الطائفة منه والشعب بالكسر الطريق وقيل الطريق في الجبل. وفي الفائق الشعبة من الشيء ما تشعب منه أى تفرع كغصن الشجرة وشعب الجبل ما تفرق من رؤسها وعندى شعبة من كذا أى طائفة منه. اذا عرفت هذا فنقول للايمان شعب كثيرة كالصلاة والزكاة والصوم والعقائد العقلية الى غير ذلك من الاعمال والاخلاق والاداب الشرعية ومن أعظم ذلك ود المؤمن للمؤمن لحسن صورته الظاهرة بالاعمال الشرعية وصورته الباطنة بالاخلاق المرضية وكلما كانت تلك الصور أحسن وأتم وجب أن يكون المودة أكمل وأعظم ولذلك وجب أن يكون المحبة للرسول وأئمة الدين والاصياء الراشدين صلوات الله عليهم أجمعين في غاية الكمال ومن لوازم محبتهم متابعة أقوالهم وأعمالهم وعقائدهم و قوانينهم بقدر الامكان ثم بعد ذلك المحبة لاخوان الدين وخلص المؤمنين والعلماء والمتعلمين ومن آثارهم رعاية حالهم

إن المتحابين في الله يوم القيامة على منابر من نور ، قد أضاء نور وجوههم ، ونور أجسادهم و نور منابرهم كل شيء حتى يعرفوا به ، فيقال : هؤلاء المتحابون في الله .

٥ - علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن حماد ، عن حريز ، عن فضيل بن يسار قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الحب والبغض ، أمن الإيمان هو ؟ فقال : و هل الإيمان إلا الحب والبغض ؟ ، ثم تلا هذه الآية « حبب إليكم الإيمان

وتفقد أحوالهم و اصلاح بالهم وقضاء حوائجهم والاهتمام بامورهم ومن ادعى المحبة وليست له هذه الاثار فهو معدود من المنافقين والاشرار .

قوله (على منابر من نور) النور الضوء وهو خلاف الظلمة والظاهر أن المراد بالمنابر معناها المعروف (١) و يحتمل أن يراد بها الدرجات العالية لانها كالمنابر بالنسبة الى الدرجات السافلة وأن المراد بالنور الحقيقة اذ التحابب من الاعمال الصالحة وهى على تفاوت مراتبها نور يوم القيامة ، و قوله (حتى يعرفوا) غاية لكونهم على منابر وضاءة نور وجوههم .

قوله (قال سألت أبا عبد الله «ع» عن الحب والبغض أمن الإيمان هو) أى عن حب على «ع» وبغض عدوه ، أو عن حب المؤمنين وبغض عدوهم ، أو عن حب الخير والطاعة و بغض الشر والمعصية . والحصر في قوله (وهل الإيمان الا الحب والبغض) للمبالغة لان الإيمان بالشئ لا يتحقق بدون حب ذلك الشئ و بغض ضده و لعل المراد بالإيمان فى الآية على الاحتمال الاول على «ع» أو الإيمان به . وبالكفر والفسوق و العصيان الثلاثة الغاصبون للخلافة ، أو المراد بالكفر الانكار و الجحود ظاهراً و باطناً و بالفسوق الانكار باطناً فقط و بالعصيان ترك متابعة السنة و عدم الامتثال بالوامر والنواهي مع احتمال أن يراد بالإيمان الإيمان

(١) قوله «المنابر معناها المعروف» ان قيل كيف يتعقل تشكيل النور فى شكل مدرج

وكيف يمكن أن يحبس جسم على نور ولا يسقط؟ قلنا هذا سؤال راجع الى عالم آخر وهو عالم القيامة ولا يقاس أحكام ذلك العالم على المناهذ ولا يجب أن يثبت جميع أحكام الدنيا على الآخرة فلعل النور فى ذلك العالم يتشكل كما أن العمل يتجسم والنية يتصور ويحشر الناس على صور نياتهم و لعل أجسام الآخرة لا يسقط و يتمكن على النور لانها ليست ثقيلة ، و انما يضل الناس بقياس عالم على عالم و اثبات أحكام الدنيا على جميع العوالم ولو بني على ذلك لزم والعباد بالله انكار أكثر الروايات والاخبار الواردة فى تفاصيل المعاد فانها لا تنطبق على أجسام عالمنا هذا ولا يقدم عليه مسلم و أما تأويل المنبر بالدرجات المعنوية فلا ينافى ذلك . (ش)

و زينته في قلوبكم و كرهه إليكم الكفر و الفسوق و العصيان و أولئك هم الرّاشدون» .
 ٦ - عدةٌ من أصحابنا ، عن أحمد بن أبي عبدالله ، عن محمد بن عيسى ، عن
 أبي الحسن عليّ بن يحيى - فيما أعلم - عن عمرو بن مدرك الطائي ، عن أبي عبدالله عليه السلام
 قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله لأصحابه : أيُّ عرى الإيمان أوثق ؟ فقالوا : الله و
 رسوله أعلم ، و قال بعضهم : الصلاة ، و قال بعضهم : الزكاة و قال بعضهم : الصيام . و
 قال بعضهم : الحجّ و العمرة ، و قال بعضهم : الجهاد ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : لكلّ
 ما قلتم فضلٌ و ليس به و لكن أوثق عرى الإيمان الحبُّ في الله و البغض في الله و

بالله و برسوله و حججه عليهم السلام .

قوله (فقال رسول الله «ص» لكل ما قلتم فضل و ليس به و لكن أوثق عرى الإيمان الحب
 في الله) الأعمال الظاهرة بمنزلة الصورة و الأعمال القلبية بمنزلة الروح و نظر الصحابة تعلق
 بحسن الصورة و كمالها و نظر النبي «ص» تعلق بحسن الروح و كماله و لا شك في أن الحب في
 الله و البغض في الله و التولي لاولياء الله و التبري من أعداء الله من صفات القلب (١) و أصل
 الايمان و أوثق عراه و منشأ جميع الخيرات و الكمالات و به يتحقق العروج (٢) الى مقام

(١) قوله « من صفات القلب » القلب في اصطلاح كثير من علماء الاخلاق هو النفس
 الناطقة و صفات انسان و ملكاته بما هو انسان تنقسم الى ما هي له باعتبار أعضائه و جوارحه
 الجسمانية و ليست هي من الكمالات للنفس الناطقة التي توجب سعادتها في الآخرة و بعبارة
 اخرى ليست من صفات القلب ، و الى ما هي لها مع قطع النظر عن هذه الالات و هي التي تبقى
 و توجب سعادتها و بهم علماء الاخلاق ان ينظروا في ذلك و يميزوا بينهما بعلامات حتى لا يصرّوا
 عمرهم في تربية صفات و تكميل ملكات لا تفيد في الآخرة شيئاً و هذه العلامات اما شرعية و
 هي ماورد من أهل بيت العصمة عليهم السلام في المنجيات و المهلكات و أما عقلية اهتدى الناس
 اليها بعقلهم العملي على ما هو مذهبنا من اثبات الحسن و القبح العقليين و يتطابق الشرع و
 العقل في ذلك . (ش)

(٢) قوله « به يتحقق العروج » الايمان أصله اعتقاد و تصديق و لكن لا يمكن انفكاك
 التصديق بالحقائق و الاعتقاد بها عن بهجة للنفس و استحسان لها و لعل معنى الحب و البغض
 على ما يتبادر الى ذهن العامة حالة جسمانية مادية توجب ضربان القلب و شحوب اللون و
 اختلاط الذهن و أمثال ذلك و لذلك التزموا بكون اطلاقهما على الله مجازاً كقوله تعالى
 « ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله » و لكن المراد هنا مطلق البهجة الذي لا يتوقف على هذه *

توالي أولياء الله والتبرّي من أعداء الله.

٧- عنه ، عن محمد بن علي ، عن عمر بن جبلة الأحمسي ، عن أبي الجارود ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : المتحابون في الله يوم القيامة على أرض زبرجدة خضراء ، في ظل عرشه عن يمينه - و كلنا يديه يمين - وجوههم أشدّ بياضاً وأضوء من الشمس الطالعة ، يرغبهم بمنزلتهم كل ملك مقرب وكل نبي مرسل ، يقول الناس : من هؤلاء؟ فيقال : هؤلاء المتحابون في الله.

٨- عنه ، عن أبيه ، عن النضر بن سويد ، عن هشام بن سالم ، عن أبي حمزة

القرب لان الموصوف به لا يترك شيئاً من الخير غالباً لثلايق فيما يفر منه وبينغضه ، وبالجملة الاعمال القلبية هي المصححة للاعمال الظاهرة (١) والاعمال الظاهرة امارات ظنية على كمال فاعلها ومن ثم ورد في الروايات أن الثواب والعقاب على قدر العقول لاعلى الاعمال الظاهرة فلا ينبغى الغلو في تعظيم من حسنت أعماله الظاهرة اذ لعل الله تعالى يعلم من قلبه وصفاً مذموماً لاتصح معه تلك الاعمال ولا في تحقير من ضعف فيه بعض تلك الاعمال اذ لعل الله تعالى يعلم من قلبه وصفاً محموداً يفر له بسببه.

قوله (في ظل عرشه عن يمينه وكلنا يديه يمين) ظاهره أن له عرشاً جسمانياً وان أشرف طرفه يمين والآخر يسار يستقر في الاول أفضل الخلايق وفي الآخر أدونهم فضلاً وكلا الطرفين يمين مبارك يأمن من استقر فيها ولا بعد فيه كما أن له بيتاً والاضافة للتشريف والتعظيم ويحتمل أن يراد به الرحمة ولها أفراد متفاوتة فاقواها يمين وأدونها يسار وكلاهما مبارك ينجو من أهوال القيامة ومثل هذا الحديث رواه العامة عن النبي ص ، وقال عياض ظاهره أنه سبحانه يظلمهم حقيقة من حر الشمس ووهج الموقف وأنفاس الخلائق وهو تأويل أكثرهم قال بعضهم هو كناية عن كنههم وجعلهم في كنفه وستره ، ومنه قولهم السلطان ظل الله وقولهم

﴿التنبيرات الجسمية فانها نواقص لاتناسب أجسام الآخرة ولا يطرئ عليها شيء منها ، و أما أصل البهجة وهي الحب الحقيقي فتبقى للمؤمن مع اعتقاده الحق. (ش)

(١) قوله «هي المصححة للاعمال الظاهرة» ولكن من الاسف أن كثيراً من الناس تركوا الاهم واشتغلوا بالمهم واعتمدوا على الامارات الظنية وتركوا الحقائق اليقينية مثل من يعنى في طلب العلم بتحصيل ورقة تدل على مقامه في العلم لاعلى العلم نفسه فر بما تكون في يده من العلم نصيب وربما لا يكون في يد العالم ورقة تصدق علمه ، كذلك الاعمال الظاهرة امارات ظنية على كمال نفساني ربما تتخلف. والعلم المتعلق بالاخلاق أشرف العلوم العملية. (ش)

الثمالي ، عن علي بن الحسين عليهما السلام قال : إذا جمع الله عز وجل الأولين و الآخرين قام مناد فنادى يسمع الناس فيقول : أين المتحابون في الله ، قال : فيقوم عنق من الناس فيقال لهم : اذهبوا إلى الجنة بغير حساب ، قال : فتلقاهم الملائكة فيقولون : إلى أين؟ فيقولون : إلى الجنة بغير حساب ، قال : فيقولون : فأى ضرب أنتم من الناس؟ فيقولون : نحن المتحابون في الله ، قال : فيقولون : و أي شيء كانت أعمالكم؟ قالوا : كنا نحب في الله و نبغض في الله قال : فيقولون : نعم أجر العاملين.

٩- عنه ، عن علي بن حسان ، عمّن ذكره ، عن داود بن فرقد ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : ثلاث من علامات المؤمن : علمه بالله و من يحب و من يبغض .

١٠- علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن ابن أبي عمير ، عن هشام بن سالم و حفص بن البخري ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : إن الرجل ليحبكم وما يعرف ما أنتم

فلان في ظل فلان أي في كنفه وعزته ، و يمكن أن يكون الظل هنا كناية عن التمتع والراحة من قولهم عيش ظليل (يغبطهم بمنزلتهم كل ملك مقرب وكل نبي مرسل) الغبطة حسن الحال وهي اسم من غبطته غبطاً من باب ضرب اذا تمنيت مثل ما ناله من غير أن تريد زواله عنه لما أعجبك منه و عظم عندك وهذا جائز فانه ليس بحسد فاذا تمنيت زواله فهو الحسد و غبط الرسول ذلك لا يوجب أن يكون منزله دون منزلهم فان ذا المنزل الشريف قد يعجبه منزل آخر دون منزله في الشرافة.

قوله (قام مناد فنادى يسمع الناس فيقول أين المتحابون في الله قال فيقوم عنق من الناس) العنق الجماعة والظاهر أن المنادى غيره تعالى ويفهم من طريق العامة أن المنادى هو الله سبحانه روى مسلم عن النبي ص قال : «ان الله جل وعلا يقول يوم القيامة أين المتحابون بجلالي اليوم أظلمهم في ظلي يوم لا ظل الا ظلي» وقوله بجلالي أي بسبب تعظيم حتى وطاعتي و طلب رضاي لا لمرض آخر دنيوي وهذا النداء نداء تنويه و اكرام.

قوله (ثلاث من علامات المؤمن علمه بالله و من يحب و من يبغض) أي علمه بمن ينبغي أن يحبه و من ينبغي أن يبغضه فان المؤمن يكمل ايمانه بهذه العلوم و يهتدى الى خيره و شره و نفعه و ضره .

عليه فيدخله الله الجنة بحبكم وإن الرجل يبغضكم وما يعرف ما أنتم عليه فيدخله الله يبغضكم النار.

١١- عده، من أصحابنا، عن أحمد بن محمد بن خالد، عن ابن العرزمي، عن أبيه عن جابر الجعفي، عن أبي جعفر عليه السلام قال : إذا أردت أن تعلم أن فيك خيراً فانظر

قوله (ان الرجل يحبكم و ما يعرف ما أنتم عليه فيدخله الله الجنة بحبكم) دل على أن الشيعة يدخل الجنة وكذا من أحبه وان لم تكن من أهل المعرفة لكن بشرط أن لا يكون من أهل الانكار (١) على الظاهر، واما دخول غير العارف المبغض في النار قطعاً بسبب البغض فلا ينافي دخوله فيها بسبب عدم المعرفة أيضاً لانه قد يكون للدخول فيها أسباب متعددة على ان عدم المعرفة المقرون بعدم الانكار لا يوجب الدخول فيها كما في المستضعف لانه في المشية.

(١) قوله ولكن بشرط ان لا يكون من أهل الانكار، قال المحقق الطوسي (ره) في التجريد محاربوا على كفره و مخالفوه فسقة ، و قال العلامة -رحمه الله- في شرحه المحارب لعلى كافر لقول النبي «ص» «يا علي حربك حربي» ولاشك في كفر من حارب النبي «ص» و أما مخالفوه في الامامة فقد اختلف قول علمائنا فمنهم من حكم بكفرهم و ذهب آخرون الى أنهم فسقة وهو الاقوى ثم اختلف هؤلاء على أقوال ثلاثة أحدها أنهم مخلدون في النار لعدم استحقاقهم الجنة. الثاني قال بعضهم أنهم يخرجون من النار الى الجنة، الثالث ، ارتضاء ابن نوبخت و جماعة من علمائنا أنهم يخرجون من النار لعدم الكفر الموجب للخمود ولا يدخلون الجنة لعدم الايمان المقتضى لاستحقاق الثواب انتهى.

و هنا سؤالان : الاول أن قول النبي «ص» «يا علي حربك حربي» رواية ربما يكون محاربه «ع» غير عالم بصحتها فكيف يحكم بكفر من أنكر رواية لا يعلم صحتها، والجواب أن محاربي علي «ع» كانوا معاصرين له «ع» وكانوا ممن أدركوا النبي «ص» ورأوا عنايته به و محبته له و اعتماده عليه ولم يكن عداوتهم لعلى «ع» الا لعدم ايمانهم بنبوته باطنياً ولا يحتمل في حقهم الجهل بمقام علي عند رسول الله «ص». الثاني ان المستضعف الجاهل الذي لم يكن مقصراً كيف يحكم بفسقه ، والجواب أن مقصود المحقق -رحمه الله- بيان الاعتقاد الذي يوجب الفسق من حيث هو اعتقاد و معذورية القاصر الجاهل أمر آخر كما أن قول الله تعالى «الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة» لبيان اقتضاء هذا العمل ولا ينافي معذورية الزاني جهلاً بالموضوع والمستضعف ان فرض وجوده بحيث يعذر العقلاء في مثله مجرميهم اذا جهلوا فالله تعالى أولى بأن يعذره. (ش)

إلى قلبك، فإن كان يحبُّ أهل طاعة الله و يبغض أهل معصيته ففبك خير والله يحبُّك وإن كان يبغض أهل طاعة الله و يحبُّ أهل معصيته فليس بك خير والله يبغضك ، والمرء مع من أحب .

١٢- عنه، عن أبي علي الواسطي، عن الحسين بن أبان، عمَّن ذكره ، عن أبي جعفر عليه السلام قال: لو أن رجلاً أحبَّ رجلاً لله لأثابه الله على حبه إياه وإن كان المحبوب في علم الله من أهل النار، ولو أن رجلاً أبغض رجلاً لله لأثابه الله على بغضه إياه وإن كان المبغض في علم الله من أهل الجنة.

١٣- محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن الحسين بن سعيد، عن النضر ابن سويد، عن يحيى الحلبي، عن بشير الكناسي، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قد يكون حبُّ في الله و رسوله و حبُّ في الدنيا فما كان في الله ورسوله فثوابه على الله و ما كان

قوله (والله يحبك) قيل أصل المحبة الميل وهو على الله سبحانه محال فمحبهه للعبد رحمته وهدايته الى بساط قربه ورضاه عنه، و ارادته ايصال الخير اليه، و فعله له فعل المحب و بغضه سلب رحمته عنه وطرده عن مقام قربه ووكوله الى نفسه و نظير قوله « والمرء مع من أحب » موجود من طرق العامة أيضاً روى مسلم وأن أعرابياً قال لرسول الله «ص» متى الساعة؟ فقال ما اعدت لها قال حب الله ورسوله قال أنت مع من أحببت، وفيه أيضاً فضل حب الله وحب رسوله و حب الصالحين وأن محبهم معهم ولا يلزم من كونه معهم أن يكون مثلهم في الدرجات واستحقاق الكرامات يظهر ذلك من قولنا لعبد زيد ادخل أنت مع سيدك في هذا المجلس فان لزيد مكاناً فيه ولعبد آخر والظاهر أن مجرد المحبة يقتضى ذلك وان لم يقرب مع العمل، يدل على ذلك حديث شاب كان يحب رسول الله «ص» كثيراً فلما فقدته النبي «ص» أياماً سأله عنه فقال بعض الحاضرين أنه مات وطمنه بأن كان مراهقاً يتبع ادبار النساء فرحمه «ص» وقال « والله لقد كان يحبني حباً لو كان نخاساً غفر الله له (١) ».

قوله (لو أن رجلاً أحب رجلاً لله لأثابه الله) وذلك لان حبه و بغضه اياه الله راجعان الى حب طاعة الله و بغض معصيته وهما من جملة الاعمال القلبية الصالحة المقتضية للثواب الجزيل.

(١) قوله « لو كان نخاساً غفر الله له » النخاس بايع العميد والاماء ليس نفس عمله حراماً ولا التمتع بالجوارى ان كن ملكاً له ولكن كثيراً منهم كانوا دلائل يبيعون اماء غيرهم و يتمتعون بها من غير وجه محلل. (ش)

في الدنيا فليس بشيء.

١٤- عده من أصحابنا، عن أحمد بن محمد بن خالد، عن عثمان بن عيسى، عن سماعة بن مهران، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن المسلمين يلتقيان، فأفضلهما أشدُّهما حباً لصاحبه.

١٥- عنه، عن أحمد بن محمد بن أبي نصر وابن فضال، عن صفوان الجمال، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ما التقى مؤمنان قط إلا كان أفضلهما أشدَّهما حباً لأخيه.

١٦- الحسين بن محمد، عن محمد بن عمران السبيعي، عن عبد الله بن جبلة، عن إسحاق بن عمار، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كل من لم يحبَّ عليَّ الدين ولم يبغض عليَّ الدين فلا دين له.

(باب ذم الدنيا والزهد فيها)

١- محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن الحسن بن محبوب، عن الهيثم ابن واقد الحريري، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: من زهد في الدنيا أثبت الله الحكمة في

قوله (قد يكون حب في الله ورسوله وحب في الدنيا الخ) والاول كحب الاخيار والعلماء والعباد والزهاد والصلحاء لاجل ارشادهم وهدايتهم وعبادتهم وصلاحهم وزهادتهم فانه لمحض التقرب من الله و طلب رضاه، والثاني كحب رجل لئيل الاحسان والجاه و المال منه فانه لاغراض دنيوية دائرة مثل الدنيا فليس بشيء يعتد به.

قوله (ان المسلمين يلتقيان فافضلهما اشد هما حباً لصاحبه) أى أفضلهما ثواباً وقربة و منزلة عند الله تعالى اشد هما حباً لصاحبه في الله لا في الدنيا فانه ليس بشيء يعتد به كما مر.

قوله (فلا دين له) أى على وجه الكمال، أو على نفي الحقيقة ان كان مستخفاً والامر بالمعروف والنهي عن المنكر من المحبة على الدين.

قوله (من زهد في الدنيا) زهد في الشيء وعن الشيء زهداً وزهادة اذا رغب عنه ولم يردّه ومن فرقي بين زهديه وعنه فقدأ خطأ كذا في المغرب، وقال صاحب العدة ان النبي «ص» سأل جبرئيل «ع» عن تفسير الزهد فقال جبرئيل «ع» الزاهد يحب من يحب خالقه ويبغض من يبغض خالقه ويتحرج من حلال الدنيا ولا يلتفت الى حرامها فان حلالها حساب وحرامها عقاب ويرحم جميع المسلمين كما يرحم نفسه ويتحرج من الكلام فيما لا يعنيه كما يتحرج من الحرام

ويتحرج من كثرة الاكل كما يتحرج من الميتة التي قد اشتد تنفها ويتحرج من حطام الدنيا و زينتها كما يتجنب النار أن يغشاها وأن يقصر أمله وكان بين عينيه أجله. وروى عن أمير المؤمنين «ع» أن الزهد قصر الامل وتنقية القلب وأن لا يفرح بالثناء ولا يغمم بالذم ولا يأكل طعاماً ولا يشرب شراباً ولا يلبس ثوباً حتى يعلم أن أصله طيب وأن لا يلتزم الكلام فيما لا يعنيه وأن لا يحسد على الدنيا وان يحب العلم والعلماء وأن لا يطلب الرفعة والشرف، وقال بعض العلماء أصل الزهد اربعة أشياء الحلم في الغضب، والجود في القلة، والمورع في الخلو، وصدق القول عند من يخاف منه او يرجو - وقال بعض الاكابر ان الزهد ثلاثة أحرف زاي وهاء ودال فالزاي ترك الزينة، والهاء ترك الهواء، والدال ترك الدنيا وينبغي أن يعلم أن الزهد في الدنيا و الصبر والشكر والتوبة والخوف والرجاء والمحبة والتوكل والرضا وغيرها من الفضائل النفسانية والخصائل الروحانية صفات للنفس وحالات لها حصولها تابع لحصول الحكمة أعنى العلم بالدين ثم ان حصول هذه الامور ورسوخها سبب لبقاء الحكمة واستقرارها و ثباتها و زيادتها كما قال «ع» «من زهد في الدنيا أثبت الله الحكمة في قلبه» من الاثبات بالثناء المثلثة أو بالنون فمن أعظم مكارم الصالحين وأجل صفات العارفين الزهد في الدنيا والرغبة فيما عند الله كما أن من اشنع صفات المنافقين وأقبح سمات الغافلين الرغبة في الدنيا والاعراض عما عند الله و عن أحوال الآخرة. والاصل في الاول العلم بأن الدنيا ولذاتها أمتعة باطلة زائلة. والاصل في الثاني الجهل بذاتها وفنائها وبثبات الآخرة و بقائها، قال الله تعالى في وصف الفريقين « فخرج على قومه في زينته قال الذين يريدون الحيوة الدنيا ياليت لنا مثل ما اوتى قارون أنه لذو حظ عظيم» وقال الذين اوتوا العلم وملككم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحاً ولا يلقاها الا الصابرون » فانظر كيف نسب الرغبة في الدنيا الى الجهال والزهد الى العلماء وذم الاولين غاية الذم وأثنى الاخرين نهاية الثناء، وقال لنبيه «ص» «ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به أزواجاً منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى» وقال في وصف الكفار «والذين يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة» و يفهم منه وصف المؤمنين وهو أنهم يستحبون الحياة الآخرة على الحياة الدنيا وقال في وصف المؤمنين «فمن يرده الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام» وقد سئل رسول الله «ص» عن معنى هذا الشرح فقال «ان النور اذا دخل القلب انشرح له الصدر وانفتح ، فقيل يا رسول الله هل لذلك علامة ؟ قال نعم (١) التجافي عن دار النور والانابة

(١) قوله « هل لذلك علامة قال نعم » أهل الدنيا لا يهتمون الا بها وهم غافلون عن

الآخرة و جميع أفعالهم و حركاتهم و علومهم و همهم و كل شيء منهم مصروفة الى الدنيا فيعتنون بسلامة بدنهم و لذات أجسامهم أكثر من الاعتناء بأخلاقهم و ملكاتهم و يختارون*

الى دار الخلود والاستعداد للموت قبل نزوله، فانظر كيف جعل الزهد هو (التجافى عن دار الغرور شرط الاسلام وعلامة نور القلب وانسراح الصدر.

ثم الكلام هنا فى نفس الزهد وفيما يرغب عنه وفيما يرغب فيه أما الاول فدرجاته ثلاثة: الدرجة السفلى أن يزهد فى الدنيا و يتركها وهو له مشقة ونفسه اليها مائلة ولكن يجاهدها و يمنعها عن التوجه اليها وهذا شبيه بالمتزهد بل سماه بعض أهل التحقيق به، والدرجة الوسطى أن يتركها طوعاً بلامشقة لاستحقاقه اياها بالاضافة الى ما طمع فيه كمن يترك درهماً لدرهم كثيرة فانه لا يشق عليه ذلك وان احتاج الى انتظار ما ولكن يرى هذا زهده ويظن أنه ترك شيئاً له قدر لاجل ما هو أعظم منه والدرجة العليا أن يتركها طوعاً ويزهد فى زهده ولا يظن انه ترك شيئاً لعلمه بان الدنيا لا شيء كمن ترك قذرة لاجل جوهر ثمين فانه لا يرى أن ذلك معاوضة ولا يرى أنه ترك شيئاً، فان الدنيا بالقياس الى الآخرة أخس من قذرة بالقياس الى جوهر ثمين وهذا هو الزهد الحقيقى وسببه كمال المعرفة بخسة الدنيا و كمال الآخرة، و أما الثانى

* من العلوم ما يستفاد منها فى الحياة الدنيا كما يتعلق بالطب والزراعة والتجارة والصنائع الدنيوية لالفقه والاخلاق والاعتقادات فى المبدء والمعاد والسعيد عندهم من تهيأ له وسائل العيش لامن تخلق بالاخلاق الفاضلة ومن حصل على جاه عريض وشهرة فائقة أشرف عندهم من الخامل المستريح من الناس المأمونين من أذاهم والرجل الخير من سهل للناس وسائل عيشهم الدنيوى كمخترعى الصنائع وعلامة أهل الآخرة كما قال رسول الله «ص» «التجافى عن دار الغرور» والتباعد عما يهتم أهل الدنيا به ولما كان الحس من النعم التى أعطاه الله الانسان لمصلحة دنياه وهو متعلق بجوارحه البدنية كان أهم عند هؤلاء من العقل مع أن الحواس كلها وما يتعلق بها من دار الغرور، أما الحواس الظاهرة فمعلوم أنها قوى فى جسم تنفرد و تتلاشى وأما الحواس الباطنة فمنها الحس المشترك وهو تابع للحواس الخمس الظاهرة، وأما الواهمة فهى قوة تحصل بها للحيوان مصاديق معان غير محسوسة بالحواس الظاهرة فيحب أولاده ويتنفر من عدوه، ومثل ذلك من حالات تعرض فى بدن الحيوان الذى له عصب ودماغ، و أما الحافظة فاعتياد حاصل للأعصاب بكثرة الممارسة كاعتياد اللسان قراءة قصيدة. أو آية حفظها اذا شرع فيها جرى على لسانه الى آخرها و كاعتياد الكتابة فانها ملكة فى اعصاب اليد تحصل بالتمرين فيكتب الخط الحسن بأنواعه و كذلك تحصل مثل هذا الاعتياد فى الدماغ فيجدد صورة سبقت له مرة أو مرات وهو معنى التذكر. والمتخيلة كذلك جسمانية اذ يمرض لها بكثرة استعمالها لها الكلال وليس عروض الكلال الاللجسم وانما يبقى العقل لعدم تعلقه بجسم وهو متجاف عن دار الغرور مع كل ما يتفرع عليه. (ش)

قلبه و أنطق بهالسانه وبصرة عيوب الدنيا داها ودواها وأخرجه من الدنيا سالمًا

فدرجاته أيضاً ثلاثة الدرجة السفلى أن يترك المحرمات الشرعية والاعمال القبيحة، والدرجة الوسطى أن يترك مع ذلك الرذائل النفسانية مثل الشهوة والغضب والكبر وحب الرئاسة و أمثالها، والدرجة العليا أن يترك جميع ما سوى الله جلشاً نه وهو في هذه الدرجة يزهد في نفسه أيضاً ولا ترى في الوجود الا هو وهو معنى الوحدة. وأما الثالث فدرجاته أيضاً ثلاثة الدرجة السفلى أن يكون الغرض من زهده هو النجاة من النار و من سائر الالام كعذاب القبر ومناقشة الحساب وخطرات الصراط و بواقى الاهوال المتعلقة بالقيامة ، والدرجة الوسطى أن يكون الغرض مع ذلك الرغبة في ثواب الله ونعيم الجنة واللذات الموعودة مثل الحور والقصور وغيرها، والدرجة العليا أن لا تكون له رغبة الا وجه الله ولقاءه ولا يلتفت الى سواه وهذا زهد المحبين ورغبة العاشقين (١) واذا ضربت الثلاثة الاولى في الثلاثة الوسطى ثم الحاصل في الثلاثة الاخيرة حصل سبعة وعشرون نوعاً متفاوت المراتب والدرجات ويندرج تحت كل نوع أشخاص وجزئيات غير محصورة والله ولي التوفيق، وقد أشار «ع» الى بعض آثار الزهد ولوازمه بقوله (اثبت الله الحكمة في قلبه) حتى يصير قلبه نوراً الهياً وضوءاً ربانياً ينقلع عن التعلقات الناسوتية لمشاهدة جمال اسرار النيبية اللاهوتية.

(و انطق بهالسانه) حتى يقول الحق ويرشد اليه ويصمت عن الباطل ويخوف عليه.

(و بصره عيوب الدنيا داها و دواها) أما عيوبها فهي انها دار بالبلاء محفوفة وبالقدر معروفة وبالفاء موصوفة لاتدوم أحوالها ولا يسلم من الافات نزالها أحوالها مختلفة وأوضاعها مبتدلة ونعمها منسرمة، العيش فيها مذموم والامان فيها معدوم والطالب لها منموم و أهلها اغراض مستهدفة ترميهم بسهامها وتفنيهم بحمامها، وأما داها فهو الغفلة عن الحضرة الربوبية

(١) قوله «ولا يلتفت الى سواه وهذا زهد المحبين» ربما يختلج في اذهان سفلة الناس أن المحروم من لذة الاكل والنكاح محروم من السعادة ويلزم من ذلك أن تكون الملائكة المقربون والارواح المقدسة القدسية أنقص من الحيوان في اللذات والسعادات بل ربما يتوهم بعض المتفلسفين ان علم هؤلاء المقربين أنقص من علوم الحيوانات العجم في الكيفية لان المحسوسات انما تدرك بالآلات مادية مركبة من هذه العناصر الاربعة وليس لهم حواس بهذه الصفة فلا يدركون النور والالوان و جمال الطبيعة و زينتها و الاصوات و غير ذلك وفاق عليهم الحيوان والانسان بهذه المزية ولو كان صحيحاً لكان الواجب تعالى أيضاً مثلهم في ذلك و كيف يتوهم عاقل أن من خلق طبقات العين و شكل الجليدية و لون العنابية و ركب عليها الاشجار والحواجب لا يكون عالماً بالنور وخواصه وهكذا ساير الاعضاء. والصحيح أن ادراك*

إلى دار السلام.

والاستحقاق للعقوبة الدنيوية والاخروية، وأما دواؤها فهو تنزيه النفس عن الميل الى زهراتها والرغبة في قنيتها والعبرة بأحوال الماضين والاتعاظ بأوضاع السابقين حيث كانوا أطول أعماراً وأعمار دياراً وأبعد آثاراً وأشد قوة وأكثر أعواناً فقد صارت أصواتهم هامة ورياحهم راکدة و أجسادهم بالية وديارهم خالية وآثارهم عافية فاستبدلوا بالتصور المشيدة والنمارق الممهدة الصخور والاحجار المسندة والقبور اللاصقة اللاطئة والعجب ان المؤمن يعلم أن الامراض الروحانية ليست بأهون من الامراض الجسدانية وهو يسعى في دفع هذه الامراض بقدر الامكان و يغفل عن دفع الاولى و يضعها في زاوية النسيان ، و من الله التوفيق والتكلان (وأخرجه من الدنيا سالماً) (١) من الافات في الدين والنواقص في اليقين (الى دار السلام) وهي الجنة التي اعدت للمتقين.

❖ الاشياء لا يتوقف على وجود جسم و مادة تتأثر بل هي مانعة عن الادراك ذاتاً ولكن الله تعالى لما قدر ترقى الوجود من أسفل مراتبه و هو المادة الى أعلى درجاته و هو العقل فلم يكن بدمن أن يمر في طريقه على مادة يأخذ طرفاً من الادراك فصار حيواناً و انساناً و هو منزل بين عدم الادراك المادى و الادراك الكامل العقلى فيترقى تدريجاً في الادراك و يضعف في المادية فيصير ادراكاً صرفاً يجتمع فيه جميع السعادات اذ ما من كمال ولذة و بهجة الا و سببها الادراك ولا يعقل أن يكون الزاهد المعرض عن الدنيا السافلة المقبل بكليته الى أشرف الموجودات وأعزها وأكملها و ادرك عين الكمال أدون في السعادة و البهجة من المنهمك في الشهوات خصوصاً مع مشاهدة أمارات الخلود و البقاء و الامن من الموت الذى هو أشد المخاوف على الاحياء و الانسان اذا ارتقى الى مقام التحقق بالعقل ليس كمن كان في بيت له شبابيك من الحواس يطلع منها على الاشياء ثم حبس و سد عليه تلك الشبابيك و منع من ادراك الموجودات بل بمنزلة من يخرق حواجب المكان و الزمان و يحضر عند كل شيء وفق لادراكه و الاتصال به و بالجملة يوجد للنفس الناطقة بدلا عن الحواس المادية ما يدرك به الاشياء أكمل مما كانت تدركه كما يفتح للنائم عين ينظر بها بعد سلب العين الظاهرة و ليس هذا ممتنعاً في قدرته تعالى و ليس ادراك الانسان بعد الموت منحصرأ في مطالعة خيالاته المحفوظة في ذهنه . (ش)

(١) قوله « و أخرجه من الدنيا سالماً » يدل الحديث بسياقه على ان السلامة عند

الخروج من الدنيا انما هي بسبب بصيرة الرجل على عيوب الدنيا و ثبات الحكمة في عقله وان العقل لا يكمل الا بالزهد و الحكمة لا تثبت الا بالعقل و ليس خلق العقل لعمران الدنيا و الا لم يكن يكمل بالزهد، بل كان يكمل بالحرص كما يكمل الجزبزة و المكربه. و يهمننا هنا ❖

٢- علي بن إبراهيم، عن أبيه، و علي بن محمد القاساني، جميعاً، عن القاسم بن محمد، عن سليمان بن داود المنتقري، عن حفص بن غياث، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : سمعته يقول : جعل الخير كله في بيت و جعل مفتاحه الزهد في الدنيا ثم قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : لا يجد الرجل حلاوة الايمان في قلبه حتى لا يبالي من أكل الدنيا

قوله (جعل الخير كله في بيت و جعل مفتاحه الزهد في الدنيا) وبحكم المقابلة جعل الشركه في بيت و جعل مفتاحه الرغبة في الدنيا وهذا التمثيل لقصد الايضاح والتحقيق دون المبالغة لان كل ما ينبغي أن يتصف به الانسان من العقائد والاخلاق والاداب والاعمال التي بينها الصادقون ورغبوا فيها فهو الخير والمندرج في ترك الدنيا ورفض الميل اليها والتعلق بها وكل ما ينبغي أن يتنزه عنها فهو الشر والمندرج في حب الدنيا والرغبة فيها يحكم بذلك صريح العقل بعد التأمل فيما يصدر عن الانسان فان كل ما يصدر عنه فالغرض منه اما حب الدنيا كالبلخل والحرس والحسد والكبر وترك الزكاة لجمع المال و ترك الصلاة لحب الراحة و أمثال ذلك أو حب الله وحب الآخرة و رفض الدنيا كاضداد الامور المذكورة ومن ثم قيل القلب بقدر تعلقه بالدنيا ينقطع تعلقه بالله و باليوم الآخر وبعده تعلقه بالخير .

(ثم قال قال رسول الله «ص» لا يجد الرجل حلاوة الايمان حتى لا يبالي من أكل الدنيا) شبه الايمان بحلوه في ميل الطبع و اثبت له الحلاوة من باب الممكنية والتخييلية أو شبهه أنراً * بيان شيئين الاول أن العقل أو القلب أو النفس الناطقة - وكل ما شئت فسمه - موجود جوهرى مستقل عن البدن بنفسه و ليس من اجزاء هذا الدنيا و اعراضها بل هو من عالم آخر ومن سنخ الملائكة المدبرة و المتول القنسية العالمية بجميع الاشياء والمطلعة على الغيوب التي تربط نفوس الانسان معها في الرؤيا الصادقة على ما سبق. والثاني أن الموجود الجوهري باق ببقاء علته ولا يفنى أبداً الا أن يفنى علته وليس كالأعراض والتركيبات التي تفنى مع بقاء علتها الفاعلة بتلاشي اجزائها وتفكك عناصرها- قال المحقق الطوسي في التجريد: والسمع دل عليه يعنى على العدم. و قال العلامة -رحمه الله- في شرحه يدل على وقوع العدم السمع وهو قوله تعالى «هو الاول والاخر» وقوله تعالى «كل شيء هالك الا وجهه» وقال تعالى «كل من عليها فان» وقد وقع الاجماع على الفناء وانما الخلاف في كيفيةه على ما سياتى، وقال المحقق الطوسي -رحمه الله- ويتأول في المكلف بالتفريق كما في قصة ابراهيم «ع»، وقال العلامة المحققون على امتناع اعادة المعدوم وسيأتى البرهان على وجوب المعاد وههنا قديين ان الله تعالى يعدم العالم وذلك ظاهر المناقضة ثم قال عليه الرحمة: تأول المصنف معنى الاعدام بتفريق أجزاءه والامتناع * شرح الاصول الكافي -٢٢-

ثم قال أبو عبد الله عليه السلام: حرام على قلوبكم أن تعرف حلوة الإيمان حتى تزهد في الدنيا.

٣- علي بن إبراهيم، عن محمد بن عيسى، عن يونس، عن أبي أيوب الخزاز، عن أبي حمزة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: إن من أعون الأخلاق على الدين الزهد في الدنيا.

٤- علي بن إبراهيم، عن أبيه، وعلي بن محمد، عن القاسم بن محمد، عن سليمان بن داود المتقري، عن علي بن هاشم بن البريد، عن أبيه أن رجلاً سأل علي بن الحسين عليه السلام، عن الزهد فقال: عشرة أشياء، فأعلى درجة الزهد أدنى درجة الورع، وأعلى

من آثار الإيمان وهو محبة الرب وقربه بالحلاوة في اللذة واستعار له لفظ الحلاوة والمراد أن الرجل لا يجد محبة الرب وقربه حتى لا يبالي من أكل الدنيا أي لا يهتم به ولا يكثر له ولا يعبأ ولا يرى له قدراً وهذه الخصلة لا تحصل الا بتزيره النفس عن محبة الدنيا والزهد فيها و قطع التعلق عنها بالكلية.

قوله (ان من أعون الاخلاق على الدين الزهد في الدنيا) لظهور أن الاشتغال بالدنيا و صرف الفكر في طرق تحصيلها و وجه ضبطها و رفع موانعها مانع عظيم من تفرغ القلب للامور الدينية وتفكره فيها وطلب أمر الآخرة ولذلك روى ان الدنيا والآخرة ضرطان اذا الميل باحديهما يضر بالآخر فترك الدنيا معين تام على طلب الدين.

قوله (ان رجلاً سأل علي بن الحسين عليهما السلام عن الزهد فقال عشرة أشياء فأعلى درجة الزهد أدنى درجة الورع) قال «ع» في باب الرضا بالقضاء أعلى درجة الزهد أدنى درجة الورع كما في اللواحق وقد مر شرحه بقدر الوسع (١) في ذلك الباب فلا نعيده ثم أشار إلى أن أكمل

* في ذلك فان المكلف بعد تفريق أجزاءه يصدق عليه أنه هالك بمعنى أنه غير منتفع به أو يقال أنه هالك بالنظر إلى ذاته اذ هو ممكن وكل ممكن بالنظر إلى ذاته لا يجب له الوجود اذ لا وجود اللواجب بذاته أو بغيره فهو هالك انتهى، ونقل هو عن الكرامية وهم طائفة من المسلمين والجاحظ وهو من رؤساء المعتزلة القول باستحالة عدم العالم بعد وجوده فلا تنفى بذاتها وبالفاعل لان شأنه الابداع لا الاعدام وهذا لا يثبت مطلوبهم لانهم اعترفوا بإمكان الوجود للعالم ذاتا و الامكان لا يجتمع مع استحالة عدمه وبالجملة فالاعدام عند العلامة وغيره من المحققين انما هو بمعنى التفريق في المركبات ولا يتحقق في البسائط الجوهرية والنفس الناطقة تبقى بعد ثبوت تجردها وعدم توقف وجودها على تركيب العناصر في البدن. (ش)

(١) قوله « وقد مر شرحه بقدر الوسع » في الصفحة ١٩٥ من هذا المجلد وهو من *

درجة الورع أدنى درجة اليقين؛ وأعلى درجة اليقين أدنى درجة الرضا. ألا وإن الزهد في آية من كتاب الله عز وجل « لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم ».

٥- و بهذا الإسناد ، عن المنقري، عن سفيان بن عيينة قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام وهو يقول : كلُّ قلب فيه شكُّ أو شرك فهو ساقطٌ ، وإنما أرادوا بالزهد

أفراد الزهد ما ذكر الله تعالى بقوله: الاوان الزهد في آية من كتاب الله عز وجل « لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم » فيه تنفير عن تمنى الدنيا والرضا بحصولها و عن الهم بفواتها ودلالة على أن الزهد ليس فقد هابل عدم تعلق القلب بها بحيث لا يفرح بحصولها، و لا يحزن بفواتها، وبعبارة اخرى يتركها ويغتم بوجودها لعلمه بانها من أعظم أسباب الغفلة، ونقل السيد رضی الدين عن أمير المؤمنين «ع» أنه قال «الزهد بين كلمتين قال الله تعالى « لكيلا تأسوا (أى تحزنوا) على ما فاتكم (من عروضا الدنيا) ولا تفرحوا بما آتاكم » ومن لم يأس على الماضى ولم يفرح بما أتى فقد اخذ الزهد بطرفيه، وقيل الزهد تحويل القلب من الاسباب الى رب الاسباب ومن اتصف بهذين الوصفين فقد حول قلبه اذ الميلان فرع الفرح والمحبة. ومن كلامه «ع»

لئن ساء نى دهر غرمت بصيرة
فكل بلاء لا يدوم يسير
وان سر نى لم ابتهج بسروره
فكل سرور لا يدوم حقير

و من رأى بعين اليقين هذا المعنى فقد جذب اليه اهدابه وقد عرفت أن للزهد شعباً كثيرة فمراده «ع» أن هذين الوصفين يصيران المتصف بها متمصفاً باوصاف اخر. **قوله** (كل قلب فيه شك أو شرك فهو ساقط) كان المراد أن كل قلب متعلق بالدنيا وان فاتته فيه شك فى أمر الآخرة اذ اليقين يقتضى رفض الدنيا، أو شرك بالله لمتابعة الهوى، والترديد على سبيل منع الخلو فهو ساقط عن درجة المحبة والسعادة والزهد و بين ذلك بقوله (وانما أرادوا بالزهد فى الدنيا لتفرغ قلوبهم للآخرة) يعنى ان الغرض من الزهد فى الدنيا ورفضها تخليص القلب وتطهيره عن حب الدنيا و عن ميله اليها و جعله متوجهاً الى أمر الآخرة و ما

نفايس هذا الكتاب. قوله «أو شرك فهو ساقط» والمراد بالشرك الرياء ، و سفيان بن عيينة من أئمة أهل السنة والجماعة و كان فيهم من يتظاهر بالزهد للتقرب الى الخلفاء والوجاهة عند العامة، ونبه الامام «ع» سفيان على ما عند ذويه ليعلمهم و يبصرهم عيوبهم، و مراد الشارع من الامر بالزهد فراغ القلب عن الدنيا ، و طلب الوجاهة والتقرب الى السلاطين لا يدع فى القلب فراغاً حتى يفكر فى امور الآخرة. و أما الشك فى الآخرة فامرؤه أعظم من ذلك. (ش)

في الدنيا لتفرغ قلوبهم للآخرة.

٦ - عليؑ، عن أبيه، عن ابن محبوب، عن العلاء بن رزين، عن محمد بن مسلم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: إن علامة الرأغب في ثواب الآخرة زهده في عاجل زهرة الدنيا، أما إن زهد الزاهد في هذه الدنيا لا ينتقصه مما قسم الله عز وجل له فيها وإن زهد، وإن حرص الحريص على عاجل زهرة [الحياة]

ينفع فيها خالصاً له بدوام الذكر والطاعة فمن لم يتحقق فيه هذا الغرض وإن فاتته الدنيا فهو ليس بزاهد فيها وتارك لها بل هو من أهلها فيه شك في أمر الآخرة أو شرك. وأعلم أن تفرغ القلب لأمر الآخرة يبذر السعادة والذكر فيه والطاعة في جميع الجوارح وهي تزيد وتنمو حتى يصير القلب نوراً ألهيا يشاهد جلال الله وعظمته وأسراره الفيبية التي قلما يقدر على تحملها ثم يتشرف بمقام الانس ثم بمقام المحبة ثم بمقام الرضا ثم بمقام الفناء في الله وهو هذا المقام لا يرى في الوجود الا هو والى هذه المراتب أشار جل شأه بقوله « ومن يرد ثواب الآخرة نزد له في حرته » بخلاف القلب الملوث بشهوات الدنيا فإن الذكر والطاعة لو تحققا لا يؤثران فيه بل يفسدان كالبذر في أرض السبخة والطعام في المعدة الممتلئة بالاخلط الفاسدة ولذلك ترى كثيراً من الذاكرين والعاشرين لا يجدون من السعادة الا اسماً ولا يعلمون من المعرفة الا رسماً وهم عن قرب الحق محرومون وعن ساحة أسراره مطردون.

قوله (علامة الراغب في ثواب الآخرة زهده في عاجل زهرة الدنيا) لكل حق علامة دالة عليه وعلامة من رغب في ثواب الآخرة الذي أعظمه قرب الحق زهده في زهرة الدنيا لانها ينافيه ومن رغب في شيء يترك ما ينافيه بالضرورة ويطلب ما يحقق حصوله فمن ادعى الرغبة في ثواب الآخرة وهو راغب في الدنيا فهو كاذب وانما اقحم لفظ العاجل لان زهرة الدنيا المتعلقة بالاجل والآخرة كقدر ما يحتاج اليه الانسان في تحصيل ما ينفع في الآخرة لا ينافي الرغبة في ثوابها بل معين لحصوله والمراد بزهرة الدنيا متاعها تشبيهها بزهرة النبات لحسنها في أعين الناس، ثم حث على الزهد وترك الحرص والاجتهاد والرغبة في الدنيا على وجه المبالغة للتنبيه والتأكيد بالتكرير وغيره بقوله (أما ان زهد الزاهد في هذه الدنيا) الاشارة للتحقير (لا ينقصه مما قسم الله عز وجل له فيها وان زهد) كيف وقد قال الله تعالى « ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه » فالزهد باعث لوصل القسم والرزق لآمانع له (وان حرص الحريص على عاجل زهرة الدنيا لا يزيده فيها وان حرص) لان قسمه من الدنيا ما يحتاج اليه في بقائه والزائد عليه على تقدير حصوله بالحرص ليس قسماً له بل لغيره والحاصل أن وصول القسم و

الدنيا لايزيده فيها وإن حرص، فالمغبون من حرم حظّه من الآخرة.

٧- محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن محمد بن يحيى الخثعمي، عن طلحة بن زيد، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ما أعجب رسول الله صلى الله عليه وآله شيء من الدنيا إلا أن يكون فيها جائعاً خائفاً.

عدم وصوله منوط بالتقدير والمشية فما قدر قسماً له ياتيه و إن زهد و مالم يقدر قسماً له لا يأتيه و إن حرص، ولا ينافي هذا قوله تعالى « و من يرد ثواب الدنيا نؤته منها و ماله في الآخرة من نصيب » اذ دلالة فيه على أن جميع ما أتاه قسم و رزق (فالمغبون من حرم حظّه من الآخرة) هذا كالنتيجة للسابق و تعريف المبتداء باللام دل على انحصار الغبن فيه لما عرفت من ان قسم كل أحد يأتيه زهد أو حرص فلاغبن فيه، وانما الغبن في فقد النصيب في الآخرة بترك العمل له.

قوله (ما أعجب رسول الله (ص) شيء من الدنيا الا أن يكون جائعاً خائفاً) خوفه كان فوق خوف الخائفين وجوعه مشهور و في كتب الاحاديث المذكور وقد روى أنه لم يشبع من خبز الحنطة ثلاثة أيام متوالية و لامن اللحم قط و انه اهضم أهل الدنيا كسحاً و أخصمهم بطناً و انه اذا اشتد جوعه كان يربط حجراً على بطنه و يسميه المشيع و أنه كان يأكل على الأرض و يجلس جلسة العبد، و يخصف بيده نعله و يرقع بيده ثوبه و يركب الحمار العاري و يردف خلفه و انه رأى سترأ نصبت به بعض ازواجه على باب داره فقال لها غيبيه عنى فانه يذكرني الدنيا و زخارفها فاعرض عن الدنيا بقلبه و أمات ذكرها من نفسه و أحب أن تنيب زينتها من عينه و ما ذلك الا لخصه الدنيا و متاعها في نظره فليكن لك اسوة حسنة به «ص» و اعلم أن في الجوع فوائد منها صفاء القلب (١) و تنوره. و كثرة الاكل تظلمه و تميته، و منها رقة

(١) قوله « ان في الجوع فوائد منها صفاء القلب » اعلم أن النفس الانسانية مع تعلقها بالبدن و اتحادها مع القوى لها مقام شامخ بنفسه غير متعلق وكلما ازداد جهة تعلقها شدة ازداد جهة تجردها ضعفاً وكلما نقص جهة تعلقها قوى جهة تجردها، و هذا أمانة كونها شيئاً مستقلاً بنفسه مجرداً عن البدن ولا يمكن أن يعترف أحد بان في الجوع صفاء القلب الا اذا اعترف بأن القلب أى النفس الناطقة غير البدن والا كان كمال البدن بالشبع و كمال النفس كذلك وقد مر في الصفحة ٣١١ استدلال بعضهم على تجرد النفس بوجود الاختيار لها و أنها لو كانت مادية كان جميع أفعالها قهرية اجبارية كضربان القلب و النبض، و قال بعض العلماء أن الادراك من خواص الموجود المجرد لان المادة و الجسم ليس من شأنها الادراك و ليس انطباع صورة في جسم مقتضياً لان يحس به والا لكان كل جسم مدر كاً للعوارض الحالة فيه *

٨- عِدَّةٌ من أصحابنا، عن أحمد بن محمد بن خالد، عن القاسم بن يحيى، عن

القلب والالتذاذ بذكر الرب ومناجاته والبطنة تغلظه و تمنع استقرار الذكر فيه ، ومنها العجز والانكسار والشبع يوجب الغرة والافتخار، ومنها قرب الحق والشبع يوجب البعد عنه قال الصادق «ع» وان البطن ليطنى من أكله أقرب ما يكون العبد من ربه عز وجل اذا خف بطنه، و أبغض ما يكون العبد الى الله عز وجل اذا امتلاء بطنه، ومنها تذكر الجائمين و تذكر جوع يوم القيامة فيزداد سعيه له و كثرة الاكل توجب الغفلة، ومنها التسلط على كسر النفس و كثرة الاكل توجب تسلط النفس، ومنها قلة النوم والاقتدار على العبادة و الاكول فى غفلة النوم و تضيق العمر، و منها كثرة الحفظ و قلة النسيان و الاكول على عكس ذلك ، و منها صحة البدن و الاكل الكثير يوجب أمراضاً شديدة، ومنها قلة الاحتياج الى الاموال و أسباب الدنيا و صرف العمر فى جمعها و حفظها، ومنها الاقتدار على الصدقة والايتار لعدم الحاجة الى الزائد.

* فالادراك من عالم آخر غير عالم الماديات الآن بعض الادراكات يحتاج فيها الى آلة كالسمع والبصر وبعضها لا يحتاج كالعقل والالة ليست بمدركة قطعاً وانما المدرك من استعمل تلك الالة ولا يتعدم مستعمل الالة بفقدان الالة وان عجز عما كان يفعله بوساطة الالة، كما ان الاعمى لا يقل وجوده بفقدان البصر ولا الاصم يفقد السمع ولا المغمى عليه يفقد الحواس كلها فقد يعرض الاعمى فيفيق و يدرك انه هو الذى كان قبل الاعماء مع علومه وملكاته وليس موجوداً جديداً وما يدرك بالالات كل مرة محسوس جديد غير ما ادرك أولاً، و أيضاً يتبدل الجسم و أجزائه ولا يبقى بعد نحو سبع سنين مما كان شىء مع أن علمه بذاته و بغير ذاته هو الذى كان ولو كان النفس عين البدن أو معلولاً له لم يبق له بعد سبع سنين شىء من معلوماته السابقة فثبت أن الاعضاء آلات ولا يتغير مستعمل الالة بتبدل الالة .

وقالوا لو كانت العلوم الكثيرة الحاصلة للانسان خصوصاً للعلماء والحكماء فى الفنون المختلفة حالات وعوارض طارئة على دماغهم لتشوشت الصور وتداخلت وامتزجت و ارتفع الامتياز بينها كما أن الاصوات المختلفة لو تواردت على السمع لم يتمايز و اذا تحركت الاشياء المختلفة سريعاً مقابل البصر لم يميز البصر بينها مع أن الصور العقلية متميزة جداً مع اجتماعها دفعة وجميع علوم ابن سينا المكتوبة فى تصانيفه لو كانت حالات عارضة على دماغه وهى مجتمعة لم يكن عالماً بشىء فثبت ان العلوم كلها عند النفس و الدماغ آلة تنطبع فيها الصور الجزئية شيئاً بعد شىء تمحو صورة وتتجدد صورة، وقالوا ان النفس لادراك الصور الكلية لا يحتاج الى آلة أيضاً لانها زمان الشيخوخة لا يضعف ادراكه لها كما يضعف حواسه الالية وأيضاً لا يكل بادراك*

جده الحسن بن راشد، عن عبدالله بن سنان، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: خرج النبي صلى الله عليه وآله وهو محزون فأتاه ملك ومعه مفاتيح خزائن الأرض، فقال: يا محمد هذه مفاتيح خزائن الأرض يقول لك ربك: إفتح وخذ منها ما شئت من غير أن تنقص شيئاً عندي، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: الدنيا دار من لادار له ولها يجمع من لا عقل له، فقال الملك: والذي بعثك بالحق نبياً لقد سمعت هذا الكلام من ملك يقوله في السماء الرابعة، حين أعطيت المفاتيح.

٩- علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن جميل بن دراج، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: مر رسول الله صلى الله عليه وآله بجدي أسك ملقى على مزبلة ميتاً، فقال

قوله (خرج النبي «ص» وهو محزون) لعل حزنه كان لضعف المسلمين وقوة المشركين والاهتمام بتجهيز أسباب الجهاد.

قوله (الديادار من لادار له) أى فى الآخرة لان من له دار فى الآخرة وهى الجنة لا يسكن قلبه الى الدنيا ولا يتخذها داراً وموضع اقامة لنفسه ويحتمل أن يكون المراد أن الدنيا دار من ليست له حقيقة الدار اصلها فى الآخرة وهو ظاهر لظهور ان بناها على العمل لها وترك الدنيا، ولا فى الدنيا لظهور أن الدنيا ليست دار اقامة فهى ليست بدار حقيقة، ثم قبح الدنيا والجمع لها بقوله (ولها يجمع من لا عقل له) لان العاقل يعلم بنور بصيرته ان الدنيا وما فيها منصرمة مؤذية بأهلها مضرة بأمر الآخرة فلا يسكن اليها ولا يشغل بالجمع لها بل يفر منها الى الله و أما الجاهل فلخمود عقله يغفل عن أمر الآخرة ولا يعلم الا ظاهراً من الحياة الدنيا وليس له هم الا الجمع لها، فانظر أيها الاخ فى الله الى علو همة رسول الله «ص» كيف ترك الدنيا ورفضها وهى فى يده من غير تعب ولا ضرر فى شىء من أمر آخرته وماله عند الله من المقامات العالية لظهور عيوبها وكثرة مقابحها ومساوئها وليكن لك اسوة حسنة بنبيك الاظهر بل أنت أولى بتركها وأجدر لانك لا تخلو من التعب فى تحصيلها ومن الحرمان فى عدم حصولها ومن الضرر فى أمر الآخرة والدنيا.

قوله (مر رسول الله «ص» بجدي أسك ملقى على مزبلة ميتاً) الاسك مقطوع الاذنين أو صغيرهما مطلقاً أو مع لصوقهما بالرأس وقلة اشرافهما والمزبلة بفتح الباء والضم لغة موضع يلتقى فيه الزبل بالكسر وهو السرقيين ثم استفهم عن قيمته (فقال لاصحابه كم يساوى هذا) و

* الكليات ولا يعجز عن ادراك ضعيف بعد قوى كما يعجز البصر عن ادراك النور الضعيف أثر القوى لكلاله، وأيضاً العقل يدرك ذاته والحس لا يحس ذاته لان الالة لا تؤثر فى نفسها و العقل ليس بالة ويجىء ان شاء الله لهذا تتمه. (ش)

لأصحابه : كم يساوي هذا ؟ فقالوا : لعله لو كان حياً لم يساو درهماً ، فقال النبي ﷺ : والذي نفسي بيده للدنيا أهون على الله من هذا الجدي على أهله .

الغرض من هذا السؤال تقريرهم على أنه خبيث لا قيمة له فهم أقرؤا بذلك (فقالوا لعله لو كان حياً لم يساو درهماً) فهو على هذه الحالة الكريهة غير مرغوب لاحتد فلاقيمه له ، والغرض من هذا التقرير تنفيرهم عن الدنيا بتشبيهها به وتفضيلها عليه في الهون والخبت لانه لا ينفع ولا يضر بخلاف الدنيا فانها تضر كثيراً (فقال النبي «ص» والذي نفسي بيده للدنيا أهون على الله من هذا الجدي على أهله) نظيره قول أمير المؤمنين «ع» «والله لدنياكم هذه أهون في عيني من عراق خنزير في يد مجذوم» الرقاق بضم العين وتخفيف الراء العظم وأيضاً نظيره ما رواه مسلم عن جابر بن عبد الله الانصاري «أن رسول الله «ص» مر بالسوق فمر بجدي اسك ميت فتناولوه فأخذ بأذنه ثم قال أيكم يحب ان هذا له بدرهم؟ فقالوا ما نحب أنه لنا بشيء وما نضع به قال تحبون أنه لكم؟ قالوا والله لو كان حياً كان عيباً فيه لانه اسك فكيف و هو ميت فقال فوالله للدنيا أهون على الله من هذا عليكم» وروى «أن الدنيا يوم القيامة تقول (١) يا رب اجعلني لادنى أوليائك نصيباً اليوم فيقول الله جل جلاله اسكتي يا لاشيء اني لم ارضك لهم في الدنيا كيف أرضاك لهم اليوم»

(١) قوله «ان الدنيا يوم القيامة تقول» لا يخفى أن هذا الخبر لا يوافق ما في أذهان بعض الناس من أن الفرق بين الدنيا والاخرة بتقدم الاولى زماناً وتأخر الاخرى كذلك والاخرة عندهم هي الدنيا بعينها لكن في زمان متأخر نظير تأخر امة ابراهيم عن امة نوح عليهما السلام وكما لا يمكن ان يطلب رجل من عهد ابراهيم «ع» ان يجعله الله تعالى في زمان نوح «ع» كذلك لا يمكن ان يطلب أحد من الله بعد مضي الدنيا وانقضائها ان يجعله من أهل الدنيا والحق أن الفرق بين العالمين ليس بالتأخر والتقدم الزمانيين فقط بل بينهما فرق في امور كثيرة كما يظهر لمن تتبع الايات الكريمة والروايات الكثيرة و ليس هنا موضع ذكرها و لذلك لم يجب الله تعالى السائلين عن وقت الساعة وزمانها ولم يقررهم على جهلهم والمعنى أن الدنيا طلبت من الله تعالى أن يجعل الصالحين من أهل الدنيا لالدنيا المتقدمة زماناً بل الدنيا الجامعة لهذه الصفات المختصة بها من التنوير والكون والفساد وأمثالها ولو في زمان متأخر بالنسبة الى الدنيا السابقة بالنسبة الى الاخرة اذ ليس بعد الاخرة شيء وقد سبق في الصفحة ٣١٨ من هذا الجزء قول الشارح قد صرح بعض أصحابنا بأن عذاب المستحق له واقع بالفعل وان جهنم لمحيطه به وانه داخل فيها ولكن الحجاب مانع من رؤيتها لحكمة تقتضيه . انتهى، وهذا يدل على عدم تأخر العذاب عن الدنيا تأخراً زمانياً . (ش)

١٠- عليُّ بن إبراهيم ، عن عليِّ بن محمد القاساني ، عمَّن ذكره ، عن عبد الله ابن القاسم ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : إذا أراد الله بعبد خيراً زهده في الدنيا و فقَّهه في الدين و بصَّره عيوبها و من أوتيهنَّ فقد أوتي خيراً الدنيا والاخرة ، و قال : لم يطلب أحدٌ الحقَّ بباب أفضل من الزُّهد في الدنيا و هو ضدُّ لما طلب أعداء الحقِّ ، قلت : جعلت فداك ممَّا ذا ؟ قال : من الرغبة فيها ، و قال : إلاَّ من صبار كريم ، فإنَّ تماهي أيَّام قلائل ، إلاَّ إنَّه حرام عليكم أن تجدوا طعم الايمان حتَّى تزهدوا في الدنيا ، قال : وسمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : إذا تخلى المؤمن من الدنيا سما و وجد حلاوة حبِّ الله و كان عند أهل الدنيا كأنَّه قد خولط و إنَّما خالط القوم حلاوة حبِّ الله ، فلم يشغلوا بغيره . قال : و سمعته يقول : إنَّ

قوله (لم يطلب أحد الحق بباب أفضل من الزهد في الدنيا) للحق أبواب لا يمكن الوصول اليه الا بالدخول فيها منها الطاعات و ترك المنهيات على أنواعها ومنها الاخلاق الفاضلة ومنها ترك الاخلاق الباطلة والزهد في الدنيا أعظم هذه الابواب لانه مفتاح لجميعها ثم أشار الى ضده على وجه يفيد أن الزهد يوجب محبة الحق و أنه عبارة عن تطهير القلب من الرغبة في الدنيا وميله اليها لاعتكاف الدنيا مع تعلق القلب بها فقال (وهو ضد لما طلب أعداء الحق) وقول السائل (ممَّاذا) سؤال عما طلب أعداء الحق وقوله «ع» (من الرغبة فيها) بيان للموصول يعنى أن ما طلبه أعداء الحق هو الرغبة في الدنيا والميل اليها و هى من أعظم البعد عن الحق والبغض له والمعاندة معه ، والظاهر أن قوله (الامن صبار كريم) أى خير شريف النفس استثناء من الرغبة فيها أى الا أن يكون الرغبة فيها من صبار كريم يطلبها من طرق الحلال ويصبر عن الحرام ، واخراج الحقوق المالية واعانة الفقراء و ذوى الحاجات فان الرغبة في هذه الدنيا من الصالحات ثم حث على الزهد والصبر عليه و نفر عن الدنيا بقوله: (فانماهى) أى الدنيا (أيام قلائل) وهى أيام العمر والعمر ينقض حثيثاً و ينتهى سريعاً الى الاخرة والصبر على المشاق المنقضية سهل على النفوس العاقلة سيما اذا كان مستلزمياً للراحة الدائمة ثم أشار الى بعض آثار الزهد و أشرف مقاماته بقوله (اذا تخلى المؤمن من الدنيا سما - الخ) أى اذا تخلى المؤمن من الدنيا بأن قطع تعلقه بها و أخرج حبه عن قلبه ارتفع من حضيض النقص الى أوج الكمال ومن مقام الكثرة الى ساحة القدس والجلال (ووجد) فى قلبه (حلاوة حب الله) وكان عند أهل الدنيا (الراغبين فيها) كأنه قد خولط) واختل عقله ، (وانما خالط القوم) ودخل فى قلوبهم (حلاوة حب الله) فلم يشغلوا بغيره .

القلب إذا صفا ضاقت به الأرض حتى يسمو .

وفيه إشارة الى أعلى درجات الزاهد وهو أن يفرغ قلبه عن غير الله تعالى حتى الخوف من النار والطمع في الجنة لسكره بحلاوة المحبة والقرب منه فلا يرى لغيره وجوداً فضلاً عن أن يشغل به وهو مقام الفناء في الله و انما قلنا هذا أعلى درجات الزاهد لان أدنى درجاته أن يترك الدنيا ويصبر على الترك مع الميل إليها. وأوسطها أن يترك الميل إليها أيضاً وهو بعد في مقام الكثرة و اذا دام عليه وصار ذلك ملكة له وطهر ظاهره وباطنه عن جميع المقايح لان كلها ناشية من حب الدنيا يرتقى من هذا المقام الى مقام التوحيد المطلق وعالم القدس فيتجلى فيه أنوار الحق وأسراره و يشاهد بنور البصيرة جماله و كماله و عظمته و قدرته فيستغرق في بحر محبته و يغفل عن نفسه فضلاً عن غيره بذوق حلاوة حبه و يصير حينئذ أطواره و أوضاعه و أقواله و أفعاله و حركاته و سكناته غير أطوار أهل الدنيا و أوضاعهم و أقوالهم و أفعالهم و حركاتهم و سكناتهم فيظنون أنه خولطواختل عقله حيث لم يجدوا عقله كعقلهم و فعله كفعلهم ولذلك نسب كفرة قريش الجنون الى النبي المبارك «ص» و يقرب منه قوله (ان القلب اذا صفا ضاقت به الارض حتى يسمو) القلب من عالم القدس النوراني (١) و عالم الاعلى الروحاني و سكونه الى هذا العالم الجسماني واستقراره في عالم البدن الانساني انما هو بقدر تعلقه به و غفوله عن ذلك العالم الاصلى فاذا صفا عن الخبائث النفسانية و الرذائل الشيطانية و القيودات الدنيوية و التعلقات البشرية و الطبيعية و اتصف بالكمالات الروحانية و الصفات الشريفة الربانية تذكر مكانه الاصلى و قطع يده عن الاسباب و تعلق برب الارباب فينكشف عنه الحجاب فضاقت به الارض فيضطرب و يستوحش منها ولا يستقر حتى يسمو و يرتفع من هذا العالم الى العالم الاعلى و يتشرف بقرب المولى، وان شئت زيادة توضيح فنقول لما كانت الارض أعظم أجزاء الانسان و كانت قواه الظاهرة و الباطنة مائلة إليها بالطبع لكمال النسبة بينهما كانت الدواعي الى زهراتها حاضرة و البواعث الى لذاتها ظاهرة فربما يشغل بها و يكتسب الاخلاق و الاعمال الفاسدة لتحصيل المقاصد حتى تصير النفس تابعة لها راضية بأثرها مشعوفة بعملها منكدرة بالشهوات منغمسة في اللذات فتحب الاستقرار في الارض و تتركها اليها، و أما اذا منعت تلك القوى عن مقتضاها و صرفتها عن هواها و روضتها بمقامع الشريعة و ادبتها بأداب الطريقة حتى غلبت عليها و صفت عن كدوراتها و ظهرت عن خبائث لذاتها و تخلصت من قيوداتها و تحلت بالاخلاق الفاضلة و الاعمال الصالحة و الاداب الرفيعة و الاطوار المرضية ضاقت بها الارض حتى تسمو الى عالم النور و الروحانية فتشاهد عالم الاعلى بالعيان و تنظر الى الحق بعين العرفان و يزداد لها نور الايمان و الايقان فتعاف جملة الدنيا و الاستقرار في الارض فيبدنها في هذه الدنيا وهي في عالم الاعلى. وفيه ترغيب للعلاء في

(١) في ذلك كلام يأتي انشاء الله تعالى .

١١- علي [عن أبيه]، عن علي بن محمد القاساني، عن القاسم بن محمد، عن سليمان بن داود المنقري، عن عبد الرزاق بن همام، عن معمر بن راشد، عن الزهري، عن محمد بن مسلم بن شهاب قال: سئل علي بن الحسين عليهما السلام أي الأعمال أفضل عند الله عز وجل؟ فقال: ما من عمل بعد معرفة الله جل وعزّ ومعرفة رسوله صلى الله عليه وآله أفضل من بغض الدنيا وإنّ لذلك لشعباً كثيرة وللمعاصي شعباً، فأول ما عصي الله به الكبر وهي معصية إبليس حين أوى واستكبر وكان من الكافرين، وحرص وهي معصية آدم وحواء حين قال الله عز وجل لهما: «كلا من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين» فأخذوا ما لا حاجة بهما إليه فدخل ذلك علي ذريتهما إلى يوم القيامة وذلك أن أكثر ما يطلب ابن آدم ما لا حاجة به إليه، ثم الحسد وهي معصية ابن آدم حيث حسد أخاه فقتله، فتشعب من ذلك حب النساء وحب الدنيا وحب الرئاسة وحب الراحة وحب الكلام وحب

ترك الدنيا وتحريك لهم الى ترك الطباع و رسوم العادات و زجر لنفوسهم عن الفضول والمنهيات لتصفو بذلك عن الرذائل الناسوتية وتتصل بالحق و تشهد الاسرار اللاهوتية وهو غاية مقصد الانسان و نهاية مطلب أهل العرفان.

قوله (و ان لذلك لشعباً كثيرة و للمعاصي شعباً) شعب الزهد اضداد شعب المعصية اعنى التواضع و هو ضد الكبر والقنوع و هو ضد الحرص والرضا بما آتاه الله و هو ضد الحسد والمذكورات من باب التمثيل والا فجنود العقل كلها شعب الزهد و جنود الجهل كلها شعب المعصية (والحرص و هي معصية آدم) قال الله تعالى «وعصى آدم ربه فغوى» قال من نزه الانبياء عن الذنوب: ان النهى عن تناول الشجرة نهى تنزيهه لا تحريمه فيكون التناول ترك أولى و أفضل. وأورد عليهم بأن اطلاق اسم العاصي على آدم بهذا الاعتبار يوجب أن يوصف الانبياء عليهم السلام بانهم عصاة اذ لا يكاد انفكاكهم عن ارتكاب مثل هذا المعنى. واجيب بان اسم العاصي على آدم بهذا المعنى مجاز والمجاز لا يقاس عليه ولا يتعدى عن موضعه و على تقدير جواز القياس عليه بطلان الثاني ممنوع اذ لا محذور فى اطلاق اسم العاصي عليهم بهذا الاعتبار (فدخل ذلك) أى الحرص و أخذ ما لا حاجة به (وذلك أن أكثر ما يطلب ابن آدم) انما قال أكثر لان قدر الكفاف لا بد منه و تحصيله عبادة لا احتياج قوام البدن و فعل الطاعات عليه (فتشعب من ذلك) أى من ذلك المذكور وهو الكبر والحرص والحسد و تخصيص

العلو و الثروة ، فصرن سبع خصال ، فاجتمعن كلهن في حب الدنيا ، فقال
الأنبياء والعلماء بعد معرفة ذلك : حب الدنيا رأس كل خطيئة ، والدنيا دنيا دنيا
دنيا بلاغ ودنيا ملعونة .

١٢ - علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن ابن أبي عمير ، عن ابن بكير ،
عن أبي عبدالله عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : إن في طلب الدنيا إضراراً
بالآخرة و في طلب الآخرة إضراراً بالدنيا ، فأضراراً بالدنيا فإنها أولى بالأضرار .

الإشارة بالحسد بعيد بحسب المعنى وان كان قريباً بحسب اللفظ (فصرن سبع خصال) أى فصارت
شعب المعاصى المذكورة سبع خصال وهى حب النساء الى آخره (فاجتمعن) أى سبع خصال ،
أوهى مع المعاصى المذكورة وهى الكبر والحرس والحسد (كلهن فى حب الدنيا) والظرفية
باعتبار الاكثر والافحب الدنيا ليس فى حب الدنيا (فقال الانبياء والعلماء) المراد بهم الاوصياء
أو الاعم (بعد معرفة ذلك) وهو أن المعاصى والخصال الذميمة كلها فى حب الدنيا و(حب الدنيا رأس
كل خطيئة) هذا الكلام على سبيل الحقيقة دون المجاز والمبالغة لان كل خطيئة تابعة لحب الدنيا
منبعثة منها لان الدنيا طريق الهوى وسبيل المنى الى الشهوات الحاضرة الخيالية واللذات العاجلة
الاعتبارية التى منها الكبر والحرس والحسد و حب النساء وغيره من الخصال المذكورة
و غير المذكورة من متعلقات الهوى والمنى رسماً وعادة ، وهذه الامور لا تتحصل الا باستعمال
القوة الشهوية الجالبة والقوة الغضبية الدافعة للموانع منها و يتولد منهما مفسد كثيرة غير
محصورة و من ههنا علم ان كل خطيئة تنبعث من حب الدنيا و تنفوت باعتبار التفاوت فى
حبها فمن ترك حبها صار خالصاً لمولاه و من احبها صار عبداً لدنياه ثم أشار الى أن الدنيا
مطلقاً ليست بمذمومة بقوله (والدنيا دنيا دنيا بلاغ) و هو قدر الكفاف من طريق الحلال و
هذا القدر لا بد لكل احد حتى الانبياء والاصياء الذين غاية همهم ترك الدنيا و التوجه
الى المولى و هو المعين للبقاء والعبادة (و دنيا ملعونة) و هى الزائدة عن قدر الحاجة
أو الحاصلة من طريق الحرام أو الداعية للنفس الى الطغيان و القلب الى العصيان و أهلها
الى الخذلان و تعلق اللعن بها باعتبار تعلقه بأهلها او باعتبار انها بعيدة عن الخير .

قوله (ان فى طلب الدنيا اضراراً بالآخرة) لان توجه الظاهر والباطن اليها و صرف
الفكر فيها و فى كيفية تحصيلها وحفظها و ارسال القوة الشهوية والغضبية الى الجلب والدفع
ينافى طلب الآخرة والتوجه اليها و يفهم منه أن المذموم من الدنيا ما يضر بأمر الآخرة ، و
أما ما يضره كقدر الحاجة فى البقاء والتعيش فليس بمذموم بل ممدوح .

١٣- محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن علي بن الحكم، عن أبي أيوب الخزاز، عن أبي عبيدة الحذاء قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: حدثني بما أنتفع به فقال: يا أبا عبيدة أكثر ذكر الموت، فإنه لم يكثر إنسان ذكر الموت إلا زهد في الدنيا.

١٤- عنه، عن علي بن الحكم، عن الحكم بن أيمن، عن داود الأزاري قال: قال أبو جعفر عليه السلام: ملك ينادي كل يوم: إبن آدم! لد للموت، واجمع للنفاء، وابن للخراب.

١٥- عنه، عن علي بن الحكم، عن عمر بن أبان، عن أبي حمزة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال علي بن الحسين صلوات الله عليهما: إن الدنيا قد ارتحلت مدبرة

قوله (أكثر ذكر الموت فإنه لم يكثر إنسان ذكر الموت الأزهد في الدنيا) لان

اكثر ذكر الموت وما يلحق الانسان بعده مع قلب حاضر من أشد الجواذب عن الدنيا الى الله، وفيه تنفير عن محبة الدنيا للاشتغال بالعمل للاخرة وانما قلنا مع قلب حاضر لان أكثر أهل الدنيا يذكرون الموت ويمشون خلف الجنائز و يشاهدون مسكن الموتى ولا تتأثر قلوبهم لاشتغالها بامور الدنيا وتكدرها بفكر زهراتها حتى صارت مظلمة لا يستقر فيها الحق و حقيقة الموت وما بعده وهكذا حال جميع العبادات فانها مالم تقترن بحضور القلب لا يحصل منها الاثر المقصود وهو قرب الحق ومشاهدة جلاله والوصول الى حقيقة كمال الانسان.

قوله (قال أبو جعفر «ع» ملك ينادي كل يوم ابن آدم لد للموت و اجمع للنفاء و ابن للخراب) في نهج البلاغة قال أمير المؤمنين «ع» ان الله ملكاً ينادي في كل يوم لدوا للموت و اجمعوا للنفاء و ابنوا للخراب» قال شارحه ليست اللام فيها للغرض و انما هي للمعاينة نحو قوله تعالى «فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدواً وحزناً».

قوله (قال علي بن الحسين عليهما السلام: ان الدنيا قد ارتحلت مدبرة) رحل عن البلد و ارتحل شخص و سار و المراد بادبار الدنيا تقضيها و انصرامها فقيه اشارة الى تقضى الاحوال الدنيوية الحاضرة بالنسبة الى كل احد من صحة و شباب و جاه و مال و كل ما هو سبب لصلاح حاله في الدنيا فان كل ذلك اجزاء الدنيا لدنوها من الانسان و لما كانت هذه الامور دائماً في التغير و التقضى المقتضى لمفارقة الانسان لها و بعدها عنه حسن اطلاق اسم الادبار على تقضيها و بعدها، و تشبيهها بالحيوان في الادبار مكنية و اثبات الارتحال لها تخيلية، و نسبة الادبار اليها ترشيح، و أشار الى أن الاخرة على عكس ذلك بقوله (وأن الاخرة قد

وإن الآخرة قد ارتحلت مقبلة و لكل واحدة منهما بنون فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا [ألا] وكونوا من الزاهدين في الدنيا، الراغبين في الآخرة، ألا إن الزاهدين في الدنيا اتخذوا الأرض بساطاً والتراب فراشاً والماء طيباً و قرصوا من الدنيا تقيضاً، ألا ومن اشتاق إلى الجنة سلا عن الشهوات و

ارتحلت مقبلة (الآخرة عبارة عن دار جامعة لاحوال يعود اليها الناس بعد الموت من طاعة ومعصية وسعادة وشقاوة وغيرها ولما كان تقضى العمر شيئاً فشيئاً باعثاً للوصول الى تلك الدار والورود على ما فيها من خير أو شر كان كل أحد متوجهاً اليها و اعتبر توجيهها اليه أيضاً فشبها بحيوان حامل لاثاث تلك الاحوال مقبلاً اليه فعن قريب يتلاقى «فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره» والى مضمون الفقرتين أشار أمير المؤمنين «ع» بقوله «كل ماض فكان لم وكل آت فكان قده» أى كان لم يكن وكان قد اتى حذف الفعلان لظهورهما (ولكل واحدة منهما بنون) استعار لفظ البنين للخلق بالنسبة الى الدنيا والآخرة ولفظ الاب لهما ووجه الاستعارة ان الابن لما كان من شأنه الميل الى الاب بحسب الطبع أو بحسب توقع النفع ومن شأن أبيه ايصال المتوقع وكان الخلق منهم من يميل الى الدنيا لتوقع النفع وهى يوصله اليه ومنهم من يميل الى الآخرة لذلك شبه الخلق بالابن والدنيا والآخرة بالاب واستعار لفظ الابن لهم ولفظ الاب لهما لتلك المشابهة المذكورة ولما كان غرضه حث الخلق على الآخرة والميل اليها والاعراض عن الدنيا قال (فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا) لان منافع الدنيا خيالية باطلة و سموم قاتلة و منافع الآخرة حقائق دائمة و فوائد باقية أبداً فينبغى أن تكونوا واليهين اليها و راغبين فيها و عاملين لها و أشار الى أن المقصود ليس مجرد رفض الدنيا و ترك العمل لها بل هو مع ازالة حبيها عن القلب بقوله:

(و كونوا من الزاهدين فى الدنيا الراغبين فى الآخرة) لان الزهد هو رفض الدنيا ظاهراً و باطناً ولا يتحقق الرغبة فى الآخرة الا به فأشار الى بعض آثار الزهد و علاماته بقوله (ألا ان الزاهدين فى الدنيا اتخذوا الارض بساطاً والتراب فراشاً والماء طيباً و قرصوا من الدنيا تقيضاً) البساط فعال بمعنى مفعول كالكتاب بمعنى المكتوب و الفراش بمعنى المنروش والطيب اللذيذ أو العطر والتقيض بمعنى التقطيع و ازالة الاتصال من قرضت الثوب اذا قطعت بالمقراض، أو بمعنى التجاوز من قرضت الوادى اذا جزته أو بمعنى العدول من قرضت المكان اذا عدلت عنه ، وبعض أطوار الزاهد ما أشار اليه أمير المؤمنين «ع» فى وصف عيسى على نبينا و عليه الصلوة والسلام بقوله «فلقد كان يتوسد الحجر و يلبس الخشن ، و

من أشفق من النار رجوع عن المحرمات، ومن زهد في الدنيا هانت عليه المصائب،
ألا إن الله عبادة كمن رأى أهل الجنة في الجنة مخلدين و كمن رأى أهل النار
في النار معذبين ، شرورهم مأمونة و قلوبهم محزونة ، أنفسهم عفيفة ، حوائجهم
خفيفة ، صبروا أياماً قليلة فصاروا بعقبى راحة طويلة ، أما الليل فصاروا أقدامهم

كان ادامه الجوع ، و سراحه بالليل القمر ، و ظلاله فى الشتاء مشارق الارض ، و فاكهته و
ريحانه ما تنبت الارض للبهائم ، و لم تكن له زوجة تفتنه ، ولا ولد يحزنه ، ولا مال
يلفته ، ولا طمع يذله ، دابته رجلاه ، و خادمه يداه ، قوله «وكان ادامه الجوع» وجهه قيام بدنه بالجوع
كقيامه بالادام . وقوله «ظلاله - الى آخره» وجهه استناره عن البرد بها كاستناره بالظلال (ألا و
من اشتاق الى الجنة سلاعن الشهوات) أى نسيها و منع نفسه منها (و من أشفق من النار
رجع عن المحرمات) جمع الحرمة كالغرفات جمع الغرفة ، و ذلك لان الاشتياق الى الشىء
يستلزم التوسل بسببه و الاشتاق من الشىء يستلزم التحرز من سببه (ومن زهد فى الدنيا
هانت عليه المصائب) لان المصائب الدنيوية كلها راجعة الى فوات الدنيا و من زهد
فيها سهل فواتها عنده ولا يحزن به .

(ألا ان الله عبادة كمن رأى أهل الجنة فى الجنة مخلدين و كمن رأى أهل النار فى
النار معذبين) اشار به الى أن العارف و ان كان فى الدنيا بجسده فهو فى مشاهدة بعين
بصيرته لاحوال الجنة و سعادتها و أحوال النار و شقاوتها كالذين شاهدوا الجنة بعين حسهم
و تمنعوا فيها و كالذين شاهدوا النار و عذبوا فيها كما مر فى حديث حارثة و هى مرتبة عين
اليقين و بحسب هذه المرتبة كانت شدة شوقهم الى الجنة و شدة خوفهم من النار .
و أشار الى بعض أحوال هؤلاء بقوله (شرورهم مأمونة) لان علمهم بقبح عاقبة
الشر يمنعهم عن القصد له و التوجه اليه و لان مبدأ الشر محبة الدنيا وهم بمعزل عنها .

(و قلوبهم محزونة) من احتمال تقصيرهم فيما مضى أو فيما يأتى و عدم علمهم بعاقبة
امورهم و بما يفعل بهم فى الدنيا و الآخرة ، و خوفهم من ألم الفراق و العقبات المستقبلية و لا
يسكن حزنهم و لا تطمئن قلوبهم حتى يخرجوا من الدنيا .

(أنفسهم عفيفة) لاعتدال قوتهم الشهوية و وقوعها على الوسط بين رذيلتى الخمود و
الفجور فلا يعجزون عن الحق و لا يميلون الى الفجور (حوائجهم خفيفة) لاقتصارهم فى الدنيا
على القدر الضرورى منها (صبروا أياماً قليلة فصاروا بعقبى راحة طويلة) اريد بأيام قليلة
مدة عمرهم وهم صبروا فيها على المكاه و الشدائد و ترك الدنيا و احتمال أذى الخلق و
القيام بالتكاليف ، و فى ذكر قلة مدة الصبر و استعقابه للمراحة الطويلة ترغيب فى الصبر لان

تجري دموعهم على خدودهم وهم يجأرون إلى ربهم ، يسعون في فكاك رقابهم . وأما النهار فحلما ، علماء ، بررة ، أتقياء ، كأنهم القداح قد براهم الخوف من العبادة ينظر إليهم الناظر فيقول : مرضى - و ما بالقوم من مرض - أم خولطوا فقد خالط القوم أمرٌ عظيم، من ذكر النار وما فيها.

تحمل مشقة كثيرة في مدة قليلة لمنفعة جزيلة راحة طويلة أبدية سهل وتلك الراحة هي السعادة في الجنة كما قال جل و عز و جزاهم بما صبروا جنة وحريراً ، .

(أما الليل فصافون أقدامهم تجرى دموعهم على خدودهم وهم يجأرون الى ربهم يسعون في فكاك رقابهم) جأر كمنع رفع صوته بالدعاء و تضرع و استغاث ، وفيه اشارة الى كمالهم في القوة العملية بارتكاب العبادات والتضرع والاستغاثة الى الله والخوف منه والترقب بما عنده من الكرامة والنفو عن التقصير، و ذكر الليل لان العبادة فيه أشق و أقرب الى القرية والقلب فيه أفرع. (و أما النهار فحلما علماء بررة أتقياء كأنهم القداح، قد براهم الخوف من العبادة) أما النهار عطف على أما الليل و كلاهما يجوز فيه الرفع على الابتداء والنصب على الظرفية. والحلم فضيلة تحت ملكة الشجاعة وهي الوسط بين رذيلتي المهابة والافراط في الغضب. والعلم اشارة الى كمالهم في القوة النظرية بالعلم النظري و الشرعى و هو معرفة الصانع وصفاته وأحكامه الشرعية. والبر بالفتح والبار الصادق أو التقي وهو خلاف الفاجر و جمع الاول أبرار وجمع الثاني بررة مثل كافر وكفرة وفاسق وفسقة والمعنى أنهم خائفون من الله تعالى وتاركون جميع القبائح البدنية والنفسانية، وأشار الى ثمرة خوفهم بقوله : «كانهم القداح» وهي بالكسر جمع القدح بالكسر والتسكين وهو السهم قبل أن يراش ويركب عليه نصله وأشار الى وجه الشبه بقوله «قد براهم الخوف من العبادة» و براهم بفتح الباء وتخفيف الراء مثل هداهم من البرى وهو تراشيدن تير، يعنى قد براهم الخوف كبرى القداح في النحافة والدقة وانما يفعل الخوف ذلك لاشتغال النفس المدبرة للبدن بسبب الخوف عن النظر فى صلاح البدن ووقوف القوة الشهوية والغاذية عن أداء بدل ما يتحلل.

(ينظر اليهم الناظر) من أهل الدنيا الذى طوره غير طورهم (فيقول مرضى) أى هم مرضى نظراً الى نحافة أجسامهم (وما بالقوم من مرض أم خولطوا) أى اختلت عقولهم نظراً الى تكلمهم بكلام خارج عن دركه (فقد خالط القوم أمر عظيم) وهو الخوف من ذكر النار و ما فيها وفيه اشارة الى ما يعرض لبعض العارفين عند ذكر النار وما فيها واتصال نفسه بالملاء الاعلى، واشتغاله عن تدبير البدن وضبط حركاته وسكناته على نحو حركات أهل الدنيا و سكناتهم من نحول جسمه وتغير هيئته وتكلمه بكلام خارج عن طور كلامهم مستبشع عندهم فينبسه

١٦- عنه، عن علي بن الحكم، عن أبي عبد الله المؤمن، عن جابر قال : دخلت علي أبي جعفر عليه السلام فقال: يا جابر والله إنني لمحزون وإنني لمشغول القلب، قلت: جعلت فداك وما شغلك؟ وما حزن قلبك؟ فقال : يا جابر إنّه من دخل قلبه صافي خالص دين الله شغل قلبه عمّا سواه ، يا جابر ما الدنيا وما عسى أن تكون الدنيا هل هي إلا طعامٌ أكلته أو ثوبٌ لبسته أو امرأةٌ أصبتها؟! يا جابر إنّ المؤمنين لم يطمئئوا إلى الدنيا ببقائهم فيها ، و لم يأمنوا قدومهم الآخرة ، يا جابر الآخرة

الناظر منهم تارة الى المرض الجسماني و تارة الى المرض الروحاني وهو اختلاط العقل و اختلاله بالجنون فقال «ع» اما المرض فممتف ، و أما المخالطة فمتحققة لكن لا بالجنون و نقصان العقل كما توهموا ، بل الخوف و الذكر والاتصال. و هي دواء للنفس يشفيها من جميع الامراض المهلكة.

قوله (انه من دخل قلبه صافي خالص دين الله شغل قلبه عما سواه) لعل المراد بالخالص الايمان الحقيقي واليقين بالله و اضافة الصافي اليه اما بيانية أو لامية بأن يراد بالصافي التقرب منه تعالى وحب لقاءه و لقاء الآخرة ، هذا وجه لشغل قلبه الشريف عما سواه ، و أما وجه حزنه فلعله أن الانسان و ان طى مقامات السير و وصل الى الحق و قرب منه لكنه مادام في هذه الدار لا يخلو من بعد في الجملة ، و انما يحصل القرب التام و الوصول الكامل بعد المفارقة منها فالعارف في هذه الدار دائماً في شغل عما ذكر و حزن لفقد هذا الكمال الذي لا يتأتى الا بالموت و لذلك قال علي «ع» حين ضرب « فزت برب الكعبة » ثم أشار الى ذم الدنيا و ترك محبتها على وجه يشعر بتحقيرها بقوله:

(يا جابر ما الدنيا وما عسى أن تكون الدنيا هل هي الا طعام اكلته، أو ثوب لبسته . أو امرأة أصبتها) للتنبيه على ان جل منافع الدنيا هذه الامور وهي منصرمة منقضية لابقاء لها . و العاقل لا يحب ولا يركن الى ما هو في معرض الفناء والزوال سريعاً ، ثم أشار الى أن المؤمنين السابقين لم يركنوا الى الدنيا ولم يطمئئوا ببقائهم فيها خوفاً من أمر الآخرة و قدومهم اليها بقوله (يا جابر ان المؤمنين لم يطمئئوا الى الدنيا ببقائهم فيها و لم يأمنوا قدومهم الآخرة) بل تركوا الدنيا و خافوا قدومهم الآخرة و المراد بالمؤمنين المؤمنون الكاملون وهم الكرماء و المتورعون في مكاسبهم الملازمون فيها للاعمال الجميلة الصالحة و الاخلاق الفضيلة الكاملة و أداء الحقوق النفسية و البدنية البالغون بذلك الى أعلى مراتب

دار قرار والدنيا دار فناء وزوال ولكن أهل الدنيا أهل غفلة و كأن المؤمنين هم الفقهاء أهل فكرة وعبرة ، لم يصممهم عن ذكر الله جل اسمه ماسمعوا بأذانهم و لم يعمهم عن ذكر الله مارأوا من الزينة بأعينهم ففازوا بثواب الآخرة ، كما فازوا بذلك العلم ، واعلم يا جابر أن أهل التقوى أيسر أهل الدنيا مؤونة و أكثرهم لك معونة ، تذكر فيعينونك وإن نسيت ذكروك ، قوالون بأمر الله قوامون على أمر الله ، قطعوا

المحبة وأقصى معارج اليقين ، ثم بالغ في الحث على الزهد في الدنيا بقوله :

(يا جابر الآخرة دار قرار والدنيا دار فناء وزوال و لكن أهل الدنيا أهل غفلة)
 للتنبيه على أنه لا ينبغي إيثار الفاني على الباقي ولكن أهل الدنيا لما كانوا جاهلين بقبائح الدنيا غافلين عن أمر الآخرة و اختاروا الزائل ترجيحاً للشاهد على الغائب و هو محل التعجب ولذلك قال أمير المؤمنين «ع» «عجبت لعامر دار الفناء و تارك دار البقاء» ثم أشار إلى أن كمال الإيمان والزهد في الدنيا يتحققان بالفقه والفكرة والعبرة بقوله :
 (وكان المؤمنين هم الفقهاء أهل فكرة و عبرة لم يصممهم عن ذكر الله جل اسمه ما سمعوا بأذانهم) من اخبار بسطة أيدي السابقين والقاصين وكثرة أموالهم وشدة تمكنهم من الدنيا (ولم يعمهم عن ذكر الله ما رأوا) في أهل الدنيا-

(من الزينة بأعينهم ففازوا) لترك الدنيا (بثواب الآخرة كما فازوا بذلك العلم) إذ بفقهم يعرفون الخير والشر ويميزون بين الحق والباطل وبين الباقي والزائل و بفكرتهم يتفكرون في أحوال ما بعد الموت إلى أن يدخل أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار ، وفي أحوال ما يرد عليه الانسان بعده من المقامات و صعوبة التخلص منها و بالعبرة يعتبرون بأنفسهم في كيفية وصول الرزق اليهم حين كونهم أجنة في بطون امهاتهم من غير اختيار ولا عمل لهم ، و بأحوال الماضين و ما كانوا فيه من نعيم الدنيا ولذاتها و المباهات بكثرة الاموال و الاعوان ، ثم المفارقة لذلك كله بالموت أو الاخذ ، وبقاء الحسرة و الندامة والاعمال وعلائق الدنيا حجباً حائلة بينهم و بين الرحمة و حضرة جلال الله و ذلك يبعثهم على الزهد في الدنيا والاقبال ظاهرأ و باطنأ إلى الله تعالى والسعي الآخرة رحم الله من تفقه وتفكر واعتبر فابصر ، ثم أشار إلى جملة من حالات الزاهدين و صفات المتقين بقوله :

(يا جابر ان أهل التقوى أيسر أهل الدنيا مؤونة) أي ثقلاً لانهم لا يتحملون من الدنيا الا القدر الضروري في العيش و البقاء (و أكثرهم لك معونة) لانهم مستعدون لاعانة المحتاجين في امور الدنيا والدين سألوا أم لا كما أشار إليه بقوله (تذكر) أي حاجتك ، (فيعينونك) فيها (وان نسيت ذكروك) و أرشدوك إليها والى طريق قضائها ، ثم يعينونك مع

محببتهم بمحبة ربهم ووحشوا الدنيا لطاعة مليكهم و نظروا الى الله عز وجل و الى محبته بقلوبهم و علموا أن ذلك هو المنظور إليه ، لعظيم شأنه . فانزل الدنيا كمنزل نزلته ثم ارتحلت عنه ، أو كمال وجدته في منامك فاستيقظت و ليس معك

الحاجة الى الاعانة (قوالون بأمر الله) لان شأنهم ارشادهم و هدايتهم للخلق الى ما فيه صلاحهم و زجرهم عما فيه فسادهم (قوامون على أمر الله) يحفظونه من الزيادة والنقصان و يمعنون عنه تصرف أهل الجهل والظنbian فهو بعنايتهم ينظم و يقوم و بحمايتهم يستقيم و يدوم (قطعوا محبتهم بمحبة ربهم) أى قطعوا محبتهم عن جميع الاشياء و اختاروا محبة ربهم ، أو تركوا ما يحبونه و عملوا بما يحبه ربهم .

(و وحشوا الدنيا لطاعة مليكهم) أى انقطعوا عن الدنيا و فروا منها ولم يستأنسوا بها لان يطيعوا مالكم فيما أراد منهم من ترك الدنيا أو الاعم منه ومن ترك جميع الشرور و فعل جميع الخيرات بقلب فارغ عن غيره (و نظروا الى الله عز وجل والى محبته بقلوبهم) بقلوبهم متعلق بنظروا وانما أخرها مع أن النظر مسند اليها فى الحقيقة اما للاهتمام بالمقدم أو لقصد الحصر أى نظروا ببصرة قلوبهم الى الله والى محبته لا الى غيرهما والاخير أنسب بقوله (و علموا أن ذلك) أى ذلك المذكور و هو الله و محبته والاشارة للتعظيم .

(هو المنظور اليه لعظيم شأنه) أى هو الذى ينبغى أن ينظر اليه لالى غيره لعظمة شأنه و حقارة مساواه ، ثم خاطب جابراً و كل من يصلح للخطاب وزهده فى الدنيا بتمثيل بليغ بقبح حال الدنيا و صاحبها فقال (فأنزل الدنيا كمنزل نزلته) فى سفرك (ثم ارتحلت عنه ، أو كمال وجدته فى منامك) مثل مال وجاء وامرأة جميلة (١) .

(فاستيقظت و ليس معك منه شيء) شبه الدنيا بذلك المنزل فى قلة زمان الكون فيه و شبه متاعها بذلك الكمال (١) فى عدم الاعتناء به وعدم كونه كما لافى الحقيقة لسرعة زواله بنفسه أو بالموت الشبيه بالاستيقاظ فلا يكون معك منه شيء كما لا يكون مع المستيقظ من ذلك الكمال شيء . و يظهر منه سر قول أمير المؤمنين « ع » « الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا » و العاقل اللبيب اذا نظر الى الدنيا بعين البصيرة و وجدها متصفة بالصفات المذكورة زال عنه حياء . قال الشاعر موافقاً لهذا التمثيل :

نزلنا ههنا ثم ارتحلنا كذا الدنيا نزول و ارتحال
أردنا أن نقيم بها ولكن مقام المرء فى الدنيا محال

و قال بعض أكابر الشيعة : « والله لو كانت الدنيا بأجمعها تبقى علينا و يأتى رزقها رغداً ما كان من حق حر أن يذل لها فكيف وهى متاع يضمحل غداً » ثم أشار الى تمثيل آخر

(١) كمال حرف الجر دخلت على كلمة مال لامن كمال كما توهمه (ش) .

منه شيء، إنني [إنما] ضربت لك هذا مثلاً، لأنّها عند أهل اللبّ والعلم بالله كفيء الظلال، يا جابر! فاحفظ ما استرعاك الله جلّ وعزّ من دينه وحكمته ولا تسألنّ عمالك عنده إلا ما له عند نفسك، فإن تكن الدنيا على غير ما وصفت لك فتحول

أبلغ وأظهر بقوله (إنني إنما ضربت لك هذا مثلاً لأنها عند أهل اللب والعلم بالله كفيء الظلال) في سرعة الزوال، أو في أنه ليس بشيء حقيقة، أو في الاستغلال به قليلاً ثم الارتحال عنه، أو في أنه يرى ساكناً وهو يزول بالتدرّج آناً فآناً والدنيا كذلك «والظلال» جمع الظل وهو الفئء بمعنى واحد عند كثير من الناس، وقال ابن قتيبة و ليس كذلك بل الظل يكون غدوة وعشية والفئء لا يكون إلا بعد الزوال فلا يقال لما قبل الزوال فئء وإنما سمي بعد الزوال فئئاً لأنه ظل فآء عن جانب المغرب إلى جانب المشرق، والفئء الرجوع، وقال ابن السكيت الظل من الطلوع إلى الزوال والفئء من الزوال إلى الغروب، وقال ثعلب الظل للشجرة وغيرها للدعاة والفئء بالعشاء، وقال رؤبة بن العجاج كلما كانت عليه الشمس فالت عنه فهو ظل وفئء ومالم تكن عليه الشمس فهو ظل ومن هنا قيل الشمس تنسخ الظل والفئء ينسخ الشمس، (يا جابر فاحفظ ما استرعاك الله عزوجل من دينه وحكمته) وهي العلم بالشرائع والمراد بحفظه حفظه عن الضياع والعمل به وتعليمه لمن هو أهل له.

(ولا تسألن عمالك عنده) من الحقوق مثل الرزق وغيره لأنه لا يترك ما للبعد عليه وما ورد من الحث على الدعاء لطلب الرزق فهو لكون الدعاء عبادة، أو للتوسعة، أو لغير ذلك مما يجيء تفصيله في كتاب الدعاء إن شاء الله تعالى.

(إلا ما له عند نفسك) من الطاعة والتسليم والزهد في الدنيا فانك تحتاج إلى السؤال عنه وطلب المدد والاعانة والتوفيق منه تعالى والاستثناء من الموصول و ظاهره الانقطاع لأن الحقيقتين متغايرتان لا يصدق أحدهما على الآخر ويمكن إرجاعه إلى الاتصال لأن ما له عند نفسك فهو لك في الحقيقة وثمرته راجعة إليك لأنه أجل من أن يحتاج إلى شيء و يعود إليه فوائد من العباد والله أعلم.

(فإن تكن الدنيا على غير ما وصفت لك فتحول إلى دار المستعجب) هذا من الغريب وحقيقته غير معلومة لنا، ولكن نقول على سبيل الاحتمال: لا ريب في اتصاف الدنيا بالوصف المذكورة والناس فيه ثلاثة أقسام لأن من اعتقد باتصافها بها وجب عليه الزهد فيها عملاً بمقتضى علمه ومن اعتقد بعدم الاتصاف أولم يعتد بالاتصاف ولا بعدهم فليتحول إليها ليعلم شوائدها وانتقالاتها على أهلها واتصافها بما ذكر بالتجربة والامتحان والشرط المذكور شامل للاخيرين والمستعجب بالكسر من يطلب الرضا بإزالة ما عوتب عليه و خوطب بالسخط،

إلى دار المستعتب ، فلعمري لربّ حريص على أمر قدشقى به حين أتاه ولربّ كاره لأمر قد سعد به حين أتاه ، و ذلك قول الله عزّ وجلّ : « ولِمَحْصِ اللَّهِ الَّذِينَ آمَنُوا و يمحق الكافرين ».

١٧- عنه ، عن عليّ بن الحكم ، عن موسى بن بكر ، عن أبي إبراهيم عليه السلام قال : قال أبوذرّ رحمه الله جزيّ الله الدنيا عنّي مذمة بعد رغيفين من الشعير أتغذّي بأحدهما و أتعشّي بالآخر و بعد شملتني الصوف أتزر بأحديهما و أتردّي بالأخرى.

١٨ - و عنه ، عن عليّ بن الحكم ، عن المنثني ، عن أبي بصير ، عن أبي-

و انما قال « فتحول الى دار المستعتب » و لم يقل فتحول اليها للاشعار بأن كل أهل الدنيا والمائل اليها مستعتب يوم القيمة و نادم على ما كان عليه و طالب للنفو والرضا ولكن لا ينفعه ذلك كما ورد « ما بعد الموت من مستعتب »

(فلعمري لرب حريص على أمر قدشقى به حين أتاه و لرب كاره لامر قدسعد به حين أتاه) كما قال جل شأنه « و عسى أن تكرهوا شيئاً و هو خير لكم و عسى أن تحبوا شيئاً و هو شر لكم » اذا ما من شيء الاوله جهات متعددة فربما يدرك أحد حسن جهة فيطلبه و هو غافل عن قبح جهات اخر ، أو عن قبح عاقبة تلك الجهة و ربما يدرك قبح جهة فيكرهه و هو غافل عن حسن جهات اخر ، أو عن حسن عاقبة تلك الجهة.

(و ذلك قول الله عزّ وجلّ وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين) أي كون مكروه الدنيا سعادة و مرغوبها شقاوة أو حصول السعادة بالمكروهات و حصول الشقاوة بالمرغوبات مضمون هذا القول الكريم ، فان تمحيص المؤمن انما يكون بورود مكاره النفوس و ما يثقل عليها ليخرج من بوتقة الامتحان خالصاً صافياً سعيداً وترك التمحيص في الحريص يوجب محقه و فساد و امتداده في النى والطغيان فالتمحيص في المؤمن لطف و احسان وتركه في الحريص محق و خذلان.

قوله (قال أبوذرّ -ه- جزيّ الله الدنيا عنّي مذمة بعد رغيفين من الشعير) أشار الى أن غير ما ذكره من الدنيا عنده مذموم و أحال ذمه الى الله تعالى نيابة عنه للدلالة على كمال ذمه لان كل فعل من الفاعل القوى قوى بالغ حد الكمال ، و أمّا ما ذكره فغير مذموم لان كل شخص يحتاج في بقاءه الى الغذاء واللباس ليكون بدلا عما يتحلل و يحفظه عن الحر والبرد و ما ذكره و ارتضاه لنفسه هو أقل المراتب منهما وبالجملة حث به على ترك الدنيا الا الضرورة منها.

عبدالله عليه السلام قال : كان أبوذر رضي الله عنه يقول في خطبته : يا مبتغي العلم كأن شيئاً من الدنيا لم يكن شيئاً الا ما ينفع خيره و يضر شره إلا من رحم الله ، يا مبتغي العلم لا يشغلك أهل ولا مال عن نفسك ، أنت يوم تفارقهم كضيف بت فيهم ثم غدوت عنهم إلى غيرهم ، و الدنيا و الآخرة كمنزل تحوالت منه إلى غيره و ما بين الموت و البعث إلا كنومة نمتها ثم استيقظت منها ، يا مبتغي العلم قدّم لمقامك بين يدي الله عز وجل ، فإنك مثاب بعملك كما تدين تدان يا مبتغي العلم.

١٩- عدة من أصحابنا ، عن أحمد بن محمد بن خالد ، عن القاسم بن يحيى ، عن جدّه الحسن بن راشد ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : قال رسول الله عليه السلام : مالي و للدنيا

قوله (يا مبتغي العلم كان شيئاً من الدنيا لم يكن شيئاً) خاطب طالب العلم و علمه ما هو خيره و هو الزهد في الدنيا و رغبه فيه بقوله (الا ما ينفع خيره و يضر شره الا من رحم الله) الظاهر أن الاء حرف تنبيه و ما نافية و الضمير البارز راجع الى شيئاً و الجملة بيان لما قبلها يعني أن شيئاً من الدنيا ليس شيئاً يعتد به و يركن اليه العاقل لانه اما خير أو شر و خيره لا ينفع لانه في معرض الفناء و الزوال و شره يضر الا من رحم الله و هو الذي عصمه من الشر و فيه زجر عن التعرض لشيء منها و انما قال من الدنيا و لم يقل في الدنيا لان في الدنيا شيء يعتد به اذا كان متعلقاً بالآخرة فخيره يطلب و شره يترك و لما كان سبب الغفلة في الاكثر هو الاشتغال بالاهل و المال و صرف العمر في رعايتهما و حفظهما نهي عن ذلك بقوله (يا مبتغي العلم لا يشغلك أهل ولا مال عن نفسك) أي عن تحصيل ما ينفعك في يوم لا ينفع مال و لا ينون كما قال جل شأنه و يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم و لا أولادكم عن ذكر الله و من يفعل ذلك فاولئك هم الخاسرون ، ثم رغب في تركها و حكم بأن سهل لقلّة زمانها بقوله (أنت يوم تفارقهم كضيف بت فيهم ثم غدوت عنهم الى غيرهم) التشبيه بالضيف في قلّة الإقامة و قرب الرحيل و فيه مع ما يليه تنبيه على سرعة الانتقال و النزول في الآخرة و مشاهدة أهوالها و كراماتها و تحريص على تحمل المشاق فيها و تحصيل زاد الآخرة .

(يا مبتغي العلم قدّم لمقامك بين يدي الله عز وجل) أي قدم العمل و العمل متوقف على العلم و لذلك خاطب مبتغيه بذلك ، و في قوله « كما تدين تدان » تنبيه على وجوب حسن المعاملة مع الرب اذا كان حسن جزائه بقدر حسن المعاملة معه و قبجه بقدر قبجها . و يؤيده ما روى « و كما تزرع تحصد » لفظ الزرع مستعار لما يفعله الانسان من خير أو شر ، و لفظ الحصد لما يشمر ذلك الفعل من ثواب أو عقاب ، و وجه الاستعارتين ظاهر .

قوله (قال رسول الله «س» مالي و للدنيا و ما أنا و الدنيا) و من طريق العامة روى

وما أنا والدنيا وإنما ملي ومثلها كمثل الرأكب رفعت له شجرة في يوم صائف فقال تحتها ثم راح وتركها.

٢٠- علي بن إبراهيم، عن محمد بن عيسى، عن يحيى بن عقبة الأزدي، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال أبو جعفر عليه السلام: مثل الحريص على الدنيا كمثل دودة القز، كلما ازدادت على نفسها لفاً كان أبعد لها من الخروج حتى تموت غماً، قال: وقال أبو عبد الله عليه السلام: كان فيما وعظ به لقمان ابنه: يا بني إن الناس قد جمعوا قبلك لأولادهم فلم يبق ما جمعوا ولم يبق من جمعوا له، وإنما أنت عبد مستأجر قد أمرت بعمل ووعدت عليه أجراً فأوف عملك واستوف أجرك ولا تكن في هذه الدنيا

عن ابن مسعود أن رسول الله «ص» نام على حصير فقام وقد أثر في جسده فقالوا لو أمرتنا أن نبسط لك ونعمل فقال «ص» مالي ولدنيا وما أنا والدنيا الا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها، وهذا من التشبيه التمثيلي ووجه التشبيه سرعة الرحيل وقلة المكث و عدم الرضا به فقد أشار «ع» الى انه على بصيرة من نفسه ويقين من سرعة النزول في الآخرة و مشتاق الى لقاء الله و حسن ثوابه والكرامة الابدية المعدة للزاهدين لا الى الدنيا وزهراتها .
والصائف الحار . والقبولة النوم قبل الزوال .

قوله (مثل الحريص على الدنيا كمثل دودة القز) هذا تشبيه تمثيلي في غاية الحسن واللفظ و وجه التشبيه هو أن الدودة تفعل فلما فيه هلاكها ونفع غيرها وهي لاتعلم و كذلك الحريص على الدنيا .

قوله (كان فيما وعظ به لقمان ابنه يا بني ان الناس قد جمعوا قبلك لا اولادهم فلم يبق ما جمعوا ولم يبق من جمعوا له) فيه تزهيد في صرف العمر في الفاني للفاني كما أن في قوله (و إنما أنت عبد مستأجر - الى آخره) ترغيب في صرفه في الباقي للباقي والتشبيه بالمستأجر تمثيل للمعقول بالمحسوس فكما أن الاجير لا يستحق الاجرة بدون العمل كذلك أنت لا تستحق الثواب بدون العمل له ، ويقرب منه ما روى عن أمير المؤمنين «ع» أنه قال «الناس في الدنيا عاملان عامل للدنيا في الدنيا قد شغلته دنياه عن آخرته . يخشى على من يخاف الفقر و يأمنه على نفسه فيغنى عمره في منفعة غيره ، وعامل عمل في الدنيا لما بعدها فجاءه الذي له من الدنيا بغير عمل فأحرز الحظين معاً وملك الدارين جميعاً ، فأصبح وجبها عند الله لا يسأل الله حاجة شيئاً ثم أشار الى ان الحرص في الدنيا مهلك بقوله :

(ولا تكن في هذه الدنيا بمنزلة شاة) هذا أيضاً تشبيه تمثيلي وفيه تزهيد في تناول زهرات الدنيا و مطعوماتها الشهية وكثرة الاكل منها فان ذلك موجب لقوة النفس الامارة و طغيانها

بمنزلة شاة وقعت في زرع أخضر فأكلت حتى سمنت فكان حتفها عند سمنها و لكن اجعل الدنيا بمنزلة قنطرة على نهر جرت عليها و تركتها ولم ترجع إليها آخر الدهر، أخبرها ولا تعمرها . فإنك لم تؤمر بعمارها، واعلم أنك ستسأل غداً إذا وقعت بين يدي الله عز وجل عن أربع : شبابك فيما أبليت و عمرك فيما أفنيت و مالك مما اكتسبته و فيما أنفقته ، فتأهب لذلك و أعد له جواباً ، ولا تأس على ما فاتك من الدنيا ، فإن قليل الدنيا لا يدوم بقاءه و كثيرها لا يؤمن بقاءه ، فخذ حذرک ، وجد في أمرک و اكشف الغطاء عن وجهك و تعرض لمعروف ربك وجد

و سبب لهلاكها ثم أمر بعدم الركون الى الدنيا والاستقرار فيها للجمع والادخار بقوله :

(ولكن اجعل الدنيا بمنزلة قنطرة على نهر) هذا أيضاً تمثيل ووجه ظاهر اذ كل عاقل يعلم أن الدنيا محل العبور لامحل النزول كالقنطرة فانظر هل ترى فيها من السابقين أحداً ، ثم أمر برفض كل ما لا يحتاج اليه بقوله :

(اخر بها ولا تعمرها فانك لم تؤمر بعمارها) لعل المراد باخبارها ترك ما لا يحتاج اليه من المطاعم والمشارب والملابس والمساكن والمناكح والاقتصار على القدر الضروري في كل منها . اذ لا بد للسالك من زاد للدنيا و زاد للاخرة فزاد الدنيا القدر الضروري مما ذكر وكلما كان أقل فهو أحسن وأفضل وزاد الاخرة العلم والعمل وتهذيب الظاهر والباطن وهو كلما كان اتم وأكثر كان أحسن وأجدر . وفي قوله :

(و اعلم انك ستسأل غداً) ترغيب في صرف قوة الشباب و العمر في طلب الدين و العمل به واكتساب المال من طرق الحلال وانفاقه في الوجوه المشروعة وارشاد الى التأهب والاستعداد للجواب ومراقبة النفس ومحاسبتها في كل آن لتلايقع في هاوية النقصان والخذلان . (ولا تأس على ما فاتك من الدنيا - الى آخره) وفيه ترغيب في تطهير القلب عن حب

الدنيا أي لا تحزن على ما فاتك من قليل الدنيا وكثيرها .

(فان قليل الدنيا لا يدوم بقاءه) و العاقل لا يتأسف بفوات قليل لا بقاء له (و كثيرها لا يؤمن بقاءه) و العاقل لا يتأسف أيضاً بفوات ما يوقعه في الضرر والبلية (فخذ حذرک) الحذر تهيبته كاره و لعل المراد به تجهيز أمر الاخرة بتطهير الظاهر والباطن (وجد في أمرک) لعل المراد به تحلية الظاهر والباطن بالاعمال الصالحة والاخلاق الفاضلة .

(و اكشف الغطاء عن وجهك) أي عن وجه قلبك . وغطاؤه ما يحجب عنه مشاهدة المعبود و ملاحظة المقصود و يمنعه من الوصول اليه والتقرب منه من مفاصل العقائد و مقابح الاعمال والاخلاق ، وكشفه رفعه الموجب لمشاهدة جلاله وكماله والاتصال به اتصالاً روحانياً .

التوبة في قلبك و اكمش في فراغك قبل أن يقصد قصدك و يقضى قضاؤك و يحال بينك و بين ما تريد .

٢١- علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن ابن محبوب ، عن بعض أصحابه ، عن ابن أبي يعفور قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : فيما ناجى الله عز وجل به موسى عليه السلام يا موسى لا تركزن إلى الدنيا ركون الظالمين و ركون من اتخذها أباً و أمماً يا موسى لو و كلتك إلى نفسك لتنظر لها إذا لعلب عليك حب الدنيا و زهرتها ، يا موسى نafs في الخير أهله و استبقهم إليه ، فإن الخير كاسمه و اترك من الدنيا ما بك الغنى عنه و لا تنتظر

(و تعرض لمعروف ربك) وهو ما أراد منك ، أو أجره في الآخرة ، أو ما يفضيه على أهل العرفان (و جدد التوبة في قلبك) إشارة إلى أن التوبة أمر قلبي وهي الندامة عما مضى و العزم على عدم الاتيان بمثله ، و إلى رجحان تجديد التوبة بعد التوبة لان السالك لا بد أن يكون في ندامة بعد ندامة دائماً (و اكمش في فراغك) أى عجل و أسرع ، أو تشمر و جد في فراغك عما يوجب الغر و الخذلان لما يوجب العز و الاحسان .

(قبل ان يقصد قصدك) أى نحوك يقال قصدت قصده أى نحوه (و يقضى قضاؤك) أى موتك ، أو سوء خاتمتك .

(و يحال بينك و بين ما تريد) من التوبة و الطاعات و الاخلاق النافعة بعد الموت أو الرجعة إلى الدنيا و تمنيتها بعده لتحصيل ما ينفع في الآخرة عند مشاهدة كرامة الاولياء و شقاوة الاشقياء ، أو تأخير الاجل عند الاحتضار فتقول رب لولا أخرتني إلى أجل قريب و فاصدق و أكن من الصالحين ، و العاقل ينبغي أن يتصور أنه طلب الرجعة فرجع و يسعى في طلب الخيرات في كل زمان بقدر الامكان و يحفظ نفسه عن الغفلة و النسيان و الله هو المستعان .
قوله (يا موسى لا تركزن إلى الدنيا ركون الظالمين) اريد بالظالمين أهل الدنيا مثل سلاطين الجور و اتباعهم و من يحذو حذوهم في الركون اليها .

(و ركون من اتخذها أباً و أمماً) شبه الدنيا بالاب و الام و أهلها بالاطفال في الركون اليها و الانس بها (يا موسى لو و كلتك إلى نفسك لتنظر لها) أراد بالنظر لها نظر ميل و ارادة و اما النظر اليها نظر تفكر و عبرة فهو يوجب الاعراض عنها .
(يا موسى نafs في الخير أهله) نafs في الشيء منافسة و نفاساً اذا رغبت فيه على وجه المبارات و المغالبة (و اترك من الدنيا ما بك الغنى عنه) اما ما لا غنى عنه من الضروريات اللائقة شرعاً و عقلاً فلا ينبغي تركه (ولا تغبطن أحداً برضى الناس عنه حتى تعلم أن الله راض عنه) دل على عدم جواز الغبطة في أمر الدنيا الغير الضروري و على جوازها في أمر الدين

عينك إلى كل مفتون بها و موكل إلى نفسه، و اعلم أن كل فنة بدؤها حب الدنيا ولا تغبط أحداً بكثرة المال فإن مع كثرة المال تكثر الذنوب لواجب الحقوق ولا تغبطن أحداً برضى الناس عنه، حتى تعلم أن الله راض عنه ولا تغبطن مخلوقاً بطاعة الناس له، فإن طاعة الناس له، و اتباعهم إياه على غير الحق هلاك له و لمن اتبعه.

٢٢- علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن عبدالله بن المغيرة، عن غياث بن إبراهيم، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: إن في كتاب علي صلوات الله عليه: إنما مثل الدنيا كمثل الحية ما أليّن مسها و في جوفها السم الناقع، يحذرهما الرجل العاقل و يهوى إليها الصبي الجاهل.

٢٣- علي بن إبراهيم، عن محمد بن عيسى، عن يونس، عن أبي جميلة قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: كتب أمير المؤمنين عليه السلام إلى بعض أصحابه يعظه أوصيک وونفسى بتقوى

والنبطة أن تمنى حال المنبوط من غير أن تريد زوالها عنه.

قوله (انما مثل الدنيا كمثل الحية ما أليّن مسها و في جوفها السم الناقع) أى القاتل وهو من صيغ التعجب وفيه إشارة إلى وجه التشبيه وهو امامتعدد أو مركب من متعدد و على التقديرين فى المشبه به حسى وفى المشبه عقلى والغرض من هذا التشبيه اما بيان حال المشبه و صفته أو تقبيحه فى نظر السامع ليتنفر طبعه عنها وهما انما يقتضيان ان يكون المشبه به اعرف واشهر فى وجه التشبيه من المشبه ولا ينافى ذلك ان يكون الامر بالعكس فى الاتمية فعلى هذا يمكن ان يكون تأثير سم الدنيا أقوى وأتم لانه يؤثر فى النفس الناطقة و يوجب الهلاك الابدى، و مس الدنيا كناية عن جمع زهراتها الفانية والالتذاذ بها، و سمها عبارة عما يترتب عليه فى المال (يحذرهما الرجل العاقل) لعلمه بأن القرب منها و تناولها يوجب هلاكه فيكون انسه و سروره بالحذر عنها والفرار منها والاتصال بالمولى.

(و يهوى إليها الصبي الجاهل) اطلق على طالب الدنيا لفظ الصبي على سبيل الاستعارة لعدم علمه بما يضره و ينفعه اذ ليس له بصيرة باطنية ليدرك بها بواطن الامور، ولذلك نظره مقصور على ظواهرها وهمه مصروف الى التمسك بها و الركون اليها حتى لو منعه موانع لعارضة أشد المعارضة وقاتله أقبح المقاتلة فرما يحبس الحرس فى سجن المهالك وهو مشعوف بذلك فيأتيه الموت ويفسد عليه وهو فى الآخرة من الخاسرين.

من لاتحل معصيته ولا يرحى غيره ولا الغنى إلا به ، فان من اتقى الله عز و قوي و
شعب وروي و رُفِع عقله عن أهل الدنيا ، فبدنه مع أهل الدنيا و قلبه وعقله معاين
الآخرة ، فأطفاً بضوء قلبه ما أبصرت عيناه من حب الدنيا فقدّر حرامها و جانب
شبهاتها وأضرّ الله بالحلال الصافي إلا ما لا بد له [منه] من كسرة يشدُّ بها صلبه و ثوب

قوله (كتب أمير المؤمنين دع ، الى بعض أصحابه يعظه او صيك و نفسى بتقوى [الله]) الوعظ
الامر بالطاعة و عليه قوله تعالى « قل انما أعظكم بواحدة ، أى أمركم و قيل الوعظ تذكير
مشمول على زجر و تخويف و حمل على طاعة الله بلفظ يرق له القلب و الاسم الموعظة . و الوصية
بالشئ الامر به و عليه قوله تعالى « يوصيكم الله فى أولادكم ، أى يأمركم و قوله « من لاتحل
معصيته ، بدل أو وصف للجلالة (فان من اتقى) الظاهر أنه علة لقوله « او صيك » يعنى أمرتك
بالتقوى فان من اتقى الله و اجتنب عن معصيته و تنزه عما يشغل عنه (عز) بجزء ربانية لاذل معها .
(و قوى) بقوة روحانية لاضعف فيها (و شعب) بحكمة الهية لاجهل معها ،

(و روى) بزال أسرار غيبية و أطفاف لاهوتية لايحتاج معها الى غيرها (و) لذلك (رفع
عقله عن أهل الدنيا) حيث أن عقولهم عكفت كالذباب على ميتة الدنيا و عقله سائر فى المساء
الاعلى (فبدنه مع أهل الدنيا) لكونه من جنس أبدانهم فى الصورة الجسدانية .
(و قلبه وعقله معاين الآخرة) لتجرده عن الملائق الجسمانية . (فاطفاً بضوء قلبه ما
أبصرت عيناه) من حب الدنيا ، الاطفاء اخماد النار حتى لا يبقى منها شئ و ضوء القلب عبارة
عن صورة العلمية المايزة بين الحق و الباطل و الحسن و القبح ، و فى عدج الدنيا مبصراً
مسامحة ، و تشبيهه بالنار فى الاحراق و الاهلاك استعارة ممكنة و نسبة الاطفاء اليه تخيلية .
(فقدّر حرامها) القدر الوسخ و هو مصدر قدر الشئ فهو قدر من باب تعب اذا لم
يكن نظيفاً ، و قدرته من باب تعب أيضاً و استقدرته و تقدّرت كرهته لو سخه فأقدرته بالالف
و جدته كذلك و كثيراً ما يطلق على النجس و هو المراد هنا .

(و جانب شبهاتها) و هى المشبهات بالحرام مع عدم العلم بأنها حرام كأموال
الظلمة الاخذين لاموال الناس ظلماً (و أضرّ الله بالحلال الصافي) و هو الحلال الخالص
من الحرام قطعاً (الا ما لا بد له) و هو أقل المعيشة الذى لا يمكن الوجود و البقاء و الطاعة
بدونه (من كسرة يشد بها) صلبه الكسرة بالكسرة القطعة من الشئ المكسور و منه الكسر
من الخبز المتخذ من دقيق الحنطة و الشعير أو غيرهما و الجمع كسر مثل سدر و سدر .
(و ثوب يوارى به عورته من أغلظ ما يجد و أخشنه) خص العورة بالذكر لانها أهم
بالمواراة و الا فلا بد من ثوب يوارى به سائر البدن عند الاحتياج اليه لحفظ الحر و

يواري به عورته من أغلظ ما يجد و أخشنه ولم يكن له فيما لا بد له منه ثقة ولا رجاء، فوَقعت ثقته ورجاؤه على خالق الأشياء، فجدَّ واجتهد و أتعب بدنه حتى بدت الأضلاع و غارت العينان فأبدل الله له من ذلك قوَّة في بدنه و شدَّة في عقله وما ذخر له فسي الأخره أكثر، فارفض الدنيا فإنَّ حبَّ الدنيا يُعمى و يُصم و يبكم و يذل الرقاب فتدارك ما بقي من عمرك و لا تتقلَّ غداً [أ] و بعد غد، فإنَّ ما هلك من كان قبلك باقامتهم على الأمانى و التسوييف حتى أتاهم أمر الله بغتة وهم غافلون، فنقلوا على

البرد (و لم يكن له فيما لا بد له منه ثقة ولا رجاء) نفى الثقة والاعتماد فيما لا بد منه عند كونه حاصلًا و نفى الرجاء عند عدم كونه حاصلًا.

(فوَقعت ثقته) عند الحصول (ورجاؤه) عند عدمه (على خالق الأشياء) هذا غاية الزهد والتوكل حيث قطع تعلقه بالوسائل والأسباب وخص تعلقه برب الأرباب.

(فجدَّ واجتهد) أى فجدد فى السير اليه والعمل له واجتهد فى تهذيب الظاهر والباطن مما يمنع القرب منه (و اتعب بدنه) بأنحاء العبادات والرياضات.

(حتى بدت الأضلاع) لشدة هزاله بكثرة التعب و قلة الغذاء (و غارت العينان) لكثرة السهر و قلة النوم (فأبدل الله له من ذلك قوة فى بدنه) يتحمل بها الأعمال الشاقة مع ضعف البنية (و شدَّة فى عقله) يدرك بها الأسرار اللاهوتية و يتحمل الأنوار الملكوتية (و ما ذخر له فى الأخره) من الأجر الجميل والثواب الجزيل و المقامات العالية والدرجات الرفيعة (أكثر) مما آتاه فى الدنيا (فارفض الدنيا فإن حب الدنيا) وهو ميل النفس إليها بحيث يفرح بحصولها و يحزن بفواتها .

(يعمى و يصم و يبكم و يذل الرقاب) المراد بالعمى عمى البصيرة فإن حب الدنيا حاجز بينها وبين الحق وأسواره، مانع من ادراكهما . و يحتمل عمى البصر فإن حبها مانع من ادراك البصر تغلبها على أهلها و ادراك نوائبها الدالة على هوانها كما أنه مانع من سماع نداء الداعى الى فراقها و آيات الحق على زوالها وفنائها و من التكلم بالأوامر و التواهى وتقبيح المنكرات لان كل ذلك مناف لما ارتكبه من الميل الى الدنيا وحب الشهوات وهو مع ذلك موجب لذل الرقاب اذ فى حبها و تحصيلها وضبطها و حفظها من أهل الجور مذلة ظاهرة لاولى الألباب (فتدارك ما بقي من عمرك) و اصرفه فى عبادة ربك و تدارك ما فات و انصرف عن حب الدنيا الى المقتنيات (و لا تتقلَّ غداً و بعد غد) فانما هلك من كان قبلك باقامتهم على الأمانى و التسوييف) هذا قول أهل الأمانى و الآمال و مناطه حب الدنيا فإن حبها يبعثه على صرف العمر فى تحصيلها و جمعها و ضبطها و صرف الفكر فى كيفية تحصيل ما يأمل و يرجو منها و تدبير

أعوادهم إلى قبورهم المظلمة الضيقة وقد أسلمهم الأولاد والأهلون، فانقطع إلى الله بقلب منيب من رفض الدنيا وعزم ليس فيه انكسار ولا انخزال، أعاننا الله وإياك على طاعته ووفقتنا الله وإياك لمرضاته.

٢٤- علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن عبد الله بن المغيرة وغيره، عن طلحة بن زيد عن أبي عبد الله عليه السلام قال : مثل الدنيا كمثـل ماء البحر كلما شرب منه العطشان ازداد عطشاً حتى يقتله.

٢٥- الحسين بن محمد، عن معلى بن محمد، عن الوشاء قال : سمعت الرضا عليه السلام يقول : قال : عيسى بن مريم صلوات الله عليه للحواريين: يا بني إسرائيل لا تأسوا على ما فاتكم من الدنيا كما لا يأسى أهل الدنيا على ما فاتهم من دينهم إذا أصابوا دنياهم.

(باب)

١- الحسين بن محمد الأشعري عن معلى بن محمد، عن الحسن بن علي الوشاء، عن عاصم بن حميد، عن أبي عبيدة، عن أبي جعفر عليه السلام قال : إن الله عز وجل أزاله المانع منه وهو بذلك يغفل عن أمر الآخرة وما ينفع فيها، ولو خطر بباله يسوفه ويقول أفعله غداً وبعد غد وبعد تعمير هذه العمارة و انقضاء هذه التجارة و احصاد هذه الزراعة، و هكذا بعد اشغاله المتولدة بعضها عقب بعض الى أن يأتيه الموت بفتنة وهو في خسران مبين و فيه ردع عن تسوية التوبة والعبادات والقيام على الاماني وحب الشهوات فان كل ذلك مع قطع النظر عن كونه مانعاً بالفعل قد لا يتحصل له باتيان الموت بفتنة و خروج الامر من يده و وصوله الى الغد ليس باختياره على أن الرجوع من الذنوب في الغد ليس بأسهل من اليوم بل هو أصعب لان المعصية باستمرارها تشتد و تقوى حتى تصير ملكة فآلتها حينئذ أشد و أصعب، فاذا عجز عن ازالة الاضعف فهو عن ازالة الاضعف أعجز.

(فانقطع الى الله بقلب منيب من رفض الدنيا) الظاهر أن فانقطع أمر معطوف على فرفض الدنيا. والانابة الرجوع الى الله تعالى و«من» تعليل لها و عزم عطف على قلب و هو عقد الضمير والانخزال الانقطاع .

قوله (مثل الدنيا كمثـل ماء البحر) هذا التمثيل في غاية الحسن و الوجه هو ازدياد الحرص في الجمع والشرب المفضى الى الهلاك بالآخرة، و من اليبين أن طالب الدنيا

يقول : و عزتني و جلالتي و عظمتي و علوي و ارتفاع مكاني لا يؤثر عبدٌ هو اي على هوى نفسه إلا كفت عليه ضيعته و ضمنت السماوات و الأرض رزقه ، و كنت له من وراء تجارة كل تاجر .

إذا توجه الى أمر واحد منها يتولد منه أمور كثيرة و تشتبك فيه اشغال غير محصورة بعضها عقب بعض و صرف العمر فيها و الحرص في تحصيلها يوجب هلاكه .

قوله (و عزتني و جلالتي و عظمتي و علوي و ارتفاع مكاني) العزة القوة و الشدة و الغلبة قيل و عزته عبارة عن كونه منزهاً عن سمات الامكان و ذل النقصان و رجوع كل شيء اليه و خضوعه بين يديه و العظمة في صفة الاجسام كبر الطول و العرض و العمق و في وصفه تعالى عبارة عن تجاوز قدره عن حدود العقول و الاوهام حتى لا يتصور الاحاطة بكنه حقيقته و صفاته عند ذوى الافهام و علوه علو عقلي على الاطلاق بمعنى أنه لارتبة فوق رتبته و ذلك لان أعلى مراتب الكمال العقلي هو مرتبة العلية و لما كانت ذاته المقدسة مبدأ كل موجود حسي و عقلي لاجرم كانت مرتبته أعلى المراتب العقلية مطلقاً و له العلو المطلق في الوجود العاري عن الاضافة الى شيء ، و عن امكان أن يكون فوقه ما هو أعلى منه ، و هذا معنى قول أمير المؤمنين «ع» سبق في العلو فلا أعلى منه و ارتفاع مكانه كناية عن عدم امكان الاشارة اليه بالعقول و الحواس .

(لا يؤثر عبد هو اي على هوى نفسه) المراد بهوى النفس ميلها الى ما هو مقتضى طباعها من اللذات الحاضرة الدنيوية و الخروج عن الحدود الشرعية و بهواه تعالى اعراضها عن هذا الميل و رجوعها الى ما يوجب القرب الى الحضرة الاحدية .

(الا كفت عليه ضيعته و ضمنت السموات و الأرض رزقه) يجوز في ضمنت تشديد الميم و تخفيفها ، و السموات منصوبة على الاول و مرفوعة على الثاني و ضيعة الرجل ما يكون منه معاشه كالصنعة و التجارة و الزراعة و غير ذلك ، و لعل المراد بها المعيشة ، و يؤيده ما روى من طرق العامة « المؤمن أخو المؤمن يكف عليه ضيعته » قال ابن الاثير أى يجمع عليه معيشتة و يضمها اليه .

(و كنت له من وراء تجارة كل تاجر) الراء فعال و لامه همزة عند سيبويه و أبى على الفارسي و ياء عند العامة و هو من ظروف المكان بمعنى قدام و خلف ، و التجارة مصدر بمعنى البيع و الشراء و للنفع و قد يراد بها ما يتاجر فيه من الامتعة و نحوها على تسمية المفعول باسم المصدر ، و لعل المراد أن كل تاجر في الدنيا لاخرة يجد نفع تجارتها فيها من الجنة و نعيمها و حورها و قصورها ، و الله سبحانه بذاته المقدسة و التجليات اللائقة وراء هذا العبد الذي آثر هواه على هوى نفسه . وفيه دلالة على أن للزاهدين في الجنة نعمة روحانية أيضاً ، و يحتمل

٢- محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن ابن محبوب، عن العلاء بن رزين، عن ابن سنان، عن أبي حمزة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال الله عز وجل: وعزتي وجلالي وعظمتي وبهائي وعلو ارتفاعي لا يؤثر عبد مؤمن هوأي على هواه في شيء من أمر الدنيا إلا جعلت غناه في نفسه و همته في آخرته وضمنت السماوات والأرض رزقه و كنت له من وراء تجارة كل تاجر.

(باب القناعة)

١- محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن محمد بن سنان، عن عمار بن مروان، عن زيد الشحام، عن عمرو بن هلال قال: قال أبو جعفر عليه السلام: إياك أن تطمح بصرك إلى من هو فوقك، فكفى بما قال الله عز وجل لنبيه عليه السلام: « ولا تعجبك أموالهم ولا أولادهم » وقال: « ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجاً منهم زهرة الحياة الدنيا » فإن دخلك من ذلك شيء فاذكر عيش رسول الله عليه وآله، فأما كان قوته الشعير وحلواه التمرو وقوده السعف إذا وجدته.

احتمالاً بعيداً أن يكون كنت له كلاماً تاماً دالاً على أنه تعالى هو الغاية لعمله ويكون ما بعده حالاً لفاعل كنت دالاً على أنه تعالى هو الرقيب على عمل كل عامل، والمراد بجعل غناه في نفسه و همته في آخرته كما في الخبر الآخر جعله غنياً في نفسه بإيصال رزقه إليه عن غيره تعالى وجعل همته وهي الإرادة والعزم القوي في أمر آخرته وهما أعظم المراتب الإنسانية إذ الإنسان بذلك الغنى لا يشاهد إلا ربه وبذلك الهمة يبلغ من حضيض النقص إلى أوج الكمال ويخرج من مذلة البعد إلى مقام الوصال.

قوله (إياك أن تطمح بصرك إلى من هو فوقك) طمح بصره إليه كمنع ارتفع لينظر إليه، و أطمح بصره رفعه وهو تحذير من النظر إلى الفوق فإنه يوجب ميل النفس إلى الدنيا وترك القناعة والصبر والشكر وعدم الرضا بقضاء الله و تقديره بخلاف النظر إلى الآدون وهذا بالنظر إلى أهل الدنيا، و أما بالنظر إلى أهل الآخرة فالامر بالعكس ثم رغب في القناعة و عدم النظر إلى أهل الدنيا وما في أيديهم من زهراتها بقوله:

(فان دخلك من ذلك شيء فاذكر عيش رسول الله «ص» فانما كان قوته الشمير) أي غالباً (و حلواه التمرو وقوده السعف إذا وجدته) الوقود بالفتح الحطب والسعف بالتحريك أغصان النخل مادامت بالخوص وهو ورقة فان زال الخوص عنها قيل جريدة، والضمير في

٢- الحسين بن محمد بن عامر ، عن معلى بن محمد ، و علي بن محمد ، عن صالح ابن أبي حماد ، جميعاً ، عن الوشاء ، عن أحمد بن عائد ، عن أبي خديجة سالم بن مكرم ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : من سألنا أعطيناه ومن استغنى أغناه الله .

٣- محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد بن عيسى ، عن الحسن بن محبوب ، عن الهيثم ابن واقد ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : من رضي من الله باليسير من المعاش رضي الله منه باليسير من العمل .

وجده راجع الى كل واحد من الامور المذكورة يعنى ان دخلك من ذلك شيء ينفخ الشيطان بانك لم تقنع وتحمل على نفسك المشقة وابناء نوعك في نعمة جزيلة وراحة طويلة وطلب سعة المعيشة من أى طريق يمكن فادفعه بذكر ضيق عيش رسول الله ص من أن الدنيا وما فيها خلقت له وما كان ذلك الا لحقارة الدنيا عنده وطلب رضا الله تعالى وتأس به بخروج الموجود والمبر على المفقود واستيقن أن الرزق مع الحياة ومحال على الحكيم القادر العدل أن يقطع الرزق مع بقاء الحياة .

قوله (قال رسول الله ص من سألنا أعطيناه ومن استغنى أغناه الله) أى من استغنى عن السؤال أغناه الله عنه باعطاء ما يحتاج اليه ويفهم منه أن من سأل الناس وكله الله اليهم حيث صرف وجهه عنه واعتمد بهم ويدل على ذلك قوله تعالى «ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه» والتفصيل أن ما تعلق به قلب أحد من مهمات الدنيا اما أن يكون قد قسم له أو لم يقسم فان قسمه الله تعالى يكفيه مؤنته ويوصله اليه قطعاً اما بغير كلفة ومشقة ، أو بتهيئة أسبابه ، أو بتوفيقه اليها وان لم يقسم كفاه عن مؤونة الاهتمام به ، وأغنى قلبه عن التعلق به فهو الكافي لمن استكفاه اما بغنى يده ، أو بغنى قلبه و منه يظهر سر الكلية فى قوله «و من استغنى أغناه الله » ونقل عن بعض المتوكلين أنه قال كنت فى بعض البوادي وحدى فجعت ولا زاد معى فرفعت حاجتى الى مولاي فهتف بى هاتف أتريد غداء أم غنا فقلت بل غنا فزال جوعى ووجدت قوة و غنا عن الطعام نحواً من عشرين يوماً .

قوله (من رضي من الله باليسير من المعاش رضي الله منه باليسير من العمل) لان من رضى عما على الله باليسير رضى الله عما عليه باليسير كما يقتضيه حسن المعاملة وأيضاً النعمة توجب شكراً والعمل منه فكما كانت النعمة أقل كان العمل أيضاً أقل ، وفيه ترغيب فى الرضا بالقليل من الرزق لانه يستلزم خفة المؤونة وزوال المشقة من العمل وأيضاً من رضى بالقليل

٤- عِدَّةٌ من أصحابنا، عن أحمد بن أبي عبدالله، عن أبيه، عن عبدالله بن القاسم عن عمرو بن أبي المقدام، عن أبي عبدالله قال: مكتوب في التوراة: ابن آدم! كن كيف شئت كما تدين تدان، من رضي من الله بالقليل من الرزق قبل الله منه اليسير من العمل ومن رضي باليسير من الحلال خفت مؤنته وزكت مكسبته وخرج من حد الفجور.

٥- علي بن إبراهيم، عن محمد بن عيسى، عن محمد بن عرفة، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: من لم يقنعه من الرزق إلا الكثير لم يكفه من العمل إلا الكثير و من كفاه من الرزق القليل فإنه يكفيه من العمل القليل.

٦- علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن هشام بن سالم، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: كان أمير المؤمنين صلوات الله عليه يقول: ابن آدم إن كنت تريد

من المعاش فقد زهد في الدنيا وطهر ظاهره و باطنه من الاعمال والاخلاق القبيحة التي يقتضيها الدنيا وفرغ من المجاهدات التي يحتاج اليها السالك المبتدى و جعلها وراء ظهره فلم يبق عليه الا الفعل ما ينبغي فعله وهذا يسير بالنسبة الى تلك المجاهدات وهذا الاحتمال ذكره بعض علماء العامة فشرح ما رووه عن النبي صلى الله عليه وآله وأخلص قلبك يكفيك القليل من العمل.

قوله (كن كيف شئت) هذا مثل قوله تعالى «اعملوا ما شئتم» وفيه وعد بالخير وعيد على الشر كما أن في قوله:

(كما تدين تدان) اشارة الى أن جزاء الخير خير و جزاء الشر شر، و ترغيب في حسن المعاملة مع تعالى. ثم ذكر للرضا باليسير ثلاثة أوجه للترغيب فيه فقال:

(ومن رضي باليسير من الحلال خفت مؤنته وزكت مكسبته وخرج من حد الفجور) الوجه الاول خفة المؤنة أعنى الثقل والمشقة فان المشقة في طلب اليسير وحفظه يسير خفيف، والثاني زكاء مكسبه فان المكسب المشروع لليسير كثير والمكسب المشروع زكي. والثالث الخروج من حد الفجور لما عرفت من زكاء مكسبه مع تنزهه عن الحقوق المالية والميل الى الدنيا المستلزمة للفجور بخلاف طالب الكثير فان المكسب الغير المشروع الكثير قليل جداً مع ما يلزمه من الحقوق المالية التي قلما يقوم بها طالبه و الركون الى الدنيا المستلزمة لجمع الفجور والمفاسد.

من الدنيا ما يكفيك فإن أيسر ما فيها يكفيك وإن كنت إنما تريد ما لا يكفيك فإن كل ما فيها لا يكفيك.

٧- محمد بن يحيى، عن محمد بن الحسين، عن عبد الرحمن بن محمد الأسدي، عن سالم بن مكرم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: اشتدت حال رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله فقالت له: امرأته لو أتيت رسول الله صلى الله عليه وآله فسألته فجاء إلى النبي صلى الله عليه وآله فلما رآه النبي صلى الله عليه وآله قال: من سألنا أعطيناه ومن استغنى أغناه الله، فقال الرجل: ما يعني غيري، فرجع إلى امرأته فأعلمها، فقالت: إن رسول الله صلى الله عليه وآله بشر فأعلمه فأتاه فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وآله قال: من سألنا أعطيناه ومن استغنى أغناه الله، حتى فعل الرجل ذلك ثلاثاً، ثم ذهب الرجل فاستعار معولاً ثم أتى الجبل، فصعدته فقطع حطباً، ثم جاء به فباعه بنصف مد من دقيق فرجع به فأكله، ثم ذهب من الغد، فجاء بأكثر من ذلك فباعه، فلم يزل يعمل ويجمع حتى اشترى معولاً، ثم جمع حتى اشترى بكرين وغلماً ثم أثرى حتى أيسر فجاء إلى النبي صلى الله عليه وآله فأعلمه كيف جاء يسأله وكيف سمع النبي صلى الله عليه وآله، فقال النبي صلى الله عليه وآله: قلت لك: من سألنا أعطيناه ومن استغنى أغناه الله.

٨- عده من أصحابنا، عن أحمد بن محمد بن خالد، عن علي بن الحكم، عن الحسين بن القرات، عن عمرو بن شمر، عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من أراد أن يكون أغنى الناس فليكن بما في يده أوثق منه بما في يده غيره.

قوله (قال كان أمير المؤمنين ع) يقول ابن آدم إن كنت تريد من الدنيا ما يكفيك أي أن كنت تريد من الدنيا ما يغنيك عن غيره فإن أيسر ما فيها يغنيك وهو القدر الضروري الذي يتوقف عليه حياتك وقوتك على الطاعة وهذا القدر يأتيك قطعاً وتحصيله هين، وإن كنت تريد ما لا يغنيك فإن كل ما فيها لا يغنيك فانك حريص في جمع الدنيا ما لا يحتاج إليه. ومراتب الحرص غير محصورة فلو فرض أنه جمع لك الدنيا وما فيها تطلب الزائد عليها. ومثل هذا الحديث قول أمير المؤمنين ع: «كل مقتصر عليه كاف» يعني كاف في المطلوب المقتصر من بقائه وقوته على الطاعة كقليل القوت وغير ذلك.

قوله (من أراد أن يكون أغنى الناس فليكن بما في يده أوثق منه بما في يده غيره)

٩- عنه ، عن ابن فضال ، عن عاصم بن حميد ، عن أبي حمزة ، عن أبي جعفر [أ] و أبي عبدالله عليهما السلام قال : من قنع بما رزقه الله فهو من أغنى الناس .
 ١٠- عنه ، عن ابن فضال ، عن ابن بكير ، عن حمزة بن حرمان قال :
 شكار رجل إلى أبي عبدالله عليه السلام أنه يطلب فيصيب ولا يقنع و تنازعه نفسه إلى ما هو أكثر منه و قال : علمني شيئاً أنتفع به ، فقال أبو عبدالله عليه السلام : إن كان ما يكفيك يغنيك ، فأدنى ما فيها يغنيك ، وإن كان ما يكفيك لا يغنيك فكل ما فيها لا يغنيك .

١١- عنه ، عن عدّة من أصحابنا ، عن حنان بن سدير ، رفعه قال : قال أمير المؤمنين عليه السلام من رضى من الدنيا بما يجزيه كان أيسر ما فيها يكفيه ومن لم يرض

لان من اتصف بهذه الفضيلة يصرف الله تعالى وجه قلبه عن جميع ما سواه اليه ويفيض بركاته و زلال فيضه عليه ويسد باب حاجاته الي غيره ولاغنى أعظم منه ومن المحرك الى تلك الفضيلة هو التفكر في أن الله تعالى كريم لا يضره الاعطاء و خزائنه واسعة لا تنفذ وقد رغب في السؤال عنه و وعد في الاجابة فلا يخلف وعده بخلاف غيره فانه مثل السائل في الاحتياج و تخيل الفقر في وقت ما و حصول الضرر و كل ذلك يبعثه على رد السائل و ان اعطاه اعطاء قليلا و ذمه طويلا و عده ذليلا و منه كثيراً و الموت خير منه ولذلك قال أمير المؤمنين «ع» «المنية والادنية» روى بضمهما و رفعهما فالنصب بتقدير الفعل أى احتمل المنية و هى الموت و لا تحتل الدينة و هى السؤال و الرفع بتقدير الخبر أى المنية ملتزمة و الدينية غير ملتزمة .

قوله (من قنع بما رزقه الله فهو من أغنى الناس) لان الغنى من لا يحتاج الي غيره والقانع أولى بذلك من غيره لان غيره كثيراً ما تضطره الحاجة الى التوسل بالغير بخلاف القانع فان قناعته بأدنى ما يكفيه رافعة للاضطرار ، و مما يبعث على تلك الفضيلة هو العلم بأن غير القانع يطلب الدنيا لثلاثة أشياء الغنى والعز والراحة والعلم بأن كل ذلك في تركها لان من تركها عز و من قنع بما لا يد استغنى و من قل سعيه استراح .

قوله (ان كان ما يكفيك يغنيك فأدنى ما فيها يغنيك وان كان ما يكفيك لا يغنيك فكل ما فيها لا يغنيك) مفهوم الشرطيتين ظاهراً أما الاولى فلان أدنى ما فى الدنيا يكفيه فى قوام أمره والمفروض أن ما يكفيه يغنيه فأدنى ما فيها يغنيه ، وأما الثانية فلانه اذا كان ما يكفيه لا يغنيه كان ذلك لكمال الحرص ومراتب الحرص غير محصورة فكل ما فى الدنيا لو حصل له لا يغنيه لو حصلت بل له الدنيا مرة طلبها مرتين وهكذا .

من الدنيا بما يجزيه لم يكن فيها شيء يكفيه .

(باب الكفاف)

١ - علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن غير واحد . عن عاصم بن حميد ، عن أبي عبيدة الحذاء قال : سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : قال الله عز وجل : إن من أغبط أوليائي عندي رجلاً خفيف الحال ، ذاحظاً من صلاة ، أحسن عبادة ربه بالغيب وكان غامضاً في الناس جعل رزقه كفافاً ، فصبر عليه ، عجلت منيته فقل تراثه وقلت بواكيه .

٢ - علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن النوفلي ، عن السكوني ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : طوبى لمن أسلم وكان عيشه كفافاً .

٣ - النوفلي ، عن السكوني ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله

قوله (قال الله عز وجل ان من اغبط اوليائي عندي) وجه التفضيل أنه جمع بين الدين و الدنيا وأخرج حبها عن قلبه فأكرم الله بقربه وفضله وخيره . وهذه الامور من أعظم أسباب الغبطة (رجلا خفيف الحال) بالحاء المهملة أى ضيق الحال وقليل المعيشة من حفت الارض اذا يبس نباتها ، أو بالخاء المعجمة أى قليل والحظ من الدنيا والله در من قال :

أخص الناس بالايمن عبد	حفيف الحال مسكنه القفار
له فى الليل حظ من صلوة	و من صوم اذا طلع النهار
و قوت النفس يأتى من كفاف	وكان له على ذاك اصطبار
و فيه عفة و به خمول	اليه بالاصابع لا يشار
وقل الباكيات عليه لما	قضى نجباً و ليس له يار
فذاك قد نجا من كل شر	و لم تمسه يوم البعث نار

(ذا حظ من صلاة ، أحسن عبادة ربه بالغيب) أى بالغيب عن الرب ، أو عن الخلق و المراد باحسان العبادة اتيانها فى أوقاتها بشرائطها وأركانها مع نية خالصة و قلب حاضر عالم بأن الرب يشاهده بل هو يشاهد الرب .

(وكان غامضاً فى الناس) أى مغموراً غير مشهور (جعل رزقه كفافاً فصبر عليه) الكفاف بالفتح ما لا يحتاج معه ولا يفضل عن الحاجة فهو متوسط بين الفقر والغنى وخير الامور أوسطها وانما سمي بذلك لانه يكف عن الناس ويغنى عنهم .

اللهم ارزق محمدًا وآل محمد و من أحب محمدًا و آل محمد العفاف والكفاف، و ارزق من أبغض محمدًا و آل محمد المال والولد.

قوله (قال رسول الله اللهم ارزق محمدًا وآل محمد... العفاف والكفاف) العفاف بالفتح عفة البطن والفرج عن الطغيان، أو العفة من السؤال عن الانسان، أو الجميع (و ارزق من أبغض محمدًا و آل محمد المال والولد) لما كان شيء من المال ضرورياً في البقاء والعبادة و هو الكفاف الواقع بين الطرفين طرف الفقر الذي فيه رائحة الكفر والعصيان، و طرف الغنى الذي فيه شائبة التكبر والطغيان طلبه لنفسه ولمحببيه وطلب لمن أبغضهم طرف الغنى والكثرة لان مفاسده أكثر وأعظم وفتنته أشد وأفخم من مفاسد الفقر وفتنته كما قال عز وجل «انما أموالكم وأولادكم فتنة» وقال: «ان الانسان ليطغى أن رآه استغنى» وقال أمير المؤمنين «ع» والمال مادة الشهوات، وبالجملة لما كان حصول الكفاف مانعاً من دواعي طرفي التفریط والافراط و كان العبد معه مستقيم الاحوال على سواء الصراط طلبه لنفسه وللمحببيه ومضمون الحديث متفق عليه بين الخاصة والعامة. ففي مسلم عن النبي «ص» أنه قال «اللهم اجعل رزق محمد قوتاً» والمراد بالقوت الكفاف وعنه أيضاً «اللهم اجعل رزق محمد كفافاً» وعنه أيضاً «اللهم اجعل رزق آل محمد قوتاً» قال عياض لاختلاف في فضيلة ذلك لقللة الحساب عليه فانما اختلف أيهما أفضل: الفقر أو الغنى، واحتج كل لمذهبه، واحتج من فضل الفقر بدخول الفقراء الجنة قبل الاغنياء، وقال القرطبي القوت ما يقوت الابدان ويكف عن الحاجة وهذا الحديث حجة لمن قال ان الكفاف أفضل لانه «ص» انما يدعو بالارجح و أيضاً فان الكفاف حالة متوسطة بين الفقر والغنى، وخير الامور أوسطها، وأيضاً فانه حالة يسلم معها من آفات الفقر و آفات الغنى، وقال الابي في كتاب اكمال الاكمال: في المسئلة خلاف والمتحصل فيها أربعة أقوال قيل الغنى أفضل، وقيل الفقر أفضل. وقيل الكفاف أفضل، وقيل الوقف. وقال ابن رشد والذي أقول به أن الغنى أفضل من الفقر والفقر أفضل من الكفاف وأطال الاحتجاج عليه في جامع المقدمات والمراد بالرزق المذكور ما ينتفع به «ص» في نفسه وفي أهل بيته وليس المراد به الكسب لانه كسب من خبير ومن غيرها فوق القوت انتهى كلامه. واعلم أن الاحاديث مختلفة ففى بعضها طلب الغنى واليسار، وفي بعضها طلب الكفاف، وفي بعضها طلب الفقر، و فى بعضها الاستعاذة من الفقر ويمكن أن يقال المراد بطلب الغنى طلب الكفاف لان الكفاف هو الغنى المطلوب عند أهل العصمة عليهم السلام وليس المراد بهما هو المتعارف عند أبناء الدنيا من جمع المال وادخاره والاتساع فيه فوق الحاجة، وبطلب الفقر أيضاً طلب الكفاف لان الكفاف فقر عند أهل الدنيا وان كان غناً عندهم عليهم السلام، وبالأستعاذة من الفقر الاستعاذة مما دون الكفاف و هو الفقر عندهم عليهم السلام وأقوى أفراده عند أهل الدنيا، وعلى هذا لا تنافي

٤- عدّةٌ من أصحابنا ، عن أحمد بن محمد بن خالد ، عن يعقوب بن يزيد ، عن إبراهيم بن محمد النوفلي ، رفعه إلى علي بن الحسين صلوات الله عليهما قال : مرّ رسول الله ﷺ براعي إبل فبعث يستسقيه ، فقال : أمّا ما في ضروعها فصبوح الحيّ و أمّا في آئنتنا فغبوقهم ، فقال رسول الله ﷺ : اللهم أكثر ماله وولده ، ثمّ مرّ براعي غنم فبعث إليه يستسقيه فحلب له ما في ضروعها وأكفأ ما في إنائه في إناء رسول الله ﷺ و بعث إليه بشاة وقال : هذا ما عندنا وإن أحببت أن نزيدك زدناك ، قال : فقال رسول الله ﷺ : اللهم ارزقه الكفاف ، فقال له بعض أصحابه يا رسول الله دعوت للذي ردك بدعاء عامتتنا نجبه ودعوت للذي أسعفك بحاجتك بدعاء كلنا نكرهه ؟ ! فقال رسول الله ﷺ : إن ما قلّ و كفى خيرٌ ممّا كثر و ألهى : اللهم ارزق محمدًا و آل محمد الكفاف .

٥- عنه ، عن أبيه ، عن أبي البخري ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : إن الله عزّ و جلّ يقول : يحزن عبدي المؤمن إن قترت عليه وذلك أقرب له منّي و يفرح عبدي المؤمن إن وسّعت عليه وذلك أبعد له منّي .

٦- الحسين بن محمد ، عن أحمد بن إسحاق ، عن بكر بن محمد الأزدي ، عن أبي - عبد الله عليه السلام قال : [قال رسول الله ﷺ :] قال الله عزّ و جلّ : إن من أغبط أوليائي عندي عبداً مؤمناً ذا حظّ من صلاح ، أحسن عبادة ربّه و عبد الله في السريرة و كان

بين الاخبار والله أعلم .

قوله (فقال اما ما في ضروعها فصبوح الحي و اما في آئنتنا فغبوقهم) الصبوح بالفتح شرب النداء والنبوق بالفتح شرب العشاء فأصلهما الشرب ثم استعمل في الأكل والحي القبيلة من العرب . قوله (و ذلك أقرب له منّي) أي تقتر رزقه وتضييقه أقرب له منّي لان قلبه يفرغ عن غيره تعالى من علاقة المال ويتوجه اليه بالتضرع والابتهاال ويطلب ما عنده من الفضل و ولقد سمعت من بعض صلحاء أهل الدنيا قال ماصليت بفراغ البال مذاشتغلت بالدنيا و تحصيل المال . بخلاف توسيع الرزق فانه يبعد من الله لانه يشغل القلب عنه الى الدنيا . وجمع زهراتها وحفظها وترك الحقوق .

و قوله (ان وسعت) بالتخفيف أو التشديد يقال وسع الله عليه رزقه يوسع وسعاً من باب نفع ووسعه توسيعاً أي بسطه و كثره و أوسع بالالف مثلهما .

غامضاً في الناس فلم يُشر إليه بالأصابع. فكان رزقه كفافاً، فصر عليه فعُجلت به المنية، فقلّ تراثه وقلّت بواكيه.

(باب تعجيل فعل الخير)

١- محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن علي بن النعمان قال: حدثني حمزة بن حمران قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إذا هم أحدكم بخير فلا يؤخره فإنَّ العبد ربّما صلى الصلاة أو صام اليوم فيقال له: إعمل ما شئت بعدها فقد غفر [الله] لك.

٢- عنه، عن علي بن الحكم، عن أبي جميلة قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: إفتتحوا نهاركم بخير وأملوا على حفظكم في أوله خيراً وفي آخره خيراً، يُغفر لكم ما بين ذلك إن شاء الله.

قوله (إذا هم أحدكم بخير فلا يؤخره فإن العبد ربّما صلى الصلاة أو صام اليوم فيقال له إعمل ما شئت بعدها فقد غفر [الله] لك) من الله للعبد نفحات في بعض الاوقات، وللعبّد مع الله مقام في بعض الساعات، وللعبادة كمال في بعض الاوقات موجب لرفع الدرجات فلعلّ زمان قصد الخير والعبادة أحد هذه الاوقات التي يحصل للعباد فيها مزيد قرب و اختصاص لا يضر معهما شيء من موجبات البعد ولا يدفع شرف القرب ومثل هذا الحديث رواه العامة قال القرطبي الامر في قوله «إعمل ما شئت» أمرا كرام كما في قوله تعالى «ادخلوها بسلام آمنين» واخبار عن الرجل بأنه قد غفر له ما تقدم من ذنبه و محفوظ في الآتي، وقال الابن يريد بالامر الاكرام ليس أنه اباحه لان يفعل ما يشاء.

قوله (افتتحوا نهاركم بخير وأملوا على حفظكم في أوله خيراً وفي آخره خيراً يغفر لكم ما بين ذلك إن شاء الله) اذا كان عمل أول كل يوم وآخره خيراً يندران لا يكون وسطه خيراً لان المداومة على الخير تورث ملكة مانعة من الشر ومن ثم قيل الخير يسرى بعضه الى بعض كالشر. ولو فرض وقوع الشر في وسطه فهو مغفور له كما قال عز وجل وان الحسنات يذهبن السيئات لان الله تعالى يستحي من العبد أن يقبل أول عمله و آخره ويرد وسطه أو يعذبه به، وأيضاً يبعد من كرمه أن يرضى بالعبد أولاً و آخراً و يعذبه ببادرة في الوسط، و أيضاً أعمال العبد بالنسبة اليه تعالى كخطاب أحدنا مع بني نوعه وقد صرحوا بأن الخطاب لا بد أن يكون أوله حسناً و آخره حسناً لان أوله أول ما يقرع السمع و آخره آخر ما يقرع السمع فيستحسنه السمع وبعده حسناً وكذلك الاعمال.

٣- عنه، عن ابن أبي عمير، عن مرزوم بن الحكيم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان أبي يقول: إذا هممت بخير فبادر، فانك لاتدرى ما يحدث.

٤- علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن ابن أذينة، عن زرارة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إن الله يحب من الخير ما يعجل.

٥- عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد بن خالد، عن علي بن الحكم، عن أبان بن عثمان، عن بشير بن يسار، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إذا أردت شيئاً من الخير فلا تؤخره، فإن العبد يصوم اليوم الحار يريد ما عند الله فيعتقه الله به من النار، ولا تستقل ما يتقرب به إلى الله عز وجل ولو شق تمره.

قوله إذا هممت بخير فبادر فانك لاتدرى ما يحدث) هذا كلام جامع لوجوه المبادرة الى الخيرات منها الرجوع الى الحالة المنافية للتكليف كالهرم المستلزم لضعف العقل والبنية ونقصانها، ومنها المرض المانع من الاتيان بها، ومنها فجأة الموت، ومنها وسوسة الشيطان وازالة القصد بها، ومنها طريان السهو والنسيان، ومنها تزلزل النفس بخوف الفقر، ومنها فوات المال. ونظير هذا الحديث ما نقل عن أمير المؤمنين «ع»:

إذا همت رياحك فاغتنمها فان لكل حادثة سكون
ولا تنفل عن الاحسان فيها فلا تدرى السكون متى تكون

و فيه ترغيب بليغ في المبادرة الى الخيرات .

قوله (ان الله يحب من الخير ما يعجل) دل على طلب التعجيل أيضاً قوله تعالى «و سارعوا الى مغفرة من ربكم» أى على سبب مغفرة وهو الخيرات ومدحهم به فى قوله «اولئك يسارعون فى الخيرات» ورغب فيه أمير المؤمنين «ع» بقوله «لا خير فى الدنيا الا لرجلين رجل أذنب ذنباً فهو يتداركه ورجل يسارع فى الخيرات».

قوله (ولا تستقل ما يتقرب به الى الله عز وجل ولو شق تمره) أى نصفها فان نصفها قد يحفظ النفس عن الجوع المهلك ولان الانصاف الحاصلة من المتعدد قد يبلغ قوت الاخذ. وفيه حث على التصديق وعدم تركه لقلته ويحتمل أن يراد به ولو كان يسيراً من أى نوع كان ومثله قوله «ص» «لا تحقرن شيئاً من المعروف» و قول أمير المؤمنين «ع» «افعلوا الخير ولا تحقروا شيئاً فان صغيره كبير وقليله كثير» فسر الخير فى كلامه «ع» بالاحسان الى الضعفاء والانعام عليهم ويمكن حمله على كل ما يتقرب به الى الله تعالى.

٦- عنه ، عن ابن فضال ، عن ابن بكير . عن بعض أصحابنا ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : من هم بخير فليعجله ولا يؤخره ، فإنَّ العبد ربما عمل العمل فيقول الله تبارك و تعالی : قد غفرت لك ولا أكتب عليك شيئاً أبداً ، ومن هم بسيئة فلا يعملها ، فإنَّه ربما عمل العبد السيئة فيراه الله سبحانه فيقول : لا وعزتي وجلالي لأغفر لك بعدها أبداً .

٧- عليُّ عن أبيه ، عن ابن أبي عمير ، عن هشام بن سالم ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : إذا هممت بشيء من الخير فلا تؤخره ، فإنَّ الله عزَّ وجلَّ ربما أطلع على العبد وهو على شيء من الطاعة فيقول : وعزتي وجلالي لا أعدُّ بك بعدها أبداً ، وإذا هممت بسيئة فلا تعملها ، فإنَّه ربما أطلع الله على العبد وهو على شيء من المعصية فيقول : وعزتي وجلالي لا أغفر لك بعدها أبداً .

٨- أبو عليُّ الأشعري ، عن محمد بن عبد الجبار ، عن ابن فضال ، عن أبي جميلة عن محمد بن حمران ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : إذا همَّ أحدكم بخير أو صلة فإنَّ عن

قوله (فيقول الله تعالى قد غفرت لك ولا أكتب عليك شيئاً أبداً) غفران ذنوبه أمامن باب النفضل ، أو مستند إلى ذلك العمل لقوله تعالى «ان الحسنات يذهبن السيئات» فدل على التكفير والمحو بعد الاثبات واما قوله «ولا أكتب» فيحتمل أن يكون المراد أنه لا يكتب الذنوب التي يفعلها بعد في مدة عمره اما تفضلا واما لذلك العمل بأن يكون لذلك مدخل في محو ما بعده من الذنوب كما أن له مدخلا في محو ما قبله ، ويحتمل أن يكون المراد أنه محفوظ في الاتي من فعل الذنوب ففيه اخبار بأنه قد غفر له ما تقدم من ذنبه و محفوظ فيما يأتي و بسعة رحمته وشدة سخطه ، وبعث على الخوف والرجاء والاعمال الصالحة كلها فان كل عمل يصلح ان يكون كذلك ، ثم قوله (لا وعزتي وجلالي لا اغفر لك بعدها أبداً) لعل المراد به أنه اذا وقع القسم و كله الى نفسه فيسلط عليه شيطانه ويفتح له باب المعاصي فيخوض في الشرور كلها حتى يخرج من الدنيا بلا ايمان فيستحق بذلك الشقاوة الابدية او المراد انه لا يغفر ذنوبه ابدا بل يؤاخذ بها وهذا لا يدل على عقوبته ابدا فلا يرد انه اذا خرج مع ايمان كيف يستحق العقوبة أبدا .

قوله (اذا همَّ أحدكم بخير أو صلة فان عن يمينه وشماله شيطانين فليبادر لايكفاه عن ذلك) النفوس البشرية نافرة عن العبادات لما فيها من المشقة الثقيلة عليها ، وعن صلة الارحام

يمينه وشماله شيطانين، فليبادر لا يكفاه عن ذلك.

٩- محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن محمد بن سنان، عن أبي الجارود قال : سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: من همَّ بشيء من الخير فليعجله، فإنَّ كلَّ شيء فيه تأخير فإنَّ للشيطان فيه نظرة.

١٠- محمد بن يحيى، عن محمد بن الحسين، عن علي بن أسباط، عن العلاء، عن محمد بن مسلم قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: إنَّ الله ثقَّل الخير على أهل الدنيا كثقله في موازينهم يوم القيامة، وإنَّ الله عزَّ وجلَّ خفَّف الشرَّ على أهل الدنيا كخففته في موازينهم يوم القيامة.

(باب الأنصاف و العدل)

١- محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن علي بن الحكم، عن الحسن ابن حمزة، عن جده [عن] أبي حمزة الثمالي، عن علي بن الحسين صلوات الله عليهما

والمبرات لما فيها من صرف المال المحبوب لها فاذا هم احدكم بشيء من ذلك مما يوجب وصوله الى مقام الزلفى و تشرفه بالسعادة العظمى فليبادر الى امضائه و ليعجل الى اقتنائه فان الشيطان ابدافى مكنم ينتهز الفرصة لنفته في نفسه الامارة بالسوء و يتحرى الحيلة مرة بعد اخرى في منعها عن الارادات الصحيحة الموجبة لسعادتها و امرها بالقبايح المورثة لشقاوتها و يجلب عليها خيله من جميع الجهات ليمسد عليها طرق الوصول الى الخيرات و هي مع ذلك قابلة لتلك الوسوس و مايلة بالطبع الى هذه الخسائس فربما يتمكن منها الشيطان غاية التمكن حتى يصرفها عن تلك الارادة و يكفها عن هذه السعادة و هذه الحالة مجربة مشاهدة في أكثر الناس.

قوله (فان للشيطان فيه نظرة) فى المصباح نظرت فى الامر تدبرت و انظرت الدين بالالف اخرته و النظرة مثل كلمة بالكسر اسم منه و فى التنزيل « فنظرة الى ميسرة، أى فتأخير .

قوله (ان الله ثقَّل الخير على أهل الدنيا كثقله فى موازينهم يوم القيامة وان الله عز وجل خفف الشر على أهل الدنيا كخففته فى موازينهم يوم القيامة) المراد بأهل الدنيا كل من هو فيها لامن هو طالب لها و مالك لزهراتها فقط و لكون الخير ثقيلاً و الشر خفيفاً عليهم قل صدور الخير و كثر صدور الشر منهم و كان المراد بثقل الخير فى الميزان ان له قدراً و اعتباراً و عظمة بالذات و المضاعفة يوجب عظمة صاحبه و علو قدره بخلاف الشر اذله خفة و حقارة

قال: كان رسول الله يقول في آخر خطبته: طوبى لمن طاب خلقه وطهرت سجيته و صلحت سريره وحسنت علانيته وأنفق الفضل من ماله وأمسك الفضل من قوله و أنصف الناس من نفسه.

٢- عنه، عن محمد بن سنان، عن معاوية بن وهب، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: من يضمن لي أربعة بأربعة أبيات في الجنة؟ أنفق ولا تخف فقراً وأفش السلام في العالم و اترك المرء وإن كنت محقاً وأنصف الناس من نفسك.

يوجب خفة صاحبه و تحقيره.

قوله (طوبى لمن طاب خلقه) أى الجنة أو طيب العيش فى الدنيا والاخرة لمن طاب و حسن خلقه با تصافه بالاخلاق الحسنة (وطهرت سجيته) أى طبيعته عن الاخلاق القبيحة (و صلحت سريره) أى قلبه بالمعايد الصالحة والنية الخالصة والمعارف الالهية (وحسنت علانيته) بالاعمال الصحيحة والافعال الحسنة (و أنفق الفضل من ماله) باخراج الحقوق الواجبة والمندوبة او الاعم منهما او مما فضل من الكفاف.

(و امسك الفضل من قوله) بحفظ لسانه عما لايعنيه من فضول الكلام (و انصف الناس من نفسه) أى كان حكماً على نفسه فيما كان بينه وبين الناس ورضى لهم ما رضى لنفسه و كره لهم ما كره لنفسه. وفى المصباح نصفت المال بين الرجلين انصفه من باب قتل قسمته نصفين و انصفت الرجل انصافاً عاملاً بالعدل و القسط و الاسم النصفة بفتحين لانك اعطيته من الحق ما تستحقه لنفسك .

قوله (من يضمن لي أربعة بأربعة أبيات في الجنة) الايبات جمع البيت وهو المسكن كالبيوت والضمان الالتزام يقال ضمنى المال وبه ضماناً فانا ضامن وضمن التزمته ويتعدى بالتضعيف يقال ضمنته المال تضميناً أى التزمته اياه و المعنى من يلتزم لى أربعة من الاعمال بسبب أربعة ابيات التزمته لها فى الجنة، ثم اشار الى الاعمال الاربعة على سبيل الاستئناف بقوله : (انفق ولا تخف فقراً) فانه لما رغب فى الاربعة بذكر ثمرتها وهى انها سبب لبناء بيت لصاحبها فى الجنة صار محللاً للسؤال فكان السائل قال ماهى حتى أفلها فقال أنفق يعنى أنفق فضل مالك فى ذوى الحاجات ولا تخف فقراً فان الانفاق سبب للخلف و الزيادة و أيضاً الفضل لادخل له فى الغنى فلا يوجب فواته فقراً.

(و افش السلام فى العالم) افشاء السلام، وهو الابتداء به على جميع الانام الا ما أخرجه الدليل، سبب للالفة والالتيام و موجب لحسن المعاشرة و تكميل النظام، مع أنه عبادة فى نفسه مطلوب فى دين الاسلام (و اترك المرء) أى الجدل والمنازعة. (و ان كنت محقاً) وان كان فى المسائل العلمية بل هى أحق بترك المجادلة الابالتى

٣- عنه، عن الحسن بن علي بن فضال، عن علي بن عقبة، عن جارد أبي المنذر قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : سيد الأعمال ثلاثة : إنصاف الناس من نفسك حتى لا ترضى بشيء إلا رضيت لهم مثله و مؤاساتك الأخ في المال و ذكر الله على كل حال ، ليس «سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر» فقط ولكن إذا ورد عليك شيء أمر الله عز وجل به أخذت به، أو إذا ورد عليك شيء نهى الله عز وجل عنه تركته.

هي أحسن كما قال تعالى «و جادلهم بالتي هي أحسن» و للنفس فيها مكائد عظيمة فالاولى تركها بالكلية الا من شرفه الله تعالى بالنفس القدسية والكمالات العلمية والعملية فيمكن له التخلص من الاخلاق الرذيلة التي تحصل من المجادلة مثل التكبر والرياء والغضب والحسد والبغض والمعجب وغيرها مما لا يخفى على المزاول لها و لهذا وردت الاخيار بالنهي عنها مطلقاً رعاية للاكثر . (و انصف الناس من نفسك) وهو التزام العدل في المخالطة و المعاملة حتى يحكم بنفسه على نفسه و هو من أخص الصفات العدلية والفضائل البشرية، و به يتم نظام العالم و يرتفع الجور في بني آدم.

قوله (انصاف الناس من نفسك حتى لا ترضى بشيء لنفسك الا رضيت لهم مثله) من انصف به لا يريد للناس الا خيراً و يطلبه لهم بقدر الامكان و يدفع عنهم شرأ و يحكم لهم على نفسه لو كان الحق لهم ولا يأخذ منهم من المنافع الا مثل ما يعطيهم ولا ينيلهم من المضار الا مثل ما يناله منهم (و مؤاساتك الاخ في المال) أي تشريكه و تسويته فيه يقال آسبته بمالي أي جعلته اسوة أقتدى أنا به و يقتدى هوبى و هو ينشأ من ملكة السخاء.

(و ذكر الله على كل حال) وفي كل مكان سواء كانت الاحوال و الامكنة شريفة أم لا (ليس) أي ذكر الله (سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر فقط) و ان كان مجموع ذلك من حيث المجموع وكل واحد من أجزائه ذكراً أيضاً .

(ولكن اذا ورد عليك شيء أمر الله عز وجل به أو اذا ورد عليك شيء نهى الله عز وجل عنه تركته) الذكر ثلاثة أنواع ذكر باللسان و ذكر بالقلب والثاني نوعان أحدهما التفكير في عظمة الله و آياته والثاني ذكره عند أمره ونهيه والثالث أفضل من الاول، والثاني أفضل منهما، ومن العامة من فضل الاول على الثالث مستنداً بأن في الاول زيادة عمل الجوارح وزيادة العمل يقتضى زيادة الاجر، وفيه أن الزيادة ممنوعة و على تقدير التسليم فليست الضابطة كلية لظهور أن الذكر القلبي أشرف الازكار وأعرق فيها، و من ثم روى «نية المؤمن

٤- عدّةٌ من أصحابنا، عن أحمد بن محمد بن خالد ، عن إبراهيم بن محمد الثقفي عن علي بن المعلّى ، عن يحيى بن أحمد ، عن أبي محمد الميثمي ، عن رومي بن زرارة عن أبيه، عن أبي جعفر عليه السلام قال : قال أمير المؤمنين عليه السلام في كلام له : ألا إنّه من يُنصف النّاس من نفسه لم يزدّه الله إلاّ عزّاً.

٥- عنه، عن عثمان بن عيسى، عن عبد الله بن مسكان ، عن محمد بن مسلم ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : ثلاثة هم أقرب الخلق إلى الله عزّ وجلّ يوم القيامة حتّى يفرغ من الحساب : رجلٌ لم تدعه قدرة في حال غضبه إلى أن يحيف على من تحت يده، ورجلٌ مشى بين اثنين فلم يمل مع أحدهما على الآخر بشعيرة، ورجلٌ قال بالحقّ فيما له وعليه.

٦- عنه، عن أبيه ، عن النضر بن سويد ، عن هشام بن سالم، عن زرارة ، عن الحسن البرزّاز، عن أبي عبد الله عليه السلام قال في حديث له : ألا أخبركم بأشدّ ما فرض الله على خلقه، فذكر ثلاثة أشياء أوّلها إنصاف النّاس من نفسك.

خير من عمله» و اختلفوا في أن الذكر القلبي هل تعرفه الملائكة وتكتبه أم لا ف قيل بالاول لان الله تعالى يجعل له علامة يعرفه الملائكة بها وقيل بالثاني لانهم لا يطلعون عليها.

قوله (ثلاثة هم اقرب الخلق الى الله عزوجل يوم القيامة حتى يفرغ من الحساب) ليس «حتى» هنا لانقطاع قربه بعد الحساب بل للمبالغة في دوام قربه لانه اذا كان عند حساب الخلائق في ظل قربه واحسانه وضيافة اكرامه وانعامه كان بعده في ذلك بطريق أولى.

(رجل لم تدعه قدرة في حال غضبه الى أن يحيف على من تحت يده) ظاهره عدم الجور والتعدى في التأديب ويمكن أن يراد به العفو في حقه والعفو أنسب.

(و رجل مشى بين اثنين فلم يمل مع احدهما على الآخر بشعيرة) أى مشى بينهما في أداء رسالة أو قصد اصلاح أو مصاحبة، و قوله «بشعيرة» مبالغة في ترك الميل بالكلية و أقل الميل أن يقول ما يوافق طبع أحدهما ويخالف طبع الآخر.

(و رجل قال بالحق فيما له و عليه) هذا هو المراد في هذا الباب لانه الانصاف والعدل في القول رهو أن يرضى لغيره ما يرضى لنفسه ويكره له ما يكره لنفسه.

قوله (فذكر ثلاثة أشياء أولها انصاف الناس من نفسك) هذا أشد لانه أشق على النفس و لعل الآخرين المواساة و ذكر الله في كل حال كما يظهر من الاخبار الاتية أو عدم الميل و عدم الحيف بقرينة السابق.

٧- علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن النوفلي، عن السكوني، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: سيد الأعمال إنصاف الناس من نفسك، ومؤاساة الأخ في الله، وذكر الله عز وجل على كل حال.

٨- علي، عن أبيه، عن ابن محبوب، عن هشام بن سالم، عن زرارة، عن الحسن البزازی قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام: ألا أخبرك بأشد ما فرض الله على خلقه قلت: بلى قال: إنصاف الناس من نفسك، ومؤاساتك أخاك، وذكر الله في كل موطن، أما إنني لأقول: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر. وإن كان هذا من ذلك ولكن ذكر الله جل وعز في كل موطن، إذا هجمت على طاعة أو على معصية.

٩- ابن محبوب، عن أبي أسامة قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: ما ابتلي المؤمن بشيء أشد عليه من خصال ثلاث يحرمها، قيل: وما هن؟ قال: المؤاساة في ذات يده، والإيناف من نفسه، وذكر الله كثيراً، أما إنني لأقول: سبحان الله والحمد لله [ولا إله إلا الله] ولكن ذكر الله عند ما أحل له وذكر الله عند ما حرم عليه.

١٠- عده من أصحابنا، عن أحمد بن أبي عبد الله، عن يحيى بن إبراهيم بن أبي البلاد، عن أبيه، عن جدّه أبي البلاد رفعه قال: جاء أعرابي إلى النبي صلى الله عليه وآله هو يريد بعض غزواته، فأخذ بغرز راحلته فقال: يا رسول الله علمني عملاً أدخل به

قوله (إذا هجمت على طاعة أو على معصية) أي دخلت فيهما ووردت عليهما مع القدرة على امضاء هوى النفس كما يشعر لفظ الهجوم.

قوله (ما ابتلي المؤمن بشيء أشد عليه من خصال ثلاث يحرمها) أي يمتنع منها ويتركها ولا يتصف بشيء منها، تقول: حرمتها حراماً من باب شرف وعلم إذا امتنعت فعله وفيه ترغيب للمؤمن في الانصاف بها وفي قوله (ولكن ذكر الله عند ما أحل له وذكر الله عند ما حرم عليه) حث على ذكره تعالى في جميع الأحوال لأن القلب يميل مرة إلى الحق ومرة إلى الباطل وتارة إلى الخير وتارة إلى الشر والجوارح تابعة له في جميع ذلك فلا بد للمؤمن من أن يكون ذا كرامة الله تعالى في جميع حركاته وسكناته وتقلب قلبه ونظراته وناظراً إلى جميع أعماله القلبية والبدنية فإن كان خيراً أمسكه بجبل التذكر واليقان ومال إليه بنور القوة والایمان، وإن كان شراً يدعه من خوف العقوبة والخذلان كما روى إذا عرض لك أمر فتدبر عاقبته فإن كان خيراً فامضه وإن كان شراً فاتته.

الجنة، فقال ما أحببت أن يأتيه الناس إليك فأتته إليهم وما كرهت أن يأتيه الناس إليك فلا تاتاه إليهم، خل سبيل الراحلة .

١١- أبو علي الأشعري، عن الحسن بن علي الكوفي، عن عبيس بن هشام، عن عبد الكريم، عن الحلبي، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: العدل أحلى من الماء يصبه الظمآن، ما أوسع العدل إذا عدل فيه وإن قل .

١٢- علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن محبوب، عن بعض أصحابه، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: من أنصف الناس من نفسه رضي به حكماً لغيره .

١٣- محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن محمد بن سنان، عن يوسف بن

قوله (فاخذ بفرز راحلته) الفرز بالفتح والسكون ركاب الراحلة من جلد واذا كان من خشب أو حديد ركاب .

قوله (العدل أحلى من الماء يصبه الظمآن) العدل ملكة للنفس تمنعها من الباطل وتحفظها في جميع حركاتها وسكناتها الظاهرة والباطنة من الميل الى الجور و هو في مذاق العادل بل الناس كلهم أحلى من الماء البارد في مذاق العطشان و يتضمن هذا تشبيهه بالماء في ميل الطبع والالتذاذ والوجه في الماء أجلى و أظهر وفي العدل أتم وأكمل كما يشعر به اسم التفضيل (ما أوسع العدل) كأنه تعجب في سعة باعتبار تعلقه بكل أمر من الامور الظاهرة والباطنة غير مختص ببعض دون بعض كالعقائد أو الاقوال مثلاً أو في شرفه وسعة نفعه لانه اذا وقع العدل في الناس تنزل السماء رزقها وتخرج الارض بركتها و يتم نظام العالم، و ذلك (اذا عدل فيه) أى في العدل اذ لو جار فيه بتعلقه بافعال بعض الجوارح و الاعضاء دون بعض لم تتحقق سعة بأحد المعنيين المذكورين (و ان قل) أى العدل ووجه قلته أنه يتوقف على كمال النفس الناطقة بالعلم والحكمة وكمال القوة النضبية بالشجاعة وكمال القوة الشهوية بالعفة و بالجملة على استقامة القوى الظاهرة و الباطنة حتى يكون جميع الافعال والاعمال على وفق العقل والشرع، و من البين أن الاتصاف بهذه الخصال على وجه الكمال لكونه في غاية الصعوبة والاشكال ليس الا لواحد بعد واحد هذا الذى ذكرنا في شرح هذا الحديث من باب الاحتمال والله أعلم بحقيقة الحال .

قوله (من أنصف الناس من نفسه رضي به حكماً لغيره) الظاهر أن رضى على صيغة المجهول أى رضى الله تعالى أو كل عاقل أن يكون هو حاكماً لغيره يحكم بين الخلق لان بناء الحكم على الانصاف والعدل ، و فيه حث على الاتصاف به لان السياسة البدنية و الرئاسة المدنية متوقفة عليه ومفهومه أن غير المتصف به لا يصلح للحكومة .

عمران بن ميثم، عن يعقوب بن شبيب، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: أوحى الله عز وجل إلى آدم عليه السلام إني سأجمع لك الكلام في أربع كلمات، قال: يارب وماهن؟ قال: واحدة لي وواحدة لك وواحدة فيما بيني وبينك وواحدة فيما بينك وبين الناس قال: يارب بينهن لي حتى أعلمهن، قال: أما التي لي فتعبدني، لا تشرك بي شيئاً، وأما التي لك فأجزيك بعملك أحوج ما تكون إليه وأما التي بيني وبينك فعليك الدعاء وعلني الاجابة، و أما التي بينك وبين الناس فترضى للناس ما ترضى لنفسك وتكره لهم ما تكره لنفسك.

١٤- أبو علي الأشعري، عن محمد بن عبد الجبار، عن ابن فضال، عن غالب بن عثمان، عن روح ابن أخت المعلی، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: اتقوا الله وأعدلوا. فإنكم تعيرون على قوم لا يعدلون.

١٥- عنه، عن ابن محبوب، عن معاوية بن وهب، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: العدل أحلى من الشهد وألين من الزبد وأطيب ريحاً من المسك.

قوله (اني سأجمع لك الكلام في أربع كلمات) دل على أن هذه الكلمات جامعة لكل دال على الخيرات و هو كذلك لان العارف بالله والسائر الى الله قصده امور أربعة الاول هو الله تعالى وحده لاشريك له والكلمة الاولى اشارة اليه، والثاني تحصيل الثوبات الاخرية عند كمال الحاجة اليها، والكلمة الثانية ايماء اليه، والثالث اصلاح حاله في الدنيا وتقويم شأنه وقت السير بتحصيل ما ينبغى وترك ما لا ينبغى بعون الله و توفيقه، والكلمة الثالثة رمز اليه، والرابع العدل بين رفقائه والانصاف فيما بينهم ليتمكن لهم السير الى الله و تكمل نظامهم، وله مدخل عظيم في بقاء النوع والوصول الى المقصود، والكلمة الرابعة اشارة اليه، و اذا تأملت في هذه الكلمات وجدت الحكمة العملية والنظرية مندرجة فيها وقد قسم ارسطو طالس العدل على ثلاثة أقسام الاول رعاية العبودية، والثاني رعاية حقوق المشاركة، والثالث رعاية حقوق الاسلاف، و الكلمة الاولى في هذا الحديث اشارة الى الاول، والكلمة الاخيرة الى الاخيرين.

قوله (اتقوا الله و اعدلوا) أى أطيعوا الله فى أوامره و نواهيه و اعدلوا فيما بينكم ولا تتجوروا (فانكم تعيرون على قوم لا يعدلون) بين الناس فينبغى أن تعدلوا حتى لا يعيب عليكم غيركم ولئلا يتوجه عليكم اللوم والانكار فى قوله تعالى ولم تقولون ما لا تفعلون.

١٦- عِدَّةٌ من أصحابنا، عن أحمد بن محمد بن خالد، عن إسماعيل بن مهران، عن عثمان بن جبلة، عن أبي جعفر عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : ثلاث خصال من كنَّ فيه أو واحدة منهنَّ كان في ظلِّ عرش الله يوم لا ظلَّ إلا ظلُّه : رجلٌ أعطى النَّاسَ من نفسه ما هو سائلهم، ورجلٌ لم يقدِّم رجلاً و لم يؤخِّر رجلاً حتَّى

قوله (العدل أحلى من الشهد وألين من الزبد و أطيب ريحاً من المسك) رغب في العدل التابع للاعتدال في القوى الانسانية لتشبيهه أولاً بالشهد و هو العسل في الحلاوة و ميل الطبع و ثانياً بالزبد في اللينة و الزبد مثال قفل ما يستخرج بالمخض من لبن البقر والغنم و ثالثاً بالمسك في الريح المرغوب فيه و هذه المعاني وان كانت في المشبه عقلية خفية عند الجاهلين لكنها كحسية جليلة عند العارفين.

قوله (في ظل عرش الله يوم لا ظل الا ظله) ضمير الاظله يحتمل أن يعود الى الله وأن يعود الى العرش فعلى الاول يحتمل أن يكون الله سبحانه يوم القيامة ظللاً غير ظل العرش ولكن ظل العرش أعظمها و أشرفها يخص الله سبحانه من يشاء من عباده و من جملةهم صاحب هذه الخصال الثلاث و على الاخير لا ظل هناك الا ظل العرش وهو ينافي ظاهراً ما روى عن أبي عبدالله (ع) قال : « قال رسول الله (ص) أرض القيمة نار ما خلا ظل المؤمنين فان صدقته تظله » و من طريق العامة « المرء في صدقته حتى يقضى الله بين الخلايق » فانه يدل على أن في القيامة ظلاً غير ظل العرش ، و من ثم قيل ان في القيامة ظللاً بحسب الاعمال تقي أصحابها عن حر الشمس و النار و أنفاس الخلايق و لكن ظل العرش أحسنها و أعظمها ، و يمكن الجواب بأنه ليس هناك الا ظل العرش يستظل بها من يشاء من عباده المؤمنين و لكن لما كان ظل العرش لا ينال الا بالاعمال و كانت الاعمال تختلف فحصل لكل عامل ظل يخصه من ظل العرش بحسب عمله و اضافة الظل الى الاعمال باعتبار أن الاعمال سبب لاستقرار العامل فيه ثم الكون في ظل العرش كما ذكرناه آنفاً يحتمل حملة على الحقيقة بأن يظلمهم الله تعالى من حر الشمس و وهج الموقف و أنفاس الخلايق ، و يحتمل أن يكون كناية عن حفظهم من المكار و جعلهم في كنف حمايته و رعايته ، و يحتمل أن يكون الظل كناية عن الراحة و التمتع و منه قولهم عيش ظليل (ورجل لم يقدم رجلاً و لم يؤخر رجلاً حتى يعلم ان ذلك لله رضى) يعنى انه يراقب نفسه في جميع الحركات الظاهرة و الباطنة و يجعلها موافقة للقوانين الشرعية

شرح اصول الكافي - ٢٥ -

يعلم أن ذلك لله رضى ورجل لم يعب أخاه المسلم بعيب حتى ينفي ذلك العيب عن نفسه ، فإنه لا ينفي منها عيباً إلاً بدا له عيب ، و كفى بالمرء شغلاً بنفسه عن الناس .

١٧ - عنه ، عن عبدالرحمن بن حماد الكوفي ، عن عبدالله بن إبراهيم الغفاري ، عن جعفر بن إبراهيم الجعفري ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : من وصى الفقير من ماله و أنصف الناس من نفسه فذلك المؤمن حقاً .

١٨ - محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد ، عن محمد بن سنان ، عن خالد بن نافع بياع السابري ، عن يوسف البنزاق قال : سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول : ما تدارأ اثنان في أمر قط ، فأعطى أحدهما النصف صاحبه فلم يقبل منه إلاً أدل منه .

١٩ - محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد ، عن ابن محبوب ، عن أبي أيوب ، عن محمد بن قيس ، عن أبي جعفر عليه السلام قال . إن الله جنة لا يدخلها إلاً ثلاثة أحدهم من حكم في نفسه بالحق .

٢٠ - علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن ابن أبي عمير ، عن حماد ، عن الحلبي عن أبي عبدالله عليه السلام قال : العدل أحلي من الماء يصيبه الظمان ، ما أوسع العدل إذا عدل فيه و إن قل .

(فانه لا ينفي منها عيباً الا بداله عيب) فيكون دائماً مشغولاً بعيب نفسه و تطهيرها عنه فيكون فارغاً عن عيب الناس كما اشار اليه بقوله (و كفى بالمرء شغلاً بنفسه عن الناس) لان النفس ما دامت الدنيا محتاجة الى المعالجة والمداواة آناً فاناً .

قوله : (فذلك المؤمن حقاً) اريد أنه المؤمن الكامل الذى تكاملت أخلاقه الفاضلة و تمت أوصافه الكاملة فمن وجد فيه الامران علم أنه فى غاية الكمال من الايمان .
قوله : (ما تدارأ اثنان - الخ) تدارأوا تدافعوا فى الخصومة والخدعة ، واديل منه اى جعلت الغلبة والنصرة له عليه يقال أدالنا الله على عدونا أى نصرنا عليه وجعل الغلبة لنا و فى الفائق أدال الله زيدا من عمرو نزع الله الدولة من عمرو و آتاها زيداً .

تم الجزء الثامن ويليه الجزء التاسع أوّله باب الاستغناء عن الناس .

استدراك

قد تكرر في ماضى ذكر القلب مراداً به النفس الناطقة اقتباساً من القرآن الكريم وما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه ، أى من نفسين حتى يكون بأحدهما ابناً لواحد و بالآخر ابناً لآخر، أو بأحدهما زوجة و بالآخر اما كما فى الظهار و تكرر أيضاً فى كلام الشارح الاشارة الى تجرد النفس وهو أهم مبادئ علم الاخلاق مثل قوله « القلب من عالم القدس » فى الصفحة ٣٦١ والقلب فى اصطلاح علماء الاخلاق هو القوة العاقلة و النفس الناطقة والمراد بكونه من عالم القدس تجرده، فرأينا من أوجب ما علينا بيان هذا المقصد المهم ولا يخفى أن كثيراً مما نرى فى خواص النفوس و آثارها تدل على وجود جوهرى مستقل عن البدن و أن الاعضاء آلات يحتاج اليها فى العمل و يفقد العمل بفقد الآلات و كذلك الحواس الظاهرة آلات لا يندم صاحب الآلات بفقدانها و العاقلة لا تحتاج فى ادراكها الى آلة حتى يندم التعقل بانعدامها و لو كانت العاقلة أيضاً بآلة و فقدت المشاعر كلها و تحللت أعضائها جميعاً لم يبق من النفس شى و انما يبقى النفس ببقاء العاقلة مع فقد سائر المشاعر. و قال بعض حكمائنا ان الحافظة للصور المثالية التى سموها الخيال أيضاً غير آلية لا تفنى بفناء الدماغ، و احتجوا على عدم احتياج العاقلة الى الدماغ و عدم حلول الصور المعقولة فيه بوجوه: الاول ان الصورة العقلية غير منقسمة و لو كانت منقسمة لانتهى الى أجزاء غير منقسمة و غير المنقسم لا يحل فى جسم منقسم. الثانى أن القوة الحافظة الالة لا تشعر بنفسها كالباصرة لا تبصر العين و العقل يشعر بذاته. الثالث أن العقل يدرك المعقولات ولا يثقل عليه حملها و ان كثرت و لا يكل و يتعقل جميعها متساوية فى الوضوح و القوى الحاسة الجسمانية كالبصر يكل و لا يبصر الضعيف بعد ادراك النور القوى الا بعد استراحة ما ولا يشم الانف الرائحة الضعيفة اثر القوية لشدة تأثره بالقوية و كلاله. و لا يكل العالم الا عند التفكير لتحصيل المعلومات فى المرة الاولى لان الفكر من المتخيلة الثابتة فى الدماغ و أما بعد تعقل المعقول فلا يكل باستمرار التعقل كالبصر. الرابع أن العقل لا يضمحل بالشيخوخة و ضعف الاعضاء و انما يضعف الفكر و القدرة على تحصيل ما لم يحصله و العمل بما علم لضعف الالة و أما نفس التعقل فهو ثابت باق و يدرك حكماً بعد حكم من غير أن يعجز . و من زعم أن الشيخ يضعف عقله بتقدم السن اشتبه عليه الفكر بالتعقل او ما يتوقف من العلوم على معونة الحواس بما لا يتوقف عليها والطبيب اذا شاخ و ضعف يستشار و لا يعالج باليد لضعف يده، و لا يميز المرض لضعف عينه و اذنه و لا يزيد علمه لضعف فكره و حافظته، و هذه كلها غير التعقل و معنى قوله « لكيلا يعلم بعد علم شيئاً » يؤول على هذا. الخامس أن عدم كون الادراك من صفات الجسم بديهى و التشكيك فيه

يساق التشكيك في سائر الامور البديهية وكيف يمكن أن يدرك جسم الصور الحالة فيه ولو كان حلول صورة ما في الدماغ ادراكاً للدماغ فلم لا يدرك الجدار النقش الحاصل فيه ، فان قيل هذا المزاج خاص للدماغ ولتركيبه من عناصر خاصة ليست موجودة في الجدار ، قلنا فلم لا يدرك الدماغ الملاسة والخشونة والشكل والحفر وسائر ما حل في أجزائه من الاعراض والصفات وما الفرق بين الصورة المعقولة والعلوم الحاصلة في الدماغ و بين سائر صفات نفسه كالشكل والملاسة وكلاهما حالة جسمانية عارضة لجسم الدماغ والادراك عندكم عبارة عن حلول الصورة في جسم له هذا المزاج والتركيب ولا مناس عن ذلك الا بأن يلتزم بأن الادراك ليس حلول حالة جسمانية في جسم بل شيء آخر من غير سنخ حلول عوارض الاجسام. وقال الشيخ لو كان العقل في دماغ لكان العقل مادام التعلق للدماغ واما أن لا يتعقله أصلاً، و نعم ما قال وهذا الوجه الخامس هو الحجة القاطعة. وقد مر في الصفحة ٣٥٦ و ٣١١ وغيرهما ما يؤكد المقصود وقد علمنا من تتبع ما يسمى في علم الاخلاق رذائل و مهلكات أنها جميعاً تنسب الى الفرائز الطبيعية المعقولة للقوة الواهمة كالشهوة والغضب والبغض و الحسد فالسعادة كل السعادة في اخضاع الوهم وقهره حتى لا يسترسل في الشهوات و يتبع العقل ولا يمنعه من كسب الفضائل وقد ظهر من ذلك أن الوهم وما يتفرع عليه ليس من العالم الروحاني والتجرد في شيء ولاحظ له من القدس أصلاً، والعجب أن الغزالي مع تبخره في هذا العلم نقض قول الحكماء في تجرد العاقلة بان الوهم أيضاً لا ينقسم مدركاته فان معنى الحسد والغضب والشهوة وأمثالها الاجزاء مقدارية لها فلا ينقسم كمعنى الانسان والحيوان فليست جسمانية وهذا عجيب من مثله لان معنى الحسد والغضب وأمثالهما كلي لا يدركه الحيوان البتة و هو مجرد من جهة كونه معقولا حاصل للقوة العاقلة وانما الحاصل للحيوان مصاديق هذه المعاني فاذا رأت الشاة ذئباً عرضت في بدنها حالة تبعثها على الفرار وضربان القلب و نسمى نحن معاشر البشر تلك الحالة خوفاً ولا تتعل الشاة معنى الحالة ولا يعرف لها مفهوماً ولا لفظاً كاحساس الرضيع بوجع رأسه من غير أن يكون له تصور مفهوم الالم وجميع ما ذكره في التهافت في نقض تجرد النفس الناطقة من هذا القبيل ناش عن قلة الاعتبار.

والخيال في اصطلاح الحكماء هو القوة الحافظة للصور المدركة بالحس المشترك واختلف الحكماء في تجرد الخيال المصطلح عندهم فالشيخ الرئيس وأتباعه أنكروا تجرده وجعلوه من عوارض الدماغ بمعنى انه الة لا مدرك وشيخ الاشراق ومن تبعه ومنهم صدر المتألهين - قدس - اعتمدوا وتجرده ولذلك أمكنهم الالتزام بان روح الحيوانات التي لها قوة الخيال مجردة تبقى بعد موتها وهو

متوقف على اثبات أن الحيوان يدرك وحدة ذاته طول عمره مع تبدل أجزاء بدنه وأنه يبقى مع جميع ما أدركه سابقاً واختزن في خياله وبالجملة يتوقف على إحاطتنا بخصوصيات ادراكه الخيالي وأما الانسان فيذكر غالباً ما أحسه بعد أربع سنين من ولادته والتزموا بتجرد الخيال اذ لا يتعمق حلول صور كثيرة متراكبة بعضها على بعض وبعضها عظيمة وبعضها صغيرة متضادة بعضها مع بعض فسي سنين متطاولة على جسم صغير من غير أن يشوش الصور ويبطل بعضها بعضاً . والحيوان حاله غير معلومة لنا فلعلمه لا يذكر ما مر عليه سنة أو أقل لكن الحدس القوي يؤكد وجود صفات التجرد في خياله و ليس هنا موضع التفصيل في ذلك و اما اعتراض الغزالي على الحكماء في استدلالهم على تجرد النفس ببقاء وحدتها طول العمر مع تبدل البدن بان الحيوان أيضاً كذلك يتبدل أجزاءه مع أنه واحد من أول نموه الى أن يموت ولا يقولون بتجرده

فالجواب أنهم لم يعلموا و حدته بالمعنى الذى نراه فى الانسان من حفظ شخصيته ومدركاته وعلومه ولا تكفى الوحدة العرفية وعلى فرض ثبوت وحدته حقيقة يقولون بتجرده . فان قيل حكمت فيما سبق (فى الصفحة ٣٤٩) بان الحافظة كسائر الحواس الباطنة جسمانية وهى اعتياد الاعصاب أو الدماغ، قلنا غرضنا هناك الذاكرة فان الحافظة قد تطلق على قوة تحل فيها الصور وقد تطلق على قوة تسترجع المخزون وتحضرها عند الحس المشترك والجسمانى هو الثانى دون الاولى . راجع الصفحات (٢٧ و ٤١ و ١٧٦ و ٢٩٢ و ٣٠٧ و ٣١١ و ٣٢٠ و ٣٤٨ و ٣٥٠ و ٣٥٦) . (ش)

كتاب الايمان والكفر

باب	٢	طينة المؤمن والكافر
«	١٣	آخر فيه زيادة وقوع التكليف الاول.
«	٢٩	أن رسول الله أول من أجاب و أقر الله بالربوبية.
«	٣٣	كيف أجابوا وهم ذر.
«	٣٥	فطرة الخلق على التوحيد.
«	٤٠	كون المؤمن في طلب الكافر.
«	٤١	إذا أراد الله عز وجل أن يخلق المؤمن.
«	٤٢	في أن الصبغة هي الاسلام.
«	٤٣	في أن السكينة هي الايمان.
«	٤٦	الاخلاص.
«	٥٣	الشرايع.
«	٥٧	دعائم الاسلام.
«	٧١	أن الاسلام يحقن به الدم و أن الثواب على الايمان.
«	٧٤	أن الايمان يشرك الاسلام والاسلام لايشرك الايمان.
«	٨١	أن الاسلام قبل الايمان.
«	٨٣	(بدون العنوان).
«	٩٨	في أن الايمان مبعوث لجوارح البدن كلها.

	«	السبق إلى الايمان.	١١٨
	«	درجات الايمان.	١٢٧
	«	آخر منه.	١٣٢
	«	نسبة الاسلام.	١٣٤
	«	خصال المؤمن.	١٤٠
	«	(بدون العنوان) .	١٤٧
	«	صفة الايمان.	١٥٥
	«	فضل الايمان على الاسلام ، واليقين على الايمان.	١٥٩
	«	حقيقة الايمان واليقين .	١٦٣
	«	التفكر .	١٦٩
	«	المكارم .	١٧٢
	«	فضل اليقين .	١٧٩
	«	الرضا بالقضاء .	١٨٨
	«	التفويض إلى الله والتوكّل عليه .	١٩٧
	«	الخوف والرجاء .	٢٠٥
	«	حسن الظنّ بالله عزّ وجلّ .	٢١٧
	«	الاعتراف بالتقصير .	٢٢١
	«	الطاعة والتقوى .	٢٢٤
	«	الورع .	٢٣٣
	«	العفة .	٢٤٠
	«	اجتناب المعاصم .	٢٤٢
	«	أداء الفرائض .	٢٤٥
	«	استواء العمل والمداومة عليه .	٢٤٧
	«	العبادة .	٢٤٩

		النِّيَّة .	٢٥٢
		(بدون العنوان) ،	٢٥٥
١١١	١١١	الاقتصاد في العبادة .	٢٥٧
٣	٧١	من بلغه ثواب من الله على عمل .	٢٥٩
١٧	٧١	الصبر .	٢٦٢
٨٣	٦	الشكر .	٢٧٦
٥٠١	٢١	حسن الخلق .	٢٨٧
٧١١	١١	حسن البشر .	٢٩٤
٧١١	١١	الصدق و أداء الامانة .	٢٩٦
٤٧١	٢١	الحياء .	٢٩٩
٣٣١	٦	العفو .	٣٠١
٢٧١	٢	كظم الغيظ .	٣٠٤
٣٢١	٧	الحلم .	٣٠٨
١٢٧	٧١	الصمت و حفظ اللسان .	٣١٣
١٨١	٣٢	المداراة .	٣٢١
٣٠٧	٧٢	الرفق .	٣٢٤
٢١٧	٥٢	التواضع .	٣٣٠
١١٧	١٧	الحب في الله والبغض في الله .	٣٣٩
٠٧٧	١٧	ذم الدنيا والزهد فيها .	٣٤٧
		(بدون العنوان) .	٣٨٠
		القناعة .	٣٨٢
		الكفاف .	٣٨٧
		تججيل فعل الخير .	٣٩٠
		الانصاف والعدل .	٣٩٣

جدول الخطأ والصواب

الصواب	الخطأ	السطر	الصفحة
هذا	هذه	١٣	٤
النقص	النتص	٢٧	٣١
موجبات	موجبات	٩	٤٩
الراويتين	الراويتين	٢٦	١٠٥
الظاهر	الظاعر	١٢	١١٣
واظهروا	واظهراوا	٢١	١١٧
لم يرزق	لم يرزق	١٦	١٣٤
لهم الحجج	لهم الحجج	٩	١٤٤
فضل	فصل	٦	١٧٩
العنف	المنف	٧	٢٦٤
الخصلة	الحضلة	١٧	٢٦٤
افضل	اقضل	٢٤	٢٨٧
جرعة	جزعه	٢٧	٣٠٤
الألسنة	الاللسنة	١٥	٣١٦
ومن كثر خطأه	ومن كثر خطأه	٢١	٣١٨
المستيقظ	المستقيظ	٢١	٣٧٠

Library of



Princeton University.

Princeton University Library



32101 098940495



16.18.